الأَدب الأَندلسيّ
في
الدراسات الاستشراقيّة البريطانيّة

رشأ عبدالله الخطيب

© هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية.
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر.

LC PJ7700.A8. J53 2009

رشأ عبدالله الخطيب.

الأَدب الأَندلسيّ في الدراسات الاستشراقيّة البريطانيّة/ رشأ عبدالله الخطيب.
– ط 1 – أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2013.
ص ؛ سم.
يتضمن مراجع (ص) .
ت د م ك 978-9948-01-374-7

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

إصدارات
esdarat
دار الكتب الوطنية

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م

أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380

publication@tcaabdhabi.ae
www.tcaabdhabi.ae

الأَدب الأَندلسيّ في
الدراسات الاستشراقيّة البريطانيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

المقدمة

إن البحثَ في موضوع الأدب الأندلسي في الدراسات الاستشراقية البريطانية موضوع مثير؛ في وقتٍ تتجه فيه الأنظار نحو الغرب تلتمس لديه أصداء التجربة الحضارية التي أنجزها العربُ والمسلمون فيما مضى من الزمان، والتجربة الأندلسية منها على وجه التحديد لها صداها المميز عند أبناء العروبة والإسلام.

وفي ذلك تتجلى أهميةُ البحث في مثل هذا الموضوع؛ فالأعمال التي أنتجها المستشرقون الأوروبيون عن حضارتنا ضخمة، وتحتاج إلى جهود جبّارة منّا من أجل الوقوف عليها وكشف إيجابياتها وسلبياتها. وتأمل الباحثة أن تضيف شيئاً بهذا العمل إلى الجهود السابقة التي بذلها باحثون عرب في التنقيب في تراث المستشرقين وبيان مواضع الإنصاف فيه من غيرها.

ولئن نال المستشرقون نصيبَهم من الدرس عند الباحثين العرب سلباً أو إيجاباً في بحوثٍ كثيرة أنجزوها؛ فإن بيان جوانب دراسة الأدب الأندلسي عند المستشرقين والباحثين في بريطانيا تحديداً لم ينل حظاً كبيراً في الدراسات العربية تلك؛ إذ ليس لاسم بريطانيا صدىً في مقام تُذكَر فيه الأندلس والتراث الأندلسي إلا فيما ندر!

وربما لا يقع في بال أحد ـ للوهلة الأولى ـ أن ثمة صلة قد تربط بريطانيا بالأندلس، كما قد نتمثل تلك الصلة بين إسبانيا والأندلس أو بين فرنسا والأندلس؛ نظراً للجهود المشتهرة من المستشرقين الفرنسيين والإسبان في ميدان الدراسات الأندلسية: تحقيقاً وترجمة وتأليفاً.

الدراسات السابقة ومصادر الكتاب:

وقد يكون ذلك هو ما دفع اثنين من الباحثين البريطانيين الغُيُر على «سمعة» بلدهما ـ فيما يتصل بالأندلس ـ إلى أن يكتبا ما يمكن أن يكون «الدراسات السابقة» لهذا الموضوع:

فقد عالج ليونارد باتريك هارفي في مجلة القنطرة - وهي المجلة الشهيرة في الدراسات الأندلسية - في عام 1992 الذي وافق الذكرى الخمسمئة لسقوط غرناطة؛ عالج في مقال له بعنوان (المستعربون البريطانيون والأندلس)[1] صلةَ الباحثين في بريطانيا بموضوع الأندلس وإرثها الثقافي والحضاري والأدبي... وقد اضطره ذلك البحثُ إلى أن يلتمس أدنى الإشارات وأصغرها عن الأندلس في أعمال المستشرقين البريطانيين منذ القرون الوسطى المبكرة حتى اليوم.

أما الباحث الثاني « الغيور » على سمعة بلاده كذلك في ميدان الدراسات الأندلسية؛ فهو ريتشارد هيتشكوك الذي دبج مقالة في موضوع (الدراسات الأندلسية في الألفية الجديدة: في المملكة المتحدة)[2] وذلك عام 2002 في ندوة خُصِّصت لبحث الدراسات الأندلسية في بعض الدول الغربية التي اهتمت بالحضارة الأندلسية، ومنها إسبانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة إلى جانب بريطانيا مستضيفةِ الندوة.

تعد هاتان المقالتان دراستين فريدتين في موضوع الكتاب، إلا أن ذلك لا يعني أن الموضوع جديد كل الجدة؛ فقد أعانتني طائفةٌ من البحوث الأخرى والدراسات ذات الصلة؛ وقد عالجت أعمالَ المستشرقين الفرنسيين والإسبان وبحوثهم عن الأدب الأندلسي، ومنها:

1 - المقري، بدر (2004)، **أدب الغرب الإسلامي في دراسات المستعربين الفرنسيين: دراسة توثيقية تحليلية**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.

وهي دراسة مفصَّلة للأدب الأندلسي في دراسات المستعربين الفرنسيين، وقد بنى الباحث أطروحتَه على جمع ما أنجزه الفرنسيون في دراسة التراث الأدبي الأندلسي إبان الحقبة الاستعمارية في شمالّي إفريقية؛ واستقراء مناهجهم في دراسة ذلك الأدب في ضوء الخطاب الاستشراقي الأوربي الذي لا ينفصل عن بنية الفكر الغربي الذي ينتمي إليه

(1) Harvey, L. P. (1992), British Arabists and Al-Andalus. **Al Qantara**, 13 (2). (pp. 423-436).
(2) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. **Al-Masaq**, 16 (2). Pp.197-204.

المستعربون الفرنسيون، وفي ضوء النظريات العرقية والعنصرية التي قامت على أساس المركزية الأوربية وتفوّق حضارة البيض على الحضارات الأخرى، التي شاعت في القرن التاسع عشر؛ وهو عصر الحقبة الاستعمارية التي بلغت فيها دراساتُ الفرنسيين للأدب الأندلسي ذروتَها.

2 - النجار، صونيا (2001)، **دراسة الاستشراق الفرنسي للنثر الأندلسي منذ فتح إسبانيا حتى سقوط قرطبة**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان.

3 - يموت، مهى رفيق (2001)، **رؤية الاستشراق الفرنسي للشعر الأندلسي منذ الفتح حتى سقوط قرطبة**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان.

وهاتان الرسالتان الجامعيتان كانتا على الأستاذ المشرف نفسه، ويبدو التشابهُ جلياً بينهما في المنهج والمحتوى؛ إلا أن إحداهما اختصت بفن الشعر والأخرى بالنثر. وقد اعتنت الباحثتان فيهما بدراسة الاستشراق الفرنسي: أعماله وأدواته ومناهجه... في الدراسات العربية الإسلامية عامة، ثم في دراسة الأدب الأندلسي تحديداً.

وإلى جانب هذه الدراسات الجامعية عثرتُ على بعض البحوث القصيرة عن التراث الأندلسي والتجربة الأندلسية في دراسات المستشرقين الإسبان، كان من أهمها:

1. الشكعة، مصطفى (1985)، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس: التيارات الاستشراقية في الحقل الأندلسي[1]، في: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، (ج2: ص275–343)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية لدول الخليج، الرياض: مطبعة مكتب التربية لدول الخليج.
2. مجموعة من البحوث عن الكتابات الاستشراقية حول الأندلس تاريخاً وحضارة...، منشورة في: **ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات**، 5 مجلدات، (ط1)، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996. (مج2: 171–335).

هذا إلى جانب كتاب الباحث الأمريكي جيمس مونرو عن الإسلام والعرب في

(1) منشور كذلك في: الشكعة، مصطفى (1987)، المغرب والأندلس: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، (ط1)، القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

الدراسات الإسبانية[1].

وقد اقتصر الاستشراقُ الإسباني – كما هو معروف ـ في أغلب دراساته على بحث التراث الأندلسي فقط، وغض النظر عن تراث الحضارة العربية الإسلاميةً في مناطق أخرى.

أما مصادر هذا الكتاب فهي تأتلف من المواد التي أنتجها المستشرقون والباحثون في بريطانيا، وعُنوا فيها بالأدب الأندلسي، سواء أكان ذلك في مجال التأليف أم تحقيق النصوص الأندلسية أم ترجمتها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مجموعةً جيدةً من مصادر الدراسة منقولةٌ ومترجمة إلى اللغة العربية، وكثير منها كانت ترجمتُه على أيدي الأكفياء ممن قدموها بأمانة مشهود لها، ومنها على سبيل المثال ترجمة د. عبد الحميد شيحة لكتاب شترن **الموشح الأندلسي**[2]، وكتاب **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** بتحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي[3].

منهج البحث وتحرير المصطلحات:

يحاول هذا الكتاب رصد ما أنجزه المستشرقون والباحثون البريطانيون عن الأدب الأندلسي، ودراسة أعمالهم ـ التي تأتي تمثيلاً لظاهرة الاستشراق ـ بوصفها جهداً علمياً لدراسة حضارة الشرق وتراثه، والاهتمام بقيمة هذا الجهد بعيداً عن ربطه بدوافع المستشرقين وغاياتهم، التي قد لا تروقنا نحن أهل الشرق، وذلك بالتأريخ لهذه الظاهرة في إطار بيئتها العامة. فإذا ما انتقلت الباحثةُ إلى النظر في الإنتاج نفسه، أي ثمرة الجهود التي قام بها المستشرقون البريطانيون في دراسة الأدب الأندلسي؛ ألفت نفسَها محتاجةً ـ

(1) Monroe, James. T. (1970), ***Islam and the Arabs in Spanish Scholarship (Sixteenth century to the Present)***, Leiden: E. J. Brill.

(2) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، (ط2)، ترجمة: عبد الحميد شيحة، القاهرة: مكتبة الآداب. وهو ترجمة لكتاب:

Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry***, Studies selected and edited by: L. P. Harvey, Oxford: Clarendon Press.

(3) **الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، (1998)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، جزءان، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. وهو ترجمة لكتاب:**

Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994), ***The Legacy of Muslim Spain, 2*** vols. Leiden, New York, Koln: E. J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).

مجاراةً لمقتضيات البحث ـ إلى استقراء هذه الجهود ووصفها، بما يتطلبه منهج الاستقراء من تصنيف الظواهر والقضايا والآثار التي تتصل بأعمال المستشرقين البريطانيين ودراساتهم عن الأدب الأندلسي، ثم تفسير نتاج هذه الجهود وتعليلها في ضوء السياق العام الذي جعل للاستشراق طابعه المميز في مراحله المتباينة، وتقييم الجهود البريطانية من حيث منزلتها بين الجهود الأوربية الأخرى التي بُذِلت في سبيل دراسة الإرث الأندلسي الفريد.

حاولت قدر الإمكان التزام مفردات العنوان الذي يحمله الكتاب؛ وهو (الأدب الأندلسي في الدراسات الاستشراقية البريطانية)، إذ ينصرف المقصود هنا من (الأدب الأندلسي) إلى الأدب بمعناه الإبداعي؛ أي النصوص الإبداعية من شعر ونثر وما ينضوي تحتهما من فنون أدبية متنوعة عرفَتها الأندلس، وأبدَعَها أعلامُها.

ولن أقف طويلاً عند كلمة (الأندلس)؛ فإنني أقصد بها ما عناه المؤرخون الأوائل والكتّاب العرب وأبناء الأندلس نفسها من أن الأندلس هي الأجزاء من أرض شبه الجزيرة الإيبيرية التي دخلها المسلمون من شماليّ إفريقية فاتحين سنة 91هـ/ 710م، ووطّدوا فيها حُكماً وبنياناً وحضارةً دامت نحواً من ثمانية قرون، دون النظر في اختلاف حدود هذه المنطقة وانحسار سيطرة المسلمين الفعلية على أراضيها في أوقات متفرقة.

أما المصطلح الجوهري في هذه الدراسة فهو (الاستشراق)، وقد أُريدَ به في العنوان أن ينصرف إلى ما قصده إدوارد سعيد من «الاستشراق» بدلالته الجامعية وما يقترب منها؛ أي الاستشراق بمعنى: القيام بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه[1]؛ بالوسائل العديدة التي اتخذها المستشرقون سبيلاً إلى ذلك. وفي هذا التعريف يكمن الوصف الملائم للحديث

(1) سعيد، إدوارد (1995)، الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، (ط4)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية. ص38.

وقد أشار سعيد إلى الدلالات أو المعاني الأخرى للاستشراق وأن الدلالة الجامعية (الأكاديمية) هي «الدلالة الأكثر تقبُّلاً »، أما الدلالات الأخرى فهي: معنى تخييلي يكون فيه الاستشراق أسلوباً من الفكر قائماً على تمييز وجودي «أنطولوجي» ومعرفي «إبستمولوجي» بين الشرق والغرب، ومعنى ثالث للاستشراق هو بإيجاز: «أسلوب غربي للسيطرة على الشرق».

ينظر: سعيد، إدوارد (1995)، الاستشراق، ص38–39.

عن الدراسات والأعمال التي اهتم بها هذا الكتاب.

لكن ذلك ليس كافياً؛ إذ ليس من المناسب أن نصِفَ جميع الأعمال المدروسة وجميع الباحثين بصفة الاستشراق والمستشرقين؛ وذلك لِطبيعة الظروف التي مرَّت بها حركةُ الاستشراق نفسها وما آلت إليه من تغيرات جعلتها تفقد كثيراً من سماتها مع مرور الزمن، مما يجعل مصطلح (الاستشراق) وحده غير كافٍ لوصف جميع الأنشطة والأعمال المتصلة بدراسة التراث الأندلسي في بريطانيا.

ويمكننا في هذا السياق الإشارة إلى أنه قد يؤخذ مفهوم (الشرق) الذي اقتُبِست منه مفردة (الاستشراق) بمعناه الجغرافي، بيد أن مصطلح الشرق بالمفهوم الجغرافي قد لا يكون مناسباً فيما يتصل بالأندلس؛ وإنما من الممكن أن نأخذ الشرق هنا بمفهومه العام الحضاري والثقافي، أي الشرق الذي يُقصَد به بلاد العرب والمسلمين؛ لأن تلك البلاد تقع جغرافياً في الحقيقة جنوبيّ أوربا وليس شرقها! وأن الأندلس بالذات قد مرَّ عليها حينٌ من الدهر كان بعضُ المستشرقين وما زالوا لا يجدون في أنفسهم شيئاً إذا أطلقوا عليها مصطلح «الغرب الإسلامي»!

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن مفهوم الاستشراق نفسه لم يعد استعمالُه مقبولاً لدى كثير من العلماء والمفكرين، من الباحثين العرب أو من المستشرقين؛ خاصة بعد أن أقرَّ المستشرقون أنفسهم ـ في مؤتمرهم المنعقد في باريس سنة 1973 ـ العملَ على إلغاء هذا المصطلح لدلالاته السلبية والظلال الرديئة لمعانيه(1). وعلى ذلك أطلقنا كلمة (المستشرقين) لتدل على من درسوا الأدب الأندلسي في القرون التي عُرف فيها دارسو تراث الشرق وحضاراته بهذا الاسم حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، حين بدأت الأصواتُ تضجّ بالإيحاءات السلبية التي أحاطت بهذا المصطلح، وجعلت من المنتسبين إليه فئةً يرتاب فيها كثيرون.

أما فيما يتصل بالباحثين في الغرب ـ منذ منتصف القرن العشرين ـ فقد ارتأينا تسميتهم بـ (الباحثين) (Scholars)؛ لأنها الكلمة المناسبة التي يمكن أن تصف العاملين في ميدان

---

(1) Lewis, Bernard (2004), ***From Babel to Dragomans: Interpreting The Middle East,*** Oxford: Oxford University Press, pp. 435-436.

دراسة التراث الشرقي، ومنه التراث الأندلسي، وتصف جهودهم في البحث العلمي في هذا المجال. حتى إن وجدنا من العلماء مَن يفضل استعمال كلمة (المستعربون) (Arabists) لوصف ما يمكن تسميتهم بـ (المستشرقين الجدد)، وقد استعملها بعضُ العلماء في بريطانيا ومنهم ليونارد هارفي في مقالته السالفة الذكر British Arabists and Al-Andalus، واستعملها كذلك ليزلي مكلوخلن في كتابه: (**المستعربون البريطانيون في القرن العشرين**)(1).

ومن المصطلحات المستعملة على نحو خاص في المتن وفي عناوين فصول الكتاب مصطلح "الدراسات الأندلسية"، وهو يشير إلى حقلٍ معرفيٍّ خاص Discipline قد شاع استعماله لدى الباحثين في الغرب، ويعني: ذلك الفرع من المعرفة الذي يهتم بدراسة الأندلس من النواحي المختلفة ـ تاريخياً وأدبياً وثقافياً وحضارياً ـ أيام الحكم الإسلامي.

أما الإطار المكاني للمجال الذي يبحثه الكتاب فهو بريطانيا، وهو ممثَّلٌ في الهيئات العلمية والجامعية فيها، وليس فقط في الباحثين المنتسبين إلى تلك البلاد ويحملون جنسيتها؛ إذ من الصعوبة بمكان الحديث عن مستشرقين بريطانيين ـ بالمفهوم الحديث لجنسيات الدول المعاصرة ـ في وقتٍ كانت فيه بريطانيا نفسُها تُعرَف في المصادر بـ (إنجلترا) England، ولم تكن هناك حدودٌ معينة أو قيود أمام المستشرقين والعلماء من مختلف أنحاء أوربا في الارتحال بين البلدان المختلفة، كما هي حال صعوبات الانتقال والإقامة في عالمنا اليوم.

ولهذا كان الحديث عن مساهمات الباحثين في بريطانيا عن الأدب الأندلسي غير مقيَّد بجنسيتهم أو أصولهم البريطانية؛ فبعض الذين ساهموا مساهمة واضحة في دراسة التراث الأندلسي في تلك البلاد هم من غير أبنائها، مثل الإسباني باسكال دي جايَنجوس والإنجليزي الهنغاري الأصل صمويل شترن، هذا إلى جانب بعض الباحثين العرب من أعضاء الهيئات الجامعية البريطانية ـ طلبةً كانوا أو أساتذة ـ الذين قدّموا بعض أعمالهم عن الأدب الأندلسي في أثناء انضمامهم إلى تلك الهيئات، مثل: جرير أبو حيدر.

---

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century,*** London: Ithaca Press.

في حين يمتد الإطار الزماني منذ القرن السابع عشر ـ الذي شهد تحقيق **(حي بن يقظان)** وترجمتها إلى اللاتينية سنة 1671 لتكون بذلك أول عمل أندلسي يُعتَنى به في بريطانيا ـ إلى القرن الحادي والعشرين؛ وقد تركت الباحثةُ الإطار الزماني مفتوحاً لقلة الأعمال المنجَزَة عموماً في بريطانيا عن الأدب الأندلسي؛ مما يفسح المجال لدراسةِ أكبرِ قدرٍ ممكن من الآثار التي قدَّمها الباحثون في تلك البلاد عن التراث الأندلسي.

صعوبات البحث:

كانت صعوبات البحث في مثل موضوع هذا الكتاب بمجملها قليلة إلا أنها ينبغي أن تُذكر، ذلك أن أهم تلك الصعوبات هو الحصول على المصادر نفسها؛ فالإنتاج الاستشراقي والبحثي في الغرب هو إنتاج هائل يمتد بعضُه لبضعة قرون خلت، في حين يتزايد بعضه الآخر يوماً بعد يوم على نحوٍ قد لا يمكِّن الباحثَ العربي من حصره واستقصائه.

ويجدر في هذا المقام الاعتراف بفضل الشابكة (الإنترنت) على البحث العلمي في عصرنا، التي تتيح تذليل بعض الصعوبات في الحصول على المصادر قديمها أو حديثها؛ بما توفره هذا الأداة ـ عن طريق الشبكة العالمية العامة أو من خلال مواقع المؤسسات العلمية والتعليمية ـ من إمكاناتٍ تجعل الباحثَ يزور مكتبات الأرض وهو في مكانه، ويتصفح المصادر المخطوطة والمطبوعة من غير أن يلمسها بيديه.

ولكن ذلك لا يذلل كل العقبات، فمن الصعوبات الأخرى ـ التي ربما قلَّ مَن يعترف بها ممن يكابد عناء الاطلاع على المصادر الأجنبية ـ أنّ دراسة المصادر بلغاتها الأصلية هي عملية قد توصف بأنها من "السهل الممتنع" مهما بلغت درجة تمكّن الباحث العربي من اللغة الأجنبية أو مستوى إجادته لها؛ لكن ذلك لا يمنع من القول: إنّ قراءة النصوص بغير اللغة الأم هو في حدّ ذاته أحد التحديات التي تواجه الباحث؛ فالرجوع إلى المصادر الأجنبية ـ سواء من ناحية المصادر الأولية للمادة أم من ناحية مراجعها المساندة ـ هو عمل ذو وجهين:

فمن جهة يقدم هذا العمل للباحث فرصة فريدة بالرجوع إلى روح النصوص الأصلية

المراد دراستها ـ بمفرداتها ودقائقها وتفاصيلها التي تنطبع في نفس القارئ ـ وبإغناء عمله بمصادر للبحث ربما تكون ذات آراء جديدة ورؤى مختلفة.

ومن جهة ثانية يبقى الرجوعُ إلى المصادر بغير اللغة الأم للباحث العربي محفوفاً بالمخاطر، إذ ربما يقع الباحثُ العربي فيما وقع فيه المستشرقون أنفسهم من قبل؛ حين أساؤوا فهم العربيةِ في نصوصها المدوَّنة أو في سياقها الاجتماعي، وأدى ذلك بهم إلى ما نعرفه جميعاً من أحكام أطلقوها تجاه العرب والمسلمين على غير هدى.

ومن الصعوبات "الفنية" في هذه الدراسة مسألةُ نقل أسماء الأعلام من الأفراد والأماكن من لغاتها إلى اللغة العربية، أي كتابة الحروف الأجنبية بما يقابلها من الحروف العربية، وقد أخذتُ في هذه المسألة بكتابة تلك الأسماء وفق ما هو مشتهر لدى الكُتّاب والباحثين العرب، لكن ذلك لا ينفي وجود بعض الاختلافات أحياناً في كتابة أسماء بعض الأعلام؛ ويعود ذلك إلى محاولة الاحتفاظ بطريقة الكتابة كما وردت في النصوص المقتبسة.

وتجدر الإشارة إلى تذييل الكتاب بقائمة تضم أسماء المستشرقين مع مقابلها اللاتيني؛ ليسهل على الباحثين تتبع أعمالهم في مظانها غير العربية.

أبواب الكتاب وفصوله:

يقع الكتاب في بابين وعدد من الفصول، وذلك على النحو التالي:

يمثل الباب الأول **توطئة عامة ونظرة تاريخية حول صلة الاستشراق البريطاني بالدراسات الأندلسية،** وهو مدخل عام عن دراسة اللغة العربية في أوربا منذ العصور الوسطى، أما الفصل الأول ففيه حديث عن **صلة الاستشراق البريطاني بالتراث العربي الإسلامي** من حيث الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية في إنجلترا منذ القرن السابع عشر، والأنشطة الأخرى في بريطانيا التي دعمت العنايةَ بالدراسات العربية هناك على نحوٍ خاص، وهي جمع المخطوطات والمكتبات الجامعية. ثم خُتم الفصل بملحوظات عامة على صلة الاستشراق البريطاني بالتراث العربي.

أما الفصل الثاني من الباب الأول فكان في بيان مظاهر **عناية المستشرقين البريطانيين بالتراث الأندلسي،** وقد تتبَّعَ هذا الفصلُ مسيرة الدراسات الأندلسية في بريطانيا ضمن سياق الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، إذ لم تكن العناية بالدراسات الأندلسية ذات اهتمام خاص هناك؛ وذلك لعوامل عدة، منها أن الدراسات الأندلسية نفسها لم تكن معروفة لدى المستشرقين في القارة الأوربية إلا في القرن التاسع عشر؛ نتيجة لنمو النشاط الاستشراقي الملحوظ في البحوث والدراسات الأندلسية في إسبانيا وفي بعض الدول، وهو النشاط الذي كان له الفضل في الكشف عن الكتب والمصادر العربية في الأندلس، وإلقاء الضوء على النصوص الأندلسية وأهميتها وأثرها في التاريخ الأدبي الأوربي، لكن الاهتمام بالدراسات الأندلسية في بريطانيا لم يواكب هذا النشاط الأوربي منذ بداياته إلا على نطاق ضيق، ويقسم إلى مراحل ثلاث وفقاً لبعض العوامل وللآثار التي أنتجها المستشرقون البريطانيون عن الأدب الأندلسي.

أما الباب الثاني من الكتاب فهو في **المنجزات العملية والمنهجية للدراسات الأندلسية في بريطانيا،** وقد ضم أربعة فصول عالجت تفاصيل الأعمال التي قدمها المستشرقون البريطانيون في دراسة الأدب الأندلسي، ففي الفصل الأول استقراء **لأعمال المستشرقين البريطانيين في دراسة الأدب الأندلسي** وتصنيفها، وبيان مقدار الجهد الذي بذله هؤلاء في دراسة الأدب الأندلسي، أما الفصل الثاني ففيه وقفة على **مواضيع الأدب الأندلسي** وقضاياه التي خصَّها المستشرقون البريطانيون بالدرس والبحث، ونالت منهم العناية.

وفي الفصل الثالث حديث عن **منهج البحث في الأدب الأندلسي** لدى المستشرقين البريطانيين من حيث أصول التحقيق والترجمة، ومرجعيتهم في دراسة التراث الأندلسي، ومصطلح الأندلس الذي استعملوه في دراساتهم. وكان الفصل الرابع ـ وهو الفصل الأخير من هذا الباب ـ بحثاً في **اتجاهات المدرسة البريطانية في دراسة الأدب الأندلسي،** وضمَّ مباحث ثلاثة، أولها **ملامح منهجية عامة** وَسَمَت أعمالَ المستشرقين والباحثين البريطانيين في دراستهم للأدب الأندلسي، وهي: حضور اليهود في دراسة التراث الأندلسي، وقيود الآراء والأحكام الاستشراقية السابقة، ودراسة الأدب الأندلسي بصفتها وجهاً من وجوه

الدراسات المقارنة. وثانيها **ملحوظات حول اهتمام المستشرقين البريطانيين بالتراث الأندلسي**، في حين كان المبحث الأخير في **المشكلات التي تحيط بميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا**.

وقد ضمَّ الكتاب إلى جانب ما سبق من أبواب وفصول ـ ملحقين يمكن أن يضيفا إلى البحث قيمة توثيقية، وهما:

1) المستشرقون البريطانيون المهتمون بالدراسات الأندلسية في بريطانيا: وفيه سرد لأسماء أعلام المستشرقين والباحثين في بريطانيا، ومجموعة من أعمالهم التي قدموها في مجال الدراسات الأندلسية.
2) مجموعة من المخطوطات الأدبية الأندلسية في المكتبات البريطانية. استخرجتها الباحثةُ من عدد من فهارس المكتبات البريطانية التي استطاعت الوصول إليها، ومن كتاب كارل بروكلمان، ومن تصفُّح المصادر الأندلسية المنشورة في العالم العربي.

وبعد،

فالله أسأل التوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الباب الأول

الاستشراق البريطاني والدراسات الأندلسية

الفصل الأول

صلة الاستشراق البريطاني بالتراث العربي الإسلامي

مدخل:

دوافع دراسة اللغة العربية في أوربا منذ القرون الوسطى

يرتبط الحديث عن دراسة اللغة العربية في أوربا ارتباطاً شديداً بالصورة التي رسمها الأوربيون للإسلام في عصور الظلام إبان انتشار الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية؛ ذلك أن تلك الصورة ظلت ماثلةً في أذهانهم حين أقبلوا على الدراسات التي خصصوها للعرب والإسلام لغةً وحضارة. وقد كان الموقف تجاه الإسلام سلبياً: فهو عدو أوربا البغيض؛ لأنه يمثل هرطقة تنبغي محاربتها، وهو الخطر الذي يتهدد المسيحية فيها، وينبغي الوقوف في وجهه ودحض أفكاره وتفنيد دعاواه.

ثم لحق هذه النظرةَ تغيُّرٌ بطيء على مدى قرون في ظلِّ بعض الظروف التاريخية ـ التي دفعت إلى الاهتمام باللغة العربية ـ لكن هذا التغير كان وئيد الخطا؛ استغرق قروناً عدة لكي تنجلي بعض جوانب الصورة القاتمة التي احتفظت بها الذاكرةُ الأوربية عن الإسلام، وإن لم تتغير كلياً. وساهمت بعضُ الحوادث في تاريخ أوربا في قيام الصلات مع المشرق، كالحروب الصليبية والتعايش في الأندلس وصقلية، وحفَزَت الهمم لمعرفة الخصم، فكان ذلك مبتدأَ أمر العناية بدراسة اللغة العربية.

وقد ظلَّت دوافع الدراسات العربية مرتبطة دوماً بظروف أوربا ومصالحها السياسية والاجتماعية والثقافية، وهي التي حددت اتجاهات الدراسات العربية والإسلامية فيها أو ما سمِّي بالاستشراق. وتتوافق دوافع الاستشراق أو العناية بالدراسات العربية في أوربا وتلك التي دفعت الاستشراق في بريطانيا أيضاً. وهي التي يمكن الحديث عنها تحت العناوين التالية:

1 ـ **الدوافع الدينية**: كان الباعث الأول لاهتمام الغرب بالشرق الإسلامي هو التوسع الإسلامي ومتاخمة حدود أوربا من الشرق ومن الغرب، ثم شنّ الحملات الصليبية. وتتجلى الدوافع الدينية في جوانب عديدة من نشاط المستشرقين، كان منها: الاهتمام باللغة العربية؛ لأنها لغة الدين المنافس للمسيحية، دينِ أوربا، وترجمة القرآن الكريم لتفنيد دعواه، ومنها محاولات التبشير بين صفوف المسلمين في عقر دارهم، إلى

جانب الاهتمام بأحوال المسيحيين في الشرق الإسلامي. ثم كانت حركة الإصلاح الديني في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، التي أعلَت من شأن إعادة تفسير الكتاب المقدس تفسيراً جديداً لا تحتكره الكنيسة الكاثوليكية، فازدهرت إثر ذلك الدراساتُ التوراتية، وظهرت الحاجة إلى معرفة اللغات الشرقية، ومنها العربية؛ لتُعينَ المفسِّرين في فهم النصوص العبرية للكتاب المقدس.

وكان معظم طلبة الدراسات الشرقية ـ إن لم يكن كلهم ـ من رجال الدين؛ إذ كان التعليم في أوربا في القرون الوسطى مقتصراً على مدارس الكاتدرائيات المهتمة بالتعليم الديني، أو على الأديرة التي يتعلم فيها الرهبان القراءة والكتابة، وهم الذين كانوا ينهضون بعبء التعليم والتعلّم الذي كان آنذاك تعليماً دينياً، وبقي على تلك الحال حتى وقت قريب (منتصف القرن التاسع عشر). واتجه هؤلاء في دراساتهم الشرقية إلى العناية باللغة العربية فقط، وأهملوا دراسة الإسلام إلا فيما يتصل بتقديمه للقارئ الغربي بصورة منفّرة أو محاولة تفنيد أسسه ومعتقداته التي يقوم عليها.

2 ـ **الدوافع العلمية**: وهي متصلة بالدوافع الدينية؛ لأنها من الإرهاصات المبكرة للاستشراق، وتتمثل في أن أوربا قد اكتشَفت في القرن الحادي عشر مبلغ المدنيّة والحضارة التي وصلها المسلمون، فأثار ذلك في نفسها ما يثيره عادةً مثلُ هذا الوضع في نفوس الأقلّ حظاً من نصيب المدنية والعلوم تجاه غيرهم من المتغلّبين. وكان اكتشافُ الأوربيين أنّ العربَ هم من حفظوا بالنقل والترجمة علومَ الأمم القديمة؛ حافزاً إلى السعي نحو اكتساب ما أمكن من علوم. فبدأت منذ القرن الحادي عشر ترجمة النصوص العلمية والفلسفية العربية إلى اللاتينية، ثم إلى اللغات الأوربية فيما بعد، وكان مركزُها مدينة طليطلة الأندلسية، وأصبحت تلك الترجمات أساساً للمناهج الدراسية في الجامعات الأوربية إبّان تأسيسها آنذاك، وبقيت على ذلك لقرون عديدة.

وفي مدرسة المترجمين في طليطلة يمكن أن نتلمس بداية الاتصال المبكر للاستشراق البريطاني بالتراث العربي؛ فقد أصبحت طليطلة بعد سقوطها بيد الإسبان مركزاً فكرياً نشِطاً؛ وأقبل مثقفو أوربا إليها من بلدان عدة تحت رعاية رجال الكنيسة من البابوات

والأساقفة وتشجيعهم، وأكبّوا على ترجمة ما تيسر لهم من المخطوطات العربية إلى اللاتينية. وقد لقيت مخطوطاتُ القرآن بطبيعة الحال عناية خاصة في أولويات الترجمة؛ وهكذا ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللاتينية سنة 1143م، أنجزها الإنجليزي روبرت أوف كيتون (توفي بين 1141 و1157م) بإشراف الأسقف بطرس المبجَّل[1] (1092–1156م).

وكانت أنظار العلماء في إنجلترا - كغيرهم من الأوربيين - تتجه صوب الأندلس بوصفها منارة العلم في أوربا، فأخذوا يغذّون السير إليها؛ لينهلوا من منابع الحكمة، وانضم بعضهم إلى فريق المترجمين في طليطلة، وكان منهم بعضُ رواد الدراسات العربية في إنجلترا، مثل: أديلارد أوف باث (توفي بعد 1150) وهو أول من نشر العلوم العربية في الغرب، ودانيال أوف مورلي (توفي بعد 1210م) "الذي ذهب إلى باريس يلتمس العلم على أيدي أساتذتها، فلم يجد لديهم شيئاً... لكنه سمع بالطريقة العربية المزدهرة في طليطلة، فأسرع إلى هناك لحضور حلقات "أعظم فلاسفة العالم"[2] على حد تعبيره. وفي القرن الثالث عشر أيضاً غذَّ مايكل سكوت (توفي بعد 1235م) السيرَ إلى طليطلة، وتوفر على ترجمة نصوص عربية في العلوم والفلك إلى اللاتينية، وهو يعد من أوائل الذين شرحوا فلسفة ابن رشد (ت595هـ)، وقدموها إلى أوربا الغربية[3].

وإذ تعد جهود مدرسة المترجمين في طليطلة علامة فارقة في تاريخ الدراسات العربية في أوربا وفي إنجلترا تحديداً بالمساهمات التي قدمها بعض الإنجليز - فإنه " لم يجرِ البحثُ في المخطوطات العربية عن صورة الإسلام أو العالم الإسلامي، بل عن المعرفة

(1) Charles Burnett, 'Ketton, Robert of (fl. 1141–1157)', ***Oxford Dictionary of National Biography,*** Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/23723, accessed 16 Nov 2007]

وينظر عن ترجمات القرآن واهتمام أوربا به في بدايات الاستشراق:

أبو العزم، عبد الغني (1980)، مصادر الدراسات العربية في أوربا، دراسات عربية، بيروت، 16(7)، (131–143). ص132–136.

(2) Charles, Burnett, 'Morley, Daniel of (d. in or after 1210)', ***Oxford Dictionary of National Biography.*** Oxford University Press. 2004. [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/19284, accessed 16 Nov 2007]

(3) Piero, Morpurgo, 'Scot , Michael (d. in or after 1235)', ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/24902, accessed 19 Nov 2007].

الموضوعية للطبيعة. ومع ذلك كان لا بد أن تتوفر بعض المعلومات عن المسلمين أصحاب هذه المعرفة... وكان لا بد من أن تنتشر من خلال هذا الطريق معرفة أكثر دقة عن هذا العالم»[1].

ثم آتى الوعيُ بأهمية دراسة اللغة العربية للثقافة الأوربية ـ بغضّ النظر عن دوافعها ـ أُكُله فيما بعد؛ عندما انعقد مجمع فيينّا الكنسي سنة 1311م، وأصدر قراره بالدعوة إلى تعليم اللغات الشرقية، ومنها العربية في الجامعات الأوربية مع التركيز على الأهداف التبشيرية، ونصَّ على أنه «يجب تأسيس الكراسي الأستاذية لتعليم اليونانية والعبرية والآرامية والعربية.. في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وشلمنقة»[2].

3 ـ **الدوافع الاقتصادية والسياسية:** تتصل هذه الدوافع بقيام علاقات تجارية ودبلوماسية بين أوربا والدولة العثمانية في القرن السادس عشر، خاصة بعد تراجع جيوش العثمانيين أمام أسوار مدينة فيينّا النمساوية سنة 1683 وزوال التهديد العسكري الإسلامي لأوربا؛ مما استدعى للمرة الأولى معرفة اللغات الشرقية لأسباب عملية، وهي التي قادت إلى الاهتمام باللغة العربية لتلبية الحاجات العملية (كالتجارة والتفاوض والدبلوماسية..) بعيداً عن أغراض التبشير أو البحث العلمي والدراسة الجامعية. فإذا ما كانت دوافع دراسة اللغة العربية فيما مضى دينية (متصلة بالتبشير والدراسات التوراتية) وعلمية (متصلة بترجمة التراث الإغريقي المحفوظ بالعربية)؛ فإن تلك الدوافع قد بدأت تتغير بظهور عوامل جديدة ساهمت في دفع الدراسات العربية في أوربا في مسارات جديدة؛ "فهناك من جهة الدوافع المتصلة بتوسيع العلاقات الدبلوماسية والتجارية لممالك غرب أوربا الجديدة، ومن جهة ثانية الاهتمام بالدراسات الإنسانية والاطلاع على الآداب الأجنبية والتاريخ العالمي"[3]؛ وبدأ في القرن الثامن عشر الاتجاه إلى دراسة

---

(1) رودنسون، مكسيم (1978)، الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية. في: شاخت وبوزوورث، تراث الإسلام، ترجمة محمد السمهوري، الكويت: سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 36.

(2) Toomer, G. J.(1996), ***Eastern Wisedome and Learning,*** Oxford: Clarendon Press. p.10.

(3) يونغ، لويس (1979)، العرب وأوربا، ترجمة ميشيل أزرق، (ط1)، بيروت: دار الطليعة. ص14.

اللغة العربية لأجلها هي بنفسها. ثم ازدهرت الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر في ظل زيادة الهيمنة الاستعمارية الأوربية على الأمم الشرقية، وكان لذلك الوضع آثاره الواضحة في مواضيع البحوث الاستشراقية وفي مناهج الدراسات الشرقية.

ثم تغيرت فيما بعد الصورةُ التقليدية للاستشراق الذي كان تخصصاً علمياً واحداً؛ باتساع الرقعة الجغرافية التي يغطيها مفهوم الشرق الذي يدرسه المستشرقون، فأصبحت هناك تخصصات أكثر تحديداً بمناطق جغرافية بعينها، وظهرت في القرن العشرين دراسات متصلة ببلدان عدة من الشرق، (كالدراسات الإفريقية، والتركية، والإيرانية، والصينية...)، وبدأت تلك الدراسات المتخصصة تحلّ تدريجياً محل التسمية العامة (الاستشراق)، بظهور مراكز الدراسات المتخصصة بها: فحين أطلّ القرنُ التاسع عشر، وازداد التوسع الإمبراطوري بنمو النفوذ الأوربي في الشرق العربي والإسلامي؛ اشتدت الحاجة إلى موظفين ـ يعملون في المناطق الجديدة الخاضعة للسيطرة الأوربية ـ ممن يتقنون لغة أهالي البلاد الجديدة، ويعرفون عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم، وأخذ هذا الدافع يقوى مع الاحتلال العسكري والاستعمار المباشر والحروب الكبرى في القرن العشرين؛ مما دفع إلى ظهور نوع جديد من دراسة الشرق ولغاته وحضاراته وأديانه، ضمن مراكز الدراسات الشرق ـ أوسطية، التي أضحى فيها المستشرقُ التقليدي خبيراً في شؤون المنطقة أو عيناً لبعض الحكومات، تسعى وراء استشارته وملحوظاته حكوماتُ الدول الأوربية، فتغيَّر لَبوسُ الاستشراق؛ وإن لم تختلف دواخله.

المبحث الأول: الدراسات العربية في إنجلترا منذ القرن السابع عشر

يعدّ القرن السابع عشر مرحلة مهمة في تاريخ الدراسات العربية في أوربا وإنجلترا؛ لأن الكثير من كُتُب دراسة اللغة العربية قد نُشِرت فيه، وهي التي ظلت قيد الاستعمال في القرنين التاليين بين أيدي طلبة اللغة العربية وأساتذتها في أوربا(1).

(1) Morray, David (2003), Materials for the Study of Arabic in the Age of the Early Printed Books. In: Richards, D.S. ***Texts, Documents and Artefacts: Islamic Studies in The Honour of D. S. Richards***, (pp. 405-414), Leiden: Brill. P.405

ففي إنجلترا تأسست كراسي الأستاذية لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد وجامعة كمبردج في ثلاثينيّات القرن السابع عشر، ونشط المستشرقون في جمع المخطوطات الشرقية، وابتدأت المكتباتُ الجامعية الإنجليزية تنهض باقتناء الكتب ودعم البحث العلمي، فكان لهذه الظروف الجديدة أثرها الواضح في نمو الدراسات العربية في إنجلترا وزيادة الاهتمام بها.

كانت الدراسات العربية في إنجلترا أواخر القرن السادس عشر في وضع سيّئ؛ فمن جهة لم تكن هناك استعدادات كافية في الجامعات الإنجليزية لتدريسها، وهي التي كانت تأخّرت في تدريس اللغة العربية عن مثيلاتها من الجامعات الأوربية ـ مثل جامعة باريس وجامعة لَيدَن ـ عشرات السنين: فعلى المستوى الجامعي ومع تأسيس المناصب الأستاذية لتدريس العربية استجابةً لقرار مجمع فيينّا سنة 1311؛ فإنه كان شائعاً في بعض الأحيان أن يبقى صاحبُ المنصب بلا تلاميذ وبلا محاضرات لعدة سنوات، بل حتى في الجامعات الإنجليزية فإنه لم يكن ممكناً الحصولُ على شهادة في الدراسات الشرقية حتى سنة 1873، عندما مَنَحت جامعة كمبردج مثل تلك الدرجة[1]، أما في غيرها فقد كانت الإمكانية المتاحة لمعرفة اللغة العربية هي تعلّمها عن طريق بعض المدرّسين؛ فقد " كان في لندن مدرِّسون خصوصيون لتدريس اللغة العربية تلبيةً لاحتياجات السفراء والمبعوثين من وكلاء التجار...للأسباب التجارية والتفاوضية...وغيرها، ولكن لا يُعرَف عن هؤلاء المدرسين شيء"[2]. أو عن طريق بعض المعاهد التي تقدِّم ما يسمى (الألسن الشرقية) التي تُدَرَّس فيها العربية إلى جانب اللغات السامية الأخرى[3].

ويشير قرارُ مجمع فيينّا سنة1311م إلى العناية المبكرة التي أولاها الأوربيون لدراسة اللغة العربية، وإن كان في سبيل الأغراض الدينية (الدراسات التوراتية والجهود التبشيرية)، ومع ذلك لم يكن للقرار المذكور تأثيرٌ ملموس في الدراسات العربية في أوربا لقرون عدة؛ إذ "لم يحدث شيء في أكسفورد، ويبدو أن القرار استُعمل في إنجلترا من أجل جمع

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century,*** London: Ithaca Press, p.11

(2) Vivian Salmon (1994), Arabists and Linguists in Seventeenth-Century England. In: Russell, G. A. (Ed.), "***Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth***-Century England. (pp.54-69), Leiden. New York. Koln: E.J. Brill. P. 61.

(3) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***. Pp.11-12.

الضرائب الكنسية... وليس ثمة ما يشير إلى اتّباعٍ حقيقي للقرار في أي مكان في العصور الوسطى"(1)، و"ليس كذلك ثمة دليل على أن تدريس العربية قد بدأ في إنجلترا قبل القرن السابع عشر إلا من حيث تأسيس كليات اللغات الثلاث التي تأسست بعد القرار المذكور؛ لتعزيز دراسات الإنجيل بناءً على نقد النصوص العبرية واليونانية والعربية"(2). وعلينا أن ننتظر حتى أوائل القرن السابع عشر لنظفر بتقدُّم ملموس فيما يتصل بدراسة اللغة العربية في إنجلترا؛ فقد ازدهرت الدراسات العربية في ذلك القرن في إنجلترا ازدهاراً لا نظير له في قرون أخرى: فبدأت الدراسةُ المنظمة للغة العربية: بتأسيس الكراسي الأستاذية لتعليم اللغة العربية في جامعتَي أكسفورد وكمبردج، وطباعة الكتب العربية للمرة الأولى في إنجلترا، وبروز رواد المستشرقين الذين اعتنوا باللغة العربية: تدريساً وتأليفاً وجمعاً للمخطوطات، مما سيأتي تفصيله.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الازدهار ـ الذي تحقق للدراسات العربية في إنجلترا ـ كانت تقف من ورائه رعايةٌ خاصة من جانب الأسقف ويليام لود (ت 1645)، الذي تولى رئاسة جامعة أكسفورد بين عامَي 1630–1641، وحقّق للجامعة في عهده إنجازات عظيمة، ومنها الكثيرُ فيما يتصل بالدراسات العربية؛ إذ نشط في جمع المخطوطات الشرقية لمصلحة مكتبة الجامعة بتكليفه بعض المستشرقين القيام بهذه المهمة، وفي تأسيس مناصب الأستاذية لتدريس العربية، وفي العمل على تأسيس مطبعة جامعية لنشر الكتب العربية. أما قبل ذلك فلم يكن في جامعة أكسفورد أو جامعة كمبردج ـ عندما أطل القرن السابع عشر ـ تعليمٌ أو اهتمام يُعتَدُّ به لتدريس العربية ضمن مناهجهما الدراسية، ولكن يُذكَر أنه كان في أكسفورد أحد المصريين الأقباط، ويدعى يوسف أبو ذقن (ق17) قد قدم إليها سنة 1610، ولقي ترحيباً من قِبَل أستاذ العربية فيها ويليام بدويل (ت1632)، وأصبح أبو ذقن محاضِراً للغة العربية في أكسفورد، التي أقام فيها لثلاث سنوات، ولكن دون أن يحمل رتبة أكاديمية رسمية؛ فلم يكن منصب كرسي أستاذ العربية قد تأسس في أكسفورد بعد، ولم يكن أبو ذقن يعرف العربية الفصحى، لذا كان يقدِّم دروسه بالعامية (باللهجة المصرية)، ثم غادر إنجلترا

(1) Toomer, G. J.(1996), ***Eastern Wisedome and Learning***. P.10.
(2) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***, P.13.

في 1613، ولم يعد إليها مرة أخرى[1].

وبعد مغادرته بقيت أكسفورد دون أي تدريس للغة العربية لثلاث عشرة سنة حين استؤنفت من جديد سنة 1626 بمجيء الرياضي الألماني ماتياس باسور[2] [ت1658]. ثم بدأت الدراساتُ العربية تشق طريقها بجهودِ رائدها أستاذ العربية في أكسفورد ويليام بِدويل (ت1632)، الذي اهتم بالدراسات التوراتية واللغات السامية، وأحرز معرفة جيدة بالعربية، وأَولاها عناية خاصة، واجتهد في سبيل إخراج معجم لاتيني - عربي كان يأمل أن يكون الأول من نوعه الذي ينشر في أوربا[3].

وقد دافع بدويل عن تدريس اللغة العربية في ظل الجدل الذي كان سائداً حول أهميتها في الدراسات التوراتية من أجل مساندة فهم النصوص العبرية للكتاب المقدس؛ إذ " كان شائعاً لدى علماء فقه اللغة أن معرفة أكبر عدد من اللغات السامية؛ يساعد على فهم أفضل للفقرات الغامضة فيه...وهكذا كانت العربيةُ مفيدة للتعمق في دراسة العبرية"[4]، لكن بِدويل لم يكتفِ بهذا السبب للدفاع عن تدريس اللغة العربية، بل أضاف أسباباً أخرى، وهي تعليم العربية لأغراض عملية، كتعليمها للدبلوماسيين والرحّالة والتجار. وقد اجتذب بِدويل عدداً من التلاميذ كانوا نواة للمهتمين بالدراسات العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر.

---

(1) Toomer, G. J.(1996), ***Eastern Wisedome and learning***. Pp.95-97

يوسف أبو ذقن من أقباط مصر، ولد تقريباً في سبعينيّات القرن السادس عشر، أرسله بابا الإسكندرية إلى روما، فتعلم الإيطالية وبعض اليونانية واللاتينية، وتحول إلى الكاثوليكية، ثم سافر إلى باريس وإنجلترا لتدريس اللغة العربية، لكن مهاراته في العربية الفصيحة كانت محدودة، كما أشار إلى ذلك المستشرق الهولندي إربينِوس T. Erpenius (ت1624) الذي تعلم منه بعض المفردات العامية في باريس سنة 1609. وضع كتاباً بالعربية عن التاريخ الحقيقي لأقباط مصر وليبيا والنوبة والحبشة، موجود بجامعة أكسفورد، تُرجم إلى اللاتينية عام 1675م والإنجليزية 1693. ينظر:

* Toomer, G. J.(1996), ***Eastern Wisedome and Learning,*** pp. 95-97.

* Hamilton, ALastair (1994), An Egyptian Traveller in The Republic of Letters: Joseph Barbatus or Abudacnus the Copt, Journal of ***The Warburg and Courtauld Institute***, Vol. 57, pp. 123-150

(2) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1987)، **من رواد الدراسات العربية في إنكلترا**، **الجامعة**، الموصل، 6 (1): ص 24.

(3) Alastair Hamilton, ‘Bedwell, William (bap. 1563, d. 1632)’, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/1942, accessed16 Nov 2007]

(4) Hamilton, Alastair (1985), William Bedwell the Arabist (1563-1632), Leiden: E. J. Brill. Pp.70-71

وكان من تلاميذه النابهين إدوارد بوكوك (الأب) (ت1691) الذي ساهم في الازدهار الذي أحرزته الدراسات العربية في إنجلترا آنذاك، فقد وقف حياته على دراسة اللغة العربية وجمع المخطوطات الشرقية ونشر بعضها وترجمته. وكان واحداً ممَّن لفتوا الأنظار إلى الرقيّ الأدبي للغة العربية، حين تحدث عن ذلك في الفصل التمهيدي **للامية العجم** للطغرائي[1] (ت513هـ)، ذلك الرقي الذي يعود برأيه إلى أربعة أسباب هي: "الأناقة والنقاء والثروة اللغوية و[أنها] هي لغة العلم والمعرفة..."[2].

بدأ في هذا القرن اتجاهٌ جديد نحو الأدب العربي والثقافة العربية، فلم يعد الاهتمام الاستشراقي الإنجليزي محصوراً في دراسة القرآن والبحث في عقيدة المسلمين فقط؛ وذلك لعوامل عدة، منها "جهود بوكوك في إدخال بعض المؤلَّفات الأدبية غير الدينية، وبضمنها الشعر والتاريخ"[3] إلى بلاده حين كان يجمع المخطوطات من الشرق، وقد تضمنت مجموعتُه مخطوطاتٍ متنوعة ومختلفة عما كان متاحاً بين أيدي طلبة اللغة العربية والمهتمين بها من قبل، فأدى هذا إلى دراسة مواضيع أخرى ـ غير العقيدة ـ تتصل بالتراث الحضاري والأدبي للمسلمين.

ثم " قدَّم بوكوك لعالم المعرفة كتابه **لُمَع من التاريخ العربي** [Specimen Historiae Arabum **عام** 1649]...وهو أول كتاب ظهر من مطبعة جامعة أكسفورد بالحروف العربية، ولم يعد يستوجب إرسال كتب اللغات الشرقية إلى القارة الأوربية لطبعها هناك"[4]. "ومع أن عمل بوكوك كان منصبّاً خاصة على حقل التاريخ؛ فإن أهميته تكمن في أنه استطاع أن يثبت احترام الدراسات العربية في دولة مسيحية كانت لا تزال متأرجحة حول ما إذا كانت العربية موضوعاً مناسباً للدراسة أم لا "[5].

(1) كان بوكوك قد نشرها في أكسفورد سنة 1661 بعنوان:

Lamiato`l Ajam, Carmen Tograi, Poetae Arabis Doctissimi; una cum versione Latina & notis, opera Edvardi Pocockii. (Oxford, 1661).

(2) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1987)، **من رواد الدراسات العربية**. ص28.

(3) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1975)، **اللغات الشرقية**. ص45.

(4) المصدر نفسه، ص43-44.

(5) Russell, G. A. (1994), Introduction: The Seventeenth Century: The Age of 'Arabick'. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp. 1-19). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill. P. 4.

وفي هذا القرن أيضاً نمَت المكتبةُ الجامعية في كلٍّ من أكسفورد وكمبردج نمواً كبيراً، وجُمِعت المخطوطات الشرقية الكثيرة؛ مما أتاح عدداً أكبر من النصوص العربية بين أيدي العلماء والمهتمين، وساهم في دفع هذه الدراسات قدُماً. وشهد كذلك نشرَ العديد من الكتب العربية وترجمتها، حتى إنه «يمكن القول: إن بروز الدراسات العربية تخصصاً علمياً مميزاً هو أحد إنجازات القرن السابع عشر... بعد أن كانت اللغة العربية لقرون عديدة موضوعاً للمناظرات الجدلية فحسب»(1).

ثم شهدت الدراسات العربية في إنجلترا تراجعاً ملحوظاً من جديد أواخر القرن السابع عشر؛ لأسباب متعددة، كان منها "ضعف النشاط الفكري بصورة عامة الذي يتميز به عهد أسرة ستيوارت بعد إعادة الملَكية [1660] .. فقد أخذت الحماسة الدينية تخمد... ولم تعد الدراسات الأكاديمية للكتاب المقدس تتمتع باهتمام كبير.."(2)؛ ولا سيّما بعد " ظهور العلم التجريبي المنظم...[و] زيادة التشديد على التجربة واستخدام الاستنتاج بناء على المنطق والعقل؛ وليس على مسلَّمات وُضِعت منذ القدم"(3).

ثم كان في القرن الثامن عشر ازدهارٌ للدراسات الاستشراقية من جديد؛ بسبب الرحلات خارج أوربا واكتشاف عوالم جديدة، وأصبحت النظرة الغرائبية تحكم الموقف الأوربي تجاه الشرق نتيجة كتابات الرحالة وأوصافهم لبلدان المشرق التي زاروها. كما تُرجمت في أوائل هذا القرن (**ألف ليلة وليلة**) وغيرها من الأعمال الشرقية التي مسحت الآداب الأوربية بمسحتها، وظهرت فيه أيضاً أعمال استشراقية جديدة تجاوز تأثيرُها دائرة القراء المتخصصين إلى غيرهم من القراء، ووُجِّهت العناية نحو التاريخ العربي وتقديمه من جديد، فكانت المحاولات الأولى في تاريخ الدراسات العربية للالتفات إلى حضارة العرب وتاريخهم والبحث في آثارهم الأدبية المكتوبة. ونتيجة للتوجه الجديد ظهرت أعمال استشراقية ذات طابع مختلف عما كان في السابق.

كان سايمون أوكلي (ت 1720) من أبرز مستشرقي القرن الثامن عشر في إنجلترا،

(1) Russell, G. A. (1994), Introduction: The Seventeenth Century: The Age of 'Arabick', P.10

(2) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1975)، اللغات الشرقية. ص 48-49.

(3) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1987)، من رواد الدراسات العربية. ص30.

وقد نشر كتابه الأول (**مقدمة في اللغات الشرقية**) Introdutio ad Linguas Orientales سنة 1706؛ الذي " كان يريد منه دفع الطلبة لدراسة اللغات الشرقية؛ بسبب قلّة المهتمين بها في ذلك الوقت"(1). ثم نشر أوكلي كتابه (**تاريخ العرب السراسنة**)(2) سنة 1757 الذي " كان المحاولة الأولى لكتابة التاريخ العربي على نحوٍ متصل باللغة الإنجليزية، ومن ناحية أخرى كان قد اعتمد فيه على مصادر أولية من المخطوطات العربية"(3)، مع الأخذ بالحسبان ندرة المصادر العربية المتاحة في ذلك الوقت.

وإلى أوكلي يُعزَى التغيُّر في وجهة الدراسات العربية في القرن الثامن عشر في إنجلترا، ويعد كتابُه مرحلة مهمة في تطور الدراسات العربية والإسلامية؛ فهو أول محاولة لجعل نتائج بحوث المستشرقين في متناول عامة القراء، إذ بينما كان المؤرخون من قبل يكتبون باللاتينية للقراء الأوربيين من النخبة المتعلمة؛ فإن أوكلي كتب كتابه بالإنجليزية لمواطنيه من القراء المثقفين، وهكذا أصبحت اللغة العربيةُ ـ إلى حدٍّ ما ـ هدفاً للدراسة، إلى جانب أنها مساعِدة على دراسة اللغة العبرية والكتاب المقدس.

ثم كان لنشاط السير وليم جونز (ت1794) أثره في الدراسات الشرقية؛ فقد أسس جمعية البنغال الآسيوية 1784، وهي أول جمعية علمية وضعت لنفسها اكتشاف الشرق هدفاً، وكان هو أول من ربط بين السنسكريتية والفارسية من جهة واللغات الأوربية من

---

(1) Auchterlonie, Paul (1986), Arabic studies in Britain: The development of Arabic studies in Britain from the middle ages to the present day. In: Burnett, David. (Ed.), ***Arabic Resources: Acquisition and management in British Libraries***: (pp.1-10) London and New York: Mansell Publishing Limited. P.4.

(2) لفظ السراسنة أو «السارازين» Saracens لفظ قديم أطلقه اليونان والرومان على سكان الصحراء العربية من الرحّل المتاخمين لحدود الإمبراطورية من جهة سورية، وأصبح يُقصد به العرب، ويمتد كذلك ليشير إلى المسلمين. " ويقال إنها محرَّفة عن "سراكنو" التي هي المسلمون بلغة الروم، وهذه محرَّفة عن Scharaka ؛ أي شرقي". للمزيد ينظر:

× أرسلان، شكيب (1935)، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط**، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص 15: حاشية رقم (1)، وصفحة 206–207.

* Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition***, 20 vols., Oxford: Clarendon Press. Saracen: Vol. 14, p. 479.

(3) Holt, P. M. (1962), The Treatment of Arab History by Prideaux, Ockley, and Sale. P.295.

جهة ثانية، ويمكن أن نعدّه (أبا الاستشراق الحديث) في بريطانيا[1]، "وهو مؤسس حركة الاستشراق الحديث المتحرر من قيود الدين المسيحي في أوربا بأسرها، كما أنه الحافز لتأسيس كراسي اللغة السنسكريتية العريقة في جامعات إنجلترا والباعث على تحويل بعض المستعربين عن الدراسات السامية إلى الدراسات الإسلامية"[2].

ومع نهاية القرن الثامن عشر، ازدادت الحاجة إلى من يعرفون الإسلام واللغات الشرقية مما دفع قدماً للمضي في الاهتمام بالدراسات العربية في إنجلترا؛ نتيجة لتغيّر الظروف العامة والتوسع الاستعماري البريطاني في العالم العربي، والحملة الفرنسية على مصر وما أعقبها من نشأة الاستشراق الحديث بالمفهوم العلمي: بجهود الفرنسي أنطوان سلفستر دي ساسي (ت1838)، وتأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس سنة 1795 [3].

وفي القرن التاسع عشر بدأت الدراساتُ الاستشراقية في إنجلترا وأوربا عامة تختلط بالدوافع الاستعمارية والسياسية، بزيادة رقعة المناطق الواقعة تحت السيطرة الأوربية في الشرق، وقد "أُنشئ في هذا القرن منصب جديد للدراسات العربية في جامعة لندن التي تأسست سنة 1836، كما تأسست الجمعية الآسيوية الملكية في سنة 1823، وهي التي كانت تضم المستشرقين البريطانيين؛ مما أوجد دافعاً نحو الإقبال على الدراسات العربية"[4]. ولم يكن الاهتمام بدراسة اللغة العربية مقتصراً على الجامعات الإنجليزية فقط، بل إن الاستشراق كان له نشاطه خارج الدوائر الأكاديمية، وكانت له مساهماته المستقلة منذ القرن التاسع عشر.

لقد ظلت الدراسات العربية في إنجلترا وأوربا عامة لزمن طويل ملحقة بالدراسات التوراتية، ولم تتخلص من النظرة القديمة بأنها مساعِدة للعبرية على فهم نصوص الكتاب المقدس، ولم تصبح الدراسات العربية والإسلامية حقلاً معرفياً مستقلاً؛ أي منفصلة عن الدراسات اللاهوتية والتقليدية ـ ضمن تيار الاستشراق العام إلا نهاية القرن التاسع عشر،

(1) Auchterlonie, Paul (1986), Arabic studies in Britain. P. 5.

(2) كاون، داود (1978–1979)، **حركة الاستشراق في المملكة المتحدة قديماً وحديثاً**، الإمارات العربية المتحدة: محاضرات الموسم الثقافي. ص192.

(3) Bosworth, C. E. (1977), Orientalism and Orientalists. In: Diana Grimwood-Jones, Derek Hopwood and Pearson, J. D. (Eds.), ***Arab Islamic Bibliography***. (pp.148-158). England: Harvester Press and USA: Humanities Press. P. 150.

(4) جحا، ميشال (1982)، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، (ط1)، بيروت: معهد الإنماء العربي. ص 36.

"وكان كبار المتخصصين في تلك الدراسات حتى ذلك الوقت مشهورين باللغات السامية والعبرانية أو بالدراسات التوراتية"[1].

ثم شهد القرن العشرون توسعاً كبيراً في الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية المختلفة؛ إذ تأسس العديد من الجامعات البريطانية في القرن التاسع عشر[2]، وكانت العوامل السياسية أولاً هي التي دعت إلى مثل ذلك؛ إذ ازداد اهتمام الحكومة البريطانية وحاجتها إلى موظفين يعلّمون لغات الشرق وحضارة أهله وتاريخهم؛ نتيجة التوسع البريطاني في العالم العربي. وحتى قيام الحرب العالمية الأولى 1914 كان طالبٌ واحدٌ فقط قد حصل على بكالوريوس اللغة العربية فيما بين 1910 – 1914 [3].

و"لم تجد الدراسات العربية في لندن ـ خلافاً لأكسفورد وكمبردج ـ إلا عناية ضئيلة، ولم تبلغ هذه المحاولات غايتها بإنشاء معهد كبير للاستشراق في عاصمة الإمبراطورية البريطانية إلا سنة 1917م مع افتتاح مدرسة الدراسات الشرقية (والإفريقية منذ سنة 1949م)"[4]، وقد جاء افتتاح هذه المدرسة استجابة لتوصيات تقرير راي سنة 1909 المهتم بشؤون الدراسات الشرقية في الجامعات البريطانية، الذي أكد أهمية تأهيل الأشخاص في الشؤون الشرقية والإفريقية.

وكان التنافس مع الدول الأوربية الأخرى التي سبقت بريطانيا في هذا المضمار عاملاً أساسياً في دفع العناية بالدراسات الشرقية قدُماً في إنجلترا منذ مطلع القرن العشرين، فظهرت الحاجة إلى مدرسة الدراسات الشرقية التي كان يراد لها أن تحقق التوازن الذي تسعى

---

(1) Bosworth, C.E. (1977), Orientalism and Orientalists. P.151.

(2) عن تفاصيل الجامعات البريطانية التي تعنى بالدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا ينظر:

* جحا، ميشال (1982)، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، الصفحات –64 78.

* العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**، 3 أجزاء، (ط4)، القاهرة: دار المعارف. ج2/ –9 13. و:

* McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century.*** Pp.217-235.

(3) Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today, ***Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)***. Vol. 11 (2). P. 113.

(4) فوك، يوهان (2006)، **الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين**، (ط1)، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، القاهرة: زهراء الشرق. ص440.

إليه الحكومة البريطانية في هذا المجال: التوازن بين متطلبات البحث العلمي ومتطلبات الحاجة العملية من تعليم اللغات الشرقية الحديثة وتأهيل الموظفين للالتحاق بخدمة الدولة في المستعمرات التابعة لها(1).

" ثم شهدت المدة ما بين الحربين العالميتين نمواً في مصالح الرأي العام البريطاني والحكومة البريطانية ببلدان العالم العربي موازياً لاتساع الدراسات العربية في بريطانيا"(2) فجاء تقرير سكاربرو سنة 1947 بناء على تلك الظروف، وهو التقرير الذي أوصى بضرورة إقامة علاقات أقرب مع الدول التي تُدرَس لغاتُها بأكثر من مجرد رحلات فردية، بل تتجاوزها إلى تأسيس معاهد أو مدارس بريطانية تشبه تلك الموجودة في روما وباريس(3).

واتسعت الدراسات العربية الإسلامية التي أصبحت تعرف باسم الدراسات الشرق أوسطية في الجامعات البريطانية (أكسفورد وكمبردج ولندن ودَرَم ومانشستر) اتساعاً كبيراً، لكن ما لبث هذا الاتساع أن تراجع بعد خمس سنوات؛ نتيجةً لتوقُّف المِنَح التي كانت تغطي تكاليف ذلك التوسع، وكانت المناهج في تلك الجامعات حتى حينه تُعنى باللغة العربية التقليدية [الفصيحة أو عربية التراث] والأدب القديم، فلم تجتذب إلا القليل من الطلبة(4)، وقد ظل عدد الطلبة الذين يدرسون في مجال الدراسات الشرق أوسطية في بريطانيا بمجمله قليلاً(5).

وأصبحت الدراسات الاستشراقية بعد الحرب العالمية الثانية تنحو أكثر من ذي قبل نحو المناهج الحديثة، وربما تجاوزت بعض الأحكام الاستشراقية السابقة التي كانت منطلقاً للعديد من المستشرقين في دراساتهم عن الشرق والشرقيين وعن العرب والمسلمين منهم خاصة، "ومع ذلك فإن هذا الحكم لا يؤخذ على إطلاقه... وهناك عوامل عديدة

(1) Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today, Pp. 111-114.
(2) Auchterlonie, Paul (1986), Arabic Resources. P.8.
(3) Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today, P. 115.
(4) Auchterlonie, Paul (1986), Arabic Resources. P.9.
(5) ينظر لأعداد الطلبة الملتحقين بتخصص دراسات اللغة العربية بعض الفقرات في:
Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today , pp.113-115.

ساعدت على اتجاه الدراسات الاستشراقية إلى الأغراض العلمية الصرفة، منها انحسار المد الاستعماري المباشر بعد الحرب العالمية الثانية، وبروز تلك الأفكار الجديدة التي تنادي بالمساواة بين الدول، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وإلغاء الهيمنة والاستعمار... ومنها تطور طرق البحوث العلمية في مجال العلوم الإنسانية، هذا التطور المرتبط بالتقدم العلمي في جميع المجالات؛ الأمر الذي أدى إلى خلق متخصصين بسائر فروع المعرفة الإنسانية....وغيرها"[1].

ثم شهدت سنوات الخمسينيّات في الولايات المتحدة الأمريكية موجةً من العناية بما يسمى دراسات المناطق أو الدراسات الإقليمية بافتتاح مراكز خاصة تُعنى بالدراسات التي تلبي حاجة الحكومة لموظفين يعرفون لغات المناطق الاستراتيجية، وقد اجتذبت تلك الدراسات عدداً كبيراً من الطلاب؛ فانتقلت العدوى إلى أوربا، ولهذا أوصى تقريرٌ جديد في بريطانيا – هو تقرير هايتر سنة–1961 بتأسيس مراكز مشابهة لما في الولايات المتحدة، فتأسس مركز دراسات الشرق الأوسط في القدس ثم في لبنان من قِبَل مكتب الخارجية البريطانية.

وقد أصبحت الدراسات الإسلامية أكثر تخصصية من ذي قبل؛ نتيجة لظهور تخصصات علمية جديدة كالعلوم السياسية وعلم الاجتماع والآثار... ولاتساع الحيز الجغرافي لدراسة الشرق الذي صار يشمل العالم الإسلامي من شمال إفريقية، ويمتد حتى اليابان[2].

ومثلما جاء في تقرير سكاربرو ـ التقرير السابق لتقرير هايتر ـ كانت المِنَحُ لمدة محدودة، وعندما ينتهي أجلُها فمن الصعب مواصلة الدراسات العربية...وتحديداً في منتصف السبعينيّات التي دخل فيها التعليم العالي البريطاني عامة مرحلة من التقلص والتراجع. وبدأت الجامعات تبحث عن مصادر تمويل جديدة غير لجنة المِنَح الجامعية، فبدأ تمويل وظائف تدريس العربية من قبل الحكومات العربية في جامعات أكسفورد ولانكستر ومانشستر[3].

(1) الحاج، ساسي سالم (1993)، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، (ط2)، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي. ص183–185.
(2) Bosworth, C.E. (1977), Orientalism and Orientalists. Pp.151-152.
(3) Auchterlonie, Paul (1986), *Arabic Resources*. P.9.

".. ويتضح مما سبق أن تطور الدراسات الاستشراقية في الجامعات البريطانية كان مدعوماً من قبل الحكومة البريطانية حيث إن لجانها الحكومية هي التي ترسم سياساته، وتخطط له، وتقدم له الدعم والتأييد... فلا بد أن تتلمس هذه الدراساتُ رغباتِ الحكومات التي تمولها"(1).

المبحث الثاني: جمع المخطوطات والمكتبات الجامعية

1) جمع المخطوطات

تجلّى نشاطُ المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية في إنجلترا في أوجه عديدة، منها: التدريس، والشروح والتعليقات على النصوص العربية، والتأليف، وجمع المخطوطات الشرقية ما أمكنهم ذلك؛ فالمخطوطات العربية التي نُشِرت في أوربا كانت المادة الأساسية لجهود المستشرقين في دراسة التراث العربي، في وقتٍ لم يكن فيه هذا التراث منشوراً ولا متاحاً بين أبناء الأمة العربية نفسها لضعف إمكانيات الطباعة.

كان جمعُ المخطوطات الشرقية يعني أن تتوافر نصوصٌ باللغة العربية بين أيدي المهتمين بدراستها في أوربا، وقد ساعدت وفرةُ النصوص على ازدهار الدراسات العربية في إنجلترا من جوانب عدة، إذ وفّرت مادةً جيدة لمنهاج تدريس اللغة العربية للطلاب في المعاهد العلمية، والأهم من هذا أنها قدمت مصادر غنية للعلماء المهتمين بها في إنجلترا، وأصبح بإمكانهم أن يعتمدوا في مؤلفاتهم على مصادر أولية (المصادر العربية) عندما يعالجون الكتابة عن تاريخ العرب وحضارتهم. وكانوا في السابق يعوّلون على ما كانت تنشره الدول الأوربية الأخرى ممن سبقت إنجلترا في مجال الدراسات العربية: فمثلاً كان بِدويل قد اعتمد في إعداد معجمه العربي ـ اللاتيني ـ الذي لم يتمكن من نشره ـ على المصادر العربية المطبوعة في مطبعة مديتشي في روما مثل **الكافية في النحو، والأجرومية**، اللتين نُشرتا سنة 1592. كما اعتمد بوكوك منهاجاً دراسياً للمطالعة العربية يقدمه في محاضراته الجامعية ـ

(1) مطبقاني، مازن (1995)، **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، الرياض**: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية. ص 36.

مما كان قد نشره الهولندي توماس إربينوس (ت1624)، كمجموعة أمثالٍ منسوبة إلى علي بن أبي طالب منشورة سنة 1629 في لَيدَن.

وقد تنبّه المستشرقون ـ في القرن السابع عشر ـ لأهمية اقتناء المخطوطات الشرقية بعد أن أتاحت العلاقاتُ بين إنجلترا والدولة العثمانية تيسُّرَ الرحلة الآمنة إلى المشرق؛ في ظل الامتيازات التي قدَّمها السلطان العثماني، وتأسيس شركة المشرق اللندنية سنة 1581؛ التي أنشأت العديدَ من المصانع في الشرق، واحتاجت إلى موظفين على دراية بلغة أهل البلاد وتقاليدهم. ولكن في الحقيقة لم يعوِّل الكثيرُ على هؤلاء الموظفين في ازدهار الدراسات العربية؛ لأنهم لم ينصرفوا للعناية بدراسة اللغة العربية إلا نادراً مقارنة بما بذلوا من جهود في تحصيل الرزق في بلاد المشرق.

ومن ناحية أخرى، كانت الشركة قد دأبت على إيفاد وعّاظ يرافقون موظفيها في أماكن عملهم الجديدة، وكان لهؤلاء أثر كبير في جمع المخطوطات الشرقية لصلتهم بالدراسات العربية ووعيهم بأهمية اللغة العربية في الدراسات التوراتية ـ وقد كان جلّ المتعلمين آنذاك من الرهبان ورجال الهيئات الدينية ـ فكان سعيهم لاقتناء المخطوطات الشرقية نابعاً بالدرجة الأولى من البحث عن مخطوطاتٍ للكتاب المقدس باللغات الشرقية؛ من أجل دعم الدراسات التوراتية ومقارنة النصوص بعضها ببعض، "وكان همُّهم الأول...دون شك العثور على نسخ مخطوطة من الكتاب المقدس... والتفاسير وما شابه ذلك، غير أنهم أخذوا مخطوطات أخرى وإن كانوا لا يدركون قيمتها "[1].

ثم كان أن قُيِّض للدراسات العربية في إنجلترا من يدعمها وهو الأسقف ويليام لود (ت1645) ـ الذي تولى رئاسة جامعة أكسفورد سنة 1630 ـ وكان مما يشغل باله في سبيل الارتقاء بمنزلة الجامعة أن يؤسس لها مكتبة تبزُّ مكتبات الجامعات الأوربية الأخرى، فانصرف همُّه إلى زيادة مقتنياتها من الكتب المطبوعة والمخطوطة، ووجّه عنايةً خاصة للمخطوطات الشرقية؛ إذ كان صديقاً لبعض المهتمين بالدراسات العربية، "ولم يكن لود نفسه مستشرقاً، ولكنه كان يريد تعزيز الدراسات الاستشراقية في الجامعة والارتقاء بها،

(1) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1975)، **اللغات الشرقية**. ص 41.

وقد نجح في مساعيه لدى الملك تشارلز بأن حصل منه على رسالة ملكية [سنة1634] موجهة لشركة المشرق اللندنية يطلب فيها من كل سفينة تابعة لها ألا تعود من أي رحلة لها من الشرق؛ إلا وبحوزتها مخطوطة واحدة على الأقل عربية كانت أم فارسية، واستثنت الرسالةُ الملكية مخطوطاتِ القرآن نظراً لتوافر نسَخٍ عدة منها في مكتبة الجامعة"(1).

وإذا لم يكن للرسالة الملكية أثر كبير في زيادة حصيلة المكتبة من المخطوطات الشرقية؛ فإن جلَّ ما حصلت عليه المكتبة منها قد جاء من سبل أُخَر، كالهدايا والوصايا والشراء، وعلى نحوٍ خاص ممن فوّضهم لود نفسُه للذهاب إلى المشرق وجمع المخطوطات من هناك.

وفي هذا المقام أبلى إدوارد بوكوك الأب (ت1691) بلاءً متميزاً؛ إذ عُيِّن واعظاً في شركة المشرق بين 1630–1635؛ ليرافق موظفيها في حلب، وقد أحسن استثمار إقامته هناك " فكان إلى جانب واجباته الدينية يخصص وقته المتبقي لشيئين، هما: أولاً: تعلم اللغات الشرقية؛ العربية المكتوبة والمحكية، والعبرية والسريانية والأثيوبية، وثانياً: جمع المخطوطات الشرقية والعكوف على تحقيقها والعمل على نشرها، وفي سبيل ذلك استعان بأستاذ عربيّ ليدرِّسه، وآخر ليساعده على شراء المخطوطات أو نسخها إن تعذّر شراؤها"(2).

وبهذه الطريقة جمع بوكوك مجموعة من المخطوطات في مواضيع عديدة كالتاريخ والتراجم وفقه اللغة والشعر والرسائل الأدبية والفلسفة والفلك والطب... وغيرها. وكانت مجموعته متميزة نتيجة اختياراته ومعرفته العميقة بالعربية وباللغات الشرقية، وما له من خبرة ومهارة في التعامل مع تجار المخطوطات(3). وعندما عاد بوكوك وبحوزته تلك

---

(1) Colin Wakefield (1994), Arabic Manuscripts in the Bodleian Library: The Seventeenth-Century Collections. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England***. (pp. 128-145). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill. p. 130.

(2) G. J. Toomer, 'Pococke, Edward (1604–1691)', ***Oxford Dictionary of National Biography,*** Oxford University Press, 2004 , http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/22430, accessed 19 Nov 2007.

(3) Colin Wakefield (1994), Arabic Manuscripts in the Bodleian Library: The Seventeenth-Century Collections. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp. 128-145). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill. p. 134.

المجموعة النفيسة؛ شجعه الأسقف لود على الارتحال ثانية إلى الشرق، فغادر بلاده، وتوجّه إلى القسطنطينية بين 1637–1641 يجمع من المخطوطات الشرقية ما تصل إليه يداه. ولم يكن بوكوك متفرداً في مسلكه هذا، بل إن العناية بالمخطوطات الشرقية جمعاً ودراسة وفهرسة - بغضّ النظر عن الأهداف المخبوءة - كانت ديدن المستشرقين الذين يرتحلون إلى الشرق: يلتقط بعضُهم اللغةَ من أفواه أصحابها إن كانوا ينوون التمكّن من العربية المنطوقة، ويجمعون ما يقدرون عليه من مخطوطات يعودون بها إلى ديارهم، ويتوفرون عليها درساً وتمحيصاً وفهرسة.

إن محتوى المخطوطات التي جُمِعت من الشرق هو الذي حدّد اتجاه الدراسات الاستشراقية بمجملها في بريطانيا في مراحلها المبكرة؛ إذ كان الاهتمام أولاً متجهاً إلى مخطوطات القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ثم إلى المخطوطات التي تبحث في التاريخ العربي الإسلامي - بالدرجة الثانية، وحين بدأ المستشرقون يهتمون بدراسة التاريخ العربي الإسلامي، تدفعهم إلى ذلك الدوافع العلمية - أخذوا يسعون إلى الحصول على المخطوطات التاريخية، واهتموا خاصةً بتلك التي كتبها مسيحيون شرقيون على وجه التعيين(1). ثم حين توافرت بين أيديهم مجموعة من المخطوطات التي تتحدث عن التاريخ الأدبي والشعر والنثر العربي، بدأت الأعمال الاستشراقية تعتني بالفنون الأدبية العربية نشراً وتحقيقاً ودراسة.

وكانت المجموعات الشرقية التي جُمِعَت في بريطانيا (سواء من المشرق أم من أماكن أخرى في أوربا) نواةً للمجموعة الشرقية التي بدأت تنمو في المكتبات الجامعية في كمبردج وأكسفورد فيما بعد. ونتيجة الاجتهاد في جمع المخطوطات الشرقية فإن بريطانيا

(1) ولذلك لاقى كتاب **مختصر تاريخ الدول** *The History of the Dynasties* لابن العبري (ت1273) عنايتهم وكان من أوائل الكتب المنشورة في أوربا عن تاريخ العرب. والمؤلف المعروف في المصادر الغربية باسم Bar Hebraeus هو مؤلف مسيحي من أهل القرن الثالث عشر، توفي سنة 1273م. وقد نَشَر الكتابَ الهولنديُّ إربينوس في ليدَن سنة 1625 مع ترجمة لاتينية، ثم اهتم بوكوك به في أثناء إقامته في حلب؛ لأن مؤلفه اعتمد فيه على مصادر إسلامية لم تكن معروفة حينها في أوربا، وقد اعتمد عليه بوكوك في كتابه (لمع من تاريخ العرب)، وقد نشر بوكوك كتاب ابن العبري سنة 1663 في أكسفورد (النص العربي وترجمة لاتينية). ونشره باللغة العربية الأب أنطوان صالحاني سنة 1898 (والطبعة الثانية 1958). ينظر: ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين (1991) **تاريخ الزمان**، (ط1)، نقله إلى العربية: الأب إسحق رملة، بيروت: دار المشرق. (وقد نُشر في حلقات متتابعة في **مجلة المشرق**، 1949–1956، تحت عنوان: تاريخ الدول السرياني).

تضم مجموعة من المخطوطات العربية أكبر من أي بلد أوروبي آخر، وهي تقارب خمسة وعشرين ألف مخطوط[1]. وبقيت جامعتا كمبردج وأكسفورد تسيطران على التعليم العالي في إنجلترا حتى مطلع القرن التاسع عشر[2]، ويعود جزء من سمعتهما العلمية الأكاديمية إلى مقتنيات المكتبة في كلٍّ منهما، التي تمثل بيئة البحث العلمي الذي تسعى الجامعة إلى تعزيزه.

كانت أعدادُ الكتب عامةً في الجامعتين حتى نهاية القرن الخامس عشر محدودة جداً بسبب الاضطرابات الدينية في بريطانيا في منتصف القرن السادس عشر وتدمير محتويات المكتبات ومصادرتها؛ فقد دُمِّرت مكتبة أكسفورد تدميراً شبه كامل مع مرسوم الملك هنري السادس سنة 1550 الذي «فرض أول الأمر رقابة صارمة على الكتب، ثم أتبَعَها بمصادرة كتب مكتبات الجامعات وبَيعها على أنها ورق للصَرّ... حتى إنّ رفوف المكتبتين نزعت وبيعت... وعندما انتهت هذه المحنة [في 1558] كان عدد كتب مكتبة جامعة كمبردج 19 مخطوطاً من أصل 330، وفقدت أكسفورد كل شيء تقريباً»[3].

وكانت مكتبة جامعة أكسفورد قد أنشئت في حدود سنة 1320، لكنها لم تبدأ رسمياً إلا سنة 1412، كما كانت المكتبة العامة في جامعة كمبردج موجودة منذ بداية القرن الخامس عشر[4]، وما إن حلَّ القرن السابع عشر حتى نهضت الجامعات لإصلاح أوضاعها تدريجياً: ففي أكسفورد تولى توماس بودلي (ت1613) مهمة ترميم المكتبة من جديد منذ سنة 1598؛ إذ كانت مكتبة أكسفورد سنة 1600 غرفة واحدة ليس فيها كتابٌ واحد في أي لغة![5]، ونجح بودلي في مساعيه بفضل معارفه اللغوية وعلاقاته العديدة وثروته

---

(1) Auchterlonie, Paul (1986), ***Arabic Resources,*** P.3. and: McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***, P. 14.

(2) ظهرت جامعة أكسفورد بين عامي 1208–1209م، وجامعة كمبردج بدأت فعلياً في 1231–1232م، وتأسست جامعة سانت أندروز في اسكتلندا 1214م، وجامعة لندن 1828م.

(3) حمادة، محمد ماهر (1981)، **المكتبات في العالم: تاريخها وتطورها حتى مطالع القرن العشرين**، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر. ص–194 195.

(4) هيسيل، ألفرد (1980)، **تاريخ المكتبات**، ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة، (ط2)، الرياض: دار المريخ للنشر. ص64.

(5) Toomer, G. J. (1996), ***Eastern Wisedome and learning,*** P. 93.

الجيدة، واستطاع توفير الدعمين المادي والمعنوي بالتبرعات والهدايا والوصايا والشراء.. لمصلحة المكتبة. ولم يكن يتطلع إلى المخطوطات الأوربية فقط؛ بل أراد الحصول على مخطوطات شرقية ولا سيّما عبرية، وكان يصرّ على أن يكون في حوزة المكتبة عدد معقول قبل افتتاحها الذي جرى سنة 1602 بمجموعة من الكتب يقارب عددها ألفي كتاب.

وحقّقت المكتبةُ سمعة طيبة في الأوساط الفكرية الأوربية، وما لبثت إلا قليلاً حتى تضاعفت مقتنياتُها؛ إذ تمكن بودلي من عقد اتفاق مع شركة الوراقة اللندنية لتزويده بنسخة مجانية من كل كتاب يسجل لديها، وذلك مع خوفه أن تفتح هذه السبيلُ المجالَ لدخول كتبٍ رديئة إلى المكتبة[1]. وقد نُسبت مكتبةُ جامعة أكسفورد منذ ذلك الحين إليه، وصارت تُعرَف بالمكتبة البودلية (بودليانا). وإلى نمو مكتبة بودليانا وتوسعها ـ في القرن السابع عشر خاصة ـ يعود جزء كبير من التاريخ الفكري والسمعة العلمية التي أحرزتها جامعة أكسفورد في ذلك القرن والقرون التي تليه حتى اليوم.

وعندما فتحت المكتبةُ في جامعة أكسفورد أبوابها سنة 1602 كانت تضم مخطوطة عربية واحدة هي القرآن الكريم، ولكن مع نهاية القرن السابع عشر وصلت مخطوطاتها العربية إلى ما لا يقل عن 1400 مخطوط في مختلف حقول التراث العربي، « وُصِفت باختصار في فهرس أوري سنة 1787، الذي أعدّه لمحتويات مكتبة جامعة أكسفورد»[2]، وهي آنذاك أكبر مجموعة من المخطوطات الشرقية في أوربا، تضم مئات المخطوطات، وتعد حصيلة المجموعات المهمة التي اقتنتها المكتبةُ في ذلك القرن؛ فقد ظل مجموع المخطوطات العربية في المكتبة البودلية (بودليانا) محدوداً في العقد الأول من تأسيسها، وتوفي مؤسسها توماس بودلي سنة 1613 وهو راغب في زيادة عدد المخطوطات الشرقية فيها. ثم تغير الوضع في العقود التالية بسرعة بحصول المكتبة على مجموعات مهمة من المخطوطات الشرقية، كان من بينها: «مجموعة الأسقف لود التي حصلت عليها المكتبة

(1) W. H. Clennell, 'Bodley, Sir Thomas (1545–1613)', ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/2759,accessed 19 Nov 2007].

(2) Craster, Sir Edmund (1981), ***The History of The Bodleian Library***. Oxford: The Bodleian Library (The first edition 1952). p. 107.

بين عامي 1635–1640، ومنها مئة وسبعة وعشرون مخطوطاً عربياً... ومجموعة بوكوك الأب التي اشترتها المكتبة سنة 1692، وضمّت أربعمئة مجلد، منها مئتان وسبعون بالعربية»[1].

أما في جامعة كمبردج فقد ظل عدد الكتب الموجودة محدوداً حتى أواخر القرن السادس عشر، وفي القرن التالي عندما عُيِّن أبراهام ويلوك (ت1653) أميناً للمكتبة سنة 1629 تغيرت الأمور؛ فقد «بثّ فيها روحاً جديدة، ورفع من سمعتها، ودبّر لها عدداً من النسخ والهدايا على شكل كتب نادرة ومخطوطات ثمينة شرقية»[2].

وكان ويلوك هذا أولَ أستاذ للعربية في إنجلترا بتولّيه كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج سنة 1632، وكان اهتمامه بالعربية نابعاً من إيمانه بأهميتها في الدراسات التوراتية والجهود التبشيرية، ومع أنه لم يرتحل إلى الشرق؛ فإنه سعى خلف المخطوطات الشرقية وفهرستها، وكان عمله أميناً للمكتبة سنة 1629 علامةً مميزة في تاريخها؛ إذ ازدادت مقتنياتها في عهده من ألف كتاب إلى اثني عشر ألف كتاب عند وفاته. وفي عهده أيضاً اقتنت المكتبة مجموعة من ستٍّ وثمانين مخطوطة شرقية، أكثرها عربية، من المخطوطات التي كان قد جمعها المستشرق الهولندي إربينوس، أستاذ العربية في لَيدَن، وقام ويلوك بفهرستها بنفسه[3]. وهكذا أصبحت كمبردج تنافس أكسفورد في اقتناء المخطوطات الشرقية.

2) فهرسة المخطوطات:

أصبحت الحاجةُ ماسة إلى إعداد فهارس علمية تصف تلك المخطوطات؛ ليفيد منها الباحثون بعد تراكم المخطوطات العربية في المكتبات البريطانية، وتحديداً في القرن التاسع عشر الذي شهد تدفق المخطوطات الإسلامية نتيجة لازدهار الدراسات الاستشراقية ولازدياد السيطرة الأوربية في بلاد الشرق.

وقد عمل معظم المستشرقين المعروفين في فهرسة المخطوطات الشرقية، وهو عمل له

---

(1) Colin Wakefield (1994), Arabic Manuscripts in the Bodleian Library: The Seventeenth-Century Collections. Pp. 130-135.

(2) حمادة، محمد ماهر (1981)، **المكتبات في العالم**. ص 242.

(3) Toomer, G. J. (1996), ***Eastern Wisedome and learning***, p. 91.

قيمته العلمية في الجامعات الأوربية والبريطانية يتولاه كبار الأساتذة أصحاب الباع الطويل في البحث الاستشراقي واللغات الشرقية، وهو من المهام المفيدة التي يقوم بها المستشرق، وإن كان هذا العمل يبدو مضجراً ومملاً[1] أحياناً كما في حال فهرسة المخطوطات التي تُقتَنى مجموعاتُها عن طريق الهبات لا عن طريق الاختيار المتعمد؛ إذ تحتاج فهرسة المخطوطات الشرقية إلى صبر كبير وانتباه لتفاصيل كثيرة في المخطوط.

كان أقدم فهارس المخطوطات الشرقية في بريطانيا هو فهرس مكتبة بودليانا في أكسفورد، الذي أُعدّ باللاتينية سنة 1787 [2]، ووصفت فيه 105 من المخطوطات العربية المسيحية، و1219 مخطوطاً عربياً إسلامياً.

وفي جامعة كمبردج كان أول فهرس للمخطوطات الشرقية ذلك الذي أعده براون (ت1926) عن المخطوطات الفارسية سنة 1896، ثم أصدر سنة 1900 فهرساً للمخطوطات الإسلامية العربية في مكتبة جامعة كمبردج، التي كان من أهمها مجموعة المستشرق الهولندي إربينوس التي حصلت عليها المكتبةُ سنة 1632، ومجموعة وليم رايت (ت1889) التي حصلت عليها سنة 1873 [3].

وقد نَشَرَت العديدُ من المكتبات البريطانية فهارس عدة لمجموعاتها ومقتنياتها من المخطوطات العربية والإسلامية. ويعكف كثير من المكتبات البريطانية على إصدار ملاحق تواكب مقتنياتها الجديدة من المخطوطات العربية التي كان أغلبها قد نُشِر في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين[4].

لكن فهارس المخطوطات العربية التي كانت تعدها المكتبات الكبيرة ـ وتتضمن كل

---

(1) هذا ما يقوله إدوارد براون E. Browne (ت1926) صاحب فهرس المخطوطات الفارسية في كمبردج وفهرس المخطوطات الإسلامية في كمبردج، ينظر: الجبوري، يحيى (مترجم)، (1974)، فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة جامعة كمبردج، القسم الأول، المورد، بغداد، 3 (3)، ص 250.

(2) وهو فهرس جوان أوري Joanne Uri، وكان بعنوان:

* Bibliothescae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium

(3) Pearson, J. D. (1971), ***Oriental Manuscripts in Europe and North America/ A Survey.*** Switzerland: Inter Documentation Company AG., p. 309.

(4) حول فهارس المخطوطات العربية في المكتبات البريطانية وتواريخ نشرها؛ ينظر:

Pearson, J. D. (1971), ***Oriental Manuscripts in Europe and North America***, pp. 303- 320.

التفاصيل الممكنة لوصف المخطوط بما يفيد الباحثين، وتذكر فقرات من بدايته ونهايته من أجل تمييز موضوعه ـ بدأت تصبح عملاً من الماضي؛ لأن الباحثين لم يعد لديهم الوقت الكافي لعملٍ من هذا النوع، كما أن السمعة العلمية التي يسعون إليها يحصلون عليها من مقالاتهم وكتبهم الأخرى، وليس من مثل هذا العمل(1).

وفي سياق الحديث عن فهرسة المخطوطات العربية في المكتبات البريطانية؛ فإنه لمن المفيد الوقوف قليلاً عند المكتبة البريطانية، وهي التي تضم أكبر مجموعة من المخطوطات العربية الإسلامية تعد من أهم المجموعات العربية في أوربا. وتضم المكتبة البريطانية مجموعاتٍ من المخطوطات العربية يبلغ عددها تقريباً سبعة آلاف مخطوط، وتضم كذلك مجموعة من الدراسات والمصادر العربية والإسلامية ومجموعة من الكتب العربية المطبوعة يبلغ عددها تقريباً أربعين ألف كتاب(2).

وفي الواقع فإن مجموعة المكتبة البريطانية من المخطوطات العربية كانت في الأصل مجموعتين:

3. مجموعة مكتبة المتحف البريطاني.
4. مجموعة مكتبة الديوان الهندي.

وقد تأسست المكتبة البريطانية سنة 1973 بدمج أقسام عدة من المؤسسات والمكتبات، منها مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة الديوان الهندي. حيث « كانت المكتبة البريطانية

---

(1) Pearson, J. D. (1971), ***Oriental Manuscripts in Europe and North America***, p. iii.

(2) Auchterlonie, Paul (Ed.) (1981), ***Collections in British Libraries on Middle Eastern and Islamic Studies***. p.25.

وللمزيد عن المخطوطات العربية في المكتبات البريطانية ينظر كتاب:

Pearson, J. D. (1971), ***Oriental Manuscripts in Europe and North America/ A Survey***. Switzerland: Inter Documentation Company AG. Pp. 303+

وعن تفاصيل المكتبات الشرقية في بريطانيا ينظر الصفحات –22 36.

وينظر كذلك مقالات متعددة في:

* Auchterlonie, Paul (Ed.), (1981), ***Collections in British Libraries on Middle Eastern and Islamic Studies***. University of Durham, Center for Middle Eastern and Islamic Studies. Occasional Papers, Series No.12.

جزءاً من المتحف البريطاني الذي يعود تاريخ افتتاحه إلى العام 1753م، وعلى مدى قرنين عُني البريطانيون بإثراء مكتبتهم ومتحفهم عن طريق جلب المزيد من المطبوعات والوثائق التأريخية والمخطوطات التراثية، ولا سيّما بعد أن افتتحوا في عام 1801 قسماً في المكتبة عرف باسم (مكتب الهند) الذي كان يضم آلاف المقتنيات والمخطوطات الشرقية»[1].

تراكمت مجموعة المكتبة البريطانية من المخطوطات العربية والشرقية عامة على مدى ثلاثة قرون تحولت خلالها كثير من المجموعات الخاصة لتكوِّن أضخم مكتبة من المكتبات العامة في العالم، تتضمن نماذج عديدة من الخطوط والرسوم والمنمنمات؛ وعدداً كبيراً من النسخ المبكرة النادرة من مخطوطات مكتوبة بخطوط مؤلفيها، وهي تعد من أهم المجموعات في العالم. وحتى عام 1753 كان كل ما بحوزة البريطانيين من مخطوطات عربية لا يتجاوز 120 مخطوطة، ثم أضيف إليها 21 مخطوطة، جُلبت من مصر عام 1802، وأتيح للمكتبة الحصول على مجموعات أخرى جُمعت من العراق ومصر وتونس والهند...وغيرها، وكانت في مواضيع متعددة أغلبها في الفقه وأصوله وفي الأدب والشعر واللغة العربية[2].

"وكثير من مقتنيات المتحف البريطاني من المخطوطات الشرقية قد جُمعت بالتعاون مع أشهر جامعي المخطوطات، وهناك أقسام أخرى أُنشِئت نتيجة لاقتناء مجموعات كاملة (إما بالتبرع وإما بالشراء) وكان بعضها مجموعات متخصصة"[3].

وقد كانت المخطوطات الشرقية قبل سنة 1867 جزءاً من أقسام المخطوطات والكتب في المكتبة، ولكن حين أصبح عددها نحواً من سبعة آلاف مجلد في منتصف القرن التاسع عشر تأسست بناءً على ذلك دائرةٌ خاصة للمخطوطات الشرقية سنة 1891، يتولاها

(1) عبد الحافظ، حسني، (2009)، (المكتبة البريطانية تحتفي بكنوز المعرفة العربية)، أحوال المعرفة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ع 54، محرم 1430هـ/ يناير 2009، ص64.

(2) لتفاصيل المجموعات المقتناة في المكتبة البريطانية ينظر: عبد الحافظ، حسني، (2009)، المكتبة البريطانية تحتفي بكنوز المعرفة العربية، ص 65.

(3) Goodcare, H. J And Prichard, A. P. (1977), ***Guide To The Department of Oriental Manuscripts and Printed Books***, British Library Reference Division, London: British Museum Publications Limited. P.10.

أمين خاص يكون مسؤولاً عن شراء مخطوطات بعينها وفهرستها وترتيبها. لكن فهارس المخطوطات والكتب الشرقية كانت قد بدأت تظهر قبل تأسيس تلك الدائرة، وكان أولها الفهرس الذي نشر في ثلاثة أجزاء بين عامَي 1838–1871، وقد وُصِفت فيه المخطوطات الشرقية باللغات السريانية والعربية والأثيوبية والكرشونية ـ السريانية بحروف عربية ـ، ثم أصبح لكل لغة بعينها فيما بعد فهارس خاصة(1).

وللمكتبة البريطانية فهرس جديد منشور سنة 2001 بعنوان (Subject-Guide to the Arabic Manuscripts in The British Library) يضم معلومات موجزة ومختصرة عن 7620 مخطوطاً عربياً، والفهرس مرتب وفق المواضيع. وتضم تلك المعلومات فقط اسم المؤلف واسم الكتاب وتاريخ النسخ ورقم المخطوط في المكتبة ومرجعه في فهرس المكتبة ورقم الميكروفيش، وليس هناك تفاصيل مثلاً عن عدد أوراق المخطوط ووصفه وغيرها من التفاصيل التي كانت تحتويها الفهارس القديمة(2). وهناك فهارس أخرى للمخطوطات العربية والإسلامية في مكتبات الجامعات البريطانية.

أما الحديث عن المخطوطات الأندلسية في المكتبات البريطانية فسيكون تفصيله في فصل لاحق.

المبحث الثالث: ملحوظات على صلة الاستشراق البريطاني بالتراث العربي

إن تاريخ صلة الغرب بالشرق ـ أو ما سمي «الاستشراق» ـ حافل بالجهود التي قدّمها المهتمون بالدراسات العربية في أوربا على تعدد دوافعهم وتنوّعها، لكنه لم يكن منذ نشأته الأولى على ذلك التماسك الذي نعتقد والذي اتضحت وتكاملت صورتُه في مراحل لاحقة؛ أي في القرن التاسع عشر الذي شهد ما يمكن وصفه بالبداية الحقيقية للاستشراق؛ ذلك أن المراحل الأولى المبكرة للتيار الاستشراقي ظلت تتجاذبها الدوافعُ الدينية، ولم يستطع

(1) Goodcare, H. J And Prichard, A. P. (1977), ***Guide To The Department of Oriental Manuscripts and Printed Books***, P. 11.
(2) Stocks, Peter (2001), ***Subject-Guide to the Arabic Manuscripts in the British Library***, London: The British Library. P. ii.

الخلاص منها تماماً حتى الوقت الحاضر؛ إذ لم تستطع أوربا قط أن تنسى أنها في دراستها للشرق المسلم إنما تدرس الدِّينَ الذي صنَّفَته مرةً على أنه هرطقة تَجِبُ محاربتُها، وأنها تدرس أولئك القوم الذين سبقوها في ميدان المدنية الإنسانية، وأنها تنظر إليهم بمقياس التميُّز العِرقي ونزعة المركزية الأوربية التي استقرت فيما بعد في القرن التاسع عشر.

ولا يختلف الاستشراق البريطاني في كثير من السمات العامة التي تتسم بها الأنشطة الاستشراقية للدول الأوربية الأخرى، ولكننا ـ على هذا التشابه العام ـ نخصّ الاستشراق البريطاني بالحديث عن مجموعة من الملحوظات في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، ومسيرته الطويلة هناك. ومنها:

1) **سيطرة الدوافع الدينية على الدراسات العربية في إنجلترا**: فقد ظلت هذه الدوافع مرتبطة بأحوال أوربا السياسية والاجتماعية والثقافية، وهي التي حدّدت الاتجاه نحو الدراسات العربية والإسلامية منذ بدء الصلة بين الشرق والغرب، ولم تخرج إنجلترا عن هذا إلا قليلاً، فالهدف « من وراء إنشاء مراكز الدراسات العربية والإسلامية في الغرب لم يكن علمياً منذ البداية، بل كان(دينياً تبشيرياً هدمياً)، وقد انضم إلى هذا الدافع الديني في القرن السابع عشر سبب استعماري استغلالي ظهر للوجود كنتيجة للمطامع وخطط التوسع الاقتصادي التي ظهرت في أوربا»(1). وهذا الحكم يسري أيضاً على الدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا هي الأخرى؛ لأنها جزء من المنظومة الاستشراقية الغربية.

وعلى سبيل المثال تبدو الدوافع الدينية واضحة جداً ـ إلى جانب المصالح السياسية ـ في تقرير السلطات الأكاديمية المسؤولة في جامعة كمبردج، (فيما يتصل بإنشاء كرسي اللغة العربية هناك في القرن الرابع عشر)؛ فقد وردت العبارات التالية في التقرير: «... ونحن ندرك أنّا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض عدد كبير من المعرفة للنور[كذا] ـ بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلّمها. ولكنّا نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار

(1) فتاح، عرفان عبد الحميد (1991)، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، (ط1)، بيروت: دار الجيل. ص 142.

الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات»[1].

ومع العناية الكبيرة بدراسة اللغة العربية في إنجلترا، فقد ظل يُنظَر إليها على أنها ملحقة بالدراسات التوراتية، وأنها تستحق الدراسة فقط؛ لأنها ضمن تلك الدائرة، ولم تبدأ هذه الدوافع بالتغيّر إلا عندما استجدّت بعض الظروف في علاقة الشرق بالغرب، وهي التي بدأت بين أوربا والدولة العثمانية (سواء العلاقات السلمية كالتجارة والرحلة إلى المشرق، أم العلاقات غير السلمية كالحروب والنزاعات) مما استدعى علاقات دبلوماسية وتفاوضية بين الجانبين كانت اللغة من ضروراتها. وفي القرن الثامن عشر عندما بدأ الأوربيون يقدّرون أهمية اللغة العربية وميزاتها اللغوية والأدبية أقبلوا على دراستها لأجلها هي، كما تمثّل ذلك في جهود السير وليم جونز وترجماته الشعرية للشعر الشرقي بغرض تعريف الأجيال الإنجليزية به.

وتبدو سيطرةُ الدوافع الدينية في إنجلترا على الدراسات العربية في رعاية الهيئات الدينية لهذه الدراسات منذ بداية الاهتمام بها؛ فقد تأسس كرسي أكسفورد للدراسات العربية برعاية الأسقف ويليام لود، وكرسي كمبردج الذي أسسه أحد تجار لندن؛ وهو توماس آدامز (ت1667) - وما يزال يحمل اسمه - ليس له في الحقيقة علاقة بالتجارة بقدر ارتباطه أيضاً بالرعاية الدينية[2].

كما تبدو سيطرة الدوافع الدينية في أن أغلب المهتمين بالدراسات العربية كانوا من رجال الدين حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ وذلك مفهومٌ في ضوء أنّ التعليم كان دينياً في أوربا إما في مدارس الكاتدرائيات وإما في مدارس الأديرة؛ فلم يكن التعليم متاحاً إلا لفئة قليلة هي غالباً الأرستقراطية والرهبان؛ لأن التعليم لم يصبح متاحاً للجميع في

(1) الطيباوي، عبد اللطيف (1991)، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية، في:

البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، (ط12)، القاهرة: مكتبة وهبة. ص477.

نقلاً عن: Arberry, A. J. (1948), *The Cambridge School of Arabic*. Cambridge.

(2) See: Holt, P.M. (1957), The Study of Arabic Historians in Seventeenth-century England: The Background and The Work of Edward Pococke, ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies,*** University of London, Vol.19 (3), P. 447.

إنجلترا إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سنة 1870، لذلك بقيت الدوافعُ الدينية دوافع رئيسية صبغت الدراساتِ العربيةَ بصبغتها طوال قرون.

وكان من نتائج سيطرة الدوافع الدينية على الدراسات العربية أن انحصرت أعمالُ معظم المستشرقين المهتمين بدراسة اللغة العربية في إعداد المعاجم اللغوية وشروح الكلمات؛ التي تساعد على تدريس الطلبة وتعليمهم اللغة العربية وتُعينُ في الترجمة وفي فهم الكتاب المقدس بلغته العبرية. بعبارة أخرى: لم تخرج اهتمامات المستشرقين بدراسة اللغة العربية عن الاستفادة منها كما كان ينبغي لرجل الدين، الذي يضع نصب عينيه فائدتها العملية ـ إن جاز التعبير ـ في الدراسات التوراتية والتبشير، وقد تعززت فكرة أن دراسة اللغة العربية وتعلم اللغات الشرقية مفيدة في الدراسات التوراتية في أوربا نتيجة لظروف الإصلاح الديني البروتستانتي والثورة على الكنيسة الكاثوليكية، « فأصبحت اللغةُ العربية تُدمَج في الدراسات اللاهوتية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر لمساعدة الطلاب على دراسة العبرية... ومما يدل على ارتباط اللغتين معاً أنه حتى القرن السابع عشر كان الأستاذ الذي يتولى كرسي اللغة العربية وكرسي اللغة العبرية في جامعة أكسفورد شخصاً واحداً، وهو إدوارد بوكوك »(1).

لذا بقيت « السمة الغالبة على النشاط الأكاديمي الاستشراقي هي الاهتمام بالناحية اللغوية؛ أي دراسة العربية بوصفها إحدى اللغات السامية، وذلك لإقامة شجرة أنساب لهذه اللغات ولتحقيق فهم أدق للنصوص العبرية المقدسة »(2).

2) **العمل المنفرد المنعزل**: على الرغم من تعدّد أوجه نشاط المهتمين بالدراسات العربية في أوربا عامة وبريطانيا خاصة؛ فإنه يمكن أن نلاحظ أن عملهم لم يكن عملاً جماعياً أو مؤسسياً؛ إذ كانت سمةُ العمل الفردي واضحة حتى القرن التاسع عشر ومشارف القرن العشرين. ويرى بعض الباحثين أنه «من العدل وصف المستعربين البريطانيين فيما قبل سنة 1900 بأنهم أفراد دون مدرسة محددة يتبعونها، وهم كذلك بصورة خاصة، دون تاريخ أو سِجلٍّ حافل بطلاب الدراسات العليا؛ ليسيروا على نهج

(1) Russell, G. A.(1994) Introduction: The Seventeenth Century: The Age of 'Arabick', p. 4.

(2) الملا جاسم، ناصر أحمد (2001)، اتجاهات الاستشراق الإنجليزي حتى قيام الحرب العالمية الثانية، البحرين الثقافية، 9 (30)، ص122–123.

أساتذتهم وخُطاهم»(1)؛ بحيث يكون العملُ البحثي قائماً على أسس واضحة، ويشكل تياراً مميزاً ومتكاملاً في النشاط الفكري.

ومما يعزز مثل هذا الرأي أن جهود المستشرقين المبكرة ـ على وجه التعيين ـ كان أقرب ما توصف به أنها «مبعثرة»؛ إذ كان أحدهم يستغرق في عملٍ معين وينكب عليه سنوات طويلة ليفاجَأ بعد حين بأن غيره يعمل على الموضوعٍ نفسه، فيضيع جهدُ واحدٍ منهما بسبب ذلك: فمثلاً كان المستشرق الإنجليزي وليم بدويل قد استغرق فيً العمل على معجمه اللاتيني ـ العربي سنوات عديدة، ولكنه «لم يتمكن من نشر معجمه العربي ـ اللاتيني، فقد وجد أن إربينوس [المستعرب الهولندي] على وشك طباعة معجم مماثل في لَيدَن سنة 1613، فخاب أمله في أن يكون معجمه هو الأول من نوعه في أوربا. ومع ذلك فقد ظل منهمكاً فيه حتى وفاته، ولم ينشره قط؛ لأن الحروف العربية التي أحضرها من لَيدَن لتأسيس مطبعة عربية في أكسفورد لم تكن صالحة للاستعمال»(2). وفي وقت آخر من القرن السابع عشر عمل بوكوك الابن (ت1726) على ترجمة رسالة لابن ميمون (ت1204م)، لكنه وجد أيضاً في سنة 1680 أن غيره قد حققها، وكانت في طريقها إلى المطبعة، فصرف النظر عن إكمال عمله(3).

3) **التعاون مع المستشرقين خارج بريطانيا:** ومع الجهود "المبعثرة" في العمل الاستشراقي؛ هناك أمثلة على التعاون بين المستشرقين عبر القارة الأوربية كانت له ثمار طيبة في مسيرة الجهود الاستشراقية في بريطانيا، فقد سبقتها دولٌ أوروبية أخرى في حقل الدراسات العربية والإسلامية، وحين ازدهرت هذه الدراسات في إنجلترا في القرن السابع عشر كان لهذه السمة أثرُها في مجال الدراسات العربية: فعلى سبيل المثال كان العالِم الرياضي الألماني ماتياس باسور قد قَدِم إلى بريطانيا هرباً من الحرب في بلاده،

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***. P.18.

(2) Alastair Hamilton, ‘Bedwell, William (bap. 1563, d. 1632)’, ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004, [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/1942,accessed 16 Nov 2007].

(3) G. J. Toomer, ‘Pococke, Edward (bap. 1648, d. 1726)’, ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/22431,accessed 27 Jan 2008].

وأقام في أكسفورد، وقد ألقى في أثناء إقامته محاضرات كانت من أوائل المحاضرات للدعوة إلى معرفة اللغة العربية والدفاع عن تدريسها في أوربا، وكان لها أثرُها في التوجه لدراسة اللغة العربية. كما ذهب الإنجليزي بِدويل إلى لَيدَن، والتقى المستشرق الهولندي إربينوس، ودرَس وإياه العربية هناك. وكان بوكوك الأب اعتمد في تدريسه اللغة العربية في أكسفورد على منهج يماثل ما كان يقدَّم لطلبة اللغة العربية في لَيدَن.

وفي القرن التاسع عشر كان الإنجليزي وليم رايت قد درس في لَيدَن على يد الهولندي رينهارت دوزي (ت1883)، وكان تأثيره فيه واضحاً، ويعد رايت من أوائل المستشرقين الإنجليز الذين اعتنوا بالتراث الأندلسي، إذ قدم أطروحته للدكتوراه عن (رحلة ابن جبير)، وعمل على تحقيق كتاب (**نفح الطيب**) وترجمته إلى الإنجليزية في عملٍ مشترك بين ثلاثة مستشرقين أوربيين تحت إشراف دوزي.

وكانَ نيكلسون (ت1945) الذي درس في كمبردج قد تتلمذ على " اثنين من أبرز مستشرقي العصر، هما دي خويه (ت 1909) في لَيدَن، ونولدكه (ت1930) في ستراسبورغ"(1).

وهكذا كانت هناك بعضُ الأمثلة على تبادل الخبرات بين المهتمين بالدراسات العربية في إنجلترا وغيرها من الدول الأوربية، ساهمت مثلاً في إغناء الدراسات الأندلسية هناك، على الرغم من سمة الجهود المبعثرة التي ميزت أعمال المستشرقين في بواكير الحركة الاستشراقية.

4) **التنافس مع الدول الأوربية:** كان التنافس مع الدول الأوربية محرِّكاً للعديد من الأنشطة الاستشراقية في بريطانيا؛ فقد دفعها التنافسُ مع الدول الأوربية (ثم مع أمريكا في القرن العشرين) إلى محاولة اللحاق بتلك الدول التي سبقَتها في العناية بالدراسات العربية منذ زمن. وقد كانت روحُ المنافسة واضحة في توجّه بريطانيا صوب الدراسات العربية من أجل اللحاق بالدول التي سبقتها في هذا المجال والتفوق عليها إن أمكن، وكان لهذا أثره الظاهر في بعض الأنشطة التي كان منها: النهوض بدراسة اللغة العربية عن طريق تأسيس كراسي الأستاذية في جامعتَي كمبردج وأكسفورد في القرن السابع عشر،

(1) جحا، ميشال (1982)، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، ص 43.

والاجتهاد في جمع المخطوطات الشرقية وإغناء المكتبات الجامعية بمجموعات مهمة منها؛ (فقد كان بوكوك الأب مثلاً ـ في اجتهاده لجمع المخطوطات الشرقية أيام ارتحاله إلى المشرق ـ ينافس المستشرقين الهولنديين في سعيهم الدؤوب إلى الظفر بمجموعات كبيرة من تلك المخطوطات) ومن ثم تطوير دراسة العربية في الجامعات البريطانية نتيجة لتراكم مادة أولية جيدة بين أيدي الباحثين، ألا وهي النصوص العربية. ثم تجلّت روحُ المنافسة مع الدول الأوربية في العمل على تطوير الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية في القرن العشرين، الذي كان وراء كل خطوة فيه إحساسُ بريطانيا أنها متخلفة عن ركب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية في هذه الدراسات، وأن هذا مما لا يليق بمكانتها دولةً ذات تاريخ عريق وتوسع إمبراطوري.

5) **المخطوطات العربية وتأثيرها في الدراسات الاستشراقية**: يرى بعض الباحثين أن "الكثير مما في تاريخ الدراسات العربية [في بريطانيا] يمكن بصعوبة أن ينطبق عليه وصف دراسة على الإطلاق؛ فهو في الحقيقة دفاع عن المسيحية ضد ما كان يُرى أنه تهديد خارجي، وكثير من الكتابات الغربية عن الإسلام لم تكن مصممة لمجادلة المسلمين وتحويلهم عن دينهم، بقدر ما هي مصممة لتعزيز معتقدات المسيحيين الأوربيين أنفسهم"(1).

وقد يكون هذا الرأي دقيقاً إلى حد ما؛ لأن ما قُدِّم في الدراسات الغربية المبكرة كان في جلّه يدور على دراسة القرآن والعقيدة الإسلامية، من وجهة نظر المستشرقين وملاءمتها للرأي العام السائد آنذاك، بغضّ النظر عن مدى موضوعيتها وصحة معلوماتها. كما كانت الجهود الاستشراقية الأولى تتمثل في التوجه نحو إصدار المعاجم والكتب التي تساعد على دراسة اللغة العربية نفسها، ولم يكن هناك اتجاه لدراسة التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ويتجلى ذلك في أن معظم أعمال المستشرقين الإنجليز حتى القرن التاسع عشر هي في هذه المواضيع، فهناك محاولات أولى عند بوكوك ثم عند أوكلي لكتابة تاريخ العرب والمسلمين، ثم محاولات وليم جونز أواخر القرن الثامن عشر

(1) Auchterlonie, Paul (1986), Arabic studies in Britain: The Development of Arabic Studies in Britain from the Middle Ages to the Present day. P.1.

لإبراز الجوانب الجمالية للأدب الشرقي؛ ومنه الشعر العربي، فقام بترجمة المعلَّقات. ولكنّ هذه المحاولات هي محاولات ضئيلة مقابل الأعمال الاستشراقية الإنجليزية المنصبّة على ترجمة القرآن الكريم والدراسات المختلفة حول الدين الإسلامي وعقيدة المسلمين؛ لبيان فسادها وضعف حجتها.

ويمكن أن نلاحظ أيضاً أنه عندما بدأ التغيّر في مسار جمع المخطوطات العربية منذ القرن السابع عشر؛ أي عندما لم يعد الاهتمام مقتصراً على المخطوطات العلمية والفلسفية التي لاقت العناية من قبل، أو المخطوطات القرآنية والدينية، وعندما أصبحت العناية ممتدة إلى اقتناء مخطوطات التاريخ والمعاجم والتفسير والتراجم والنصوص الأدبية: شعراً ونثراً... وغيرها، وبدأت الظروف العلمية في أوربا تتغير بازدهار العلوم الطبيعية الحديثة ومناهج البحث العلمي ـ عندما حصل ذلك كله أصبحت مواضيع الدرس الاستشراقي متجهة صوب نواح لم تكن محل اهتمام من قبل، وصار البحثُ في التاريخ العربي الإسلامي ودراسة الأدب العربي من المواضيع التي جذبت اهتمام المستشرقين الإنجليز.

ويلاحَظ أن الدراسات الاستشراقية الأولى كانت باللاتينية لغة العلم في القرون الوسطى؛ مما يعني أنها كانت تُكتَب للمتخصصين وللمثقفين الذين يقرؤون اللاتينية، وليس لها أصداء لدى جمهور العامة، الذي ظلت نظرته تجاه الإسلام لقرون طويلة مغلَّفة بالصورة النمطية الأولى التي تكوّنت عنه في العصور المظلمة؛ بأنه هرطقة، وأَتباعه من الكَفَرة.

6) **طباعة المصادر والكتب العربية**: ساهم ظهور الطباعة العربية (طباعة النصوص العربية) في بدايات القرن السادس عشر في دفع مسيرة الدراسات العربية في أوربا وفي بريطانيا، لكن الطباعة العربية في إنجلترا قبل القرن التاسع عشر كانت بعيدةً عن مجال نشر الدراسات الأدبية والتاريخية الخالصة التي يُعنَى بها المهتمون بالدراسات العربية؛ وذلك بسبب نمط الرعاية التي كانت تقدَّم لطباعة مثل هذه الأعمال؛ فالطباعة العربية كانت مكلفة جداً، وكان المهتمون "بالطباعة بالحروف العربية" يبحثون عمّن يرعى

ويدعم طباعة أعمالهم إلا إذا كانت ثرواتُهم الخاصة تسمح بطباعتها، وهذا لم يكن متاحاً لأغلبهم، وكان الرعاةُ البارزون لطباعة النصوص العربية في إنجلترا هما: شركة الهند الشرقية ـ منذ القرن الثامن عشر ـ التي أرادت نشر كتب لمساعدة العاملين في الشركة على تعلم لغات البلاد التي يعملون فيها. والراعي الثاني كان الكنيسة التي اهتمت بنشر النصوص المسيحية من الكتاب المقدس وتفسيراته، ثم طباعة الكتب العلمية لمدارس الإرساليات التبشيرية في الشرق، وآخر ما كانوا يفكرون فيه هو طباعة الكتب الإسلامية من أي نوع. وظل الوضعُ على هذه الحال حتى بدأ يتغير في القرن التاسع عشر بتوسع الجامعات وزيادة نشاطها العلمي، فبدأت حركة نشر الكتب العربية الأدبية والتاريخية(1)، بعيداً عن الأهداف الدينية والتجارية.

ومن نافلة القول أن نشر الكتب والنصوص باللغة العربية قد ساعد على تعزيز مسيرة الدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا؛ بما فتحت من مجالٍ أمام تحقيق المصادر العربية المخطوطة التي قام المستشرقون بجمعها، ومن ثم عملوا على نشرها في بلادهم.

7) **العناية بالنصوص المكتوبة وسيادة مناهج نقد النصوص:** يلاحظ أن الدراسات العربية في إنجلترا ظلت لقرون عديدة توجه جل اهتمامها إلى النصوص المكتوبة؛ وقد يكون ذلك منسجماً مع النظرة الاستشراقية التي كانت سائدة تجاه اللغة العربية، بأنها لغة ميتة، وليست من اللغات الحية؛ لارتباط العربية بالدراسات التوراتية، ونتيجة لسيطرة المنهج التاريخي ونقد النصوص Philology (2) الذي يعتمد النصوص المكتوبة والدراسات

---

(1) Roper, Geoffrey (1985), Arabic Printing and Publishing in England Before 1820. **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**. Vol. 12 (1). Pp.24-25.

(2) يقول د. تمام حسان إن الفيلولوجي ارتبط بالدراسات المقارنة بين اللغات، « ثم توسع االلغويون في مدلول «فيلولوجيا» دون أن يجردوه من ارتباطه باللغات والدراسات القديمة، فأطلقوا هذا المصطلح على نوعين من النشاط والتحقيق العلمي هما:

أ) فك رموز الكتابات القديمة التي يعثر عليها الباحثون في حقل الآثار مرقومة على الحجارة أو جدران المباني..

ب) وأطلق اللفظ كذلك على تحقيق الوثائق والمخطوطات القديمة بغية نشرها والانتفاع بها في النشاط العلمي».

ينظر: حسان، تمام (1981)، **الأصول: دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي**،(ط1)، الدار البيضاء: دار الثقافة. ص252.

النصية.

"وقد كانت العربيةُ المكتوبة هي محور اهتمام اللاهوتيين ومترجمي الكتاب المقدس، في حين كانت العربية المحكية هي الأساسية للتجار والدبلوماسيين"(1)، ويبدو أن الأولى هي التي كانت محط الاهتمام والعناية على مدى تاريخ الاستشراق، إلى أن آذَنَ ذلك بالتبدل في القرن العشرين: إذ إننا نجد أمثلة عديدة على مستشرقين يُشار إلى تميزهم بمعرفة اللغة العربية المحكية إلى جانب المكتوبة، فمثلاً كان من الأشياء المهمة التي تُذكَر للمستشرق بوكوك الأب أنه كان يتميز بأنه يعرف العربية المكتوبة والمحكية؛ نظراً لإقامته في الشرق سنوات عدة. ورينولد نيكلسون (ت1945) "على الرغم من معرفته العميقة باللغة العربية؛ فإنه لم يكن يعرف التكلم والكتابة بها"(2)، وكان هاملتون جب (ت1971) المولود في الإسكندرية "يكتب العربية كأدبائها، ويروي نصوصها في محاضراته وأحاديثه عن ظهر قلب"(3). وكان آرثر جون آربري (ت1969) يتقن اللغة العربية (4) وقد عمل أستاذاً في الجامعة المصرية بين عامَي 1932 و1934.

وكان للعناية بالنصوص المكتوبة أثرُها في توجُّه أغلب المستشرقين البريطانيين إلى العناية بالدراسة النصية وتحقيق النصوص القديمة ونشرها، وهو منسجم مع الدراسات "الفيلولوجية" التي سيطرت على عالم بحوث الاستشراق التقليدي؛ إلى أن حلّ القرن التاسع عشر، وتغيّرت الصورة في المشهد الاستشراقي، وصار التوجه نحو التركيز على اللغة العربية الحديثة واللغة العربية المحكية في الحياة اليومية لأجل الأغراض العملية؛ وذلك بانتشار المناهج الجديدة، ومنها المنهج الوصفي في دراسة اللغات، الذي يهتم باللغة المحكية والمنطوقة واللغات الحية والإعراض عن اللغات القديمة الميتة، وهو الذي تزامن مع طغيان الحركة الاستعمارية والرغبة في دراسة الشعوب الشرقية لأجل السيطرة عليها.

8) **قلة المتخصصين في اللغة العربية**: وعلى ما نجد من تاريخٍ طويل لاهتمام الإنكليز بالعلوم

---

(1) Vivian Salmon (1994), Arabists and Linguists in Seventeenth-Century England, P. 59.

(2) جحا، ميشال (1982)، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**. ص 45.

(3) العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**. ج2: ص129.

(4) العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**. ج2: ص557.

العربية لقرون مضت؛ فإن عدد المهتمين بالدراسات العربية فيها ظل محدوداً نوعاً ما: فمثلاً لو كان هناك من يتقن العربية جيداً ـ قبل عهد بوكوك الأب في أكسفورد ـ لما اضطرت جامعة أكسفورد إلى تعليم العربية العامية على يد المصري أبو ذقن، في الوقت الذي كانت لا تزال للغة اللاتينية هيبتها، وكانت اللغات المحلية واللهجات المحكية لا تلقى العناية والتقدير في الدوائر العلمية.

كما أنه عندما عاد بوكوك الأب من رحلته الثانية من المشرق إبان الحرب الأهلية في بريطانيا سنة 1641 "استطاع أن يستأنف محاضراته في العربية، واستمر في عمله خلال العهد الجمهوري. لقد كانت ميول بوكوك ـ دون شك ـ إلى جانب المَلَكية، وربما كان سيُعزل عن كرسي اللغة العربية لو كان بين صفوف البيوريتانيين (الجمهوريين) مَن يحسن اللغات الشرقية مثله. وقد خسر بالفعل كرسي الأستاذية في اللغة العبرية"[1]، فلو كان كثيرون يتقنون العربية على المستوى الأكاديمي (كما هو حال العبرية مثلاً) لعزلوا بوكوك من منصبه، ووجدوا غيره ليدرّس اللغة العربيةَ مكانه في أكسفورد.

ونظراً لمحدودية أعداد المتعلمين إجمالاً ما قبل القرن التاسع عشر؛ فإن المتخصصين منهم في الدراسات العربية سيكونون أقل عدداً، حيث كان الباحثون المهتمون والمتخصصون في الدراسات العربية قلّةً طوال قرون من تاريخ الاستشراق، وقد استمر هذا الوضع حتى القرن العشرين، وتدل عليه أعدادُ الطلبة الضئيلة جداً من الملتحقين والمسجلين في برامج دراسة اللغة العربية في الجامعات البريطانية[2].

كما أن قلة المتعلمين في هذا المجال من ناحية يقابله من ناحية أخرى " تواضع" الخطط الدراسية في أقسام اللغة العربية في الجامعات؛ إذ يشير عبد اللطيف الطيباوي ـ وهو ممن لهم خبرة في الدراسة والتدريس في الجامعات البريطانية ـ إلى مثالٍ من إحدى الجامعات البريطانية العريقة يبيّن فيه أن تدريس العربية في الجامعات البريطانية،

---

(1) عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1975)، اللغات الشرقية، ص43.

(2) للمزيد عن أعداد الطلبة في أقسام الدراسات العربية والإسلامية، ينظر:

* Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today, Bulletin (**British Society for Middle Eastern Studies**). Vol. 11(2). (pp. 111-120).

* McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century***, Pp. 217+

وفقاً لنموذج خطة دراسة اللغة العربية في جامعة كمبردج على مدار سنوات ثلاث ـ ليس على درجة كبيرة من الإتقان والتنظيم الذي يتخيله العرب عنها، ويخلص إلى أن "**ادعاء جودة مثل هذا النظام التدريسي يدعو إلى الشك**. فبناءً على الأدلة ... فإن هذا النظام يجب أن تُنتَزَع منه هذه الهالة الضخمة التي لا يستحقها، علماً بأن هذه الملحوظات لا تسري بالضرورة على الدراسات العليا في جامعة كمبردج بقدر ما يتعلق الأمر بالتدريس والإشراف المشهورين بالتهاون في التنظيم"(1).

ويسوق ألبرت حوراني شهادةً عرَضية أخرى في كتابه **الإسلام في الفكر الأوربي** عن التدريس في أكسفورد، بقوله في مقدمة الكتاب: " ...لقد جئتُ إلى تاريخ الشرق الأوسط من طريق أخرى، ودرَّستُه في جامعة تعنى بتاريخ الدراسات الإسلامية **عناية هامشية بوجه عام**، على الرغم من أن تدريس العربية في أكسفورد يعود إلى القرن السابع عشر..لقد كنتُ في أكسفورد في وقت كانت تبذل فيه محاولات لإعطاء قوة جديدة للدراسات الشرقية في بريطانيا بمنحها مساعدة مادية من قبل الحكومة"(2).

ولهذا ينبغي ألا نبالغ في المكانة التي نتخيل أن الدراسات العربية قد نالَتها في بريطانيا، بل إن تأثير هذه الدراسات كان ضعيفاً في مجال التواصل بين الشرق والغرب، فنحن لا نرى في العصر الحديث مثلاً تفهّماً أو تقبُّلاً للعالم الإسلامي بما يوازي ماضي الأوربيين في الاهتمام بالعربية. على أننا لا نغفل أن هذا الجهد البحثي والعلمي ـ على كل حال ـ جهد محمود من تلك الأمم في سعيها إلى معرفة الآخر؛ وإن ساءت نواياها في بعض الأحيان.

(1) الطيباوي، عبد اللطيف (1991). **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية** ترجمة: قاسم السامرائي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود، إدارة الثقافة والنشر. الملحق الثالث (ص167–174) بعنوان: تدريس اللغة العربية في كمبردج. ص174. والتشديد من عندي.

(2) حوراني، ألبرت (1994)، **الإسلام في الفكر الأوربي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع. ص 10. والتشديد من عندي.

الفصل الثاني:

دوافع عناية المستشرقين والباحثين البريطانيين بالتراث الأندلسي

المبحث الأول: إرهاصات نشأة الدراسات الأندلسية في أوربا

لم يحظَ التراث الأندلسي بمجالاته المتعددة التاريخية والأدبية بعناية خاصة من قِبَل المهتمّين بالدراسات العربية في بريطانيا؛ فقد كانت تلك الجهود قد أولت عنايتها للدراسات الإسلامية والقرآنية واللغوية المحضة أكثر من غيرها؛ لأنها لم تستطع الفكاك من هيمنة الدوافع الدينية التي أثّرت في مسيرتها، كما لم تكن الدراسات الأندلسية نفسُها قد شقّت لها طريقاً مميزاً بعدُ في ميدان الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، فتعريف الاستشراق نفسه المأخوذ من جهة الشرق، جغرافياً[1]؛ ربما جعل المهتمين بالدراسات العربية لا ينظرون إلى الأندلس على أنها شرق فلم يلتفتوا إليها جدياً.

وحتى في إسبانيا نفسها؛ مهد الإرث الأندلسي المخطوط وموطنه، فإنها منذ استعادة السيطرة الإسبانية على غرناطة سنة 1492 حاول أهلُها بمختلف السبُل الانقطاع عن حقبة الحكم الإسلامي، واجتهدوا في التضييق على بقايا المسلمين في الأندلس. « وكان الكتّاب الإسبان أنفسهم ـ تحملهم نزعة الدين والجنس ـ يُعرِضون عن كل بحث وتنقيب في.. المصادر [العربية]، التي تلقي أكبر ضوء على تاريخ إسبانيا المسلمة وحضارتها في العصور الوسطى، ويكتفون في كتابة هذه المرحلة الطويلة من تاريخ بلادهم بالرجوع إلى المصادر الإسبانية التي تفيض بالتحامل والتعصب...ولم تفكر [إسبانيا] في تنظيم تراث الأندلس الفكري والتعريف به، قبل أواسط القرن الثامن عشر »[2].

وهكذا كانت الدراسات العربية متوقفة في إسبانيا نفسها ـ وهي مهد التراث الأندلسي ـ في العصور الوسطى إلا من بضع محاولات في تعليم اللغة العربية ووضع معجم عربي ـ إسباني أوائل القرن السادس عشر[3]، ولم تكن تلك المحاولات في الحقيقة اهتماماً بدراسة

(1) Arberry, A. J. (1943), ***British Orientalists***, London: William Collins. P.8.

(2) عنان، محمد عبدالله (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الرابع، ص504–505.

(3) وهو المعجم الذي وضعه سنة 1505 الراهب بدرو دي ألكالا Pedro de Alcala (ق16) بعنوان *Arte para ligeramente saber la lengua araviga*، وهو أول كتاب بالإسبانية في تعليم اللغة العربية، وكان الهدف منه دينياً وسياسياً، لذا فإن المؤلف اعتنى فيه بالحديث عن العامية الأندلسية الدارجة لأهل غرناطة التي سيحتاج إليها القساوسة في محاولة تنصير المسلمين الباقين بعد تسليم المدينة، وضمّنه مجموعة من النصوص الدينية المسيحية ومعجماً لمعاني الكلمات العربية الغرناطية بالإسبانية. ينظر:

Monroe, James. T. (1970), **Islam and the Arabs in Spanish Scholarship (Sixteenth century to the=**

التراث الأندلسي بقدر ما كانت موجَّهةً لمساعدة القساوسة على التبشير بين صفوف المسلمين في غرناطة الذين فُرض عليهم التنصير القسري.

لكن محاولات الإسبان في التعتيم على القرون التي كانت فيها إسبانيا إسلاميةً عربية؛ طفقت تتراجع حين أخذت رياحُ التنوير تعمّ أوربا في القرن الثامن عشر، « فبدأت طائفة من المفكرين الإسبان المتحررين تدعو إلى إعادة النظر في تاريخ بلادهم على نحوٍ أكثر تجرداً وإنصافاً، وهكذا بدأ الاهتمام بالحضارة الأندلسية وإحياء تراثها، وكان من مظاهر ذلك استدعاء الملك كارلوس الثالث الراهبَ اللبناني ميخائيل الغزيري في سنة 1749 من أجل فهرسة المخطوطات العربية في مكتبة الإسكوريال، وكانت هذه الفهرسة التي صدرت باللاتينية بين سنتَي 1760–1770 منطلقاً للاهتمام بالتراث الثقافي الأندلسي »[1] لدى المستشرقين في الدول الأوربية المختلفة[2].

وقد نُشر «الجزء الأول من هذا الفهرس باللاتينية بعنوان (**المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال**)، وصدّره الغزيري (ت1791) بمقدمة طويلة تحدث فيها عن قيمة المخطوطات العربية التي تضمها الإسكوريال وأهميتها، وقسّم هذه الآثار إلى عدة فنون... وتبلغ محتويات الجزء الأول من الفهرس 1628 مجلداً. وفي سنة 1770 ظهر الجزء الثاني من الفهرس محتوياً على كتب الجغرافيا والتاريخ منتهياً برقم 1851، وهو جملة ما أثبته الغزيري في فهرسه»[3].

Present). Leiden: E. J. Brill. Introduction, P.6.

وبالعربية، ينظر: فوك، يوهان (2006)، **الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين**، (ط1)، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، القاهرة: زهراء الشرق. ص107–114.

(1) مكي، محمود علي (مترجم)، (1999): **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة. ص6–7 مقدمة المترجم.

(2) كان أول فهرس للمخطوطات العربية في الإسكوريال قد أنجزه قبل ذلك، في السنوات بين 1573–1574 ألونسو ديل كاستيلو Alonso del Castillo (توفي بين 1607–1610)، ولكن الفهرس لم ينشر، وكان يحتوي فقط على عناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها ومواضيعها، وبقي هو الفهرس الوحيد لمقتنيات الإسكوريال حتى ظهور فهرس الغزيري في القرن الثامن عشر. ينظر:

Monroe, James. T. (1970), ***Islam and the Arabs in Spanish Scholarship***. Pp.12 and p. 14.

(3) عنان، محمد عبدالله (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع**، ص505.

وهكذا أصبح فهرس الغزيري لمخطوطات مكتبة الإسكوريال أساساً للدراسات الأندلسية(1) التي قامت فيما بعد في أنحاء أوربا، واتخذت مشارب شتى: من ترجمات لبعض المختارات الشعرية العربية، أو البحث في الصلة بين الأدب الأندلسي والآداب الأوربية الناشئة، أو البحث في آثار مدنيّة المسلمين في إسبانيا...وغيرها من الأسئلة التي أثارتها معرفةُ الأوربيين ووعيهم بالوجود الإسلامي في إسبانيا.

المبحث الثاني: الاهتمام بالتراث الأندلسي في بريطانيا قبل القرن التاسع عشر

لم تتنبّه إنجلترا للتراث الأندلسي إلا بعد ابتداء الدراسات الأندلسية في بعض الدول الأوربية، التي كان لفهرس ميخائيل الغزيري أثر كبير في انبثاقها ونشأتها، ومع وجود بعض النصوص الأندلسية التي نشرها المستشرقون الإنجليز؛ وترجموها منذ وقت مبكر؛ فإن عنايتهم بها كانت غير موجَّهة بوعي تجاه الدراسات الأندلسية والتراث الأندلسي بصفته تراثاً مميزاً ضمن التراث العربي.

ومع أننا يمكن أن نعدَّ فهرس الغزيري لمخطوطات الإسكوريال في القرن الثامن عشر أول عمل يؤسِّس للدراسات الأندلسية في أوربا، فإنه تجدر الإشارة إلى أنّ أول نص مأخوذ من كتابٍ أندلسي يُسَجَّل في بريطانيا ـ وإن لم يُقصَد به حينها الاهتمام بالتراث الأندلسي ـ كان فقرةً أوردها إدوارد بوكوك الأب في كتابه (**لُمَع من تاريخ العرب**)، وتلك الفقرة مقتبَسَة من كتاب صاعد الأندلسي (ت462هـ) (طبقات الأمم)(2).

(1) وهناك فهرس آخر للمخطوطات العربية في الإسكوريال قام بإنجازه الفرنسي ديرينبورغ في أثناء زيارةٍ له لإسبانيا سنة 1880، وهو:

Hartwig Derenbourg (1903), ***Les Manuscrits Arabes De L`Escurial***. Paris: Ernest Leroux, Editeur.

وينظر أيضاً: العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**، ج2، ص175–176.

(2) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus, Al Qantara, 13 (2), P.426.

وكان بوكوك قد نشر كتابه (**لمع من تاريخ العرب**) باللاتينية (وبعض الفقرات فيه باللغة العربية) في أواخر سنة 1649 في أكسفورد، ويتضمن الكتاب مقالات في الأدب العربي والعلوم والتاريخ والدين الإسلامي، اعتمد فيه على أكثر من مئة مخطوطة عربية غير منشورة وغير معروفة، ونُشرت منه طبعة ثانية محققة سنة 1806، وهو أيضاً ذو مكانة في تاريخ الطباعة؛ إذ كان من أول الكتب التي ظهرت فيها الحروف العربية مطبوعة في مطبعة جامعة أكسفورد. ينظر:

ويمكن القول: إن أول النصوص العربية الأندلسية المنشورة في أوربا كان في إنجلترا قبل غيرها من الدول الأوربية، ألا وهو نصّ الرسالة الفلسفية (**حي بن يقظان**) للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (581هـ)، التي نشرها في أكسفورد المستشرقُ الإنجليزي إدوارد بوكوك الابن (ت1726) بنصِّها العربي في القرن السابع عشر مترافقاً مع ترجمة لاتينية سنة 1671 (1).

ثم ترجم راهبُ الكويكرز(2) جورج كيث (1716) النص اللاتيني للرسالة إلى الإنجليزية(3) في سنة 1674، وكانت طبعته ملأى بالشروح والحواشي والتعليقات التي

G. J. Toomer, 'Pococke, Edward (1604–1691)', ***Oxford Dictionary of National Biography,*** Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/22430, accessed 14 May 2008].

(1) وكان عنوان الترجمة باللاتينية ل(حي بن يقظان)، الذي يعني «الفيلسوف المعلم نفسه بنفسه»، هو:

Philosophus Autodidactus sive Epistola Abi Jaafar Ebn Tophail de Hai ebn Yokdhan in qua Ostenditur quomodo ex inferiorum contemplatione ad Superiorum notitiam Ratio humana ascenere posit, (Oxford: A. Hall. Academiae Typographus, 1671).

ينظر الحاشية (1)، ص 254 في:

Russell, G. A. (1994), The Impact of the Philosophus Autodidactus: Pocockes, John Locke and the Society of Friends

وكانت (حي بن يقظان) قد ترجمها إلى اللاتينية الإيطالي جيوفاني بيكو دي لا ميراندولا Pico de la Mirandola (ت1494) في نهاية القرن الخامس عشر. ينظر: مكي، الطاهر أحمد (1990)، **الأدب الأندلسي من منظور إسباني**، (ط1)، القاهرة: مكتبة الآداب. ص253.

(2) جماعة الكويكرز (Quakers) جمعية الأصحاب الدينية، تأسست في إنجلترا في القرن السابع عشر كهيئة دينية مسيحية، أسسها جورج فوكس (1624–1691) وجماعة من الناس لم يكونوا مكتفين بالهيئات الدينية الموجودة للطوائف المسيحية. أما المضمون الرئيسي لأفكارهم فهو النور الداخلي في الإنسان، الذي يمكّن أعضاء الكويكرز من أن يطوروا مفاهيمهم الدينية الخاصة وإن كانت مجتمعة من اعتقادات دينية عدة، ويعدون طريقتهم تعبيراً بطريقة مختلفة عن معرفة الله، وقد اتخذوا في مرحلة مبكرة من (حي بن يقظان) "دستوراً" لهم.

للتفاصيل ينظر: مادة فوكسFox, Goerge في: ***Oxford Dictionary of National Biography*** (مجلد 7، ط. 1993، ص 557–562).

(3) وكانت بعنوان:

An Account of the Oriental Pohilosophy Shewing the Wisdom of some Renaumed Mer of the East. And Particularly the Profound Wisdom of Hai Ben Yakdhan Both in Matural and Devine Things, which he attained with out all converse with men.

نقلاً عن: صالح، مدني (1981)، من ابن طفيل إلى دانيال دوفو، **آفاق عربية**، مج 6(5–8): ص174.

تحمل روح الكويكرز[1] الذين اهتموا بالرسالة حتى كانت دستوراً لهم في وقت من الأوقات[2]. ثم ترجمها من اللاتينية أيضاً إلى الإنجليزية مرة أخرى، جورج أشويل (1694) وكانت بعنوان **تاريخ (حي بن يقظان) الأمير الهندي** سنة 1686 [3]. وقد وصف ابن طفيل فيها الدين الطبيعي قبل أن تعرف أوربا هذه الفكرة. ثم ترجم سايمون أوكلي رسالة **(حي بن يقظان)** كاملة عن النص العربي إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها في لندن سنة 1708 [4].

ولكن لم تكن عناية بوكوك الابن بترجمة **(حي بن يقظان)** نابعة من كونها تمثل نصاً أندلسياً متميزاً، بل إن كلَّ ما في الأمر هو أن والده المستشرق إدوارد بوكوك الأب كان قد جلب مخطوط الرسالة مع مجموعة من المخطوطات أحضرها من حلب في أثناء رحلاته إلى المشرق، فاعتنى بدراستها ليس لأنها من الأندلس « إسبانيا الإسلامية»؛ بل لأهمية مضمونها بالدرجة الأولى؛ ألا وهو العلاقة بين العقل والدين، وهو الموضوع الذي كان مثار اهتمامٍ في أوربا آنذاك إبّان حركة الإصلاح الديني البروتستانتي؛ والاعتقاد الجديد أن « المعرفةً عن الألوهية يجِب ألا تكون قائمة على أساس التفسيرات التي يقدمها مجموعة من الكهنة فقط، بل يستطيع كل مؤمن الوصول إلى المعرفة الإلهية بنفسه ... وباستعمال العقل»[5]؛ وبذلك كان دعاةُ الإصلاح الديني يحاولون التشكيك في «سلطة الكنيسة المطلقة» في تفسيرها للكتاب المقدس بإعلاء شأن العقل البشري مقابل الوحي. لذا لم يتمكن بوكوك الأب من نشر الرسالة الفلسفية لابن طفيل ـ وهو الذي بدأ بترجمة مقاطع منها إلى الإنجليزية منذ عام 1645، لكنه لم ينشرها، ولم يُشِر إلى تلك الترجمة في المقدمة التي صدَّر بها **(حي بن يقظان)** التي نشرها ابنُه إدوارد بوكوك الابن[6] ـ إلا حين أصبحت الأجواء

(1) Arberry, A.J. (1960), ***Oriental Essays: Portraits of Seven Scholars***. P. 21.

(2) ينظر: صالح، مدني (1973)، ابن طفيل من اللاهوت إلى الرواية الإنجليزية، **الأقلام** (بغداد)، 9 (1)، ص6-7.

(3) وكانت بعنوان: تاريخ (حي بن يقظان) الأمير الهندي: الفيلسوف المعلم نفسه. ينظر الكتاب بالإنجليزية:

George Ashwell: ***The Hitory of Hai Eb`n Yockdan An Indian Prince: or The Self – Taught Philosopher.*** (London, 1686).

(4) وكانت بعنوان « ارتقاء العقل البشري،» يُنظَر الكتاب بالإنجليزية:

Ockley, Simon (Tr.) (1708), ***The Improvement of Human Reason Exhibited in the Life of Hai Ebn Yokdhan***, Translated from the original Arabick. London: Edm. Powell.

(5) Westseijn, David (2004), Dutch Scholars on Muslim Spain. **Al-Masaq**, 16 (2) p. 206.

(6) Michael, Nahas (1986), (Note) A Translation of Hayy B. Yaqzan By The Elder Edward Pococke=

العامة ملائمة لتقبّل مثل تلك الأفكار، فدفع ابنَه لنشرها تحت إشرافه وربما بمساعدة كبيرة منه، دعت بعضَ الباحثين إلى القول: إنه هو الذي ترجمها، وليس ابنه(1)، وقد قدّم للترجمة بمقدمة مستفيضة كتبها بنفسه.

والأجواء العامة هي أيضاً التي دفعت فيما بعد بسايمون أوكلي إلى ترجمة (**حي بن يقظان**) إلى الإنجليزية؛ مما أتاح لها عدداً أكبر من جمهور القراء، في وقت اتجهت فيه البلادُ الأوربية إلى تعزيز مكانة لغاتها المحلية مقابل اللاتينية التي كانت لغة النخبة الدينية والنخبة المثقفة في أوربا. ولم يكن عمل أوكلي في ترجمة الرسالة كذلك من قبيل العناية بالتراث الأندلسي؛ إذ يبدو أن وجود المسلمين في إسبانيا برمّته لم يكن من الأشياء المعروفة في بلاده؛ وتشير إلى ذلك تعليقات أوكلي وشروحه في حواشي الترجمة لكل ما يتصل ببيئة الأندلس العلمية التي يرد ذكرها في خطبة مؤلف (**حي بن يقظان**)؛ فأوكلي يذكر في الحاشية تفسيراً لمصطلح «الفلاسفة الإسبان،» وهي الترجمة التي يقدمها مقابلاً لـ « أهل الأندلس» الذي استعمله ابن طفيل في النص العربي(2)، ويلفت أوكلي انتباه القارئ الإنجليزي إلى «أن المقصود بهؤلاء الفلاسفة ليس الإسبان، وإنما يُقصَد بهم الفلاسفة المسلمون؛ لأن المسلمين قد حكموا أجزاء كبيرة من إسبانيا منذ سنة710م/91هـ. ومثلما كان التعليم مزدهراً ومنتشراً بين المسلمين الشرقيين؛ فإنه كان أيضاً منتشراً بين المسلمين الغربيين، ومنهم كثيرون مشهورون في طليطلة وأماكن أخرى»(3). فكأني بالمترجم يتوقع أن قرّاء

(1604-1691). **Journal of Arabic Literature**, 16, p.88.

(1) كانت ترجمة (حي بن يقظان) تُنسَب خطأً لبوكوك الأب، ويرجع ذلك إلى أن التمهيد الذي قدّم به بوكوك الأب للكتاب قد أدى إلى هذا الخلط؛ ولا سيّما لدى الفرنسيين الذين عدّوا الكتاب كاملاً من عمل الأب توهماً منهم بسبب المقدمة التي كانت بقلم بوكوك الأب، وقد يُعزى هذا الخلط إلى أن صفحة عنوان ترجمة الكتاب لم توضح أيهما الذي قام بترجمة الكتاب (الأب أم ابنه)؛ لأن لهما الاسم والسمعة الأكاديمية نفسيهما. ينظر:

Russell, G. A. (1994), The Impact of the Philosophus Autodidactus: Pocockes, John Locke and the Society of Friends, p.226, and p.254, no. 8.

(2) وذلك حين يذكر ابن طفيل مصطلح «أهل الأندلس» ويتحدث عن معرفتهم بالفلسفة في الأندلس ويقول: «وأن من نشأ بالأندلس، من أهل الفطرة الفائقة، قبل شيوع علم المنطق والفلسفة فيها، قد قطعوا أعمارهم بعلوم التعاليم، وبلغوا فيها مبلغاً رفيعاً، ولم يقدروا على أكثر من ذلك»، ينظر: زيدان، يوسف (1998)، (**حي بن يقظان**): **النصوص الأربعة ومبدعوها**، مصر: دار الأمين طباعة نشر توزيع. ص164

(3) Ockley, Simon (Tr.) (1708), ***The Improvement of Human Reason Exhibited in the Life of***

الإنجليزية لا يعرفون شيئاً عن الأندلس، وربما لم يسمعوا بالوجود الإسلامي في إسبانيا من قبل، وقد يقع الحديث عنه موقع استغراب في نفوسهم.

وفي نهاية القرن الثامن عشر نصادف كذلك عملاً آخر لأحد المستشرقين الإنجليز يتصل بالتراث الأندلسي وهو الترجمات الشعرية التي قدمها جوزيف كارلايل (1804) أستاذ اللغة العربية في كمبردج، الذي نشر سنة 1796 كتابه (**لمع من الشعر العربي**)، ويحتوي: ستين قصيدة عربية مرفقة بترجماتها الإنجليزية، وتراجم مختصرة لأصحابها.

وكان من بين القصائد المختارة المنشورة في هذا الكتاب بضع قصائد لشعراء أندلسيين، وتعد هذه أول ترجمة إنجليزية معروفة لشعر أندلسي[1]. ولا تمثل الأشعار الأندلسية في الكتاب إلا جزءاً يسيراً من مجموعه، وهي ليست غرضه الأساسي؛ وقد اعتمد كارلايل فيها على فهرس الغزيري لمخطوطات مكتبة الإسكوريال، الذي كان له دور مهم في انبثاق الدراسات الأندلسية في أوربا والعناية بالتراث الأندلسي؛ لأن الغزيري في فهرسه لمخطوطات الإسكوريال كان يعمد إلى التعريف بالمخطوط وموضوعه ومؤلفه، ويورِد بعضَ مختارات منه، فاختار كارلايل من فهرس الغزيري بعض القصائد الأندلسية، واقتبس من تعليقاته على المخطوطات العربية في الإسكوريال.

ولم يكن التراث الأندلسي بصفة عامة موضوعاً مميزاً للدراسة أو العناية لدى المستشرقين المهتمين بالدراسات العربية في إنجلترا حتى مطلع القرن التاسع عشر، وكانت النصوص الأندلسية القليلة التي نشَرَها الإنجليز - على ريادتها هذا الأفق - في سياقٍ لا ينتظمه منهج محدد لتناول التراث الأندلسي والاعتناء به اعتناءً مقصوداً واعياً؛ ولا غرابةً في ذلك فالدراسات العربية والإسلامية نفسُها لم تكن هي الأخرى حتى ذلك الحين تخصصاً علمياً

HaiEbn Yokdhan, Translated from the original Arabick. London: Edm. Powell. P. 14.

(1) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. **Al-Masaq**, 16 (2). p. 200.

وينظر الكتاب نفسُه (الذي تقع فيه النصوص العربية في الصفحات من 1–71، تليها الترجمة الإنجليزية والتعليق عليها في الصفحات بترقيم جديد من صفحة 1–180):

Carlyle, J. D. (1796), ***Specimens of Arabian Poetry, from the Earliest Time to the Extinction of the Khaliphat, with some account of the authors.*** Cambridge: John Burgs.

مستقلاً، وإنما كانت تُدرَج في تيار الاستشراق التقليدي الذي يربط دراسة اللغة العربية بالدراسات التوراتية إلى حد كبير، فاللغة العربية كانت لا تزال تُدرَس بصفتها تابعةً لدراسة اللغة العبرية أو على أنها إحدى اللغات السامية المُعِينَة في تفسير الكتاب المقدس. قبل أن يصبح للاستشراق في القرن التاسع عشر ـ بتطور العلوم الاجتماعية ومناهجها الجديدة وبالظروف السياسية المستجدة ـ صفتُه العلمية وأصولُه وتقاليدُه التي من أجلها عُدَّ ذلك القرن المولد الرسمي للاستشراق.

وعند النظر في تلك النصوص الأندلسية القليلة التي نُشِرت وتُرجِمَت في إنجلترا حينذاك؛ نجد أن التوجه للعناية بتلك الأعمال ـ التي لم يُقصَد بها دراسة التراث الأندلسي ـ كان في الغالب؛ لأنها كانت من المواد المتوافرة بين أيدي المستشرقين من المخطوطات والكتب الشرقية مما تيسَّر وصولُه إلى أيديهم إبّان السعي إلى جمع المخطوطات الشرقية ومنها العربية، التي كانت هدفاً للمستشرقين وأعوانهم ممن زاروا الشرق. وهي منسجمة أيضاً مع ما امتازت به أعمال الاستشراق التقليدي في مراحله الأولى التي كان المستشرقون فيها يسعون إلى نشر ما أمكنهم من النصوص باللغات الشرقية، وفق المنهج التاريخي والفيلولوجي، وحشد الروايات العديدة حول الحوادث التاريخية، دون اهتمام يُذكر بدراسةٍ تحليلية تتجاوز النص من حيث ضبطه وتوثيقه وتحقيقه.

كما أن هذين العملين ـ وهما (حي بن يقظان) وبعض المقطوعات الشعرية الأندلسية التي ترجمها كارلايل ـ إلى جانب الملحوظات التي ذكر فيها كلوستون إشارات بسيطة عن الأندلس ـ في كتابه الذي أعاد فيه تحقيق كتاب كارلايل[1] ـ لا نجد بينها رابطاً يجمعها على صعيد واحدٍ متنام في ميدان البحث العلمي؛ إلا أنها مما تيسّر وجوده من المخطوطات أمام الباحثين الإنجليز في دراساتهم الشرقية واهتمامهم بالأدب العربي

(1) أعاد كلوستون نشر كتاب كارلايل في كتاب نشره سنة 1881 بعنوان (**الشعر العربي للقارئ الإنجليزي**) وأضاف في المقدمة بعض التعليقات حول الأندلس. ينظر:

Clouston, W. A. (1986), ***Arabian Poetry for English Readers.*** London: DARF Publishers Limited. (First published 1881).

الإسلامي؛ إذ لم يشكّلا دافعاً إلى مزيدٍ من البحث والتنقيب لدى المستشرقين هناك، وكان حُقَّ لهم لو تابعوا التنقيب في هذا الميدان أن تكون لهم الريادة الحقيقية في ميدان الدراسات الأندلسية في أوربا، وربما حتى على الإسبان أنفسهم، ولا يغيب عن البال أن المصالح الاستعمارية إبان القرن التاسع عشر في مناطق بعينها في الشرق كان لها ـ فيما أرى ـ دور بارز في توجيه الدراسات الشرقية في الدول الأوربية توجيهاً معيناً، يتضح ذلك لدى الإنجليز والفرنسيين خاصة، فكان أن تخصَّص علماءُ كلِّ بلد منهما بدراسة البلاد التي تقع ضمن دائرة مطامعهما الاستعمارية ونفوذهما السياسي، في وقت لم يستطع فيه الاستشراق أن ينفصل عن الدوافع الاستعمارية والسياسية. وهكذا لم تكن عناية البريطانيين بنشر تلك النصوص الأندلسية تسير ضمن خطة واضحة المعالم أو في سبيل هدف محدد تصبو إليه لتأصيل ميدان الدراسات الأندلسية.

المبحث الثالث: الدراسات الأندلسية في بريطانيا في القرن التاسع عشر

ما إن أطل القرن التاسع عشر حتى كانت قد ابتدأت بعضُ الكتابات الأدبية الرومانسية بالظهور باللغة الإنجليزية عن (إسبانيا الإسلامية) التي بدت كما لو أنها اكتشاف مدهش مفاجئ بكل المقاييس للقارئ الأوربي. ويشغل القرنُ التاسعَ عشرَ موقعاً خاصاً في تاريخ الدراسات الأندلسية في أوربا؛ ففيه ابتدأت هذه الدراساتُ مسيرتها الحقيقية بعد ما يمكن تسميته الخطوة الأولى في إرساء أسس هذا التخصص، الذي قام مبتدَأ أمره على فهرس الغزيري للمخطوطات العربية في الإسكوريال.

لقد توافرت في القرن التاسع عشر مجموعةٌ من العوامل خارج بريطانيا دفعت لقيام الدراسات الأندلسية فيها والبدء بنشر الدراسات عن الأندلس، هذا مع الإشارة إلى أن المستشرقين الإنجليز في هذا القرن لم يكن لديهم نشاط مميز يجاري نشاط نظرائهم الأوربيين تجاه دراسة النصوص الأندلسية إلا على نطاق ضيق. ونُجمِل الحديث عنها في المجالات الآتية:

1) نشاط الاستشراق الأوربي في ميدان الدراسات الأندلسية.
2) الرومانسية وأدب الرحلات.
3) تحقيق النصوص الأندلسية ونشرها.

1) نشاط الاستشراق الأوربي في الدراسات الأندلسية:

أرادت إسبانيا اللحاقَ بالدول الأوربية في ميدان الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية، التي كانت قد توقفت فيها تقريباً منذ الاستيلاء على غرناطة، فتعزّزت دراسة اللغة العربية في القرن الثامن عشر بتأثير حركة التنوير؛ وظهر بعض العلماء الإسبان الذين أيّدوا تعليم اللغة العربية التي ستمكّنهم من قراءة المخطوطات التي تملكها إسبانيا...ثم أثمرت عنايتُهم تلك في القرن التاسع عشر زيادةً في عدد المهتمين بالدراسات العربية، وتحقيق عدد جيد من المخطوطات العربية وترجمتها مما كان في حوزة إسبانيا(1).

ونظراً لطبيعة الوجود الإسلامي في إسبانيا في الماضي؛ فإن الاستشراق الإسباني وجّه اهتمامه نحو الدراسات اللغوية والدينية في الأندلس، أكثر من غيرها من المناطق الإسلامية؛ فالاستشراق الإسباني يتميز بأنه يدرس الأندلس بوصفها جزءاً من تاريخ إسبانيا ؛ إذ لم يكن للمطامع الاستعمارية دور في توجيه دراسات المستشرقين الإسبان كما كانت لدى الإنجليز والفرنسيين والهولنديين.

وكان لظهور فهرس مخطوطات مكتبة الإسكوريال، الذي أعدّه ميخائيل الغزيري ونُشِر بين عامَي 1760–1770؛ تأثير مهم في أن ابتدأ الوعي بقيمة التراث الأندلسي، والوعي بقيمة المصادر العربية الإسلامية التي أرّخت لحضارة المسلمين في الأندلس، والكشف عنها وتيسيرها أمام الباحثين والعلماء. وقد كان عملُ الغزيري ذاك نواةً لبعث العناية بالدراسات الأندلسية في أوربا في القرون التالية؛ فقد قام في الفهرس بوصف المخطوطات العربية في الإسكوريال، التي عثر فيها على مادة وافرة حول تاريخ إسبانيا تحت الحكم

(1) Penelas, Mayte (2004), *Hispano-Arabic Studies In The New Millennium: Spain,* **Al-Masaq**, 16 (2) , p 228.

الإسلامي، وأعدَّ قائمة بأسماء الشعراء الأندلسيين؛ وتراجم عديدة ومختصراً لتاريخ الخلفاء في الأندلس على هيئة نصوص مقتبَسة من مصادر أندلسية، وهي معلومات لم تكن معروفة حق المعرفة ولا متداولة بين العلماء من قبل، وتملأ هذه المعلومات صفحات المجلد الثاني من الفهرس[1].

وبعد أن نشر الغزيري فهرس الإسكوريال اتجهت الأنظار للبحث في تلك المجموعة عن الروايات العربية المتصلة بتاريخ إسبانيا الإسلامية، وهي الحقبة التي كانت المصادرُ المسيحية مرجعها الوحيد حتى ذلك الوقت، فأصبح « التنقيب في تراث الآثار الأندلسية والتعريف بها على هذا النحو فتحاً عظيماً في تاريخ إسبانيا المسلمة، وتاريخ الحضارة الإسلامية. وقد كان الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر لا يعرف من هذا التاريخ سوى ما تعرضه الرواية الإسبانية من شذور مشوهة مغرضة، وكانت مئات الحقائق تغمرها حُجُبُ التعصب والتحامل، فجاءت وثائق الإسكوريال تبدد هذه الحجب، وتقدم الأدلة الساطعة على عظمة هذه الصفحة من تاريخ إسبانيا..»[2].

وابتدأ إثر ذلك نشرُ أمهات الكتب الأندلسية من المخطوطات المتوافرة في المكتبات الأوربية، خلال القرن التاسع عشر، وكان لذلك القرن فضلُ إرساء أركان ميدان الدراسات الأندلسية وتنبيه الباحثين في أوربا والعالم على هذا التراث الجليل الذي عانى قروناً من التهميش والتجاهل.

فكان أن تلا ظهورَ فهرس الغزيري نشرُ كتابٍ للأب الإسباني خوان أندريس (ت1817) (**أصول الأدب عامة وتطوراته وحالته الراهنة**) باللغة الإيطالية بين 1782–1799، وهو الكتاب الذي صرّح فيه بأن النهضة الأوربية تدين في منجزاتها العلمية والأدبية للثقافة العربية الأندلسية[3]. وقد أثارت آراؤه تلك ضجة كبرى في حينه، واستنكرها كثيرون، عدّها بعضهم إهانة، واستدعت بحثاً موسعاً لتفنيدها أو تأييدها. وكانت تلك الآراء الشرارةَ التي قدحت زناد الدراسات الأندلسية في إسبانيا وأوربا، فانبرى العلماء لمناقشة آرائه والبحث

(1) فوك، يوهان (2006)، **الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين**، ص227–228؛ بتصرف.
(2) عنان، محمد عبدالله (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع**، ص 507.
(3) ينظر: بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص597.

في أثر التراث العربي في الآداب الأوربية.

وكان للآراء التي قالت بتأثير الأدب العربي في الآداب الأوربية، صدىً في أن بدأت العديدُ من الدراسات عن التاريخ والحضارة العربية الأندلسية ترى النور، وذلك أولاً لدى الإسبان. ففي الربع الأول من القرن التاسع عشر نشر الإسباني خوسيه كوندي (1820) كتابه (**تاريخ السيادة العربية في إسبانيا**) بين عامي 1810–1812، وهو يعد من الكتب الرائدة في موضوعه ومضمونه؛ إذ كان أول كتاب يتحدث عن تاريخ إسبانيا في الحقبة الإسلامية معتمداً على المصادر العربية، وكان كوندي في الكتاب مترجِماً أكثر منه مؤلِّفاً؛ فالكتابُ في حقيقته مختاراتٌ مترجَمة من الكتب العربية، التي أراد منها كوندي لقارئ كتابه أن يشعر كما لو أنه يقرأ كتاباً لمؤلِّف عربي، وليس إسبانيّاً[1]. وهي المصادر التي كان قد جرى التعتيم عليها سابقاً بوسائل شتى، في محاولة من الإسبان قطعَ صلتهم تماماً بالماضي الإسلامي في بلادهم.

وقد لقي كوندي هجوماً شديداً سنة 1849 من الهولندي رينهارت دوزي (ت1883) الذي قال بأن كتابه « ممتلئ بالأخطاء وبالمغالطات التاريخية التي أدّاه إليها عدمُ إلمامه بالعربية إلماماً صادقاً »[2].

«وبالرغم من أن كتاب كوندي يحتوي على كثير من الأخطاء التاريخية، فقد كان أول مجهود غربي من نوعه يعرِض للغرب قضيةَ العرب في إسبانيا من الناحية العربية، وفيه يقف الغرب لأول مرة على وجهات النظر الأندلسية، وخواص النظم والسياسة الإسلامية. ويُبدي كوندي في كثير من المواضع حماسةً في الدفاع عن العرب»[3]. وهو في ذلك يعد ضمن الكتب التي تأثرت بالاتجاه الرومانسي الذي ساد في أوربا في ذلك العصر، وصبغ نظرتهم إلى الماضي الإسباني.

ثم ألف رينهارت دوزي كتابه (**تاريخ مسلمي إسبانيا حتى غزو المرابطين**) ونشره بالفرنسية

---

(1) Conde, J. A. (1854-1855), ***History of the Dominion of the Arabs in Spain,*** Translated from Spanish by Mrs. Jonathan Foster, 3 volumes. London: Henry G. Bohn. p. 18.

(2) حبشي، حسن (مترجم)، (1994)، **المسلمون في الأندلس**، ج1، مقدمة المترجم، ص10.

(3) عنان، محمد عبدالله (1990) **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس**. ص506.

سنة 1861 (1)، واعتمد فيه على المصادر العربية الأندلسية من المخطوطات التي توافرت بين يديه في مكتبات هولندا وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية، مما لم تصل إليه أيدي الباحثين من قبل، فجعله ذلك يتبوأ مقاماً رفيعاً في ميدان الدراسات الأندلسية. وعندما نُشِر كتابُه لأول مرة لاقى ترحيباً من العلماء؛ لأنه يسد فجوةً كبيرة في مجال البحث العلمي في تاريخ إسبانيا في العصر الإسلامي، ذلك التاريخُ الذي ظل مجهولاً من قبل أوربا بسبب التعتيم الذي مارسته السلطاتُ الإسبانية في سبيل أن تمحو من ذاكرتها الوجود العربي في بلادها.

ويعُدُّ دوزي نفسُه كتابَه «جديداً في الموضوع على الرغم من كتب سابقة مثل كتاب كوندي وغيره؛ لأنه كان يرى أنّ مَن عالج الموضوعَ كان عالةً على كتاب كوندي الذي لا طائل من ورائه لأسباب عديدة... وهو يشير بإعجاب إلى نفسه بأنه قد عاين تقريباً جميع المخطوطات والمصادر الأصلية في موضوعه في مكتبات أوربا»(2)، وهذا مما يمتاز به كتابه في لحظته التاريخية التي نُشِر فيها. كما امتاز كتاب دوزي بأنه قد أقامه على الأسس العلمية التي بدأت ترسخ مع تطور العلوم ومناهج البحث الجديدة في القرن التاسع عشر في أوربا.

وظهر في هذا القرن (القرن التاسع عشر) كذلك كتاب المستشرق الألماني أدولف فريدريتش فون شاك (ت1894) بعنوان (**الشعر والفن العربي في إسبانيا وصقلية**) الذي صدرت طبعته الألمانية الأولى في مجلدين سنة 1865 (3). وتأتي أهمية كتاب فون شاك في أن الهدف الصريح منه ـ بحسب قول مؤلفه ـ أنهم يسمعون عن ازدهار الشعر العربي لدى المسلمين وتأثيره في الشعر الأوربي؛ ولكنهم لا يجدون تفاصيل عن هذا الشعر

(1) *Histoire des Musulmans d`Espange Jusqu`a la Conqueste de () l`Andalusie par les Amoravides*

ترجمه إلى العربية حسن حبشي بعنوان: **المسلمون في الأندلس**، وصدر الجزء الأول منه في القاهرة 1994، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(2) Dozy, Reinhart (1972), ***Spanish Islam: A History of t he Moslems In Spain***. Translated by Francis Griffin Stokes. London: Frank Cass. (First Edition 1913). Author`s Preface, p. xxxv.

(3) ترجمه إلى العربية: الطاهر أحمد مكي بعنوان: **الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**، وصدر الجزء الأول منه في القاهرة عن دار الفكر العربي سنة 1999.

نفسه(1)؛ ولهذا فقد أراد من كتابه أن يسدّ نقصاً في هذا الجانب؛ لأن مثل هذه القضية لا يمكن البتّ فيها إلا حين نعرف الشعر العربي نفسه.

ويُعَدّ كتاب فون شاك من أوائل الكتب التي نشَرَت شعراً أندلسياً معتمداً على مصادر عربية فقط؛ مما قد يعطي الكتاب قيمة مميزة من جهة، وقد يجعله عرضةً للنقص من جهة أخرى؛ بسبب قلة الوثائق ذات الصلة بالموضوع في ذلك الوقت. وكانت محاولته هي الأولى في هذا الميدان؛ لذا فقد يعتريها من الأخطاء ما لا يبرئ المؤلفُ نفسَه منها(2).

وفي سياق الحديث عن العناية بنشر التراث الأندلسي في القرن التاسع عشر في أوربا، فإنه تنبغي الإشارة إلى المستشرق الإسباني باسكال دي جاينجوس (1897) على نحو خاص؛ فقد كان له نشاط مميز في هذا الميدان قدّمه على أرض بريطانيا حين أقام فيها لبعض الوقت؛ ومع أنه مؤسس الاستعراب الإسباني الحديث؛ فإن أحد علماء الإسبانيات البريطانيين - ريتشارد هيتشكوك - يعدّه «بريطانِيّاً بالتبني»(3)؛ لأنه عاش في بريطانيا، وعمل فيها، ونشَر مقالاتٍ كثيرة بالإنجليزية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر عن الأندلس، وعمل في مكتبة المتحف البريطاني، كما يرى هيتشكوك أن حياة جاينجوس تُظهِر بوضوح مدى رغبته في تحرير تاريخ إسبانيا وثقافتها في العصر الأندلسي من التعتيم والتجاهل.

وجاينجوس هذا هو صاحب المساهمة الكبيرة في صدور أول ترجمة بالإنجليزية لكتاب (**نفح الطيب**) للمقري، وقد اختار جاينجوس ترجمة كتاب (**نفح الطيب**) إلى اللغة الإنجليزية لا إلى الإسبانية لغته، فترجَمَه ونشره بين 1840–1843 في لندن تحت عنوان (**تاريخ الأسر الإسلامية الحاكمة في الأندلس**)، وقد أعاد فيه ترتيب (**نفح الطيب**) بأن حذف بعض أجزائه، مثل سيرة ابن الخطيب، وتراجم الأندلسيين الراحلين إلى المشرق، وغيرها مما شعر بأنه سيكون قليل القيمة في إعادة بناء تاريخ الأندلس(4).

(1) شاك، فون (1999)، **الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ج1، القاهرة: دار الفكر العربي. ص8–9.

(2) شاك، فون (1999)، **الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**، ص–12 13.

(3) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. Pp. 199-200.

(4) Monroe, James. T. (1970), *Islam and the Arabs in Spanish Scholarship*. P.74.

وكان جاينجوس نشر العديد من المقالات والدراسات المتصلة بالتراث العربي الأندلسي في (الموسوعة الشعبية) التي صدرت في لندن عن (جمعية نشر المعرفة المفيدة)؛ في تسعة وعشرين مجلداً بين الأعوام 1834–1846، ونشر مقالات أخرى في الدوريات الإنجليزية، منها مقالة عن الموريسكيين نشرها سنة 1838 بعنوان: (اللغة والأدب لدى الموريسكيين)(1)، وهي مقالة ما زالت لها منزلتها الخاصة بعد أكثر من قرن ونصف من الدراسات والبحوث في هذا الموضوع(2).

ويبدو أن الترجمة الإنجليزية التي قدمها جاينجوس لأجزاء من (**نفح الطيب**)، ونشرها سنة 1843 في مجلَّدين؛ لم يكن لها تأثير كبير في القارئ الإنجليزي على الرغم مما تضمنته من حواشٍ وتعليقات وشروحات كثيرة؛ ففي المقام الأول: كان الكتاب متاحاً للمشتركين فقط، وليس لعامة القراء. وثانياً لأن الكتاب كان ثقيل الوزن ومرتفع الثمن، ولم يكن مصمَّماً لمن يرغب من القراء في إحراز معرفة عابرة عن التاريخ الإسباني(3).

وقد يسأل المرء نفسَه أن وجود مثل هذا العلَم في الدراسات الأندلسية في لندن في ذلك الحين لا بد أنه كان مؤثِّراً في تنبيه الإنجليز على الدراسات الأندلسية كما هو متوقع، لكن لم يحصل شيء من هذا؛ إذ لم يكن لوجوده في لندن في تلك السنوات منتصف القرن التاسع عشر أثر يُذكَر في العناية بالدراسات الأندلسية في عالم البحث الإنجليزي(4)، ولا نجد إشارات تدل على تأثيره في توجيه أحدٍ من العلماء والباحثين هناك إلى هذا الميدان الجديد في حينه من الدراسات.

وربما يرجع ذلك إلى أن الدراسات العربية كانت لا تزال مغمورة تحت إطار الدراسات الشرقية، فقد شهد القرن التاسع عشر أوج الصلات (الاستعمارية) البريطانية مع العالم العربي، في المشرق خاصة، ولم تكن لذلك تعوزهم المواضيع الشرقية؛ ليبحثوها

(1) وهي منشورة سنة 1838 في:

The British and Foreign Quarterly Review, Vol. vi, num, xvi. Pp.62.

(2) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus, p. 431.

(3) Hitchcock, Richard (2002), The Conquest of Granada in Nineteenth-century English and American Historiography. In: Collins, Roger (Ed.), ***Medieval Spain: Culture, Conflict and Coexistence***, USA: Palagrave Macmillan. P. 249.

(4) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus, **Al Qantara**, 13 (2). P.430.

ويدرسوها في عالم الاستشراق، وكانت عنايتهم موجهة بالذات إلى المستعمرات الهندية، والبلاد العربية في المشرق العربي، في حين كانت الدراسات الشرقية المتصلة بالأندلس من اختصاص فرنسا وإسبانيا نوعاً ما؛ لارتباطها بمصالحهما الاستعمارية والتوسعية؛ مما يعني أن المخطوطات الأندلسية ستكون متوافرة أكثر بأيدي الفرنسيين والإسبان بحكم ظروف الاحتلال والاستعمار(1).

وبناءً على ما سبق من الوقوف على أهم الكتب المنشورة في أوربا في نصوص التراث الأندلسي والدراسات الأندلسية منذ مطلع القرن التاسع عشر؛ فإننا نلاحظ أن المستشرقين الأوربيين قد سبقوا نظراءهم من الإنجليز في هذا الميدان؛ إلا من بضع محاولات سنأتي على ذكرها في الجزء التالي من هذا الفصل؛ مما يعني أن العلماء الإنجليز والمهتمين بالتراث الأندلسي عامة من الناطقين بالإنجليزية ظلوا يعتمدون في الدراسات الأندلسية على ما أنجزه المستشرقون الأوربيون من تحقيقٍ للنصوص الأندلسية، وعلى المراجع والدراسات التي صُنِّفت في أنحاء أوربا حول التراث الأندلسي.

2) الرومانسية وأدب الرحلات:

كان الذوق الرومانسي السائد في أوربا منذ أواسط القرن الثامن عشر من العوامل التي ساهمت في بعث العناية بالأندلس مطلع القرن التالي؛ فقد جعلت الرومانسيةُ الناسَ أكثر استعداداً لرؤية الجمال في نماذج أخرى غير النماذج الكلاسيكية القديمة التي كانت تستأثر بأذواقهم(2)، وأخذت إسبانيا ـ منذ أواخر القرن الثامن عشر ـ تستقطب اهتماماً من نوع خاص من جانب الأدباء والفنانين الأوربيين؛ ذلك أنه شاعت موجة «المضمون الرومانسي» لإسبانيا نفسها وقصر الحمراء منها على وجه الخصوص(3)، وهو ما كان سائداً من قبلُ في القرن السادس عشر...ثم سادت هذه الموجة من جديد مع بزوغ فجر الآداب المحلية الأوربية ونشر بعض الأعمال الأدبية والكثير من الروايات وكتب الرحالة.... المتأثرة بروح

(1) ينظر تفصيل ذلك في: بنشريفة، محمد (1992)، العناية بتراث الأندلس في المغرب وإسبانيا، ص31.
(2) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus. **Al Qantara**, 13 (2). P. 428.
(3) Buchanan, M.A. (1935), Alhambraism, **Hispanic Review**, 3 (4). P. 269.

الحمراء، حتى أصبحت الحمراء «كعبة الرحالة الرومانسيين»(1)؛ «فقد ابتدأ تقريباً منذ سنة 1770 حتى 1850 العصر الرومانسي للرحلات الأوربية، فكان الرحالةُ متحمسين للاستزادة من الحضارات غير المعروفة لهم، وصاروا يختارون طرقاً جديدة في رحلاتهم ... وراجت الرحلة إلى إسبانيا؛ مما أتاح لهم فرصة نادرة في أن يرى الرحالةُ الآثار العربية إلى جانب الكاتدرائيات»(2).

وقد لاحظ أحد الباحثين أن تلك المدة ـ ابتداء من سبعينيّات القرن الثامن عشر ـ قد شهدت ما يمكن أن يسمى الاستشراق العربي ـ الإسباني(3)، وكانت تلك الظاهرة مرتبطة باهتمام غربي عام بالشرق، وكانت تدور حول الحمراء في غرناطة، وقد يفسَّر ذلك بأنه مجرد إحلال «للصرعة» الإسبانية ـ العربية محل «صرعة» الكلاسيكية الجديدة، أي إنّ نمطاً أدبياً قد أعقب الآخر.

وقد عزّزت الكتاباتُ الأدبية المؤثّرة لواشنطن إيرفنج (1859) ـ الأمريكي ذي الأصل الإنجليزي ـ الوجهَ الرومانسي لإسبانيا؛ مما انعكس في أعمال بعض اللاحقين، وكان منهم على سبيل المثال الإنجليزي ستانلي لين ـ بول (ت1931) الذي يسجل في كتابه المنشور سنة 1887 (**العرب في إسبانيا**)(4) إعجاباً شديداً بالعرب وميلاً إليهم وتعاطفاً، ويسجل أن مدنيّة إسبانيا وحضارتها تعود إلى حكم المسلمين لتلك البلاد.

وكانت الثقافة البريطانية في الحقبة الرومانسية تمتاز بالتطلع والاهتمام بالأشياء المتصلة بإسبانيا، وهي البلد الذي كان حتى بدايات القرن التاسع عشر مجهولاً نوعاً ما للأوربيين ومهمَلاً أحياناً، وشهدت تلك الحقبةُ أيضاً بعض الأعمال لرحالة إنجليز كانوا يزورون إسبانيا، وكتبوا عن الآثار المعمارية والفنون الهندسية الأندلسية، ورسموا مصوَّرات دقيقة للآثار العربية الإسلامية هناك، وتعد أعمالهم ذات فائدة خاصة في لفت الانتباه إلى

---

(1) Ibid, P. 272.

(2) Raquejo, Tonia (1986), The «Arab Cathedrals»: Moorish Architecture as Seen by British Travellers, **The Burlington Magazine**, 28 (1001), p. 556.

(3) Saglia, Diego (2000), ***Poetic Castles in Spain: British Romanticism and Figurations of Iberia***, Amesterdam-Atlanta: Rodopi B.V., p. 254.

(4) ترجمه إلى العربية علي الجارم بعنوان: **قصة العرب في إسبانيا**، صدرت طبعته الأولى 1957 عن دار المعارف بمصر. ولكن تاريخ التقديم للترجمة يحمل سنة 1947.

الأندلس؛ إذ جرت في تلك الأعمال إعادةُ تقييم للآثار العربية التي ازدهرت في الأندلس، فكانت كتابات الرحالة تدور حول قضيةٍ في فن العمارة ـ سنرى لها شبيهاً فيما يتصل بقضية علاقة الأدب الأوربي بالأدب الأندلسي ـ وهي (الأصول العربية للأقواس والقناطر القوطية المدببة والزجاج الملون في الكاتدرائيات)، " وقد كان الرحالة يذهبون بأعداد كبيرة إلى جنوبي إسبانيا بحثاً عن دلائل في الآثار العربية تدعم آراءهم في مصادر العمارة القوطية؛ وكانت الحمراء محط اهتمامهم الأول للبحث عن الأصل العربي للأقواس القوطية"(1).

ومن كتب الرحالة الإنجليز الذين زاروا إسبانيا في القرن الثامن عشر، وكتبوا فيها عن التاريخ الإسلامي للأندلس، كتاب هنري سوينبرن (ت 1803) الذي سافر في إسبانيا خلال عامَي 1775–1776، وكتب في تلك الرحلة كتابه (**رحلات في إسبانيا خلال عامَي 1775 ـ 1776**)(2)، وهو رسائل ويوميات دوّنها المؤلف من القرى والمدن في أثناء زيارته للأراضي الإسبانية، ويضم بعض الرسوم المصورة الدقيقة والممتازة للآثار العربية الإسلامية هناك.

وقد عرض الرحالة الإنجليزي في صفحات كثيرة من كتابه لتاريخ المسلمين في الأندلس خاصة عند زيارته لمدن: غرناطة وبلنسية وإشبيلية وقرطبة. وبهذا فإن الكتاب يعدّ من أوائل الكتب التي تحدثت عن تاريخ المسلمين في إسبانيا من المصادر العربية، فصاحبه هو « أول من عرَّف إنجلترا بالفنون والمباني الأثرية الباقية لسكان إسبانيا القدماء [أي المسلمين]»(3)؛ وربما كان من أسباب أهمية كتاب (**رحلات في إسبانيا**) كذلك أنه نُشر قبل شيوع فهرس الغزيري لمخطوطات الإسكوريال ـ خاصة بين قرّاء اللغة الإنجليزية ـ وإدراك أهميته بين جمهرة الباحثين خارج إسبانيا، ووقوعهم منه على معلومات عن التراث العربي والحضارة الإسلامية في الأندلس، ما كانت معروفة من قبل وما كان يُلتَفَت إليها؛ ولا سيّما أن كتب الرحلة كانت لها سوق رائجة بين القرّاء الأوربيين المتطلعين إلى معرفة بلاد جديدة

(1) Raquejo, Tonia (1986), The “Arab Cathedrals”: Moorish Architecture as Seen by British Travellers. P. 556.
(2) Swinburne. H. (1779), ***Travels Through Spain in The Years 1775-1776***, London: Printed for P. Elmsly.
(3) J. E. Thurgood, ‘Swinburne, Henry (1743–1803)’, Oxford ***Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com/view/article/26837, accessed 17 Oct 2008]

غير مألوفة، ومنها إسبانيا التي كانت بالنسبة إلى الأوربيين عالماً مختلفاً.

وينسب المؤلفُ في الكتاب الكثير من أنظمة الري والزراعة بإعجاب إلى أصحابها من المسلمين الذين كانوا قد أتقنوها، كما أنه في سياق وصفه للمدن الأندلسية كان يستعين بمصادر عربية مخطوطة لم يذكر عناوينها، وربما يكون (**نفح الطيب**) أحدها، ولكنه حين يُنهي حديثه عن الجانب المشرق من صورة إسبانيا ينبِّه (الزائرَ المستقبلي) لهذه البلاد على أن النظافة والاتساع وكثرة البيوت والعمران التي يتحدث عنها في الكتاب؛ لم تعد موجودة في المدن الإسبانية في هذا الزمان بعد رحيل المسلمين، فعليه ألا يفاجأ من ذلك[1].

ومن ميزات الكتاب فيما يتصل بالتأريخ الأندلسي أن المؤلف كان قد اعتمد مصادر عربية أندلسية اطلع عليها هناك للحديث عن تاريخ المسلمين في إسبانيا، وإن كان لسوء حظنا لم يذكر ـ إلا نادراً ـ أسماء تلك المصادر، أو معلومات كافية عن مؤلفيها. فقد كان يترجم بعض النصوص العربية المقتبسة والمنقولة منها في بيان رِفعة شأن الحضارة الإسلامية هناك. ففي حديثه مثلاً عن قرطبة يتحدث عنها أيام ازدهارها تحت حكم الأمويين فيقصُّ على القراء شيئاً من تاريخهم[2]، كما أن في الكتاب جانباً توثيقياً مهماً في ذِكره بعض الحوادث التي تخص الموريسكيين في مرحلة متأخرة بعد قرارات الطرد[3].

وكانت كتبُ الرحالة الإنجليز عادة ما تتضمن رسوماً تسجيلية دقيقة وتفصيلية ـ قبل اختراع «قمرات» التصوير ـ للآثار الإسلامية التي يزورونها في إسبانيا، ومقدمات تعريفية

---

(1) Swinburne. H. (1779), ***Travels Through Spain***, p, 93.

ففي زيارة لمدينة بلنسية يذكر المؤلفُ " أن المهارات القليلة الباقية في إسبانيا في الري والزراعة ليست إلا التقاليد البّاقية من تعاليم أساتذتهم في الزراعة؛ وهم العرب". ويُنظر صفحة 168 حديث المؤلف عن مدينة غرناطة بقوله: إن " أمجاد غرناطة قد انتهت مع سكانها القدماء [المسلمين]، فشوارعها الآن ملأى بالغبار والأتربة، وتجارتها انتهت..". ويُنظر صفحة 264 التي يصف فيها قذارة شوارع إشبيلية في الوقت الذي زارها فيه.

(2) Swinburne. H. (1776), ***Travels Through Spain***...p. 280.

(3) يذكر المؤلف أنه في سنة 1726 حاصرت محكمةُ التفتيش في غرناطة 360 عائلة، واتهمت أفرادها بأنهم مسلمون بالسر، وصادرت أملاكهم، ثم وُزِّعوا فيما بعد في مناطق مختلفة من إسبانيا، وكانوا من أهل التجارة. ينظر الصفحات 168–169 في: ***Travels Through Spain***، Swinburne. H. (1776)

للقارئ الأوربي في تاريخ إسبانيا الإسلامية والوجود العربي فيها(1)، وكانت هذه المقدمات –التي يقدمها غيرُ المتخصصين ـ أقرب إلى دراسات موجزة عن تاريخ الأندلس السياسي والحضاري، ويمكننا أن نضيفها إلى سجلّ تاريخ الدراسات الأندلسية في بريطانيا؛ فقد كان هذا كلُّه جديداً على القارئ الإنجليزي الذي كان ما زال في مطلع القرن التاسع عشر يجهل أشياء كثيرة عن «إسبانيا الإسلامية».

لكن هذه الكتب هي في الوقت نفسه تسجيل انطباعي للواقع والمَشاهِد التي عاينها الرحالة، أكثر منها كتب تأريخ ودراسات علمية مضبوطة ودقيقة منهجياً وإجرائياً، وهي على كل حال لم تكن تبحث موضوع الأندلس على أنه جزء من الدراسات الأندلسية التي يهتم بها العلماء والباحثون في المؤسسات الجامعية البريطانية. كما تغلب على هذه الكتب روحُ التعاطف والإعجاب بالوجود العربي الإسلامي في الأندلس؛ لعوامل عدة، منها: أن الإنجليز لم يكونوا تحت وطأة الهوية القومية والسعي إلى تعزيزها كما كان حال الباحثين الإسبان مثلاً الذين كانوا يدافعون عن هويتهم الإسبانية، بمحاولة الانقطاع عن تراث الماضي الذي كان المسلمون فيه سادةَ شبه الجزيرة الإيبيرية. ومنها أن تلك الكتابات قد جاءت منسجمةً والروحَ الرومانسية للعصر، التي كانت ترى في إسبانيا جاذبيةً من نوع خاص تلبي حاجتهم إلى الغرائبية والروحانية الشرقية.

وربما تعود تلك النبرة المتعاطفة الواضحة في الكتابات الرومانسية للرحالة إلى شهادات العيان التي يقدمها أمثالهم عادة؛ وهي تشبه ما نجده لدى الألماني فون شاك الذي كتب (**الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**) بعد إقامته في إسبانيا لمدة عامين بين 1839–1840 أُخِذ فيها بحضارة العرب والمسلمين هناك؛ فمشاهدة آثار المسلمين في الأندلس بأمّ العين وتلمُّس آثارهم ومعاينتها، كان لها أثر في تكوين رؤية جديدة موضوعية أفضل للوجود الإسلامي على أرض إسبانيا، وقد يُمضي الرحالةُ وقتاً طويلاً نسبياً لعدة شهور أو سنوات في رحلته؛ مما يتيح له المجال لكي تكون رؤيته أكثر دقة من الرحلات الخاطفة، التي

---

(1) وذلك مثالُه في كتاب:

* Murphy, James Cavanah (1813), ***The Arabian Antiquities of Spain***. London: Reprinted in Granada, Turpiana, S.A. 1987.

قد لا تكفي لإعطاء وجهة نظر سديدة، وتعتمد الخيال والصور النمطية السابقة. ويسند تلك النبرةَ المتعاطفةَ في كتابات الرحالة تطورُ مناهج البحوث والعلوم الاجتماعية في أوربا واتجاهها نحو التجربة والمعاينة الحسية، وانعكاسها على الدراسات الإنسانية والجمالية من أجل إعطاء صورة أكثر دقة.

ويمكن لنا أن نلمس أثراً مشابهاً لهذه الظروف في مسيرة الدراسات الاستشراقية فيما بعد في القرن العشرين، إذ أصبحت تلك الدراساتُ ـ بعد تيسُّر سبل المواصلات والإقامة الآمنة في المشرق ـ أكثر موضوعية من ذي قبل إذا خلت من الأغراض والنوايا غير العلمية؛ وإن كانت الأمثلة قليلة جداً على هذا، ولا سيّما مع تنامي روح المركزية الأوربية والنظرة العرقية التي حكمت رؤية المستشرقين عامة في القرن التاسع عشر.

3) تحقيق النصوص الأندلسية ونشرها:

كان القرن التاسع عشر ـ وهو القرن الذي يمثل قمة النشاط الاستشراقي الأوربي في الدراسات العربية الإسلامية عامة ـ قد شهد نشاطاً أوربياً ملحوظاً في ميدان الدراسات الأندلسية، ثم توسعت الدراسات والبحوث، وبدأ التنقيب في مكتبات أوربا عن الوثائق والمصادر الأولية المتصلة بتاريخ إسبانيا في الحقبة الإسلامية، وجدَّ الباحثون في سبيل إخراج هذه المصادر المخطوطة؛ لترى النور، وتصبح تحت تصرف العلماء والمهتمين بالدراسات الأندلسية. وقد ابتدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر حركة نشر كتب أمّات التراث الأندلسي وتحقيقها وترجمتها على أيدي المستشرقين في أوربا .

وإذ لم تكن النصوص الأندلسية من مصادرها الأولى متاحةً أمام الباحثين الأوربيين آنذاك، وهي أساس لا بد منه لنهوض الدراسات الأندلسية؛ فقد كان للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي الفضل في العمل على نشر أول مجموعة من نصوص الكتب الأندلسية القيّمة التي تعد أصول مصادر الدراسات الأندلسية، وكان منها: (**البيان المُغرب**) لابن عذاري المراكشي، و (**المُعجِب**) لعبد الواحد المراكشي، و (**الحُلّة السِّيَراء**) لابن الأبّار وغيرها..؛

لأن دوزي كان يرى أنه لا سبيل لدراسة التاريخ العربي لإسبانيا إلا بعد نشر التراث الأندلسي بعد تحقيقه على نحو علمي. وكان معظم هذا التراث مجهولاً مختزناً في مخطوطات تقبع في مكتبات العالم[1].

وقد واصل المستشرقُ الإسباني ك فرانشيسكو كوديرا زيدان (ت1917) هذا العمل الذي بدأه الهولندي دوزي بنشر المكتبة الأندلسية التي « تتألف من عشرة مجلدات هي: (**الصلة**) لابن بشكوال و(**بغية الملتمس**) للضبي و(**المعجم**) لابن الأبار و(**تاريخ علماء الأندلس**) لابن الفرضي و(**فهرس**) ابن خير، وذلك قبل أن تُطبع في بلداننا [البلاد العربية] بزمن طويل»[2]. وهو ما يتفق والمنهج التاريخي والفيلولوجي في العناية بنشر النصوص وتحقيقها، كالذي دأب عليه الاستشراق التقليدي وبلغ أَوجَه في القرن التاسع عشر.

« ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت هناك ثلاثة أعمال مهمة تتصل بالدراسات الأدبية الأندلسية قد نُشِرت إلى جانب عدد من المصادر الأندلسية، وهي: (ديوان ابن قزمان) (1896)، ودراسة مارتن هارتمان عن الموشحات الأندلسية في كتابه (الموشح) (1897)، وكتاب عن (تراجم المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين)، وكان منهم بعض الشعراء، نشره بونز بويجوس في مدريد (1898)»[3]، وهذه الكتب جميعاً قد وسّعت آفاق الدراسات الأندلسية في أوربا، ولم يكن للبريطانيين فيها من مساهمة إلا فيما يتصل بترجمة بعض المراجع في التراث الأندلسي إلى اللغة الإنجليزية مثل: كتاب كوندي (**السيادة العربية في إسبانيا**) (الترجمة الإنجليزية 1854–1855) ـ الذي يمكن أن نعده من بعض الجوانب ترجمةً لـ (**نفح الطيب**) ـ ومثل كتاب دوزي (**تاريخ مسلمي إسبانيا**) (الترجمة الإنجليزية 1913)، وهما الكتابان اللذان بقيا معتَمَدين للقارئ بالإنجليزية في دراسة عصر السيادة الإسلامية في إسبانيا؛ إذ كانت المكتبة الإنجليزية تفتقر إلى كتب عن هذا الموضوع بلغتها.

ومن البديهي أن تقوم حركة تحقيق النصوص ونشرها على مدى توافر المخطوطات

(1) مكي، محمود علي (مترجم)، (1999)، **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**، مقدمة المترجم، ص 10.
(2) بنشريفة، محمد (1992)، العناية بتراث الأندلس في المغرب وإسبانيا، ص34.
(3) Nykl, A.R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry and It`s Relations With The Old Provencal Troubadours***, Baltimore: J. H. Furst Company, p. xii.

العربية في المكتبات الأوربية، وكان هذا من ثمار جمع المخطوطات الشرقية التي سعى إليها المستشرقون من مختلف البلاد الأوربية خلال قرونٍ سابقة من تاريخ حركة الاستشراق، وجَدُّوا في طلبها بصورة منظمة وكبيرة في القرنَ التاسع عشر؛ مع تنامي السيطرة الاستعمارية على مناطق عدة في العالم العربي والشرقي، واجتهدوا في فهرستها وتصنيفها ووصفها، وعندما ابتدأ أمرُ العناية بالدراسات الأندلسية وجد المستشرقون ضالّتهم في مكتبات بلادهم، فأخذوا يعملون على التنقيب في تلك المكتبات واستخراج الكنوز الأندلسية من ظلمة الرفوف إلى ضياء النشر والطباعة.

وكان لنشاط دوزي المتواصل في الدراسات الأندلسية أثرٌ في أحد المستشرقين الإنجليز؛ وهو وليم رايت (ت1889) الذي يمكن أن يعدّ أول المستشرقين الإنجليز ممن اعتنوا بالنصوص الأندلسية على أسس علمية منهجية حديثة، وكان مثالاً على التعاون الأوربي بين المستشرقين في تحقيق النصوص ونشرها؛ «فقد كان وليم رايت ـ وهو من أم هولندية ـ تلقّى بعض علومه في جامعة ليدن في هولندا، وتتلمذ على دوزي هناك، وعكف على دراسة المخطوطات العربية تحت إشرافه، وقدم أطروحته في تحقيق نص (**رحلة ابن جبير**) للمرة الأولى، ثم عاد إلى بلاده، وتولى منصب أستاذ اللغة العربية في الكلية الجامعية في لندن»[1].

ثم كانت لوليم رايت مشاركة أخرى في الاعتناء بالنصوص الأندلسية في تحقيق كتاب (**نفح الطيب**) للمقري سنة 1855–1860 مع اثنين من المستشرقين، هما: دوجا (ت1894) وكريل (ت1901) بإشراف رينهارت دوزي، الذي بدأ سنة 1852، ونُشِر الكتاب في مجلدين في مدينة ليدن بين 1855–1860 مع مقدمة باللغة الفرنسية بعنوان: (**منتخبات أدبية من تاريخ العرب في إسبانيا وآدابهم**)

وكانت جهود دوزي متوازية مع الدراسات الاستشراقية الأوربية التي بدأت تظهر في القرن التاسع عشر، والتي اشترك فيها العديد من العلماء لتسليط الضوء على تراث الأندلس

(1) G. J. Roper, 'Wright, William (1830–1889)', ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/30069, accessed 4 March 2008].

الحضاري؛ ومنهم جاينجوس الذي قدِم إلى بريطانيا من أجل الحصول على الدعم لنشر ترجمة لكتاب (**نفح الطيب**) للمقري، وحين أقام في لندن كان له دور فعال في الحياة الثقافية البريطانية في تلك المدة، ثم عمل في فهرسة المخطوطات الإسبانية في المتحف البريطاني، وكان من بين تلك المخطوطات النسخة التي اعتمدها لترجمة (**نفح الطيب**) إلى الإنجليزية، ونشرها في لندن سنة 1843. وكان جاينجوس يرى - مثَله في ذلك مثَل دوزي - أنه من أجل معرفة أفضل وأشمل عن السيادة الإسلامية على إسبانيا فإنه يجِب أولاً توفير أكبر قدر من المصادر العربية الأندلسية المهمة المحققة تحقيقاً جيداً.

وهكذا فإن الجهد الاستشراقي الأوربي في القرن التاسع عشر الذي انصبّ على نشر النصوص الأندلسية وتحقيقها وترجمتها إلى اللغات الأوربية(1) قد أينع، وقدّم الأدوات اللازمة للبحث العلمي الذي قام به المهتمون بالدراسات الأندلسية في أوربا، فبدأت دراسات عديدة تظهر في هذا الميدان على أيدي المهتمين في أوربا، وكان من بينهم لاحقاً عددٌ من العلماء في بريطانيا من الذين ساهموا بنصيبٍ جيد في الجدل الأكاديمي والبحث العلمي، الذي أثارته القضايا التي انبثقت نتيجة التنقيب في النصوص الأندلسية.

وفي هذا السياق ظهرت بعض الكتب باللغة الإنجليزية عن إسبانيا، وكان الحديث عادة في هذه الكتب غالباً ما يضطر المؤلف إلى الحديث عن الحقبة الإسلامية من تاريخ إسبانيا، وبذلك بدأت إسبانيا تُقَدَّم للقارئ الإنجليزي في كتب متنوعة المواضيع والمشارب. ومن بين الكتب التي نُشِرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بريطانيا، كتاب الرحالة ريتشارد فورد (**دليل الرحالة في إسبانيا وللقراء في البيت**) المنشور في مجلدين كبيرين سنة 1845، وكتاب شارلوت يونغ (**قصة المسيحيين والمسلمين في إسبانيا**) المنشور سنة 1878، الذي أوضحت فيه بصراحة ما ينمّ على وضع الأندلس لدى القارئ الإنجليزي؛ بله الباحث

(1) ينظر حول الكتب التي نشرها الأوربيون من التراث الأندلسي في القرن التاسع عشر: أشباخ، يوسف (1996)، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج1، ترجمة محمد عبد الله عنان، (ط2)، القاهرة: مكتبة الخانجي. مقدمة المترجم، ص4.

و: دوزي، رينهرت (1995)، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة حسن حبشي، ج3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. قائمة المصادر ص239–246.

المتخصص؛ إذ تعبر عن أنها في عملها هذا تُحيي العناية بموضوع قد أُهمِل طويلاً، وتقول: «إن ثمانمئة سنة من الصراع بين المسلمين والمسيحيين قليلاً ما يُذكر اليوم، وبالضرورة أيضاً فإننا لا نجد ذكراً لتاريخهم ولا لآدابهم ولا لأشعارهم هناك في مؤلَّف واحد»[1]. وهذا القول يعطي دلالة ذات مغزى بأن القارئ الإنجليزي حتى ذلك الحين ـ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ كان لا يزال يجهل الكثير عن إسبانيا المسلمة أو الأندلس. وكان همُّ تلك الكتب في كثير من الأحيان تحوير الروايات التاريخية، ولا سيّما فيما يتصل بسقوط غرناطة؛ من أجل أن تصبح كتاباتُهم ملائمةً لأذواق القراء في تلك الأيام، ومن أجل ذلك سعوا إلى ترجمة ماضي إسبانيا الغامض وإتاحته للعامة الراغبين في ذلك الغموض بشدة؛ لأنهم لم تكن تتوافر بين أيديهم حتى ذلك الوقت إلا الرواية القوطية للحوادث[2].

وقد أعيد في القرن التاسع عشر نشر المختارات الشعرية العربية من كتاب جون كارلايل **(لمع من الشعر العربي)**، ومن ضمنها بعض المقطوعات الأندلسية، في الكتاب الذي جمعه وحرّره كلوستون بعنوان **(الشعر العربي للقارئ الإنجليزي)**[3] المنشور سنة 1881، الذي أعاد فيه المحررُ نشرَ مجموعة من الكتب التي قدمها مستشرقون إنجليز في ترجمات عيون الشعر العربي.

والذي يعنينا من هذا الكتاب هو إشارة المحرر في مقدمة الكتاب في الجزء المتصل بما سماه: الأدب العربي في ظل الخلافة، إلى التأثير العربي في الأدب الأوربي، وذلك برأيه؛ لأن شعراء التروبادور في شماليّ فرنسا وفي البروفنس (جنوبيّ فرنسا) مدينون بشيء كثير إلى الشرق بقصصه العجيبة وشعره الرائع، لأن قصص العرب قد وصلت إلى أدب أوربا منذ عهد مبكر جداً[4]. وهذا يعني أن تلك إشارة متقدمة إلى قضية التأثير العربي في الآداب الأوربية في كتابٍ باللغة الإنجليزية، في وقت لم تكن فيه أعمال الإنجليز تتطرق إلى مثل

(1) Hitchcock, Richard (2002), The Conquest of Granada in Nineteenth-century English and American Historiography. Pp. 249-250.
(2) Hitchcock, Richard (2002), The Conquest of Granada, p. 252.
(3) Clouston, W. A. (1986), ***Arabian Poetry for English Readers***. London: DARF Publishers Limited. (First published 1881).
(4) Clouston, W. A. (1986), Arabian Poetry for English Readers, P.1xxi.

هذه القضايا التي تمس الأندلس[1].

ثم كان من بين الأعمال التي قدمها بعضُ المستشرقين الإنجليز مما يضاف إلى رصيد الدراسات الأندلسية في بريطانيا كتاب ستانلي لين بول (1931) (**العرب في إسبانيا**) الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1887، وهو كتاب يعكس الروح المتعاطفة التي نجدها عند الباحثين من خارج إسبانيا حين يعرضون لدراسة الحضارة الإسلامية في الأندلس، وهو موقف يشيع عند كثير من غير الإسبان ممن درسوا قضية الإسلام في إسبانيا. حتى إننا لنشعر في بعض الأحيان منه باللغة المتعاطفة مع العرب إلى جانب الحقد نوعاً ما على الإسبان، الذين أحالوا الحضارة في إسبانيا إلى اضمحلال وانحدار بعد قضائهم على الوجود الإسلامي هناك[2].

ومع التعاطف الشديد تجاه العرب في إسبانيا الذي يظهر في كتاب (**العرب في إسبانيا**) فإن المؤلف لا يتوانى عن تحذير القارئ بألا يظن أن عمله في الكتاب إنما هو من باب الإعجاب الشديد والتنزيه للعرب الذين حكموا إسبانيا، بل إنه يختم التمهيد للكتاب بقوله: « ولا يظنّن أحد أن هذا الكتاب سيجعلهم يميلون إلى الاستنتاج أن الإسلام هو على جانب الحضارة دوماً، بل عليهم أن ينظروا إلى كتاب آخر في السلسلة نفسها من هذه المنشورات؛ وهو كتاب يحمل عنوان (قصة الأتراك) ليروا ماذا تعني «البربرية الإسلامية»[3] على حد تعبيره.

وهكذا فما إن حلت نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت كثير من المصادر الأندلسية وغيرها من المصادر العربية في التراجم والتاريخ والموسوعات مما يفيد الدراسات الأندلسية؛ قد أصبحت متاحة بين أيدي الباحثين بنشرها أو ترجمتها إلى اللغات الأوربية، وهذه المصادر أساسية ـ بطبيعة الحال ـ في التأصيل للدراسات الأندلسية والبحث فيها؛

(1) أشار الفرنسي دي سلان De Slane (ت1878) في تقديمه لترجمته الإنجليزية لوفيات الأعيان – التي نشرها في باريس بين 1842–1871 – إشارة مبكرة إلى الموشحات وقضية التأثير العربي في الأدب الأوربي، أو التشابه بين الموشحات الأندلسية والشعر الغنائي الأوربي، ينظر المقدمة في:

De Slane, Mag Guckin (1944), ***Ibn Khillikan`s Biographical Dictionary***. Vol. 1. Beirut, Librairie Du Liban. (First published 1842-1871), P. xxxv.

(2) Lane-Poole, Stanley (1984), ***The Moors in Spain***, London: DARF Publishers Limited (First Edition 1887), P. vii +.

(3) Lane-Poole, Stanley (1984), ***The Moors in Spain***, P. xii.

إذ على النصوص الأصيلة يقوم البحث وتكون الدراسات. فبدأت تتضح ملامحُ مميِّزة لتخصص الدراسات الأندلسية في الدوائر العلمية الأوربية، التي نهض بأعبائها مجموعةٌ من المستشرقين المهتمين بالأندلس وتلامذتهم في أوربا.

المبحث الرابع: الدراسات الأندلسية في بريطانيا في القرن العشرين

1) في النصف الأول من القرن العشرين:

يمكن القول: إن الدراسات الأندلسية لم تحظَ باهتمام خاص في بريطانيا قبل حلول القرن العشرين؛ على الرغم من نشر بعض النصوص الأندلسية على يد المستشرقين الإنجليز، ومنها نصوصٌ نُشِرت في بلادهم لأول مرة قبل غيرها من البلاد الأوربية. إذ لا يبدو في بريطانيا حتى بداية القرن العشرين اتجاه نحو الدراسات الأندلسية، والأدبية منها على وجه التحديد، وهي الدراسات التي كانت نمَت وازدهرت في القرن السابق ببعض الأعمال التأسيسية التي قدّمها مستشرقون بريطانيون، وإن كانت تلك الأعمال تبدو مفرَّقة، وليست بذلك الزخم والاستمرار الذي تميزت به أعمال المستشرقين الأوربيين في إسبانيا وفرنسا مثلاً، اللتين ساهمتا بالنصيب الأوفر في ميدان الدراسات الأندلسية في أوربا.

ذلك بأنه حتى النصف الثاني من القرن العشرين ـ ومع إنجازاتٍ متميزة حققها المستشرقون الإنجليز من المهتمين بالدراسات الأندلسية ومن غيرهم ـ فإن وضع هذه الدراسات في بريطانيا سيحتاج إلى عقود تالية أخرى؛ لكي تواكب الدراساتِ المشابهةَ في بلدان أوروبية أخرى، التي عوّل المستشرقون الإنجليز على نتائجها كثيراً حتى استطاعوا شق طريقهم الخاص، ليكونَ لهم فيما بعد دور ملحوظ في عالم الدراسات الأندلسية.

كانت أغلب الكتب الإنجليزية المؤلَّفة حول إسبانيا (الأندلس) في النصف الأول من القرن العشرين متصلة بتاريخ إسبانيا وجوانبَ من نهضتها الحضارية أكثر من البحث في أدبها وثقافتها، وكانت ثمة مساهمات جديدة لكتابة تاريخ جديدٍ لإسبانيا يُقَدَّم للقراء الإنجليز بمنهج آخر ورؤية أخرى غير تلك المتوافرة في الكتبِ التي كانت شائعة ومعتَمَدَة

في السابق؛ وذلك بإيجاد مصادر جديدة تسد الفجوة القائمة في ميدان البحث في تاريخ إسبانيا الإسلامية ـ عصر الموحدين وما بعده من عصور الوجود الإسلامي هناك[1] ـ والسعي إلى نظرة منهجية مختلفة في البحث الأندلسي. ويلاحظ أن تلك الأعمال الإنجليزية القليلة في النصف الأول من القرن العشرين لم تصدر عن مستشرقين نذروا حياتهم لهذا التخصص بالذات ـ مثلما نجد عند الهولندي دوزي مثلاً أو عند معظم المستشرقين الإسبان أو عند الفرنسي ليفي بروفنسال (ت 1956) ـ بل إن الدراسات الأندلسية كانت وجهاً من وجوه الاهتمامات المتعددة للمستشرقين البريطانيين في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، في ترجمة صادقة لمفهوم الاستشراق التقليدي.

ولم يكن في تلك البلاد متخصصون حقيقةً في الدراسات الأندلسية؛ وإنما كانت الدراسات عن موضوع الأندلس تُقَدَّم ضمن الكتب العامة التي تبحث في الحضارة العربية الإسلامية، وتتناول جوانب عديدة منها مثلاً: التاريخ الأدبي للعرب، أو تأثير العرب على حضارة أوربا، فيعرج الباحث في تلك المواضيع على الأندلس في سياق الحديث عن أثر الوجود الإسلامي في وصول بعض المظاهر الحضارية الإسلامية إلى أوربا وانتشارها فيها. ولم نلحظ وجود كتب معمقة في هذا الموضوع بالذات يخصص لها المؤلفون وقتهم وجهدهم؛ بل كانت تلك الكتب والدراسات المقدَّمة قد ذُكِرت فيها الأندلس ضمن الدراسات العامة عن حضارة العرب والمسلمين والأدب العربي والتراث العربي الإسلامي إجمالاً، ولم تكن البحوث الموجهة والمقصودة لموضوع الأندلس دراسات موسعة وافية، أو أن المستشرق قد وقف عليها حياته وأعماله.

وهذا لا يقلل من شأن مجموعة أعمال ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين في بريطانيا، كان منها ترجماتٌ متفرقة لبعض الأشعار الأندلسية، وكتاب صمويل سكوت **(تاريخ الإمبراطورية الإسلامية في أوربا)**[2] الذي يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة، وكتابٌ آخر

(1) وقف دوزي في كتابه **(تاريخ مسلمي إسبانيا)** الذي تحدث فيه عن عصور المسلمين هناك؛ عند عهد ملوك الطوائف، ومصير المعتمد بن عباد ونهايته في الأسر بعد دخول المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين– الأندلس.

(2) Scott, S. P. (1904), ***History of The Morish Empire in Europe,*** 3 vols., Phildelphia and London: J. B. Lippincott Company.

يتعاطف مع حضارة المسلمين في الأندلس لجوزيف ماك كيب (ت 1955) بعنوان (**مدنيّة المسلمين في الأندلس**)[1] نشره سنة 1935.

بيد أن هذه الأعمال لم تكن دوماً من قبيل الجهد العلمي ومن قبيل أنها نشرات علمية محققَّة وفق المنهج الدقيق الذي كان المستشرقون يجهدون أنفسهم من أجل التقيد بأصوله وضوابطه. إذ يطالعنا القرنُ العشرون أولاً سنة 1907 بالمستشرق الكبير رينولد نيكلسون (ت 1945) بكتابه (**التاريخ الأدبي للعرب**) الذي يقدم فيه الخطوطَ العريضة حول الفكر العربي والمؤثرات فيه، وقد حاول المؤلف أن يجعل كتابه في متناول القارئ الأوربي بالشروح الوافية التي لا تزيد على الحد المعقول، واختار لذلك الحديث عن مظاهر من الحياة الأدبية عند العرب ضمن سياقها التاريخي[2].

وفي إطار المواضيع المنتقاة من التاريخ الأدبي للعرب خصص نيكلسون فصلاً للحديث عن العرب في أوربا[3]، عرّج فيه على موجز تاريخ المسلمين في الأندلس، وتحدث عن الشعر الأندلسي منطلقاً من فكرة أن شعر المسلمين في أوربا كان في جوهره واتجاهه تقليداً للشعر المشرقي[4]، ووقف في حديثه عن تاريخ إسبانيا وعصور المسلمين فيها على أهم أعلام الأدب الأندلسي من شعراء وكتّاب، وقدم مختارات شعرية لهم في كل عصر منها.

وتجدر الإشارة إلى أن نيكلسون في كتابه هذا قد اعتمد في الحديث عن أدب العرب في إسبانيا على ما كانت قد قدّمته البلادُ الأخرى (في أوربا وخارجها) من مخطوطات أو مطبوعات يسّرتها بين أيدي الباحثين[5]؛ وكانت عوناً لهم في ارتياد آفاق الدراسات الأندلسية، ولا تظهر من تلك المصادر التي اعتمدها أي أعمال قدمها مستشرقون إنجليز في هذا الميدان باستثناء عمل جاينجوس في ترجمة (**نفح الطيب**)؛ إن جاز لنا أن نعدَّ هذا العمل

(1) ترجمه إلى العربية: الهلالي، محمد تقي الدين (1985)، **مدنيّة المسلمين في إسبانيا**، (ط2)، الرباط: مكتبة المعارف.

(2) Nicholson, Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs,*** Surrey: Curzon Press. (First Published 1907). Preface, pp. ix-x.

(3) المصدر نفسه، الفصل التاسع، من صفحة 405–441.

(4) المصدر نفسه، ص415.

(5) ينظر – لمصادر نيكلسون عن الأندلس – حواشي الفصل التاسع بعنوان: العرب في أوربا، في كتابه: ***Literary History of the Arabs***، وينظر كذلك ص 485 من الكتاب نفسه.

من مساهمات بريطانيا في الدراسات الأندلسية، وكتاب ستانلي لين ـ بول؛ مما يشير إلى محدودية المساهمات الإنجليزية في ميدان الدراسات الأندلسية حتى بداية القرن العشرين. بكلمات أخرى: كان نيكلسون ـ وهو ذو منزلة علمية رفيعة وشأن عظيم في عالم الدراسات العربية الإسلامية على مستوى القارة الأوربية ـ عالةً على غيره من المستشرقين الأوربيين في ميدان الدراسات الأندلسية، ممن أسّسوا لهذا الميدان بنشر مصادر التراث الأندلسي وترجمتها وتأليف العديد من الدراسات والبحوث المتخصصة القائمة على النظر في تلك النصوص.

وربما لا يعد ذلك نقيصة يؤاخَذ عليها المستشرقون والباحثون البريطانيون، لولا أن في الاعتماد على جهود المستشرقين الأوربيين من رواد الدراسات الأندلسية ميلاً إلى التأثر بآراء من سبقهم بحق بعض الجوانب الحضارية الأندلسية، وإعادة إنتاجها وتكرارها غير مرة دونما تمحيص دقيق تتطلبه تلك المواقف، ومما يمثلها الموقف الذي شاع عن الهولندي دوزي فيمن بعده، إذ ينظرون إلى عهد المرابطين في الأندلس بوصفه عهداً أسود، حَجَرَ على الفكر، وضيّق على المعرفة، وصَدَّ عن التذوق والمتعة الجمالية.

وفي بداية القرن العشرين أيضاً صدرت سنة 1911 الترجمة الإنجليزية لديوان (**ترجمان الأشواق**) لابن عربي المتصوف الأندلسي، للمستشرق رينولد نيكلسون، ولا تمثل هذه الترجمةُ ـ على أهميتها ـ ميلاً خاصاً لدى نيكلسون نحو دراسة الأدب الأندلسي؛ وإنما هي جزء من اهتمامه بدراسة الأدب الصوفي والتصوف الإسلامي ضمن الإطار الواسع لتخصصه؛ ألا وهو الدراسات العربية الإسلامية.

وعلى صعيد آخر، خارج أسوار الجامعات وخارج الهيئات العلمية جاء كتاب (**إسبانيا العربية: إضاءة على تاريخها وفنونها**) الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1912 في لندن؛ ساعياً إلى هدف محدد، هو إلقاء الضوء على الغموض الذي يحيط بتاريخ مدينة إشبيلية، ويعي المؤلفان أنهما يقدمان في هذا الكتاب مساهمة ـ ولو مؤقتاً ـ إلى حين تُنشَر المخطوطات الكثيرة المتصلة بإسبانيا التي تمتلئ بها مكتبة الإسكوريال والمكتبات الأوربية الأخرى إلى جانب مكتبات عربية في المغرب ومصر؛ وذلك من أجل ملء الفراغ الكبير في سبيل تجلية

صورة تاريخ إسبانيا المسلمة(1)، هذا وإن اعترفا بأنهما تنقصهما المؤهلات اللازمة لمثل هذا العمل؛ وأهمها معرفة اللغة العربية(2)، التي كانت تعد أداة أساسية في إعداد المستشرقين والمستعربين من ذي قبل، وإعداد كل مَن يتصدى للكتابة عن الحضارة العربية الإسلامية.

ولا يمكننا القول: إن الكتاب مساهمة إنجليزية في دراسة الأدب الأندلسي خاصة؛ بقدر ما يمكننا أن نعده كتاباً في رصيد الدراسات الأندلسية عامة؛ فهو يتناول موضوع فن العمارة الإسلامية: نشوءه وتطوره في مدينة إشبيلية بالتحديد، وكان جزءٌ مهم من العمل الذي قام به المؤلِّفان في الكتاب قائماً على الملاحظة العيانية لقصر إشبيلية في أثناء إقامتهما في إسبانيا لعدة سنوات. كما يعرِض المؤلفان في المقدمة نقداً للمصادر الأندلسية (العربية مثل كتب المقري وابن حيان، أوالكتب الأجنبية المعوَّل عليها لدى القارئ الأوربي الذي يجهل العربية، مثل كتب كوندي وجاينجوس ودوزي).

وفي سنة 1929 في النصف الأول من القرن العشرين ظهر كتاب (**تاريخ الموسيقا العربية حتى القرن الثالث عشر**) لهنري جورج فارمر (ت 1965)، ويستوقفنا هذا الكتاب بصفة خاصة؛ لأنه كان من أوائل الكتب التي اعتنت بإضاءة جوانب من تاريخ النشاط الموسيقي لدى أهل الأندلس، وجوانب من النقاش الدائر على فن الموشحات الأندلسية. ولم يدرس المؤلفُ الموسيقا في الأندلس دراسة منفصلة مستقلة عن السياق الحضاري والتاريخي للدولة العربية الإسلامية، بل ضمن الحقب التاريخية التي قسّم بناءً عليها عصور التاريخ العربي الإسلامي في بلاد الإسلام؛ ووقف عند مظاهر تطور الموسيقا في الأندلس وأعلامها المشهورين من المغنين والمغنيات ودورهم في التطوير الموسيقي هناك؛ في كل فصل من فصول الكتاب. وفي هذه الشذرات المبثوثة في ثنايا الكتاب عن الموسيقا في الأندلس يمكن الوقوف على المعالم البارزة لفن الموسيقا في الأندلس وأشهر أعلامها وأبرز طرائقها ومظاهر أدائها، وما كتب أعلامُها عنها في نظرية الموسيقا وصنعتها. (3)

(1) Whishaw, Bernhard and Ellen M. (1986), ***Arabic Spain Sidelights on her History and Art***. London: DARF Publishers Ltd. (First Published 1912). P.1, Introduction.
(2) Ibid, P. v, Prefatory note.
(3) فتح الله المحامي، جرجيس(مترجم)،(1972). تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي، لهنري جورج فارمر(1929). بيروت، دار مكتبة الحياة

وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين إلى جانب هذه الأعمال غير المتخصصة بالأدب الأندلسي التي تُعَدّ من بدايات البحث في التراث الأندلسي من قبل المستشرقين الإنجليز ـ شهد إعادةَ تحقيق بعض النصوص الأدبية الأندلسية في بريطانيا وترجمة نصوص أندلسية أخرى إلى اللغة الإنجليزية. كان منها:

- إعادة نشر قصة (**حي بن يقظان**) سنة 1904 في ترجمة إنجليزية مختصرة غير محققة بعنوان (**يقظة الروح**).
- ترجمة ديوان (**ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق**) سنة 1911 التي قدمها نيكلسون.
- ترجمة بعض أشعار المعتمد بن عباد في كتاب (**ملك إشبيلية**) سنة 1915.
- تحقيق (**حي بن يقظان**): تحقيق النسخة المطبوعة ـ التي كان ترجمها سايمون أوكلي في 1708 ـ من جديد مع مقدمة مستفيضة بقلم فولتون سنة 1929 .
- ترجمات شعرية لقصائد أندلسية لنيكلسون في كتابه (**ترجمات من الشعر والنثر الشرقيّين**) سنة 1929 .

وسنأتي على تفاصيل هذه الأعمال في الفصول القادمة.

2) في النصف الثاني من القرن العشرين:

وتبدأ هذه المرحلة أواخر النصف الأول من القرن العشرين باكتشاف الخرجات الرومانثية(1)؛ فقد أحدث اكتشافُها في الموشحات العربية الأندلسية ثورة في ميدان الدراسات الأندلسية؛ وكان أول من انتبه إلى وجود الخرجة ـ أي آخر قفل في الموشح، باللغة الرومانسية من بنات اللاتينية، وهي العامية الإسبانية ـ هو الأستاذ مينينديث بيلايو (ت1912) أواخر القرن التاسع عشر، إلا أن تلك الخرجة كانت ملحقة بموشح عبري،

(1) الرومانثية أو الرومانس Romance: "كان اصطلاح (رومانس) في بداية العصور الوسطى يعني اللغات المحلية الجديدة التي تفرعت من اللاتينية، تفريقاً لها عن لغة المعرفة، وهي اللغة اللاتينية نفسها، فقد ظهرت الكلمة في صيغ أفعال شتى بالفرنسية والبروفنسية والألمانية؛ لتفيد الترجمة أو التأليف باللغة المحلية. وأصبح الكتَابُ نفسه يدعى (رومانس) عندما يُكتَب بتلك اللغات، ثم توسع معنى الكلمة؛ ليشمل صفات الأديَب بتلك اللغات؛ تفريقاً عن الأدب اللاتيني أو الكتب المؤلفة باللاتينية". ينظر: لؤلؤة، عبد الواحد (مترجم)، (1983)، **موسوعة المصطلح النقدي**، 3مجلدات، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مج3: ص160.

وليس عربياً لبعض الشعراء اليهود الإسبان المقلِّدين فن التوشيح بالعبرية تقليداً تاماً»[1].

وبقي الأمر على حاله نصف قرن تقريباً إلى أن نَشَر الإنجليزي صمويل شترن (ت1969) في سنة 1948ـ وتلاه الإسباني غرسية غومس (ت1995) في سنة 1952 ـ بعضَ الخرجات الأعجمية في موشحات عربية أندلسية؛ اعتماداً على مخطوط كان قد ظهر حديثاً آنذاك، وهو كتاب (**عدة الجليس ومؤانسة الوزير الرئيس**) الذي يحتوي 358 موشحة، وفيه تقريباً 26 خرجة رومانثية، وكان شترن استطاع أن يفسر بعض الكلمات الغامضة في الموشحات التي لم يستطع العلماء قراءتها من قبل، وبيَّن أنها ألفاظ رومانثية بحروف عربية.

وكان لبحوث شترن وغومس في الموضوع أثر كبير في الدراسات الأندلسية؛ إذ ثار نقاش ساخن حول قضية ذات حساسية خاصة في الأدب الأوربي[2]؛ فما كان يُعتقَد سابقاً أنه بواكير الشعر الغنائي الأوربي باللهجات العامية موجودٌ في الأدب العربي والعبري في الأندلس! ومنذ تلك الاكتشافات تغيّر وضعُ الدراسات الأندلسية في العالم، وبدأت تلاقي عنايةَ كثيرٍ من العلماء من مختلف التخصصات الذين أصبحوا مطالَبين بتعديل وجهات نظرهم في الكثير من الحقائق التي كانت راسخة من قبلُ في دراسة الشعر الغنائي الأوربي بإقرار اكتشاف أصوله غير الغربية.

ونتيجة لذلك ظهر عدد كبير من الدراسات والبحوث المتصلة بالخرجات: قراءتها وتفسيرها، وبيان علاقتها بالشعر الأوربي والأندلسي، وعلاقتها بالأغنيات الشعبية الإسبانية التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي...وغيرها من القضايا، التي ساهم فيها كثير من العلماء من مختلف الدول والتخصصات؛ كما ساهمت الخرجات المكتشفة من جهة أخرى في تقليص الفجوة بين المتخصصين في مجالات عدة: مثل علماء الإسبانيات والمستعربين، وعزّزت لدى علماء الإسبانيات تقدير أهمية الأدب الأندلسي والثقافة الأندلسية ومكانتها في دراسة الحضارة والتاريخ الإسباني. وأصبح يتعين على علماء الإسبانيات النظر من جديد في بعض الآراء المتصلة بالأدب القشتالي في العصور الوسطى لاكتشاف أصوله غير

(1) كورينتي كوردوبا، فيدريكو (1997)، الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة، مجلة **مجمع اللغة العربية**، القاهرة، ع81. ص20

(2) ينظر التفاصيل في الباب الثاني، الفصل الثاني من الكتاب بعنوان: المواضيع الأدبية الأندلسية في دراسات المستشرقين البريطانيين.

الغربية...وشملت إعادةُ النظر أحياناً محاولة إتقان اللغة العربية لدى المتخصصين في مثل تلك الأقسام[1]، من أجل تقييم أدق ورؤية أشمل.

ويمكن أن نعُدَّ اكتشاف شترِن ودراسته عن الخرجات الأعجمية من أبرز الأعمال التي تُحسَب للمستشرقين البريطانيين في القرن العشرين في ميدان الدراسات الأندلسية؛ فقد كان للمقالات التي نشرها في مجلة الأندلس بين عامَي 1948 - 1953 عن الخرجات[2]، أثرٌ كبير في استئناف الجدل - في الغرب بأسره - حول قضايا الشعر الغنائي الأوربي وجوانب تأثير الشعر العربي فيه.

وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين منذ بداياته نشر بعض النصوص الأندلسية في بريطانيا وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، وفي هذا السياق نذكر الترجمة الإنجليزية لـ(**رحلات ابن جبير**) التي قدمها برودهيرست سنة 1952عن النسخة التي نشرها وليم رايت من قبل، والترجمة الإنجليزية الثانية **لـ (طوق الحمامة)** التي نشرها آرثر جون آربري (ت1969) سنة 1953 [3]، وترجمته الإنجليزية لكتاب (**رايات المبرزين وغايات المميزين**) لابن سعيد الأندلسي سنة 1953 [4]. ونشَر يعقوب زكي (جيمس دِكي) (**ديوان ابن شهيد**) بالعربية في القاهرة سنة 1969 ثم الترجمة الإنجليزية سنة 1975.

وإلى جانب نشر هذه النصوص ابتدأت البحوث في بريطانيا تنهض بمواضيع عديدة في الدراسات الأندلسية مع توافر أمّات الكتب الأندلسية، لكنها كانت أقرب إلى البحث

(1) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. Pp. 201-202.

(2) ينظر: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، (ط2)، عبد الحميد شيحة (مترجم)، القاهرة: مكتبة الآداب. قائمة مؤلفات شترن ص322–336، المؤلفات ذات الأرقام التالية: 7، 8، 25، 27، 98، 132.

أو الكتاب بالإنجليزية:

Harvey, L. P. (Ed.), (1974). ***Hispano-Arabic Strophic Poetry, Studies by Samuel Miklos Stern***, Oxford: The Clarendon Press. Bibliography of: S. M. Stern, Complied by J. D. Latham and Helen W. Mitchell.

(3) كان المستشرق التشيكي نيكل A.R. Nykl قد ترجم رسالة (طوق الحمامة) إلى الإنجليزية سنة 1931 ونشرها في باريس، بعنوان:

A Book Containing the Risala Known as the Dove`s Neck-Ring About love and lovers , composed by Abu Muhammad Ali Ibn Hazm al-Andalusi. Translated from the Unique manuscript in the University of Leiden edited by D. K Petrof in 1914, by A. R. Nykl, Paris: Paul Geuthner, 1931.

(4) كان غرسية غومس قد نشر **رايات المبرزين** من قبل في مدريد مع ترجمة إسبانية سنة 1942.

في التاريخ الأندلسي منها إلى الأدب. فظهر كتاب مونتغمري واط وبيير كاكيا **في (تاريخ إسبانيا الإسلامية)** سنة 1965، وتلا هذا الكتاب مجموعة من الدراسات كان منها على سبيل التمثيل[1]: (**الخرجات: دراسة بيبليوغرافية**) قدمها ريتشارد هيتشكوك سنة 1977، والمقالات التي جمعها جون ديريك ليثم (ت2005) في مواضيع تخص الحضارة الأندلسية (من التاريخ واللغة والأدب والحسبة والتجارة وغيرها...) في كتابه (**من الأندلس إلى المغرب**) سنة 1986، ثم كتاب (**الخرجات الرومانسية في الموشحات الأندلسية**) لألن جونز (1933 ـ) سنة 1988....وغيرها. إلى أن نشر ألن جونز في خطوة رائدة ديوان ابن بشري الغرناطي: (**عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس**) سنة 1992 باللغة العربية مع مقدمة باللغة الإنجليزية، وهو الكتاب الذي يحتوي مجموعة من الموشحات الجديدة تُضَمّ إلى ما كان معروفاً منها في المصادر، فكان علامة مميزة في الدراسات الأندلسية في بريطانيا. ثم أتبَعَه بنشر تحقيق جديد لديوان (**جيش التوشيح**) للسان الدين بن الخطيب سنة 1997، وقد نشره باللغة العربية مع مقدمة باللغة الإنجليزية[2]. هذا إلى جانب العديد من الدراسات الأخرى التي قام عليها مجموعةٌ من الباحثين البريطانيين، ونُشِرت في كتب مستقلة أو مؤلَّفات مشاركة[3]، لكن جُلّ مواضيعهم كانت في الدراسات التاريخية عن تاريخ المسلمين في الأندلس. أو مجموعة المقالات والدراسات المنشورة في الدوريات العلمية المتخصصة بالدراسات الأندلسية خارج بريطانيا، أو في المجلات العلمية التي تصدرها الجامعات البريطانية، التي كان لهم فيها إضافات جيدة جداً على مستوى البحث في التراث الأندلسي.

ولا يغيب عن البال في مجال تطور الدراسات الأندلسية في بريطانيا الحديث عن أثر الأساتذة المهتمين بها في طلبتهم لمواصلة الدرب نفسها وتشجيعهم على خوض ميدان هذا الدرس بمنهج جديد: فقد كان مبتدأ الاهتمام بالتراث الأندلسي عند وليم رايت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عمله تحت إشراف أستاذه الهولندي دوزي على نشر (**رحلة ابن جبير**)، ثم تحقيق أجزاء من (**نفح الطيب**)، ويظهر دور الأستاذ جلياً في حالة رايت؛ لأن العناية بالتراث الأندلسي

(1) تفاصيل هذه الدراسات والكتب المنشورة – موجودة في الملحق الأول: المستشرقون البريطانيون المهتمون بالتراث الأندلسي.

(2) كان ديوان (**جيش التوشيح**) قد نُشر سنة 1967 بتحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار بتونس.

(3) للتفاصيل ينظر الباب الثاني: الفصَل الأول.

كانت لا تزال ناشئةً في حينه، ولم يكن يلتفت إليها كثيرون من علماء بريطانيا، فكان أثر دوزي ـ الذي يعد من أوائل المستشرقين الذين مهّدوا سبيل الدراسات الأندلسية لأول مرة ـ كان أثره كبيراً في تلميذه، وإن كان رايت لم يستمر فيما بعد على السبيل نفسها؛ لأنه اتجه إلى اهتمامات أخرى في الدراسات الشرقية أخذت من وقته الكثير، لكنه كان فيها وفياً لعمل المستشرقين الدؤوب، ويشهد له على ذلك عملُه في تحقيق النص ومراعاته لأصوله على أفضل وجه.

وكان دور هاملتون جِب كبيراً وإن لم تكن له اهتمامات بالأدب في بلاد الأندلس؛ فقد كان له أثر في توجيه بعض طلبته إلى دراسة الأندلس، وكان منهم صمويل شترن، الذي كان بدوره صاحب فضل أيضاً على تلميذه ليونارد باتريك هارفي في اتجاهه صوب الدراسات الأندلسية وإغناء هذا الميدان بدراساته المتنوعة. وكان من تلامذة جِب أيضاً المستعرب جون ديريك ليثم صاحب الاهتمامات المتعددة الجوانب في الحضارة الأندلسية.

ويلاحظ أن هؤلاء ليسوا جميعاً من المتخصصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ بل إن بعضهم متخصص في الدراسات الإسبانية، التي لم تعد تجد مفراً من الاعتراف بأن الحضارة الإسبانية كانت في جانب مهم من وجودها تقوم على العنصر العربي الإسلامي.

ويتبين لنا أن معظم الاهتمام المتصل بالتراث الأدبي الأندلسي لدى الباحثين البريطانيين في السنوات الأخيرة، يكاد ينحصر في أغلبه في موضوع الموشحات والأزجال والخرجات الأعجمية، وعلاقة هذه المواضيع بقضية التأثير العربي في الأدب الأوربي، مما سنأتي على تفاصيله في الفصول التالية، ويشارك في بحث هذه القضايا علماء من مختلف التخصصات العلمية، ولا يقتصر الأمر على المستعربين؛ وذلك راجع إلى طبيعة هذه القضايا التي تقوم على دراسة التأثر والتأثير بين الحضارات؛ ولأنها قضية لم يتم البت فيها برأي قاطع، ولا تزال محل أخذٍ وردّ.

الباب الثاني

الدراسات الأندلسية في بريطانيا:

المنجزات العملية والمنهجية

الفصل الأول

أعمال المستشرقين البريطانيين في دراسة الأدب الأندلسي

المبحث الأول: جمع المخطوطات الأندلسية وفهرستها والتعريف بها

1) جمع المخطوطات:

يعدّ جمع المخطوطات الشرقية عامة، والعربية الإسلامية منها خاصة؛ من أبرز الأعمال التي قام بها المستشرقون في سبيل دراسة الشرق وسبر أغوار حضارته، وقد سعوا إلى الحصول على تلك المخطوطات بوسائل عدة، ليس هنا محل البحث في نزاهتها.

وقد اجتهد المستشرقون البريطانيون ـ كغيرهم ـ في الحصول على المخطوطات الشرقية؛ فهي المادة الأولية التي قام عليها الاستشراق، « وكان الحصول على المخطوطات يجري على أيدي المستشرقين أنفسهم المرتحلين إلى المشرق، لحسابهم أو لحساب غيرهم من العلماء، ويجمعها أيضاً السفراء والتجار ورجال الدين والمستعربون الهواة... أو يجمعونها بمعاونة السكان من أهل البلاد الشرقية التي يزورونها، مثل بوكوك الأب الذي كان يستعين بشخص يدعى الدرويش أحمد؛ ليعاونه في شراء المخطوطات أو نسخها إن تعذر شراؤها»(1)؛ وذلك حين «أقام في الشرق سنوات عدة (1630–1635) واعظاً

---

(1) Wakefield, Colin (1994), Arabic manuscripts in the Bodleian library: The Seventeenth-century Collections. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

Pp. 128 and p.134.

كان الدرويش أحمد يعمل في نسخ المخطوطات العربية، ويتاجر بها بين الأعوام 1626–1638، وقد نَسَخ مجموعة من المخطوطات لمصلحة الهولندي خوليوس J. Golius (ت1667) ولمصلحة بوكوك، وربما كان بوكوك قد تعلّم اللغة العربية على يديه في حلب، كما يُفهم من بعض رسائله التي كتبها الدرويش إليه، وكان يخاطبه فيها بـ" تلميذي العزيز"، ينظر:

Toomer, G. J. (1996), ***Eastern Wisedome and learning***..., pp. 122-123.

وكان سامي الكيالي قد أشار إلى أن أستاذ بوكوك في حلب الذي علّمه العربية هو الشيخ فتح الله البيلوني، ينظر:

كيالي، سامي، (مارس، 1963)، الشيخ فتح الله والمستشرق بوكوك، مجلة **العربي**، ع 52، ص60–63.

وهناك خمس رسائل من الدرويش أحمد محفوظة في مخطوطات بوكوك في مكتبة بودليانا رقم 432 (الأوراق 5–9)، ينظر: Wakefield, Colin (1994), Arabic manuscripts in the Bodleian library, p. 142، no. 86.

وهذه الرسائل ملخصة وبعضها مترجم من العربية إلى الإنجليزية في:

Holt, P. M, Studies in the History of the Near East, (London, 1973), pp. 42-45.

تابعاً لشركة الشرق في حلب، ثم عاد إلى بلاده ليغادرها ثانية في غضون سنة بتشجيع من الأسقف وليم لود رئيس جامعة أكسفورد آنذاك، وقد سافر بوكوك في المرة الثانية متوجهاً إلى القسطنطينية سنة 1637، وأمضى هناك ثلاث سنوات»[1].

وقد يسّرت له هذه السبيل الحصول على مجموعة متميزة من المخطوطات الشرقية، كانت إضافةً نوعيةً إلى جامعة أكسفورد حين اشترتها مكتبة بودليانا ـ المكتبة الرئيسية لجامعة أكسفورد ـ بعد وفاته 1691، فقد اشترت المكتبة مجموعته الكبرى من المخطوطات الشرقية التي كانت تتألف من 400 مجلد، منها 270 مجلداً باللغة العربية، ستة منها فقط كانت كتباً مسيحية عربية، أما بقية المجموعة فكانت تضم كتباً باللغة العبرية والفارسية والتركية والسريانية والأثيوبية والأرمنية والقبطية[2].

وكانت المخطوطات التي جمعها بوكوك من الشرق متنوعة المواضيع: في التاريخ والتراجم وفقه اللغة والشعر والفلسفة، ومجموعة صغيرة في الرياضيات والفلك والطب[3]، كان من بينها مخطوط واحد من التراث الأندلسي وهو رسالة (**حي بن يقظان**)، وهي واحدة مما اشتراه بوكوك من مخطوطات في رحلته الأولى إلى حلب.

«ومن المخطوطات الأندلسية التي وصلت مبكراً إلى إنجلترا، إلى مكتبة بودليانا في أكسفورد، مخطوط كتاب (**المقتبس في تاريخ الأندلس**)، وهو أحد الكتب في مجموعة مخطوطات كانت تعود للمستشرق الهولندي خوليوس، ثم اقتنتها مكتبة بودليانا سنة 1700، حين أُهديت إلى المكتبة ضمن خمسة مخطوطات: الأول منها كان بالتركية، والثاني نسختان من مخطوط المجلد الخامس لابن خلدون، والثالث مخطوط لابن حيان، أما المخطوط الخامس فكان في الكيمياء»[4].

---

(1) G. J. Toomer, 'Pococke, Edward (1604–1691)', ***Oxford Dictionary of National Biography***, Oxford University Press, 2004 - [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/22430, accessed 14 May 2008]

(2) Wakefield, Colin, (1994). Arabic manuscripts in the Bodleian library, p. 134.

(3) ينظر لعناوين تلك المخطوطات ومؤلّفيها:

Wakefield, Colin (1994), Arabic manuscripts in the Bodleian library, p. 135.

(4) Wakefield, Colin (1994), Arabic Manuscripts in the Bodleian library, p. 137.

وعلى الرغم من هذه البداية المبكرة في اقتناء المخطوطات الأندلسية في بريطانيا؛ فإنه لم تكن هناك عناية خاصة توجَّه إليها؛ نظراً لأن الدراسات الأندلسية نفسها لم تكن قد أصبحت ميداناً للبحث العلمي إلا منتصف القرن التاسع عشر.

ولم يكن المستشرقون البريطانيون يتمكنون من الحصول على مخطوطات أندلسية ومغربية كثيرة؛ لأنهم كانوا يجمعون المخطوطات الشرقية غالباً من رحلاتهم إلى الشرق الإسلامي، لذا فإنه لم تكن بين أيديهم مجموعة كبيرة من المخطوطات الأندلسية من بين ما جمعوا من الشرق. ولا يغيب عن البال أن المخطوطات المغربية والأندلسية كانت متاحة أكثر بأيدي الإسبان والفرنسيين؛ بحكم ظروف التاريخ والجغرافيا، ثم التوسع الاستعماري الأوربي خاصة في القرن التاسع عشر، واختصاص كل قطر أوروبي بمناطق معينة في الشرق تكون ميداناً لنفوذه وسيطرته.

لكن ذلك الوضع لم يمنع من وصول بعض المخطوطات الأندلسية إلى المكتبات البريطانية في بعض الأوقات: « فمن المخطوطات الأندلسية الموريسكية التي وصلت إنجلترا؛ مخطوطٌ محفوظ في مكتبة جامعة كمبردج بعنوان (**مختصر في الشريعة والسُّنّة الشريفة**)، وقد وصل إنجلترا في بداية القرن الثامن عشر: أحضره أحد أساتذة اللغات السامية والعبرية في الجامعة... وقد نُشرت أجزاءٌ من هذا المخطوط بالإسبانية المكتوبة بحروف عربية (الخميادية) في كتاب: (De Religione Mohametism) المطبوع في أترخت سنة 1705؛ ليكون ذلك أول نص مطبوع من النصوص الخميادية. ولم تظهر ترجمة إنجليزية للكتاب إلا سنة 1723 أنجزها جوزيف مورغان في كتابه (Mahometism fully explained)[1] معتمداً على الترجمة الفرنسية التي نُشرت سنة 1721؛ وليس على

(1) هذا الكتاب موصوف في فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني على النحو التالي:

Mahometism fully explained written in Spanish and Arabick, in the year M.DC.III (1603). For the instruction of the Moriscos in Spain by Mohamed Rabadan, an Arragonian Moor, Translated …by Mr. Morgan, 2 vols. (1723-25).

ينظر:

Ellis, A. G. (1967), ***Catalogue of Arabic Books in The British Library***, London, Published by The Trustees of The British Museum, (First published 1894), vol. 2, p. 357.

المخطوطة الأصلية الموجودة في كمبردج.. وكان مورغان هذا موظفاً قنصلياً بريطانياً؛ وقد اقتنى أيضاً في أثناء رحلة له إلى تونس مخطوطاً آخر للموريسكي محمد رَبَضان[1] بعنوان (Discurso de la luz y descendecia y lingage claro de nuestro…Propheta Mohamed) وهذا المخطوط موجود الآن في المكتبة البريطانية"[2].

كما " اقتنت كلية وادام في أكسفورد مخطوطاً موريسكياً ضمن مجموعة جودولفين، والمخطوط رسالة حول العقيدة الإسلامية مكتوبة في الجزائر سنة 1620 باللغة الإسبانية - إسبانيّة القرن السادس عشر - كتبها أحد الموريسكيين هناك. وهي كغيرها من الأعمال التي وصلت إلينا مما كتبه مهاجرون موريسكيون في شماليّ إفريقية، بعضها بالخميادية، وبعضها بالإسبانية... وهذه المخطوطة موصوفة في فهرس (H. Coxe) المنشور في أكسفورد سنة 1852 (Catalougus Codicum mss. Qui in collegiis aulisque oxonien bodie adservaranur تحت رقم XLVI من مخطوطات كلية وادام"[3].

وهذا يعني أن بعض المخطوطات الموريسكية موجودة في أكسفورد قبل منتصف القرن التاسع عشر، ولكن لم تكن تلك المخطوطات بعدُ لتثير اهتمام الباحثين هناك أو اهتمام غيرهم من الأوربيين بدراسة التراث الفريد الذي خلّفه الموريسكيون، ويعبر عن معاناتهم أو تكيفهم في حياتهم الجديدة في ظل ظروف التنصير والتهجير.

ووصف المستشرق - الإنجليزي من أصل روسي - كرينكوف (ت1953) مخطوطين أندلسيَّين في المتحف البريطاني في مقالة نشرت سنة 1930 [4]، وهما مخطوط: (**الذيل**

(1) هكذا يرد الاسم في المراجع الأجنبية وفي: بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 582، ولم أتمكن من النظر إلى صورة للمخطوطة الأصلية لتبيّن الاسم الصحيح، لكني وجدتُ في مقالة: ألبارو جالميس دي فوينتس (1980)، أدب أواخر المسلمين والموريسكيين، **دراسات عربية**، 16 (7)، ص 153، أن اسم هذا الشاعر محمد رمضان، فقد تكون هذه هي القراءة الصحيحة للاسم «ربضان» المذكور.

(2) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus. **Al Qantara**, 13 (2). Pp. 427-428.

(3) Harvey, L. (1962), A Morisco manuscript in the Godolphin collection at Wadham College Oxford, Al-Andalus, vol. 27 (2), p. 461.

(4) F. Krenkow (1930), Deux Nouveaux Manuscrits Arabes sur par le Musee Britannique, Hesperis, vol. 10 (1-2). (pp. 1-5).

والتكملة لكتابَي الموصول والصلة) للمراكشي[1]، وكتاب **(الإحاطة في أخبار غرناطة)** لابن الخطيب[2]. وهذان المخطوطان ليسا مذكورين في: **(القائمة الوصفية لمخطوطات المتحف البريطاني)** المنشورة سنة 1912 [3]؛ مما يعني أن مكتبة المتحف قد اقتنتهما بين 1912–1930، وقد كانا موجودين على رفوف مكتبة المتحف البريطاني منذ الربع الأول من القرن العشرين، ولكن لم يلتفت إليهما المستشرقون البريطانيون للبحث أو التحقيق في التراث الأندلسي.

2) فهرسة المخطوطات:

كان المستشرقون بعد عودتهم من رحلاتهم في جمع المخطوطات الشرقية يعكفون على فهرستها وتصنيفها؛ لتسهل الإفادة منها أمام الباحثين في الدراسات الاستشراقية. وترمي الفهرسة إلى تقديم صورة دقيقة عن المخطوط بوصفه المادي من حيث عدد الأوراق، وسلامتها أو تلفها، وجودة الخط ووضوحه، وأوهام النَّسخ، وفاتحة المخطوط وخاتمته، وتحقيق عنوانه واسم مؤلفه وموضوعه...مما يفيد الباحث المهتم.

وقد بدأت فهرسة المخطوطات العربية في أوربا مبكراً ـ منذ القرن الثامن عشر ـ على

(1) وهو نسخة السفر السادس من الكتاب، وقد نشر بتحقيق إحسان عباس، ينظر: المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت703هـ)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، (ط1)، مجلدان، (تحقيق محمد بن شريفة)، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984. ص 97

(2) هذا المخطوط مذكور في دليل مواضيع المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية، بعنوان:

Stocks, Peter (2001), Subject-Guide to the Arabic Manuscripts in the British Library, p. 229

مركز الإحاطة، ويحمل الرقم نفسه (or. 8674) وهو " قطعة كبيرة من **مركز الإحاطة** للأديب المصري بدر الدين البشتكي، تحتوي على نصفه الأخير، وهو يضم تراجم مختصرة للكتّاب والأدباء والشعراء الذين وردوا بكتاب الإحاطة". ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (ط2)، 4 مجلدات، (تحقيق محمد عبدالله عنان)، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973 (الطبعة الأولى 1956). مج 1: ص 6، مقدمة التحقيق.

(3) Ellis, A. G. and Edwards Edward (1912), ***A Descriptive List of the Arabic Manuscripts Acquired by the Trustees of the British Museum***, London: Longman & Co.

وتضم هذه القائمةُ المخطوطات العربية في مكتبة المتحف البريطاني منذ سنة 1894، وهي المخطوطات من رقم or. 4822 إلى مخطوط رقَم or. 7764.

أيدي العرب لا الأوربيين[1] وصارت المكتباتُ الأوربية تُصدِر تباعاً فهارس خاصة بالمخطوطات العربية التي كانت تجلبها من الشرق ومن الغرب بالشراء والإهداء أو الاستيلاء. وقد نُشرت بعض تلك الفهارس باللاتينية، وبعضها باللغات الأوربية.

وكان فهرس المخطوطات العربية والكرشونية[2] في المكتبة البودلية (بودليانا) بأكسفورد الذي نُشر سنة 1787 أول فهرس في بريطانيا، ثم فهرس الجمعية الآسيوية لندن سنة 1838، وفهرس المتحف البريطاني 1846، وفهرس كمبردج « ترنتي كولج» 1870[3].

وقد أمضى معظم المستشرقين البريطانيين جزءاً من حياتهم العلمية والعملية في الدراسات الشرقية ـ في فهرسة المخطوطات الشرقية؛ ومنها العربية الإسلامية، الموجودة في المكتبات الجامعية البريطانية المختلفة، ولكننا لا نجد حديثاً أو عملاً خاصاً عن فهرسة للمخطوطات الأندلسية في تلك المكتبات: فليس هناك فهارس خاصة مستقلة عن مخطوطات أندلسية من بين المخطوطات العربية التي جمعوها من الشرق.

ويلاحظ ـ في فهارس المكتبات البريطانية للمخطوطات العربية الإسلامية أو الشرقية ـ أن المخطوطات الأندلسية لا تُميَّز فيها من غيرها؛ ليكون سبيل الرجوع إليها أيسر أمام الباحثين؛ ويرجع ذلك لقلة عدد تلك المخطوطات بين أيديهم من جهة، ولعدم وجود عناية خاصة في بريطانيا بالبحث في التراث الأندلسي من جهة أخرى قبل حلول منتصف القرن التاسع عشر؛ حين ظهرت عناية الإسباني جاينجوس في البحث عن التراث الإسباني في مخطوطات المتحف البريطاني، وحين جاء الهولندي دوزي منقّباً في المكتبات البريطانية سعياً وراء مخطوطات التراث الأندلسي للإفادة منها في مؤلفاته عن تاريخ المسلمين في

(1) قام بعض الرهبان اللبنانيين بفهرسة المخطوطات العربية في مكتبات أوربا مثل: فهرس مخطوطات فلورنسة الذي أعده اسطفان عواد السمعاني سنة 1742، وفهرس مكتبة الفاتيكان الذي أعده يوسف شمعون السمعاني 1756، وفهرس مكتبة الإسكوريال الذي وضعه ميخائيل الغزيري سنة 1760–1770. ينظر: المنجد، صلاح الدين (1976)، **قواعد فهرسة المخطوطات العربية**، (ط2)، بيروت: دار الكتاب الجديد، ص41.

(2) اللغة السريانية مكتوبة بحروف عربية.

(3) المنجد، صلاح الدين (1976)، **قواعد فهرسة المخطوطات العربية**، ص42–43.

الأندلس، لكن ذلك لا يظهر جلياً في فهارس المخطوطات العربية في المكتبات البريطانية.

فالناظر المدقق في بعض فهارس المكتبات البريطانية مثل **فهرس الكتب العربية (المطبوعة) في المكتبة البريطانية** ـ الذي نُشرت طبعته الأولى سنة 1894 [(1)] ـ يلاحظ أن المكتبة قد اقتنت كثيراً من كتب التراث الأندلسي من المصادر التي لا يستغني عنها الباحث في الدراسات الأندلسية، ومنها على سبيل المثال: **(المعجب)** للمراكشي طبعة دوزي، 1847، **(نفح الطيب)** للمقري، ط. جاينجوس، 1840–1843، **(نفح الطيب)**، ط. بإشراف دوزي، 1855–1861، **الذخيرة** لابن بسام، ط. دوزي 1846، **قلائد العقيان** للفتح بن خاقان، ط. باريس، 1861، وط. بولاق، 1866، **(مطمح الأنفس)**، ط. القسطنطينية، 1844، **(سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)**، ط. الإسكندرية 1873، وط. القسطنطينية، ط. 1841... وغيرها من الكتب، مما يعني أن مصادر التراث الأندلسي الأولية كانت متوافرة في مكتبة المتحف البريطاني في القرن التاسع عشر أمام الباحثين لو كانوا يرغبون في دراسة هذا الجانب من تراث المسلمين. لكن وجود هذه المصادر لم يؤدِّ إلى العناية بالدراسات الأندلسية عند المستشرقين البريطانيين؛ الذين تابعوا مصالح بلادهم، واتجهوا في دراساتهم إلى مزيد من البحث في أحوال الشرق (بمفهومه الجغرافي) وأحوال سكانه؛ بما يتلاءم والمصالح السياسية التي طغت على غيرها من سمات في مدرسة الاستشراق البريطانية.

أما تلك المخطوطات الأندلسية التي لم تكن تغيب عن رفوف المكتبات الرئيسية في بريطانيا منذ القرن التاسع عشر، والتي لم تجد من أهل البلاد من ينفض الغبار عنها؛ فقد وجدت من غير البريطانيين من يمد إليها يد العناية، فأقبل على دراستها المستشرقون الأوربيون المهتمون بالشأن الأندلسي، وكان في مقدمتهم الإسباني جاينجوس والهولندي دوزي.

فقد عمل جاينجوس في أثناء إقامته في لندن في المتحف البريطاني، وكانت الفائدة من هذا العمل جمّة؛ إذ درس جيداً نسخة المتحف البريطاني من مخطوط **(نفح الطيب)** من أجل استكمال ترجمته إلى اللغة الإنجليزية التي كان يعمل عليها، وكان جاينجوس ينسخ

(1) Ellis, A. G. (1967), ***Catalogue of Arabic Books in The British Library***, London: Published by The Trustees of The British Museum, (First published 1894).

المخطوطات الأندلسية بيده من المكتبات الأوربية التي يزورها؛ ليفيد منها في بحوثه، ويحتفظ منها بنسخة لنفسه. وفي مكتبة المتحف البريطاني عكف أيضاً على فهرسة المخطوطات الإسبانية الموجودة هناك، وله في هذا كتاب: (**فهرس المخطوطات الإسبانية في المتحف البريطاني**)، وكان من بينها رسائل ومعاهدات باللغتين العربية والإسبانية المتبادلة بين الإسبان وبعض الولاة في مدينتي سبتة وتطوان(1).

أما دوزي فكان له فضل الريادة على غيره في تعقب المخطوطات الأندلسية أنّى وجدها في مكتبات أوربا، وهي المخطوطات التي قدمت له مادة وافرة عن تاريخ المسلمين في الأندلس مكّنته من تأليف مصنّفاته عن هذا الموضوع الطريف في حينه، وكان في سعيه وراء المخطوطات العربية قد حطّ الرحال في إنجلترا سنة 1845 حيث « نسَخَ الجزء الثاني من (**الذخيرة**)، وبعض المخطوطات العربية النفيسة من مكتبة أكسفورد »(2)، وقد اعتمد دوزي في إعداده كتاب (**تكملة المعاجم العربية**) على مجموعة من المصادر الأندلسية المخطوطة الموجودة في المكتبات البريطانية، كان منها: (**المطرب**) لابن دحية (نسخة المتحف البريطاني)، و(**المقتبس**) لابن حيان (مخطوط أكسفورد، بودليانا)، و(**تاريخ الموحدين**) لابن صاحب الصلاة (مخطوط أكسفورد)، و(**تاريخ قضاة قرطبة**) (أكسفورد)، و(**مطمح الأنفس**) (مخطوط لندن)(3).

وكان كتابه هذا قد صدر بالفرنسية في جزأين وطُبِع في لَيدَن بين 1877–1881؛ مما يعني أن هذه المخطوطات الأندلسية المهمة كانت موجودة في المكتبات البريطانية قبل

(1) ذكر جاينجوس في كتابه هذا بعض المخطوطات المترجمة إلى العربية، ومعظمها رسائل مكتوبة باللغتين العربية والإسبانية. وهي رسائل ومعاهدات سلام متبادلة بين المغرب وإنجلترا باسم الملك تشارلز الثاني ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا بوساطة اللورد بيلاسيه حاكم طنجة من جهة، وسيدي حامد الخضر بن علي جيلان «ملك البربر» من الجهة الثانية، وتعود هذه الرسائل والمعاهدات إلى سنة 1666، للتفاصيل ينظر:

Catalogue of the Manuscripts in the Spanish Language in the British Museum by Pascual de Gayangos, London, 1875-1877. p. 223.

(2) دوزي، رينهرت (1978)، **تكملة المعاجم العربية**، 5 مجلدات، نقله إلى العربية د. محمد سليم النعيمي، الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والفنون، سلسلة المعاجم والفهارس، ج1 مقدمة الترجمة، ص 6.

(3) دوزي، رينهرت (1978)، **تكملة المعاجم العربية**، ج1، ص 29–48.

حلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد عرف دوزي قيمتها، فكانت عوناً له في أن يُعَدَّ أول مَن كتب عن تاريخ المسلمين في إسبانيا مستقصياً أمّات كتب التراث الأندلسي، التي عمل على نشر مجموعة مهمة منها وترجمتها إلى اللغات الأوربية[1].

ومن ناحية ثانية فإن المتصفح لكتاب (**تاريخ الأدب العربي**) لكارل بروكلمان الذي ظهرت الطبعة الأولى منه في جزأين: الأول سنة 1898 في فايمار، والثاني في برلين سنة 1902 [2] ـ بحثاً عن المخطوطات الأندلسية في المكتبات البريطانية ـ يجد أن تلك المكتبات كانت تضم مجموعة من مخطوطات المصادر الأندلسية المهمة، وبعضها له نُسَخ عدة. لذا فقد اعتمد المحققون العرب على هذه النسخ عند إقبالهم على تحقيق التراث الأندلسي، حين شهدت هذه الدراسات اهتماماً خاصاً في العالم العربي في القرن العشرين بعد الاهتمام الذي لقيته من لدن المستشرقين من قبل.

وتشير المصادر الأندلسية المحقَّقة في العالم العربي في القرن العشرين إلى أن نُسَخاً منها موجودة في المكتبات البريطانية رجع إليها هؤلاء المحققون، ولكن تلك النسَخ المخطوطة لم تحظَ من المستشرقين هناك بعناية خاصة، كما لم يولِها القائمون على إعداد فهارس المكتبات اهتماماً خاصاً للحديث عنها في أقسام مستقلة تميزها من غيرها من المخطوطات الإسلامية، التي عنوا بفهرسة الموجود منها في مختلف المكتبات البريطانية.

3) التعريف بالمخطوطات:

ومن الأعمال الملحقة بجمع المخطوطات الأندلسية وفهرستها ـ العملُ على التعريف بالمخطوطات في مقالاتٍ تلقي الضوء على غير المشتهر منها؛ مما يغني ميدان الدراسات الأندلسية، ولم يكن للباحثين في بريطانيا مساهمة كبيرة في ذلك، وإنما كانت مساهمتهم

(1) ينظر في أعمال دوزي ومؤلفاته: **تكملة المعاجم العربية**، ج1، مقدمة الترجمة، ص

(2) *Geschiche der Arabischen Litteratur* وقد ظهرت الطبعة الثانية من الكتاب سنة 1909، ثم نفدتٍ، فأعدّ بروكلمان ملحقاً ضخماً في ثلاثة مجلدات ظهرت بين 1937–1942، ونفدت تلك الطبعة أيضاً، فأعيد طبع الملحق، وأعيد طبع الأصل، وكانت طبعته الأخيرة بين 1943–1948، ينظر: بروكلمان (1992)، **تاريخ الأدب العربي**، الإشراف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 17.

محدودة في مقالات لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، لكنها مع ذلك قدمت جديداً في إلقاء الضوء على بعض المخطوطات الأندلسية الخاصة. ففي سلسلة مقالات نشر اللورد ستانلي (ت1903) في مجلة «الجمعية الآسيوية» قصائد للموريسكيّ محمد ربضان مكتوبة باللغة الإسبانية عن مخطوطة محفوظة في باريس، وجزء من تلك الأشعار منقول عن مخطوطة أخرى موجودة في مكتبة المتحف البريطاني[1]. وكانت القصيدة بعنوان[2]: (تاريخ نبيّنا محمد عليه السلام) يشتمل على مدائح عن مولده: (*Istoria de nuestro Annabi Muhamad Salam Contiene Cantos: Tara de su Naciementos*).

ولم يقدم ستانلي في مقالاته تلك وصفاً للمخطوط كالمعتاد في مثل هذا المقام؛ إلا حين تحدث عن بعض الأجزاء المفقودة من القصيدة في نسخة المتحف البريطاني والموجودة في نسخة باريس مقابلةً منه بين النسختين، ويثبت في المقالة القطعة المفقودة من نسخة باريس، وكان عمله أقرب ما يكون إلى تحقيق النص منه إلى التعريف بالمخطوطة؛ إذ نشر شعر محمد ربضان في سلسلة مقالات خلال الأعوام من 1868–1872 باللغة الإسبانية التي كان يتخللها بعض العبارات العربية « المكتوبة بالحروف اللاتينية»، وقام المحقق بكتابتها في الحواشي بالحروف العربية. وفي خاتمة المقالة التي كان فيها تمام القصيدة[3] قدم ستانلي نظرة نقدية في الجزء الأخير المنشور من القصائد حول مستوى هذا الجزء من النص الذي يراه أقل جودة من غيره مما سبق نشره، وفيه بعض الصعوبة التي تعكس التغير

(1) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus, **Al Qantara**, 13 (2). Pp. 427-428.

وهي المخطوطة التي كان جوزيف مورغان الموظف القنصلي البريطاني قد اقتناها في أثناء رحلة له إلى تونس، وكانت بعنوان: *Discurso de la luz y descendecia y lingage claro de nuestro…Propheta Mohamed* وهذا المخطوط موجود الآن في المكتبة البريطانية.

(2) Stanley, H. E. (Lord Stanley of Alderley) (1872), The Poetry of Mohamed Rabadan, of Aragon, **Journal of Royal Asiatic Society**, vols. 3- 6, 1868, p. 81, vol. 4, 1869, pp. 138-177, and vol. 6, 1872, pp. 165-212.

ومحمد بن ربضان هذا " من أجلّ شعراء الموريسكيين شأناً...وقد وضع في سنة 1603 في شعر إسباني" تاريخ نسب محمد صلى الله عليه وسلم "... ضمّنه ما ورد في كتاب للحسن البصري عن النسب النبوي، ونظم كذلك " قصة فزع يوم الحساب"... و" أنشودة شهور السنة"... و« قصيدة أسماء الله الحسنى». ينظر: بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 582.

(3) Stanley, H. E. (Lord Stanley of Alderley) (1872), The Poetry of Mohamed Rabadan, of Aragon, **Journal of Royal Asiatic Society**, vol.6 (306), p. 211-212.

الذي مسّ نطق اللغة العربية بين الموريسكيين.

كان ستانلي معجباً بالجزء الأخير من قصيدة ربضان الذي يتضمن قطعة طويلة عن زواج محمد صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة رضي الله عنها، ويعده أكثر أجزاء القصيدة إمتاعاً؛ لأنه دليل على أن الموريسكيين قد قاموا بدورهم على أحسن وجه في المحافظة على مكانة الذاكرة الشفوية ودورها في نقل التراث والتقاليد العربية؛ فالشاعر مثلاً يقول: إنه ليس لديه كتب عربية أو صحائف يرجع إليها، وإنما يعتمد على موروث شفوي تتناقله الأجيال(1).

ولا نقف من تعليقات ستانلي على موقف معين تجاه موضوع الموريسكيين وأصولهم الأندلسية وظروف هجرتهم واضطرارهم إلى الرحيل عن بلادهم، أو غيره مما قد يشير إلى انشغاله بهمّ الأندلس، وإنما يبدو اهتمام ستانلي بالقصيدة؛ لأنها قصيدة إسلامية المحتوى بلسان أوربي!

ومن المنصف القول: إن وصف المخطوطات في الوقت الذي نُشرت فيه قصيدة ربضان، بُعَيد منتصف القرن التاسع عشر بقليل، لم يكن على النحو الذي اتضحت ملامحه بعد عقود: إذ نعثر ـ بعد نصف قرن تقريباً من مقالة ستانلي ـ على وصف لمخطوطين من المخطوطات الأندلسية في المتحف البريطاني للمستشرق كرينكوف في مقال له بالفرنسية بعنوان: «المتحف البريطاني يحصل على مخطوطين عربيين حول إسبانيا المسلمة»(2)، وهما (**الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة**) للمراكشي رقم or.7940، و(**الإحاطة في أخبار غرناطة**) لابن الخطيب رقم or.8674، لكن كرينكوف في هذه المقالة سار على هدى إعداد الفهارس المفصّلة للمخطوطات العربية؛ من حيث التزامه الحديث عن الوصف المادي للمخطوط: عدد الأوراق ومسطرة الورقة الواحدة، وأجزاء الكتاب الذي يضمه المجلد، واسم المؤلف وسلامة الصفحات وحال المخطوط العامة، كما أورد بعض ورقات من مخطوط (**الذيل**) فيه ترجمات لأشخاص يحملون اسم عبد الملك، منشورة باللغة العربية،

(1) Ibid, p.212
(2) F. Krenkow (1930), Deux Nouveaux Manuscrits Arabes sur par le Musee Britannique, Hesperis, vol. 10 (1-2), (pp. 1-5).

ثم ذيّل وصفَه بخاتمة المخطوط منشورة أيضاً باللغة العربية، وكذلك فعل مع مخطوط **(الإحاطة)** في وصفه ونشر مقتطفات باللغة العربية منه. ولم يكتفِ كرينكوف بالوصف فقط، بل إنه أعطى تقييماً للكتابين في حال فكّر أحدهم بنشرهما؛ إذ قال عن **(الإحاطة)**: إنها ليست في حال جيدة تماماً؛ لتكون صالحة لإصدار طبعة محققة من الكتاب، بل إن هناك حاجة إلى مخطوطات أفضل حالاً لإعداد تلك الطبعة[1]، أما مخطوط **(الذيل والتكملة)** فقد ذكر أنه في حال جيدة جداً تسمح بأن يكون أساساً لطبعة محققة، على الرغم من وجود نسخ أخرى من الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس وفي الإسكوريال[2].

وهكذا فإن مثل ذلك التعريف بالمخطوطات الأندلسية يلقي الضوء على ما كان مجهولاً منها، ويثير في الباحثين دوافع البحث والتنقيب مما ينعكس إيجابياً على الدراسات الأندلسية في بريطانيا.

ثم نشر هوبكنز مقالة عن الشاعر الأندلسي ابن الحاج النميري[3]، أشار في مستهلها إلى مخطوط في المتحف البريطاني(or. 5670) من 32 ورقة ـ بعنوان **(كتاب قرائن العصر ومحاسن العصر في مديح أمير المسلمين أبي عبدالله بن نصر)**"[4] منسوب إلى الشاعر الأندلسي إبراهيم بن عبدالله ابن الحاج النميري (توفي بعد 780هـ).

والمقالة في ذاتها ليست مخصصة للتعريف بمخطوط **قرائن العصر** الموجود في المتحف البريطاني، وإنما هي مخصصة للحديث عن حياة الشاعر ابن الحاج النميري وأعماله. لكن استهلال المقالة واختتامها بالإشارة إلى المخطوط في المتحف البريطاني؛ يميل بها إلى جعل هاتين الفقرتين في المقالة تعريفاً بالمخطوط وجذباً لانتباه الباحثين إليه؛ فقد عرّف

(1) F. Krenkow (1930), Deux Nouveaux Manuscrits Arabes, p.5.
(2) Ibid, p. 1.
(3) J. F. P. Hopkins (1961), An Andalusian Poet of the Fourteenth Century: Ibn Al-Hajj, **The Bulletin of SOAS**, Vol. 24, pp. 57-64.
(4) قرأ عبد الحميد عبد الله الهرامة عنوان الكتاب «مزاين القصر ومحاسن العصر»بناء على المخطوطة نفسها وأن (قرائن) مفردة ليست من زمن الشاعر، إلى جانب السياق التاريخي الذي يفيد أن الكتاب ربما كان استجابة لمطلب سلطاني يقضي بتزيين قصر الحمراء، فكان موضعاً لتنافس الشعراء؛ ومنهم ابن الحاج النميري. ينظر: الهرامة، عبد الحميد عبدالله (2003)، **ديوان إبراهيم بن الحاج النميري**، أبو ظبي: المجمع الثقافي. مقدمة التحقيق ص 24–25. وقد نشر المحقق في هذا الديوان قصائد الشاعر في « مزاين العصر».

الكاتبُ في مقدمة المقالة بالمخطوط: عنوانه ورقمه وعدد أوراقه، واختتمها بمقتبسات من فاتحة المخطوط وخاتمته، كما وصف نوع الخط وتاريخ النسخ ومحتويات المخطوط.

وفي سنة 1962 نشر ليونارد باتريك هارفي ـ المهتم بالموريسكيين ـ مقالة يعرّف فيها بمخطوطة موريسكية في مجموعة جودولفين في أكسفورد[1]، والمخطوطة مدار المقالة هنا هي رسالةٌ في الدين والعقيدة الإسلامية، كتبها في الجزائر أحد الموريسكيين باللغة الإسبانية، وترجع إلى سنة 1620. وقد وصف هارفي المخطوطةَ وصفاً تفصيلياً وعرَضَ: عنوانها والسطور الأولى منها (فاتحة المخطوطة) بالحروف العربية وبالإسبانية، وتحدث عن محتوياتها التي تضم: المقدمة، وتفسير البسملة، وصفات الله تعالى، والصفات التي لا تنسب لله، ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم، وتفسير الشهادة، ثم الخاتمة.

ثم وقف الباحث عند مؤلف الرسالة محاولاً تحقيق اسمه ونسبة الرسالة إليه، ووصف نوع الخط الذي كتبت به الرسالة، وهو خط إسبانيّ من عصر النهضة الإسبانية، لكن بعض العبارات الإسلامية فيها كالبسملة مثلاً مكتوبة بالحروف العربية، وأشار إلى أخطاء الناسخ الإملائية التي تجعله يميل إلى الاعتقاد أنه ليس على دراية جيدة باللغة العربية. ولم يقف هارفي في وصفه للمخطوطة عند هذا الحد؛ بل نجده يصف أيضاً طريقة تجليد الكتاب. ثم ينتهي إلى ملحوظات عامة تُظهر أن المهاجرين الموريسكيين قد ظلوا على اتصال بإخوانهم المسلمين في تركيا[2].

كما وصف هارفي في مقالة أخرى[3] مخطوطة أندلسية تعود إلى القرن السابع عشر موجودة في المتحف البريطاني وُصفت في فهرس مخطوطات المتحف البريطاني بـ«كتاب الصلاة المحمدية بالعربية وبالخميادية»[4]، لكن المخطوطة نفسها غير معنونة وغير

(1) Harvey, L. P. (1962), A Morisco manuscript in the Godolphin collection at Wadham College Oxford, **Al-Andalus**, vol. 27 (2) , pp.461-465.

(2) Ibid, pp. 462-465.

(3) Harvey, L. P. (1964), A Morisco Prayer-book in The British Library Museum: MS. Or.6640. Press Mark: 30, B. A., **al-Andalus**, (29), pp.373-376.

(4) وهي موصوفة وصفاً مختصراً في قسم الصلوات « Prayers” في:

Ellis, A. G. and Edwards Edward (1912), *A Descriptive List of the Arabic Manuscripts Acquired by the Trustees of the British Museum*, London: Longman & Co. Prayers. P. 16.

معزوّة، وتحتوي آيات قرآنية وتعاليم الوضوء والصلاة باللغة العربية، أما كيفية أداء الصلاة فمكتوبة باللغة الخميادية. وقد سار هارفي في التعريف بهذه المخطوطة على الخطوات التي وصف فيها المخطوطة السابقة، مع إضافة تاريخ اقتناء المتحف لها ـ سنة 1905 ـ ثم عرض لتفاصيل المحتوى، وساق بعض الجمل من المخطوط مكتوبةً بالحروف العربية كما هي في النص الأصلي، أما النصوص الخميادية فكتبها بالحروف اللاتينية. ويحتوي الكتاب المخطوط مواضيع عن الوضوء والصلاة وأسماء الله الحسنى ودعاء التشهد ودعاء القنوت، يعرض هارفي منها عن الوضوء بضع أوراق كُتبت باللغة الخميادية؛ " لكنه نشرها بحروف لاتينية"(1).

ونخلص إلى أن مساهمة الباحثين البريطانيين في التعريف بالمخطوطات الأندلسية في المكتبات البريطانية محدودة جداً، كما أنها تكاد تكون محصورة في تراث الموريسكيين؛ وربما يكون ذلك راجعاً في حقيقة الأمر إلى اهتمام الباحثين أنفسهم بذلك المجال؛ كما هي حال هارفي: فالمخطوطات التي عرّف بها هي من اهتماماته العلمية، فقد كانت أطروحته للدكتوراه (1959) في التاريخ الثقافي للموريسكيين، وكانت قائمة على دراسة أحوالهم من المخطوطات الأندلسية. أما عناية ستانلي بنشر قصيدة محمد ربضان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ فما هو إلا بقيةٌ من أثر الاتجاه الرومانسي الذي ساد الدراسات الأوربية، وطبَعَها بطابعه منذ مطلع القرن التاسع عشر؛ حين كان لإسبانيا الإسلامية وتراثها الأندلسي جاذبية خاصة دفعت كثيراً من الباحثين إلى السعي وراءها واقتباس أنوارها.

المبحث الثاني: نشر النصوص الأندلسية: تحقيقاً وترجمة

طفق المستشرقون الأوربيون ينشرون الكتب العربية المخطوطة منذ بداية انتشار الطباعة والمطابع في القرن الخامس عشر، لكن العمل على قراءة المخطوطات ونقل ما فيها إلى صورة كتاب مطبوع لم يكن عملاً علمياً تماماً حين بدأ حتى حلول القرن التاسع عشر؛ ذلك أن أصول تحقيق النصوص العربية لم تكن قد استقرت بعد؛ مما جعل تحقيق

(1) Harvey, L. P. (1964), A Morisco prayer-book in The British Library Museum.., pp.374-376.

المستشرقين للمخطوطات العربية قبل القرن التاسع عشر يوصف بأنه ساذج، في حين أن ما تم خلال ذلك القرن وبعده أصبح أفضل حالاً؛ إذ توافرت للقائمين على التحقيق وسائل المعارضة بين النسخ المختلفة للكتاب الواحد، والثقافة الواسعة والتمكّن من العربية(1).

وهذه الحال هي حال المستشرقين في بريطانيا أيضاً الذين ساهموا في تحقيق مصادر التراث العربي ونشرها، ومن بينها أعمالهم في تحقيق النصوص الأندلسية، التي كانت قد وصلت مكتبات بلادهم إبان الحقبة التي ازدهر فيها جمع المخطوطات الشرقية.

وإذا ما كان المستشرقون البريطانيون قد اجتهدوا في الحصول على المخطوطات العربية الإسلامية ـ ومن بينها المخطوطات الأندلسية ـ ووصفها وفهرستها، فقد كان أمامهم خطوة أخرى؛ ليتمكنوا من الإفادة منها، وهي العمل على نشر تلك النصوص وتحقيقها وترجمتها. ويعد العمل على تحقيق النصوص العربية ونشرها أداة رئيسية من أدوات المستشرقين في دراسة الحضارة العربية الإسلامية، وتمثل عهد سيادة البحوث الفيلولوجية المعتمدة على تحقيق النصوص المكتوبة.

وقد بدأ نشر النصوص الأندلسية في بريطانيا منذ اقتناء المخطوطة الأندلسية الأولى في القرن السابع عشر (**حي بن يقظان**)، واستمر على وتيرة متقطعة حتى منتصف القرن العشرين، إلى أن شهد زخماً نوعياً ـ وإن لم يكن كمياً ـ في الربع الأخير من القرن العشرين.

كانت رسالة (**حي بن يقظان**) الكتاب الأندلسي الأول الذي حقّق نصَّه أحدُ مستشرقي تلك البلاد سنة 1671؛ ولم يكن الاهتمام في ذلك العهد يُصرَف إلى مقابلة النسخ المتوافرة للنص المراد تحقيقه للوصول إلى قراءة صحيحة له، ولم يكن المستشرقون حينها يجدون حرجاً في تحقيق النصوص وفق نسخة وحيدة، كما اعتاد من قبلُ العلماء من أبناء جلدتهم في تحقيق النصوص اللاتينية؛ التي كانوا يحققون نصوصها من مخطوطة واحدة، وغالباً ما يعيدون صياغة النص وفق تصور المحقق دون مراعاة للنص الأصلي أو لما كان يريده المؤلف منه. ثم أعيد نشرُ (**حي بن يقظان**) بداية القرن الثامن عشر مترجمةً من اللغة العربية

(1) ينظر: دياب، عبد المجيد (1993)، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، (ط2)، القاهرة: دار المعارف. ص193–194.

إلى اللغة الإنجليزية هذه المرة سنة 1708. وقد بقيت رسالة (**حي بن يقظان**) الأثر الأندلسي الوحيد الذي نُشر في بريطانيا حتى منتصف القرن التاسع عشر؛ حين نهض وليم رايت بنشر النص العربي لـ (**رحلة ابن جبير**) سنة 1852 في لَيدَن.

ومن الجهود البريطانية الأخرى في تحقيق التراث الأدبي الأندلسي نشر النص العربي لديوان المتصوف الأندلسي ابن عربي (**ترجمان الأشواق**)، وترجمته إلى اللغة الإنجليزية، التي قدمها المستشرق البريطاني المشهور المهتم بالتصوف الإسلامي ـ رينولد نيكلسون سنة 1911.

وقد نشر نيكلسون قصائد الديوان باللغة العربية مرفقة بترجمة إنجليزية شعرية، وترجمة إنجليزية للشرح الذي قام به ابن عربي نفسه للديوان وهو (**رسالة الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق**).

ثم نَشرت سلسلةُ حكمة الشرق سنة 1915 كتاباً حول الأدب الأندلسي هو ترجمة إنجليزية لأشعار ملك إشبيلية المعتمد بن عباد، ولكنها لم تكن عملاً أكاديمياً صرفاً يجمع أشعار المعتمد من مظانها، ويوثقها، وإنما كان بعض تلك الأشعار منقولاً عن ترجمة ألمانية، وبعضها الآخر من المصادر العربية، لكن المترجِمَة لم تذكرها. أي لم تكن الترجمة لأشعار المعتمد من اللغة العربية؛ وإنما من خلال وسيط، وهو ما حدا بأحد الباحثين إلى استبعاد الاعتماد على هذه الترجمة في كتابه (**شعر المعتمد: الشكل والبناء**)[1]، على الرغم من أنها من الترجمات الإنجليزية القليلة المعروفة لأشعار المعتمد بن عباد. ومن المعروف أنه " لم يدوِّن المعتمدُ شعرَه في ديوان، ولم يجمعه أحد ممن جاء بعده، وإنما كان شعره متفرقاً منثوراً في صحائف التاريخ وكتب الأدب؛ ما خلا مجموعاً صغيراً ملحقاً بديوان ابن زيدون، لا يجمع إلا النزر اليسير من شعره"[2]، ولم تكن مترجِمة هذه الأشعار قد أسمَتها ديوان المعتمد أو ما شابه مما يوحي بجمع شعره؛ لأن عملها لم يكن استقصاء أشعار

(1) ينظر صفحة «ملحوظات عن مصادر شعر المعتمد بن عباد » في بداية كتاب:

* Scheindlin, P. Raymond (1974), ***Form and the Structure in the Poetry of Al Mu`tamid***, Leiden: Brill.

(2) المعتمد بن عباد (ت488هـ)، **ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية**، (ط4)، (تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ومراجعة طه حسين)، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 2002. ص 36.

المعتمد كلها، فالسلسلة التي نُشِر فيها الكتاب موجهة للقارئ العادي الذي يريد فقط مزيداً من عبق الشرق وسحر آدابه.

وقد ظلت العناية بنشر التراث الأندلسي في بريطانيا ضئيلة حتى منتصف القرن العشرين، حين نشر برودهيرست سنة 1952 ترجمة إنجليزية **(لرحلات ابن جبير)** عن طبعتها باللغة العربية التي حققها ونشرها وليم رايت، أضاف فيها إلى الكتاب مقدمة جديدة بالإنجليزية. وفي السنة التالية (أي 1953) نشر آرثر جون آربري ترجمة إنجليزية ثانية لكتاب **(طوق الحمامة)** لابن حزم الأندلسي[1].

وقدَّمَ في السنة نفسها ترجمة إنجليزية شعرية لكتاب **(رايات المبرزين)** لابن سعيد[2].

ويبدو من العرض السابق أن العناية بنشر نصوص التراث الأدبي الأندلسي لدى المستشرقين في بريطانيا قد بقيت ضعيفة حتى منتصف القرن العشرين، على الرغم من تنامي ميدان الدراسات الأندلسية في أوربا والعالم العربي، واتساع آفاقه ومجالات البحث فيه.

وفي هذه الأثناء كان المستشرقون البريطانيون قد بدؤوا يساهمون في ميدان الدراسات الأندلسية كغيرهم من مرتادي هذا الأفق، وأصبح لهم حضور واضح في هذا الميدان بفضل الأعمال التي قدمها بعضهم مثل صمويل شترن، الذي نشر بعض مختارات من ديوان **(جيش**

---

(1) نُشرت رسالة **(طوق الحمامة)** للمرة الأولى عن نسختها المخطوطة الوحيدة بتحقيق المستشرق الروسي بتروف (ت1925) في سنة 1914 في لَيدَن، مع مقدمة بالفرنسية وفهارس. أما الترجمة الإنجليزية الأولى فقد نشرها التشيكي نيكل سنة 1931. ينظر:

A Book Containing the Risala Known as the Dove`s Neck-Ring about love and lovers. Translated from the unique manuscript in the University of Leiden, edited by D. K Petrof in 1914, by A. R Nykl. Paris: Paul Geuthner, 1931.

(2) كان غرسية غومس قد نشر **رايات المبرزين** في مدريد سنة 1942 وذلك وفقاً لمخطوط أهداه إليه في القاهرة أحمد زكي باشا، وأرفق بالنص العربي ترجمة إسبانية، بعنوان:

El Libro de las Banderas de los campeones de Ibn Sa´id, 1942.

ثم نُشر الكتاب في العالم العربي، ينظر: ابن سعيد، علي بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، (تحقيق عبد المتعال القاضي)، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1973.

كما نشره محمد رضوان الداية في: ابن سعيد، علي بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ): **رايات المبرزين وغايات المميزين**، (ط1)، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987.

التوشيح) سنة 1955 (1) الذي كان ما يزال غير معروف للباحثين، ونشر مختارات أربعة من مخطوطة ديوان **(عدة الجليس)** سنة 1958 (2).

وبدأت تظهر شيئاً فشيئاً دراسات وآراء ووجهات نظر جديدة في بريطانيا في الدراسات الأندلسية، حاولت أن تثبّت أقدامها وسط فيض من الدراسات والبحوث الأندلسية المستقرة الأركان في بعض البلاد الأوربية، وكان لبعض تلك الآراء صدى واسع بين الباحثين في ميدان الدراسات الأندلسية: ففي أواخر القرن العشرين قدّم الاستشراق البريطاني ما يمكن أن يكون أكبر مساهمة له في الدراسات الأندلسية بتحقيق ديوان **(عدة الجليس)** لابن بشري الأغرناطي الذي نشره بالعربية ألَن جونز سنة 1992 عن نسخة فريدة، وهو الديوان الذي كان اعتمد عليه الإسباني غرسية غومس والإنجليزي صمويل شترن في المقالات التي أحدثت ضجة في الدراسات الأندلسية حين نُشرت في خمسينيّات القرن العشرين حول الخرجات الرومانثية في الموشحات العربية الأندلسية (3).

ثم قدم ألَن جونز سنة 1997 مساهمة جديدة عندما أنجز تحقيقاً ثانياً لديوان **(جيش التوشيح)** لابن الخطيب، الذي حقق نصَّه من قبل ـ سنة 1967 ـ هلال ناجي ومحمد ماضور في تونس. أي إنه لم يكن للبريطانيين على نشرهم بعض النصوص الأندلسية فضل السبق في نشر نصوص ذات أهمية كبيرة إلا ما كان من نشر وليم رايت لـ**(رحلة ابن جبير)** ؛ إذ كانت تلك هي المرة الأولى التي يُنشر فيها نص الرحلة باللغة العربية(4). وما كان كذلك من

---

(1) Stern, S. M. (1955), Two Anthologies of Muwassah poetry: Ibn al-Hatib`s Gays al-tawsih and al-Safadi`s Tawsi` al-tawsih, **Arabica**, ii: 150-192

(2) Stern, S. M. (1958), Four Famous Muwassahs from Ibn Bushra`s Anthology, **al-Andalus**, xxiii: 339-369.

(3) ينظر: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، (ط2)، عبد الحميد شيحة (مترجم)، القاهرة: مكتبة الآداب. قائمة مؤلفات شترن ص322–336، المؤلفات ذات الأرقام التالية: 7، 8، 25، 27، 98، 132؛

أو ينظر الكتاب بالإنجليزية:

Harvey, L. P. (Ed.), (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry, Studies by Samuel Miklos Stern***, Oxford: The Clarendon Press. Bibliography of: S. M. Stern, Complied by J. D. Latham and Helen W. Mitchell.

(4) كان الإيطالي ميخائيل أماري (ت1889) المهتم بتاريخ صقلية الإسلامية قد « ترجم فصولاً من (رحلة ابن جبير) إلى الفرنسية...ثم نشرها متناً وترجمة في باريس 1846». ينظر: العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**، مج1، ص420.

الإنجاز الذي حققه ألن جونز بنشر ديوان **(عدة الجليس)**، وهو مجموع موشحات أندلسية، ومن بينها مجموعة موشحات مختومة بالخرجات الرومانثية، التي كانت لا تزال غامضة أمام الباحثين والمتخصصين في ميدان الدراسات الأندلسية. وجاء الكشف عن هذا الديوان ونشره وتيسيره بين أيدي العلماء عملاً مميزاً بكل المقاييس للمهتمين بدراسة الموشحات الأندلسية وخرجاتها(1).

أما النصوص الأندلسية الأخرى التي نشرها المستشرقون البريطانيون أو ترجموها، فقد سبق إلى نشرها بعضُ المستشرقين الأوربيين خارج بريطانيا بنصوصها العربية أو مترجمة إلى اللغات الأوربية الأخرى(2).

المبحث الثالث: الكتابة والتأليف حول الأدب الأندلسي

تعد الكتابة والتأليف في الشأن الأدبي الأندلسي في بريطانيا خطوة تالية للخطوتين السابقتين: جمع المخطوطات الأندلسية وتحقيقها ونشرها؛ فمن جهة كان لا بدّ ـ من أجل التمهيد لإرساء دعائم ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا ـ من أن تتجه الجهود أولاً إلى

(1) كان غرسية غومس قد نشر من قبلُ بعض نصوص الخرجات الرومانثية الملحقة بالموشحات الأندلسية، في مجلة «الأندلس» بحروف لاتينية، ينظر:

* Garcia Gomez, Emilio (1952), Veinticuatro Jaryas Romances en Muwassahas Arabes, **al-Andalus**, 17, pp. 57-127

* Garcia Gomez, Emilio (1954), Dos Nuevas Jaryas Romances (xxv y xxvi) en Muwassahas Arabes, **al-Andalus**, 19, pp.369-384.

ونشرها بحروف عربية: آل طعمة، عدنان محمد (1987)، **المختار الأنيس من كتاب (عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس)**، (ط1)، مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

(2) كانت رسالة **(طوق الحمامة)**، مثلاً، قد تُرجمت إلى عدة لغات أوربية قبل أن يترجمها آرثر جون آربري للمرة الثانية إلى الإنجليزية، إذ نُشرت للمرة الأولى سنة 1914 بتحقيق الروسي بتروف D. K. Petrov (ت1925)، وفي سنة 1931 ترجمها إلى الإنجليزية نيكل [؟ -1885) (A. R. Nykl] ونشرها في باريس، وفي 1941 تُرجمت إلى الألمانية، وفي سنة 1949 تُرجمت إلى الإيطالية، وفي العام نفسه نُشرت ثانية في الجزائر مرفقة بترجمة فرنسية، ثم كانت ترجمتها إلى الإسبانية في سنة 1952 على يد غرسية غومس في مدريد. ينظر:

Arberry, A. J. (Tr.), (1994), ***The Ring of the Dove, by Ibn Hazm, A Treatise on The Art and Practice of Arab love***, London: Luzac Oriental. (First published 1953). Pp.9-10.

نشر نصوص التراث الأندلسي؛ ليقوم على أساسها الدرس والتحليل واستخلاص النتائج التي تُعرَض في مؤلفات الباحثين المهتمين بالتراث الأندلسي هناك على أنواعها.

ومن جهة أخرى فإن الباحثين في بريطانيا في هذا المجال أفادوا من الجهود السابقة التي قام بها المستشرقون في الدول الأوربية الأخرى (مثل فرنسا وإسبانيا)، التي حظيت فيها الدراسات الأندلسية باهتمام أكبر منذ وقت مبكر، فقد بدأت مساهمة بريطانيا في الكتابة والتأليف حول التراث الأندلسي متأخراً شيئاً ما عن سابقتها الأوربية؛ ذلك أن القرن العشرين هو الذي شهد بدء عملية التأليف العلمي والكتابة البحثية في الشؤون الأدبية الأندلسية لدى المستشرقين البريطانيين، ولا نعثر لهم قبل ذلك على مساهمات علمية واضحة في التأليف لها مكانتها في عالم الدراسات الأندلسية، إذ شرعت تلك المساهمات تظهر شيئاً فشيئاً منذ النصف الأول من القرن العشرين في بعض الدراسات التي قدمها المستشرقون البريطانيون، وبدأت تتضح ملامح ميل بعضهم إلى بحث القضايا والشؤون الأدبية الأندلسية على نحو أوسع مما سبق.

وكان التأليف في موضوع الأدب الأندلسي لدى بعض المستشرقين والباحثين البريطانيين جزءاً من عملهم في ميدان الاستشراق أو الاستعراب أو الدراسات العربية والإسلامية الواسع، أو جزءاً من العمل في الدراسات الإسبانية أو دراسات القرون الوسطى لدى بعضهم الآخر، ويمكن تفهّم ذلك إذا وضعناه في سياق القضايا التي عالجوها في كتاباتهم مما يتصل بالأدب الأندلسي؛ أي قضايا التأثر والتأثير بين الأدب العربي والأدب الأوربي من خلال الأندلس وصقلية ـ التي تمت في القرون الوسطى ـ تلك القضايا التي تتجلى خاصة في المؤلفات التي عالجت شعر الموشحات الأندلسية: لغتها وموسيقاها وخرجاتها... والتي شارك فيها الباحثون في بريطانيا من ميادين عديدة؛ وليس فقط من ميدان الدراسات العربية الإسلامية.

تتنوع مؤلفات المستشرقين البريطانيين حول التراث الأندلسي وتتعدد، فهي ما بين مؤلفات أُنتجت في أجواء الجامعات والبحث العلمي وموجهة إلى القارئ المتخصص والباحث المستعرب، ومنها ما هو موجّه إلى القارئ غير المتخصص الراغب في معرفة

بعض المعلومات عن الحضارة الأندلسية في إسبانيا. كما تفاوتت أعمالهم تلك؛ فكان منها: الكتب العامة عن الحضارة العربية الإسلامية، والكتب المتخصصة بالأندلس أو إسبانيا الإسلامية، والمقالات في الموسوعات أو في الكتب الجماعية أو على صفحات الدوريات المتخصصة، إلى مراجعات الكتب الصادرة حول جوانب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

وسنقف على مجموعةٍ من أبرز هذه الأعمال التي تمثل لنمط الكتابة والتأليف في بريطانيا حول الأدب الأندلسي. أما أعمالهم المؤلَّفة الأخرى فسنقف على تفاصيلها في المبحث الرابع من هذا الفصل عن الأنشطة الجامعية.

وسيكون الحديث عن هذه المؤلفات مقتصراً على المؤلفات التي تحدث فيها أصحابُها عن الأدب الأندلسي وما ارتبط به من قضايا ناقشها الباحثون في بريطانيا من المهتمين بدراسة حضارة المسلمين في الأندلس.

1) الكتب

أولاً: الكتب العامة

وهي مجموعة من الكتب التي أصدرها مستشرقون وباحثون في بريطانيا في موضوع الحضارة العربية الإسلامية عامة، وتناولت في بعض فصولها الأدب العربي في الأندلس، وأظهرت هذه الكتبُ ملامحَ المساهمة البريطانية في تناول الأدب الأندلسي ودراسته في القرن العشرين خاصة. وكان منها:

1 - (**المدخل إلى الأدب العربي**)[1] المنشور سنة 1926، حاول مؤلفه هاملتون جِب إلقاء الضوء على الأدب العربي بمجموعه، ولم يتحدث في كتابه هذا عن الأدب الأندلسي بصفة مستقلة؛ بل إنه أدرج الحديث عن إسبانيا في كل حقبة من حقب تاريخ الأدب العربي وليس في مرحلة منفصلة أو قسم خاص.

(1) Gibb, H.A.R. (1926), ***Arabic Literature: An Introduction***. London: Oxford University Press, Humphrey Milford.

يرى جِب أنه لم يكن في الأندلس ظروف توازي ما كان موجوداً في المشرق (كالتفاعل الذي قام بين العرب الفاتحين والحضارات التي سبقتها في الشام ومصر والعراق) الذي أدى إلى ازدهار الأدب؛ لأن إسبانيا كانت مأهولة من قبَل القوط الذين لم يقدموا برأيه شيئاً يُذكر للفاتحين الجدد؛ أي إن القوط لم ينهضوا بعبءٍ مشابه لما قدَّمه أهلُ فارس والعراق والشام للفاتحين المسلمين لبلادهم[1].

2 ـ **كتاب (تراث الإسلام)**[2] الذي صدرت طبعته الأولى عام 1931. وهو من الكتب التي جمعت دراسات ومقالات متنوعة عن تراث المسلمين الحضاري، وساهم في تحريره مجموعة من المستشرقين الإنجليز، « وهو حلقة من سلسلة مصنَّفات تناولت البحث فيما خلفه اليونان والرومان والعصور الوسطى وبنو إسرائيل. ففيه محاولة لشرح عناصر الثقافة الأوربية المستمدة من العالم الإسلامي »[3].

احتوى المجلد الأول منه على فصلين يبحثان في بعض جوانب الأدب العربي الأندلسي، أحدهما كتبه جون براند ترِند (ت 1958) بعنوان (**إسبانيا والبرتغال**)، والثاني كتبه هاملتون جِب بعنوان **الأدب**.

وفي الفصل الذي كتبه ترِند عرَّج على بعض جوانب حضارة العرب والمسلمين في إسبانيا، ومنها حديثه عن الألفاظ العربية في اللغتين الإسبانية والبرتغالية[4]، ثم توقف عند قضية الساعة حينذاك؛ أي الحديث عن أثر الأدب العربي في الأدب الأوربي[5].

أما الفصل الذي كتبه جِب بعنوان الأدب[6]؛ فكان يقصد منه الحديث عن الأدب الإسلامي والشرقي، ووقف فيه على قضية تأثير الأدب العربي في الآداب الأوربية، وعرَّج

---

(1) Gibb, H.A.R. (1926), ***Arabic Literature: An Introduction***, p. 75.

(2) Arnold, Sir Thomas and Guillaume, Alfred (Eds.), (1931), The ***Legacy of Islam***, Oxford: Clarendon Press.

وقد نُشر بالعربية، ينظر: آرنولد، توماس (محرر) **تراث الإسلام**، (1983)، مجلدان، ترجمة: لجنة الجامعيين لنشر العلم، (صورة طبق الأصل من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام 1936)، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها.

(3) آرنولد، توماس (محرر) **تراث الإسلام**، (1983)، مقدمة الترجمة العربية، ج1: ص م.

(4) المصدر نفسه، ج1: ص36–54.

(5) المصدر نفسه، ج1: ص57–60.

(6) المصدر نفسه، (1983)، ج1: ص149–221.

بطبيعة الحال على أثر شعر الموشحات والأزجال الأندلسية وأثر النثر العربي في فن القصص والرحلات في الأدب الأوربي.

وينبغي أن نأخذ بالحسبان أن **تراث الإسلام** المنشور في النصف الأول من القرن العشرين قد نُشِر في الوقت الذي كانت فيه دوائر البحث العلمي في الجامعات الأوربية ما تزال تشهد جدلاً حول مدى الأثر العربي في الآداب الأوربية، وقد أغنت هذا الجدلَ الكشوفُ المتعددة التي احتوتها كثير من المصادر الأولية العربية التي نُشِرت تباعاً حتى ذلك الحين، وأماطت اللثام عن حقائق كانت غائبة في التراث الأندلسي، وكان كثير من الباحثين الأوربيين ما زالوا يرفضون بشدة مجرد الحديث عن أثر الأدب العربي في الأدب الأوربي، فهم وإن قَبِل بعضُهم الاعتراف بأثر العرب في نهضة العلوم في أوربا؛ فإنهم ما خطر ببالهم أن يمتد هذا الأثر أيضاً إلى ثقافة أوربا وآدابها.

3 ـ **الكتب التي تناولت الحديث عن آثار حضارة العرب والمسلمين وفضلها على نهضة أوربا**: وكان من بينها الحديث عن آثار العرب في مختلف نواحي الحياة؛ ومنها أثر الأدب العربي في الأدب الأوربي. ومن الكتب التي توقفت عند هذه المسألة:

* كتاب (**فضل الإسلام على الحضارة الغربية**)[1] الذي صدر عن سلسلة الدراسات الإسلامية في جامعة إدنبرة 1972، وقد تحدث مؤلفُه مونتغمري واط (ت2006) فيه عن أثر الحياة الحضرية الأندلسية في انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى أوربا من خلال معبر الأندلس وصقلية، وأشار إلى تشابه الأغاني الرومانثية والشعر البروفنسي مع شعر الموشحات والأزجال الأندلسية، وخلص إلى تأكيد دور العرب الذي لا يلتفت إليه كثير من الأوربيين في حياتهم اليوم[2]. وربما لا يتوقف الكاتب بالتفصيل عند هذه النقطة؛ وذلك لأن الكتاب حلقة في سلسلة أصدرتها الجامعة عن الإسلام، وهي موجهة أصلاً للقارئ غير المتخصص.

---

(1) Watt, M. (1972), ***The Influence of Islam on Medieval Europe,*** Edinburgh: Edinburgh University Press.

وهو مترجم إلى العربية بعنوان: **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، (ط1)، بيروت: دار الشروق، 1983.

(2) Watt, M. (1972), ***The Influence of Islam on Medieval Europe***, pp. 23-29.

* كتاب (**العرب وأوربا في العصور الوسطى**)[1] الذي صدرت طبعته الأولى عام 1975. وتحدث مؤلفه نورمان دانيال في الفصل الخاص بإسبانيا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر عما سماه: التبادل الأدبي غير المعترف به[2]، أشار فيه إلى قضية دَين أوربا تجاه إسبانيا، ولا سيما المتصل منه بتأثير الشعر الأندلسي في الشعر الغنائي الأوربي، وأن التقاليد الأدبية في شعر الحب الرفيع[3] مستمدة في معظمها من تقاليد شعر عهد ملوك الطوائف في الأندلس. ويسوق المؤلف مظاهر الصلات الأدبية « المباشرة» بين العرب وأوربا التي كانت سبباً في انتقال هذه التقاليد[4].

* كتاب (**التأثير العربي في أوربا في العصور الوسطى**) [5] والكتاب، الصادر سنة 1997، في أصله مجموعة بحوث قُدِّمت في مؤتمر (التأثير العربي في أوربا في العصور الوسطى)، الذي عُقد في جامعة أكسفورد سنة 1990، وبيَّن أن الأندلس قامت بدور رئيسي في الاتصال بين العرب وأوربا، إلى جانب صقلية، وجاء ترتيب الأوراق المقدمة للمؤتمر في الكتاب ليعكس حركة الاتصال بين العرب وأوربا ابتداء من جنوبيّ إيطاليا ثم صقلية ثم الأندلس إلى أوربا.

---

(1) Daniel, Norman (1986), ***The Arabs and Medieval Europe,*** London and New York: Longman, Librairie du Liban, (First Published 1975).

(2) Daniel, Norman (1986), ***The Arabs and Medieval Europe***. Pp.95-107.

(3) الحب الرفيع (courtly love): وهو مجموعة قواعد تواضع الناس عليها في أواخر العصور الوسطى بأوربا خاصةً بما ينبغي أن يُتَّبَع من سلوك في مغازلة الفرسان أو الشعراء لكرائم السيدات. ويقرب من هذا (الهوى العذري) عند العرب. ينظر: وهبة، مجدي (1974)، **معجم مصطلحات الأدب (عربي – إنكليزي – فرنسي)**، بيروت: مكتبة لبنان.

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور عبد الواحد لؤلؤة يترجم المصطلح Courtly Love "حب القصور"؛ فهي كما يقول: "الترجمة الأدق كما أراها لا كما ترجمها بعضهم (الحب العفيف، الحب العذري، الحب النبيل، الطاهر...)؛ لأن الكلمة لا تشير إلى شيء من ذلك بتاتاً، بل إلى نوع من "الحب الجنسي المنقى"...شاع في قصور النبلاء في القرون الوسطى". ينظر: لؤلؤة، عبد الواحد (مترجم)، (1983)، **موسوعة المصطلح النقدي**، 3مجلدات، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات. وللمزيد ينظر:

* Ousby, Ian (1996), ***Cambridge Guide to Literature in English***, Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 94-95.

* Lambdin, Robert Thomas and Lambdin, Laura Cooner (2000), ***Encyclopaedia of Medieval Literature***، London and Chicago: F D Fitzroy Dearborn Publishers. Pp. 109-111.

(4) Daniel, Norman (1986), The Arabs and Medieval Europe, pp. 107-112.

(5) Agius, Dionisius and Hitchcock, Richard (Eds.) (1997), ***The Arab Influence in Medieval Europe***, London: Ithaca Press.

ومن بين البحوث المقدَّمة كان الفصل الأخير فيه لديفيد ولستان من جامعة ويلز بعنوان: (**الغلمان والنساء والسكارى: هل هنالك تأثير إسباني ـ موريسكي في الأغنية الأوربية؟**): الذي يقوم على بيان جوانب التفاعل بين الموسيقا وعلم العروض التي توضِّح الأثر الأندلسي في الشعر الغنائي الأوربي، وهو الذي يميل الباحث إلى إثباته والأخذ به.

ثانياً: الكتب المتخصصة بإسبانيا

وهي كتب وضعها بعض المؤلفين في بريطانيا كان موضوعها الرئيسي الحديث عن إسبانيا، عرَّجوا على حضارة المسلمين فيها، وإن اختلفت معالجتهم لهذه الحضارة؛ فإنهم اتفقوا على الاعتراف بتميزها. وكان من تلك الكتب:

1 ـ كتاب (**تاريخ الإمبراطورية الإسلامية في أوربا**)[1] الذي صدر سنة 1904، لكن مؤلفه صمويل سكوت كان قد كتبه قبل سنة 1898 وأراد أن يصور فيه تاريخ حضارة العرب والمسلمين التي أقاموها في أوربا وكانت مصدراً لتقدم أوربا في العصر الحديث.

وقد توزعت فصول الكتاب الثلاثون لتغطي أخبار العرب منذ الجاهلية مروراً بظهور الإسلام إلى فتح إسبانيا وتاريخ المسلمين فيها، مع فصل خاص عن المسلمين في صقلية[2]، وقد تحدث المؤلف في تلك الفصول عن تاريخ وجود المسلمين في أوربا في الأندلس وصقلية حديثاً مفصَّلاً، وجعل المجلد الثالث من كتابه في البحث في مواضيع حضارية وثقافية عديدة، كان منها الفصل الثامن والعشرون بعنوان: (العهد الإسباني ـ العربي للآداب والعلوم)، وفيه عرّج على قضايا كثيرة يظهر فيها إعجابه بغزارة إنتاج أعلام الأندلس في العلوم والفلسفة والأدب، وكان منها حديث موجز عن الشعر الأندلسي.

وقد اعتمد المؤلف على نحو خاص على مؤلفات رينهرت دوزي في التاريخ الأندلسي؛

---

(1) Scott, S. P. (1904), ***History of the Moorish Empire in Europe***, (3 vols.), London, Philadelphia: Lippincott Company.

(2) ينظر الفصل الأول في المجلد الثاني من الكتاب: Scott, S. P. (1904), ***History of the Moorish Empire in Europe***.

مما يشير إلى أن الدراسات باللغة الإنجليزية حول موضوع الأندلس والأدب الأندلسي كانت محدودة جداً حتى أوائل القرن العشرين.

2 ـ كتاب (**إسبانيا من الجنوب**)(1)، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1928، وهو في حقيقته كتاب قد لا يُعَدُّ ضمن الإطار العلمي البحت في الدراسات الأندلسية؛ بل هو كتابٌ في الرحلات وضعه مؤلفه جون براند ترِند؛ ليكون للرحّالة ـ المتوجهين إلى إسبانيا ـ كتاباً يحملونه في أسفارهم إلى ذلك البلد، ويفيدون منه في فهم طبيعة تلك البلاد وطبائع أهلها.

لكن المؤلف قد خصص فصلاً في الكتاب(2) لما أسماه (الشعر الإسباني ـ الموريسكي)، مهّد فيه أولاً ببيان العصور السياسية الإسلامية في الأندلس، وقد خصَّ من بينها دولة بني عباد في إشبيلية بالكلام والتفصيل، أما الأشعار التي قدمها فيه فهي مأخوذة من مصادر عربية مترجمة مما نشره المستشرقون، وترجموه.

وتحدث المؤلف في عجالة عن الشعر الأندلسي حتى طرد الموريسكيين من إسبانيا بحلول سنة 1614، وقد عدّ سقوطَ قرطبة نهاية حضارة المسلمين هناك، هذا مع أن عهد ملوك الطوائف قد شهد ـ برأيه ـ تطورات رائعة رغم التغيّرات السياسية القوية.

وقد عرَّج على ذكر بعض أعلام الشعراء الأندلسيين، وتوقف عند المعتمد والرُّميكية، وقدم نماذج من شعره مترجمة إلى الإنجليزية اقتبسها من مصادر عربية مترجمة مثل (**وفيات الأعيان**) و(**نفح الطيب**)، وعرَض لنماذج أخرى من شعر شعراء الأندلس دون درس عميق أو تحليل، فكتابه كتاب رحلات للقارئ العادي أكثر منه كتاباً عن تراث الأندلس أيام المسلمين. ويبدو ترِند هنا متأثراً بأفكار دوزي واهتمامه الكبير بالمعتمد وبني عباد وبأمراء الطوائف.

3 ـ كتاب (**مدنيّة المسلمين في إسبانيا**)(3) الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1935، وهو كتاب في محاسن مدنيّة العرب والمسلمين في إسبانيا، ومبلغ الحضارة التي وصلوها في تلك البلاد، في الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في الجهل. ويغلب على المؤلف

(1) Trend, J. B. (1990), ***Spain from the South***, London: DARF Publisher Ltd. (First Published 1928).

(2) وهو الفصل التاسع في كتابه: Trend, J. B. (1990), ***Spain from the South***, pp.116-133.

(3) McCabe , Joseph (1935), ***The Splendour of Moorish Spain***, London: Watts and Co.

الإعجاب بأهل الأندلس وحضارتهم، كما تحدث في الفصل الرابع[1] عن علوم المسلمين وآدابهم في الأندلس، لكنه وقف على النهضة الثقافية فيها وانتشار التعليم والمكتبات وازدهار الجامعات الإسلامية قبل مثيلاتها الأوربية بقرون، ولم يأتِ على ذكر الأدب شعراً أو نثراً، وربما يعود ذلك إلى أن المؤلف ليس باحثاً في التاريخ أو الأدب، بل هو من أعلام الفكر الحر ومن كبار المفكرين مُنكري الأديان، وكان كتابه نوعاً من الهجوم على إسبانيا الكاثوليكية.

وهكذا كان التأليف في الأدب الأندلسي ما زال محدوداً جداً، ولم يناقش الكثير من قضايا الأدب الأندلسي كما اعتنى بالجانب التاريخي والحضاري أكثر من الجوانب الأدبية. إلى أن شهد النصف الثاني من القرن العشرين نقلة كبرى في التأليف حول الأدب الأندلسي بين المستشرقين والباحثين في بريطانيا، الذي يعد البداية الحقيقية للتأليف في الأدب الأندلسي، إذ نشط هؤلاء في الكتابة حول عدد من القضايا في الأدب الأندلسي التي أثير حولها الجدل منذ كتب صمويل شترن مقالاته عن الموشحات الأندلسية، العربية والعبرية، وخرجاتها الرومانثية في الخمسينيّات من القرن العشرين. وكان كتاب شترن عن الأدب الأندلسي، الذي قام على جمعه وتحريره تلميذه ليونارد هارفي، بعنوان (**الشعر المقطعي الأندلسي**)، وهو يتضمن دراسته عن **الموشح الأندلسي القديم** التي نال عنها درجة الدكتوراه سنة 1951 من أكسفورد، وبحوثاً أخرى له في القضايا المتصلة بالموشحات الأندلسية: أصولها وأثرها في الشعر الأوربي.

2) المقالات

أولاً: (دائرة المعارف الإسلامية)[2]

تعد دائرة المعارف الإسلامية من أهم المؤلفات الاستشراقية، « وهي المرجع الأساس

(1) ماك كيب، جوزيف (1985)، مدنية المسلمين في إسبانيا، (ط2)، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. (الطبعة الأولى 1949)، ص81–94.

(2) ***The Encyclopaedia of Islam, New Edition***, (1960-2002), 11 vols. Prepared by A Number Of Leading Orientalists , Under The Patronage Of The International Union Of Academics, Leiden – New York: E. J. Brill,

لفكر المستشرقين...، وتحوي مقالاتها خاصة ما توصل إليه الدارسون الغربيون من نتائج في مختلف المواضيع الإسلامية... [و] هي مرجع كل الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية من مختصين وغير مختصين، إليها يرجعون، ومن معينها يستقون. وتفرد الدائرة لكل موضوع من موضوعات الإسلام مقالاً... ويلحق بكل مقال المصادر الأولية الإسلامية والعربية والمراجع الثانوية المعتمدة من كتب ومقالات في مختلف اللغات الأوربية»(1).

وكانت الحاجة قد دعت إلى جمع أشتات الدراسات والبحوث التي يقوم بها المستشرقون الأوربيون، فجمعت دائرةُ المعارف الإسلامية خلاصةَ الفكر الاستشراقي التي يُعهد فيها إلى المستشرقين من تخصصات شتى للكتابة في مواضيع تخصصهم، وتذيَّل المواد المكتوبة فيها باسم كاتبها، وتتباين المواد في عمقها العلمي وفي مستواها ومنهجها باختلاف الكتّاب.

صدرت الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية بين عامَي 1913–1938، « أما الطبعة الثانية من هذه الموسوعة الأوربية فقد بدأ إصدارها في سنة 1945...»(2). وقد ضمت هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة أسماء مستشرقين من بريطانيا منهم: هاملتون جب وبرنارد لويس وصمويل شترن مشرفاً عاماً للدائرة، أما قائمة الكتّاب من المستشرقين والباحثين الذين كتبوا في هذه الدائرة الموسوعية؛ فتضم عدداً من المتخصصين من الأساتذة الذين ينتمون إلى الهيئات العلمية في بريطانيا، وكان من بين هؤلاء مجموعة من المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا.

لكن البحث والتنقيب في المقالات المتصلة بالأندلس وتراثها المتعدد الجوانب في دائرة المعارف الإسلامية من أعلام التراث الأندلسي وفنونه؛ خلص إلى أن أغلب تلك

---

(1) حسين، محمد توفيق (1979)، الإسلام في الكتابات الغربية، **عالم الفكر**، (الكويت)، مج 10(2)، ص239–240.

(2) الطيباوي، عبد اللطيف (1991)، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة: قاسم السامرائي، السعودي: جامعة الإمام محمد بن سعود، إدارة الثقافة والنشر. ص112–113.

المقالات قد كتبها أهل الاختصاص من المدارس الاستشراقية الأخرى غير البريطانية، ولا سيّما من المدرسة الفرنسية والإسبانية، وأن مساهمة بعض الأعلام من المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا في كتابة المواد عن التراث الأندلسي أو ما له صلة بالأندلس عامة؛ كان محدوداً في تلك الدائرة الموسوعية، وكان في أغلبه في تراجم بعض الأعلام والتعريف بالأماكن في الأندلس، أما المواد وثيقة الصلة بالأدب الأندلسي وأعلامه المشهورين من الشعراء والكتّاب؛ فقد كتبها غيرهم.

ويمكن الوقوف على معظم المواد التي تخص الأندلس، وكُتِبت بأقلام مستشرقين وباحثين من بريطانيا في الجدول الآتي:

مقالات الباحثين البريطانيين في دائرة المعارف الإسلامية عن الأدب الأندلسي		
المجلد	**اسم الباحث**	**المقالات التي حررها**
المجلد الأول (طبعة1960 و1986)	صمويل شترن	مادة:عبد الرحمن الغافقي، ص 86–87. معلومات إضافية ومصادر أخرى في مادة: أبو الصلت، أمية، ص 149. مادة: الأعمى التطيلي، ص426.
المجلد الأول (طبعة1960 و1986)	جون ديريك ليثم	مادة: الأندلس، ملحق الأندلس في شماليّ إفريقية، ص496–497.
المجلد الأول (طبعة1960 و1986)	ليونارد هارفي	المصادر والمراجع لمادة: الخميادية، ص404.
المجلد الأول (طبعة1960 و1986)	بتوقيع المحرر	مادة: العربية، ملحق بعنوان: الأدب العربي في إسبانيا ص599–603.

المجلد الثالث (طبعة 1986)	هوبكنز	مادة: ابن الحاج النميري، ص 780. مادة: ابن رشيق القشيري حاكم مرسية، ص 904–905. مادة: ابن صاحب الصلاة صاحب كتاب المن بالإمامة، ص 924–925. مادة: ابن تومرت، ص 958–960. مادة: نهر ايبرو، ص1005. مادة: إفرنج الجزء الخاص باستعمال الكلمة في إسبانيا، ص1064. مادة: إلبيرة، ص1110.
المجلد الرابع (طبعة 1991)	بيير كاكيا	مادة: مواليا، ص 867–868.
المجلد الرابع (طبعة 1991)	ج. د. بيرسون	مادة: مكتبة، ص197–200، جزء عن المكتبات في الأندلس، ص 198.
المجلد الخامس (طبعة 1986)	جون ديريك ليثم	مادة: Kulam، ص 360–362، وفيها جزء عن الأندلس / القليعة، ص 361.
المجلد السادس (طبعة 1990)	ج. ب. هوبكنز	مادة: قلعة رباح، ص482.
المجلد السابع (طبعة 1993)	جون ديريك ليثم	مادة: مقدم بن معافى القبري، ص492.

المجلد السابع (طبعة 1993)	ديفيد ويسرستين	مادة: ملوك الطوائف، ص551–554. مادة: المؤتمن بن هود المقتدر، ص768. مادة: المتوكل على الله آخر ملوك بني الأفطس، ص778.
المجلد السابع (طبعة 1993)	أوين رايت	مادة: موسيقي، ص681–688.
المجلد السابع (طبعة 1993)	جون ديريك ليثم	مادة: بنو نصر Nasrids، ص1020–1028.
المجلد الثامن (طبعة 1998)	جون ديريك ليثم	مادة: صائفة، عند الحديث عن الحرب في إسبانيا، ص870 .
المجلد الثامن (طبعة 1998)	ديفيد ويسرستين	مادة: بنو رزين، ص478–479.
المجلد التاسع (طبعة 1997)	ريتشارد هيتشكوك	مادة: السيد Al Sid، ص533–534.
المجلد العاشر (طبعة 2000)	فيليب كينيدي	مادة: تخميس، ص123.
المجلد العاشر (طبعة 2000)	جون ديريك ليثم	مادة: الثغور، ص447–449 مادة: أرشذونة Urdjuduna، ص 873 .
المجلد العاشر (طبعة 2000)	أمين طيبي	مادة: عمر بن حفصون، ص823–825 . مادة: أشبونة، ص914–916.

المجلد الحادي عشر (طبعة 2002)	أمين طيبي	مادة: الزيريين Zirids، ص513–516. مادة: الزلاقة، ص427. مادة: زاوي بن زيري، ص465–466. مادة: زهير حاكم ألمرية، ص 559 .

ثانياً: الدوريات العلمية

كان للباحثين في بريطانيا من المهتمين بدراسة التراث الأندلسي نشاط ملحوظ في مجال نشر المقالات على صفحات الدوريات العلمية، وتعد هذه المقالات خطوة مهمة جعلت للمستشرقين والباحثين البريطانيين مكاناً بين العلماء المتخصصين بالأندلس في أوربا والعالم؛ فقد كانت مقالات صمويل شترن الأولى(1) حول الموشحات الأندلسية والخرجات الرومانثية ـ على صفحات مجلة "الأندلس" الصادرة في مدريد ـ هي التي نبَّهت بقوة من جديد إلى تراث الموشحات الأندلسية وصلتها بالشعر الغنائي الأوربي، وفتحت الباب واسعاً فيما بعد أمام مساهمات جديدة قدمها الباحثون في بريطانيا في ميدان الدراسات الأندلسية.

وليس في بريطانيا دوريات متخصصة بالدراسات الأندلسية؛ إلا أن المهتمين هناك بهذا الموضوع نشروا مقالاتهم داخل بريطانيا على صفحات دوريات متخصصة بالدراسات

(1) وهذه المقالات هي:

* (1948), Les vers finaux en espagnol dans les muwassahs hispano-hebraiques: une contribution a l`histoire du muwassah et a l'etude du vieux dialecte espagnole 'mozarabe'», ***Al Andalus***. xiii, pp. 299-346.
* (1949), "Un muwassah arabe avec terminaison espagnole", ***Al Andalus***. xiv, pp. 18-214.
* (1950), "Muhammad ibn Ubada al-Qazzaz, un andaluz autor de 'muwassahas'", ***Al Andalus***. xv, pp. 79-109
* (1951), "Studies on Ibn Quzman", ***Al Andalus***. xvi, pp. 381-425.
* (1953), "Some textual notes on the Romance jarjas", section 1 of "Miscelanea sobre las jarjas mozarabes", ***Al Andalus***. xviii, pp. 133-40.
* (1958), «Four famous muwassahs from Ibn Busra's anthology», ***Al Andalus***, xxiii. pp. 339-69
* (1963), " 'ASiqayn i'tanaqa: an Arabic muwaSSah and its Hebrew imitations",***Al Andalus***. xxviii, pp. 155-70.

العربية والإسلامية، وفي دوريات أخرى متخصصة بالدراسات الإسبانية أو بدراسات الرومانثية، كما ضمت تلك الدوريات بعض المقالات والمراجعات النقدية لباحثين من خارج بريطانيا عن الأندلس.

وكان من أهم الدوريات البريطانية التي نشروا فيها مقالات تتصل بالأدب أو التراث الأندلسي ـ الدوريات الآتية، وفي الحواشي الموقع الإلكتروني لكلٍّ من تلك الدوريات:

1. **مجلة الجمعية الآسيوية الملكية** Journal of the Royal Asiatic Society [1] : (وهي من منشورات جامعة كمبردج لمصلحة الجمعية الآسيوية الملكية في بريطانيا وإيرلندا، تصدر منذ عام 1834، وتهتم بالبحث في حضارات الشرق الأوسط والأدنى والأقصى ولغاتها وآدابها وتاريخها...).
2. **مجلة الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية** Bulletin of the British Society for Middle Eastern Studies [2]: (تصدر عن الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية BRISMIS منذ سنة 1974 تحت هذا الاسم، ثم أصبح اسمها منذ سنة 1991 المجلة البريطانية للدراسات الشرق أوسطية the British Journal of Middle Eastern Studies)، وتحتوي مقالات متنوعة المواضيع عن الشرق الأوسط).
3. **مجلة المساق**: Al-Masaq [3]: تأسست سنة 1988، تصدر عن جمعية البحر المتوسط في القرون الوسطى، في جامعة إكستر، وتهتم بالبحث في مظاهر الثقافة الإسلامية وآثارها في حوض المتوسط منذ القرن 9هـ.
4. **مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية** Bulletin of the School of Oriental and African Studiea [4]:تصدر عن مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، وتعنى بالبحوث في شؤون الشرق وإفريقيا في جوانب حضارية عديدة.
5. **مجلة الدراسات الإسبانية** Bulletin of Hispanic Studies [5]: تصدر منذ سنة 1923 عن قسم الدراسات الإسبانية في جامعة ليفربول، وتهتم باللغات والآداب والحضارات في إسبانيا

(1) http://journals.cambridge.org/action/displayJournal?jid=JRA
(2) http://journals.cambridge.org/action/displayJournal?jid=JRA
(3) http://projects.exeter.ac.uk/smm/about_the_journal.html
(4) http://www.soas.ac.uk/research/publications/journals/soasbulletin/
(5) http://bulletinofhispanicstudies.lupjournals.org/

والبرتغال ودول أمريكا اللاتينية.

6. **مجلة اللغات الحديثة**Modern Language Reviw:(1) تصدر منذ نحو مئة عام عن اتحاد بحوث العلوم الإنسانية الحديثة، وتهتم باللغات والآداب الأوربية في القرون الوسطى والحديثة؛ ومن ضمنها اللغة الإنجليزية.
7. **مجلة الدراسات السامية**Journal of Semitic Studies (2): من منشورات أكسفورد، وتهتم باللغات السامية القديمة والحديثة؛ إلى جانب لغات الشرق الأدنى والمتوسط وآدابهما.
8. **مجلة الدراسات الإسلامية**Journal of Islamic Studies (3): وهي مجلة متعددة التخصصات من منشورات أكسفورد، وتعنى بدراسة مظاهر الإسلام والعالم الإسلامي من جوانب عديدة.

ثم اقتحم المستشرقون والباحثون البريطانيون الدوريات المتخصصة بالأندلس والدراسات الأندلسية ودراسات الرومانثية خارج بريطانيا، وقد أبلوا فيها بلاء جيداً، ولفتت مقالاتُهم أنظارَ المتخصصين في هذا الميدان في أوربا عامة وفي إسبانيا خاصة (معقل الدراسات الأندلسية)، وفي العالم على الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي.

وكان من أهم الدوريات خارج بريطانيا التي نشروا فيها بحوثهم في مجال التراث الأندلسي المجلات الآتية:

9. **مجلة الأندلس**AL-Andalus(4): وهي مجلة مدرسة الدراسات العربية في مدريد وغرناطة، وكانت تصدر مرتين في السنة منذ سنة 1933، إلى أن توقفت سنة 1978، ثم عاودت الصدور سنة 1980 باسم مجلة "القنطرة" Al-Qantara عن معهد ميجيل آسين بلاثيوس للدراسات العربية في مدريد. وتعد هاتان المجلتان من أشهر الدوريات العلمية المهتمة بالتراث الأندلسي.
10. **مجلة أرابيكا**Arabica(5): التي تصدر عن الناشر الهولندي بريل في مدينة لَيدَن في هولندا،

---

(1) http://www.mhra.org.uk/publications/journals/mrl.html/
(2) http://jss.oxfordjournals.org/
(3) http://jis.oxfordjournals.org/
(4) http://www.eea.csic.es/qantara/qantara.html
(5) http://brill.publisher.ingentaconnect.com/content/brill/arab

وأسسها ليفي بروفنسال عام 1954، وتعنى بالآداب العربية والعلوم الإسلامية.

11. **مجلة الأدب العربي** Journal of Arabic Literature [1]: التي يصدرها كذلك بريل في هولندا، وتعنى بآداب الشرق الأوسط وبالآداب المقارنة والنظرية والمناهج الأدبية.

12. **مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية** Journal of American Oriental Studies [2]: التي تهتم بتشجيع البحوث في آداب آسيا ولغاتها؛ ومنها العربية، وتصدر عن الجمعية الشرقية الأمريكية التي تأسست سنة 1842، وهي من أقدم الجمعيات العلمية في أمريكا في هذا الميدان.

13. **مجلة لا كورونيكا** La Coronica [3]: وهي مجلة قسم اللغة والأدب الإسباني في القرون الوسطى، وتصدر عن اتحاد أمريكا للغات الحديثة، وتعنى بالدراسات الثقافية الإسبانية في القرون الوسطى والحديثة.

وتعد هذه الدوريات من أهم الدوريات العلمية في ميدان الدراسات الشرقية عامة والعربية الإسلامية خاصة.

كان من أمثلة المقالات التي نشرها الباحثون البريطانيون عن الأدب الأندلسي خارج بريطانيا مقالات صمويل شترن ـ السالفة الذكر ـ في مجلة «الأندلس» الصادرة في مدريد، التي شهدت صفحاتُها وصفحات مجلة «القنطرة»، مقالاتٍ دبَّجها باحثون من بريطانيا في موضوع الأدب الأندلسي وتراث المسلمين في الأندلس، بيد أن تلك المقالات وإن كانت قليلة العدد؛ فإنها واسعة الأثر؛ فهذه المقالات تؤذن على قلتها ببدء الحضور البريطاني في ميدان الدراسات الأندلسية على المستوى الأوربي والعالمي: إذ تجلت النقلة الثانية في هذا الحضور حين نشر ألن جونز على صفحات مجلة La corónica مقالته الأولى في سنة 1981، وكانت بعنوان[4]: 'Sunbeams from Cucumbers? An Arabist's Assessment of the State of kharja Studies'، فقد تركت المقالة صدى كبيراً بين الباحثين في الدراسات الأندلسية؛ ذلك أنّ ألن جونز «لم يكتب بصفته مستعرباً في مجلة متخصصة بالرومانثيات؛

(1) http://brill.publisher.ingentaconnect.com/content/brill/jal
(2) http://www.umich.edu/~aos/index.html
(3) http://college.holycross.edu/lacoronica/index.htm
(4) Jones, Alan (1981), Sunbeams from Cucumbers? An Arabist's Assessment of the State of kharja Studies, **La Corónica**, vol. 10, pp. 38-53.

بل بصفته رجلاً إنجليزياً يكتب في مجلة معظم كتّابها من الباحثين الأمريكيين، وهذه نقطة جديرة بالإشارة إليها؛ لأن المواقف التي تلت [هذه المقالة] كانت تنبئ عن مواجهة (بريطانية ـ أمريكية) أكثر منها (رومانثية – عربية))[1].

ولم تكن تلك إلا فاتحة لمساهمات عديدة قدمها الباحثون في بريطانيا في مقالات عن الأدب الأندلسي في الدوريات العلمية، وكانت معظم المقالات تبحث في موضوع الموشحات الأندلسية والخرجات المختومة بها[2]، ومنها تلك التي تحتوي كلمات بالرومانثية أو أنها خرجات رومانثية بالكامل، وقادت هذه البحوث إلى الحديث عن أثر الأدب العربي في الأدب الأوربي، واستحوذت هذه المواضيع على نصيب كبير من مجموع المقالات التي نشرت في الدوريات العلمية عن الأدب الأندلسي، إلى جانب مقالات متفرقة عن بعض الأعلام من أدباء الأندلس، أو التعريف ببعض المخطوطات الأندلسية (الموريسكية تحديداً) وغيرها.

وقد لاقت أعمال الباحثين البريطانيين الاهتمام من المتخصصين بالدراسات الأندلسية في عدة بلدان، ويتجلى هذا الاهتمام في العديد من المراجعات النقدية للدراسات التي كتبها الباحثون البريطانيون وللأعمال التي قدموها، وفي « المعارك» و«المواجهات» التي جرت على صفحات الدوريات والتي كان سببُها آراءَ بعض الباحثين في بريطانيا حول قضايا الأدب الأندلسي؛ مما سنقف عليه فيما بعد.

3) المراجعات النقدية للكتب المنشورة حول الأدب الأندلسي

من الأعمال الملحقة بالتأليف ـ في أوربا ـ على نحو مهم؛ إعدادُ المراجعات النقدية للكتب Book Reviews، وهي شكل من النقد الذي يجري فيه تحليلُ الكتاب شكلاً ومضموناً، ويصدر تباعاً في الدوريات العلمية بأقلام أساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين. وقد ظهر العمل في مراجعة الكتب ونقدها منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى أصبح فناً خاصاً

(1) Hitchcock, Richard (1981), The Fate of the Kharjas: A Survey of Recent Publications, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies** ,Vol. 12 (2), p.175.

(2) لمزيد من التفاصيل عن المقالات المنشورة في الدوريات ينظر الملحق الأول: أعمال الأعلام المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا.

من فنون الصحافة الأدبية له كتّابُه المتخصصون المتميزون من نقاد الأدب(1)، وهو يعني وصفاً عاماً أو نقداً لأحد الأعمال الأدبية أو غير ذلك من الأعمال. وتُنشر المراجعات عادة في مقالة في صحيفة أو دورية(2).

وقد كان للباحثين والمهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا مساهمات في هذا الجانب المكمِّل للتأليف بتحرير العديد من المراجعات النقدية حول الكتب التي تناولت قضايا الأدب الأندلسي المختلفة، سواء منها تلك التي صدرت في بريطانيا بأقلام زملائهم في هذا المجال، أم في بلاد العالم المختلفة شرقه وغربه، وقد كانت تلك المراجعات مؤشراً على تزايد مشاركة بريطانيا في ميدان الدراسات الأندلسية ومحاولة رسم ملامح مميزة لهذه الدراسات وإثبات حضورها فيه.

وفي الجدول الآتي عددٌ من مراجعات الكتب المهمة تمثيلاً لنشاط المستشرقين في بريطانيا في مراجعة كتب تناولت القضايا الأدبية في الأندلس، وقد غضضنا النظر عن مراجعات أخرى عديدة تناولت كتباً تتصل بالتاريخ الأندلسي لكثرتها وصعوبة حصرها من جهة، ولخروجها عن مجال البحث هنا من جهة أخرى.

التاريخ	المؤلف	عنوان المقالة	اسم الدورية
1953	صمويل شترن	مراجعة كتاب (**دار الطراز**) لابن سناء الملك تحقيق جودت الركابي المنشور سنة 1949: Ibn Sana` Al-Mulk, Dar at-Tiraz, Poetique du muwassah, edition critique d`après les mss. Du Cairo et de Leyde, by Jawdat Rikabi. Damascus 1949.	**Oriens**, (By Brill), Vol. 6 (2), Dec. 31,1953, pp. 405-407.
1966	جون ليثم	مراجعة كتاب **تاريخ إسبانيا الإسلامية** المنشور 1966: W. MONTGOMERY WATT, A History of Islamic Spain. (Islamic Surveys no. 4.) 1965	**Journal of Semitic Studies**, vol. XI: 1966, pp. 275 277 ـ.

(1) جواد، عبد الستار (1992)، نقد الكتب في الصحافة البريطانية، في: **أوراق للريح**: **صفحات في النقد والأدب**، (ط1)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة. ص102.

(2) Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition***, 20 vols., Oxford: Clarendon Press. “Review”, Vol. 13, p. 831.

Journal of Semitic Studies, vol. 18 (1), 1973, pp. 174-175.	مراجعة كتاب **الشعوبية في الأندلس: رسالة ابن غرسية وخمس تفنيدات** المنشور سنة 1970: JAMES T. MONROE, The *Shu›ubiya in al-Andalus: the Risala of Ibn Garcia and Five Refutations,* Translation, Introduction and Notes by James T. Monroe.1970	جيمس دكي	1973
Comparative Literature, 1979, pp. 424-425.	مراجعة كتاب **الشعر الأندلسي الغنائي** للیندا كومبتون المنشور سنة 1976: *Andalusian Lyrical Poetry and Old Spanish Love Songs: The Muwashshah and it`s Kharja*, By Linda Fish Compton. New York University Press, 1976.xvii. 147p.	ريتشارد هيتشكوك	1979
Journal of the American Oriental Society, Vol.100 (3), 1980, pp. 340-341.	مراجعة أخرى لكتاب **الشعر الأندلسي الغنائي** للیندا كومبتون المنشور سنة 1976: *Andalusian Lyrical Poetry and Old Spanish Love Songs:* The Muwashshah and it`s Kharja, By Linda Fish Compton. New York University Press, 1976	ديفيد ولستان	1980
Journal of Semitic Studies, vol. 27 (1), 1982, pp. 128-130.	مراجعة كتاب: **ديوان ابن قزمان**، تحقيق كورينته المنشور سنة 1980: F. CORRIENTE, *Gramatica, metrica y texto del cancionero hispano-arabe de Aban Quzman,* Instituto Hispano-Arabe de Cultura, Madrid 1980. Pp. 81 + 928. Arabic text.	ألن جونز	1982

English Historical Review, Vol. CII, 1987, pp. 109 110 ـ.	مراجعة كتاب **صعود ملوك الطوائف وسقوطهم** لديفيد ويسرستين المنشور سنة 1985: *The Rise and Fall of the Party-Kings. Politics and Society in Islamic Spain, 1002-1086*. By DAVID WASSERSTEIN (Princeton: U.P. 1985.	روجر كولينز	1987
Journal of Hispanic Philology, Vol. 14 (1), 1989, pp. 91-94.	مراجعة كتاب **الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية العربية** لألن جونز المنشور سنة 1988: *Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry:* A Palaeographical Analysis, Jones. A.	ديفيد هانلون	1989
Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies), vol. 17 (2), 1990, pp. 229-230.	مراجعة كتاب (**الموريسكيون: فهرس بيليوغرافي**)، لـ باث فيرنانديث المنشور سنة 1989: *Moriscos: Repertorio Bibliografico*. Compiled by Paz Fernandez (Cuadernos de la Biblioteca Islamica `Felix Maria Pareja, 19). Madrid, Instituto de Cooperación con el Mundo Arabe, 1989. (iv), 79pp.	جون ديريك ليثم	1990
British Journal of Middle eastern Studies, Vol. 18 (1). 1991, pp. 140-141.	مراجعة كتاب (**الشعر المقطعي**) **أي الموشحات المنسوبة للمتصوف الشُّشتري الأغرناطي** لكورينته المنشور سنة 1988: *Poesía Estrofica (Cejeles Y/O Muwassahat) Atribuda al Mitico Granadino as-Sustari (Siglo XIII d.C.)* By F. Corriente. Madrid, CSIC, Instituto de Filologia, Departmento de Estudios Arabes, 1988. (6), 379 pp.	جون ديريك ليثم	1991

Bulletin of Hispanic Studies, Vol. 68 (3), 1991, pp. 410-411.	مراجعة كتاب **الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية العربية** لألن جونز المنشور سنة 1988: *Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry: A Palaeographical Analysis, Jones. A.*	روجر بواز	1991
Journal of Arabic Literature, vol.23 (1), 1992, pp. 71-74.	مراجعة كتابين، هما: كتاب ألن جونز **الخرجات الرومانسية** 1988 المنشور في أكسفورد، وكتاب غرسية غومس **فضيحة الخرجات في أكسفورد**1991 المنشور في مدريد. Alan Jones, *Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry*: a Palaeography Analysis, Ithaca Press, London, for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University, 1988 Pp. x+ 306, Emilio Garcia Gomez, *El escándalo de las jarchas en Oxford*, Madrid, Real Academia de la Historia, 1991 (= Boletín de la Real Academia de la Historia, CLXXXVIII, 1991). Pp.104.	ليونارد باتريك	1992
Journal of Semitic Studies Vol. 38 (2), 1993, pp. 334-339.	مراجعة كتاب **إسبانيا الإسلامية من عام 1250–1500م** لليونارد هارفي المنشور سنة 1990: L. P. HARVEY, *Islamic Spain, 1250 to 1500,* The University of Chicago Press, Chicago and London 1990	جون ديريك ليثم	1993

Journal of Semitic Studies, vol. 41 (1), 1996, pp. 179-185.	مراجعة كتاب **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، تحرير سلمى الجيوسي المنشور سنة 1992: SALMA KHADRA JAYYUSI (ed.), *The Legacy of Muslim Spain* (Handbook of Oriental Studies Pt. 1: The Near and Middle East 12) E J Brill Leiden 1992	جون ديريك ليثم	1996
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 60 (3), 1997, pp. 554-557.	مراجعة كتاب **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، تحرير سلمى الجيوسي المنشور سنة 1992: The Legacy of Muslim Spain.	جرير أبو حيدر	1997
Journal of Iberian and Latin American Studies. Vol. 5 (1), Jun. 1999, pp.101-102.	مراجعة كتاب **الخرجات ببليوغرافيا نقدية، الملحق الأول** لريتشارد هيتشكوك المنشور سنة 1996: *The Kharjas. A critical Bibliography. Supplement No. 1*. By Ritchard Hitchcock and Consuelo Lopez-Morillas. London: Grant& Culture Ltd. Research Bibliographies & checklists, 20. 1. 1996. 95pp	جيوفري وست من المكتبة البريطانية	1999
Journal of Semitic Studies, vol. XLV (1), 2000, pp. 200-209.	مراجعة كتاب **قاموس العربية الأندلسية** لكورينته المنشور سنة 1997: FEDERICO CORRIENTE, A *Dictionary of Andalusi Arabic,* (Handbuch der Orientalistik: The Near and Middle East 29). E.J. Brill, Leiden 1997	جون ديريك ليثم	2000

2001	ليونارد باتريك هارفي	مراجعة كتاب **تراث الأندلس** لماريا روزا مينوكال وآخرين المنشور سنة 2000: *The Literature of Al-Andalus* , Edited by Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin, and Michael Sells, (in The Cambridge History of Arabic Literature. Cambridge: Cambridge University Press, 2000), 516 pp.	**Journal of Islamic Studies, (Oxford),** vol. 12 (3), 2001, pp.336-340.
2003	جون ديريك ليثم	مراجعة كتاب **الأدب الإسباني ـ العربي وبدايات الشعر الغنائي البروفنسي** لجرير أبو حيدر المنشور سنة 2001: J. A. Abu ـ Haidar, *Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics*. Curzon Richmond, 2001.	**Journal of Semitic Studies** Vol. 48 (1), 2003, pp. 201-206.
2004	ليونارد هارفي	مراجعة كتاب: **قصة إسبانيا الإسلامية** لسيد عزيز الرحمن: Syed Azizur Rahman: *The Story of Islamic Spain*..	**Journal of Islamic Studies,** vol. 15 (1), 2004, pp. 82-83.

المبحث الرابع: الأنشطة الجامعية

كانت الجامعات والمعاهد العلمية ـ إلى جانب الأديرة ـ المكان الأول الذي احتضن نشاط المستشرقين الأوربيين منذ فجر الاستشراق؛ فقد ارتبطت الدراسات الاستشراقية بها وكانت خير معين للمستشرقين في استكمال بحوثهم الشرقية المتنوعة. وقد واظبت الجامعاتُ على هذا الدور في مراحل الاستشراق المختلفة، وفتحت ما أمكنها من الأبواب لدعم البحوث الاستشراقية وتعزيز دراسة اللغة العربية، أداة المستشرق الأولى لفهم الشرق والنفاذ إلى أعماقه، ابتداء من تأسيس كراسي تدريس اللغة العربية؛ وإنشاء المكتبات الشرقية، وتشجيع الطباعة الشرقية، وتأسيس الجمعيات والمجلات الاستشراقية وعقد اللقاءات والمؤتمرات ...وغيرها من وجوه النشاط التي دعمت مسيرة الاستشراق.

وتتعدد الأنشطة التي تقوم بها الجامعات في بريطانيا فيما يتصل بدراسة التراث الأدبي الأندلسي، وهي لا تختلف كثيراً عما عهدناه لدى المستشرقين في دراسة التراث العربي عامة.

ومن هذه الأنشطة:

1) المؤتمرات.

2) الأعمال المشتركة: أ. حوسبة النصوص التراثية.

ب. المؤلفات الجماعية.

3) المناهج الجامعية.

4) الرسائل الجامعية والأطروحات العلمية.

1. **المؤتمرات:**

تعد المؤتمرات الاستشراقية من السبُل التي مكّنت المستشرقين من مدارسة المواضيع الشرقية فيما بينهم، وتبادل الأفكار والآراء حولها، ولئن كانت المؤتمرات الاستشراقية في السابق تجمع مئات من المستشرقين في تخصصات مختلفة؛ فإن المؤتمرات الحديثة أصبحت تميل نحو التخصص الدقيق في موضوع معين؛ انسجاماً مع التغيرات التي حلّت بتيار الاستشراق عامة ومناهجه وأدواته، بيد أنه وإن اختلف لَبوس هذه المؤتمرات؛ فإنها ما زالت مكاناً يلتقي فيه الباحثون والعلماء من أصقاع شتى، يتبادلون أيام انعقادها الأفكار والنتائج التي توصلوا إليها في موضوع محدد ينتظم المؤتمر.

وعلى ذلك فالمؤتمرات ميدان مناسب لكثير من المتخصصين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا لعرض نتائج بحوثهم فيها؛ فالباحثون في هذا المجال في تلك البلاد ما زالوا قلة من حيث عددهم، وما زال نشاطهم على قدر غير كافٍ؛ ليكوّنوا مدرسة أو تياراً مميزاً له وجود قوي في أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية.

أما المؤتمرات القليلة التي عُقدت في بريطانيا حول الدراسات الأندلسية؛ فهي مؤتمرات كان موضوعها بالتحديد: الخرجات والموشحات الأندلسية، وهو الموضوع

الذي يثير جدلاً واسعاً ونقاشاً كبيراً بين الباحثين الأوربيين من تخصصات متعددة؛ وليس من المستعربين فقط. ولا تقف أوراق الباحثين في الجامعات البريطانية في تلك المؤتمرات عند الحديث عن الموشحات العربية الأندلسية فقط، بل تتعداها إلى بحث قضايا أخرى متعلقة بها كموضوع الموشحات العبرية في الأندلس والموشحات المعاصرة في المشرق والمغرب.

ومن أمثلة تلك المؤتمرات التي كان للبريطانيين فيها مشاركة واضحة ما يلي:

أ. **مؤتمر إكستر الدولي عن الموشح**Exeter International colloquium

الذي عقد في جامعة إكستر في بريطانيا سنة 1988 بمشاركة مجموعة من المستعربين والباحثين والعلماء المهتمين بالقضايا الأندلسية من دول متعددة؛ إلى جانب باحثين في هذا المجال من بريطانيا نفسها. وقد نُشرت أعمال المؤتمر سنة 1991 في كتاب[1]، بتحرير ألن جونز وريتشارد هيتشكوك، وهما من أعلام الدراسات الأندلسية في بريطانيا.

بلغ عدد الأوراق المنشورة التي قُدِّمت في المؤتمر 14 ورقة، منها أوراق عدة لمجموعة من الباحثين في الجامعات البريطانية، ناهز عددها نصف الأوراق المنشورة، وهي:

1. *The language Situation in al - Andalus*. David Wasserstein. University College, Dublin.
2. *Interpreting "Romance Kharjas"*. Richard Hitchcock. University of Exeter.
3. *Thematic Relationships Between the Kharjas, the Corpus of Muwassahat and Eastern Lyrical Poetry*. Philip F. Kennedy. University of Oxford.
4. *"Omnia vincint amor"*. Alan jones. University of Oxford.
5. *The Rhetorical Term Tawsih and it`s Relation to the Art of the Muwassah*. J. R. Smart. University of Exeter.
6. *The Muwassahat in the Light of the Literary Life that Produced them*. Jareer Abu Haidar. University of London

(1) Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.) (1991), *Studies on the Muwassah and the Kharja: Proceedings of the Exeter International Colloquium,* Published by Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies Oxford University.

7. Appendix: *Analytical Index of Extant Andalusian Arabic Muwassahat*. Alan Jones. University of Oxford.

إن ستّاً من أوراق البحوث المقدمة في المؤتمر كانت لباحثين من جامعات بريطانية من مجموع أربع عشرة ورقة، وهو إشارة إلى نمو الاهتمام بالدراسات الأندلسية في أواخر القرن العشرين وزيادة أعداد المشتغلين بها في بريطانيا، وفي ذلك مؤشر إيجابي إلى أن هذه الدراسات قد بدأت تنافس مثيلاتها في الدول الأوربية الأخرى التي سبقت بريطانيا في مجال الاهتمام بالأندلس.

ب ـ المؤتمر الدولي للشعر المقطعي: العربي والعبري ومثيله الرومانثي

المنعقد في مدريد سنة 1989، وقد نُشرت الأوراق التي قدِّمت فيه في كتاب سنة 1991 (1). وكان للباحثين من الجامعات البريطانية مشاركة جيدة في هذا المؤتمر من خلال الأوراق التالية:

1. *The Lack of Metaphorical Affinity Between the Muwassahat and the Early Provencal Lyrics*. Jareer Abu Haidar. University of London.
2. *OCCAM: Computer-based Study of the Muwassah and the Kharja*. Alan Jones, University of Oxford.
3. *Thematic Patterning in the Muwassahat: The case of the Gazelle Motif, Philip*. F. Kennedy, University of Oxford.
4. *Man Li Bi-Ras-An: Comments on the Metre of an Andalusian Muwassah*. J. D. Latham, University of Edinburgh.

إلى جانب ورقة قدّمها ريتشارد هيتشكوك باللغة الإسبانية، كانت بعنوان: Las Kharajat . Romances, de Nuevo en el Banquillo

وتشير المشاركة البريطانية في هذا المؤتمر إلى تزايد اهتمام الباحثين في بريطانيا بدراسات الشعر الأندلسي (الموشحات والخرجات خاصة)، وإلى أن هؤلاء الباحثين

(1) F. Corriente and Angel Saenz-Badillos (1991), ***Poesia Estrófica: Actas del Primer Congreso Internacional sobre Poesia Estrófica Arabe y Hebrea y sus Paralelos Romances (Madrid, 1989),*** Madrid. Instituto de Cooperación con el Mundo Arabe.

يتمتعون بسمعة علمية على مستوى المؤتمرات المتخصصة في الشأن الأندلسي. هذا إلى جانب أن تنظيم بعض مؤتمرات الموشحات الأندلسية التي عقدت في بريطانيا نفسها في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية / جامعة لندن SOAS سنة 2004 وسنة 2007 دليل قوي على تنامي الدراسات الأندلسية هناك.

لكن هذا المؤشر لا يعني بالضرورة أنه يمثل نشاطاً بريطانيّاً كثيفاً في الدراسات الأندلسية عامة بقدر ما يمثل نشاطاً في موضوع الموشحات والخرجات الأندلسية بالذات، وهو الموضوع الأكثر جدلاً بين الباحثين الأوربيين في تخصصات عدة: كالدراسات العبرية والدراسات الرومانثية ودراسات العصور الوسطى، إلى جانب تخصص الدراسات العربية، ذلك الجدل الذي ينبئ عن مدى احتدامه التمهيدُ الذي كتبه ليونارد باتريك هارفي لأوراق مؤتمر إكستر في 1988 حين نُشرت؛ حيث أفضى هارفي إلى القراء بخواطره التي انتابته حين دُعي إلى مثل ذلك المؤتمر، إذ عبّر عن مخاوفه ـ بكل صراحة ـ من تلك المشاركة؛ لأن المشتغلين بهذا الجانب من الدراسات الأندلسية ـ أي موضوع الموشحات والخرجات ـ "حين يلتقون يجعلونك تشعر وكأنك في معركة، وكل فريق منهما يتربص للإيقاع بالآخر"(1).

وهذا الوصف ينطبق على بعض « المعارك » التي دارت بين باحثين في بريطانيا وآخرين في إسبانيا وأمريكا بسبب اختلاف وجهات النظر حول قضايا الموشحات الأندلسية وخرجاتها الرومانثية، ومنها المعركة بين ألن جونز وغرسية غومس؛ فقد نشر جونز سنة 1988 " كتاباً حول (الخرجات العجمية في الموشحات العربية الأندلسية)؛ وفيه يشن حملة عنيفة على قراءات غرسية غومس لخرجات تلك الموشحات، ويتهمه بتعمّد تحريفها حتى تستقيم وما كان يطرحه من توجيهات ونظريات، كما هاجم ترجماته لتلك الخرجات، وقال: إنها خاطئة ومتكلفة بحكم أنها مبنية على قراءات مضللة. وثارت ثائرة المستشرق الشيخ [غومس]، فأفرد للرد على غريمه البريطاني كتاباً كاملاً كال فيه بالصاع صاعين

(1) Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), (1991), ***Studies on the Muwassah and the Kharja Proceeding of the Exeter International Colloquium,*** UK, Ithaca Press Reading, for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University. Foreword p. i.

[كذا]، ونشر هذا الكتاب وهو في السادسة والثمانين من عمره في سنة 1991، وكان بعنوان له دلالته الغاضبة (فضيحة الخرجات في أكسفورد)"[1].

ج- مؤتمر الموشحات المنعقد في لندن سنة 2004

The Muwashshah: History, Origins and Present Practices, an International weekend conference on Arabic and Hebrew strophic poetry and It`s parallels, 2004.

وقد نُشرت أعمال المؤتمر في كتاب[2]، وكان مجموع الأوراق التي قدمها فيه باحثون من بريطانيا أربع أوراق من بين ست وعشرين ورقة، هي:

1. "*He desires her? Situating Nazhun`s muwashshaha in an androgynous aesthetic of courtly love*". Marle Hammond, Oxford.
2. *A paper on "The Romance Kharjas retrospectively*", Richard Hitchcock, Exeter.
3. *Preliminary comments on Musicological issues in relation to Muwashshahaat*. Owen Wright, SOAS, London.
4. *Linguistic and musical aspects of the Tunisian Ma`luf*. Ruth Davis, Cambridge, with Kathryn Stapley, Oxford.

وقد كان بقية المشاركين في المؤتمر من دول عديدة من أوربا وأمريكا والعالم العربي، من المعروفين باهتمامهم بالأندلس: تاريخاً وحضارة وأدباً...ويلاحظ في هذا المؤتمر التركيز على الأداء الحي لإنشاد الموشحات، وعلى الموشحات المشرقية والعبرية، ولم تكن هناك مساهمات أخرى مثلاً من أعلام الباحثين البريطانيين المشهورين بالاهتمام بالدراسات الأندلسية - ولا سيّما في موضوع الموشحات والخرجات - كما في المؤتمرين السابقين في إكستر ومدريد.

(1) مكي، محمود علي (مترجم)، (1999)، ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ص21. وينظر:

García Gómez, Emilio (1991), *«El escándalo de las jarchas de Oxford»*. Boletín de la Real Academia de la Historia, 188, 1-104.

(2) Emery, Ed (2006), ***Muwashshah: proceedings of the Conference on Arabic and Hebrew Strophic Poetry and its Romance Parallels,*** School of Oriental and African Studies (SOAS), London, 8-10 October 2004. London: RN Books.

د- مؤتمر الموشحات المنعقد في لندن سنة 2007

The Muwashshah: History, Origins and Present Practices, an International weekend conference on Arabic and Hebrew strophic poetry and it`s parallels, 2007.

تأتي أهمية موضوع المؤتمر ـ كما جاء في النبذة التي قُدِّم بها إعلانه ـ من أن الموشح والزجل كان لهما تأثير مهم وواسع ـ لم يُدرَس جيداً ـ في الأغاني والأشكال الشعرية في الغرب المسيحي، ولهذا كان الهدف منه إتاحة المجال أمام المهتمين للبحث في ميادين غير مطروقة من ميادين الدراسات الأندلسية، تبدأ من الأصول التاريخية للموشحات إلى الممارسات الحديثة لأداء هذا الفن في شماليّ إفريقيا والشرق الأوسط لدى العرب واليهود على السواء؛ إلى جانب الحديث عن المعابر الثقافية وانتقال الثقافات بين الأندلس وأوربا(1).

وقد تضمن برنامج المؤتمر إلى جانب الأوراق العلمية المقدَّمة من الباحثين، أداءً حيّاً وعُروضاً موسيقية وتسجيلات (صوتية – مرئية) للموشحات. وقد كانت أكثر الأوراق المقدمة تميل إلى دراسة الموشحات الشرقية والعبرية؛ وقد يعود التركيز على الموسيقا في المؤتمر إلى أنه عُقد برعاية قسم الموسيقا في جامعة لندن ومركز بحوث الموسيقا والرقص لدى الثقافات المشتركة.

أما الأوراق التي قدمها باحثون من بريطانيا فيه؛ فكانت قليلة؛ وهي:

1. *The Poetry of Sheikh Imam of Cairo*. Najib Coutya, London.
2. *The Zajal in Lebanon and Palestine*. Ed Emery, SOAS, London.
3. *Poetry snd Music in Shabahoth: The muwashshah in Babylonian Jewish Paraliturgical song*. Sara Manasseh, London.

ويلاحظ أن اهتمامات الباحثين في الجامعات البريطانية كما ظهرت في الأوراق المقدمة إلى المؤتمر كانت منصبّة على التراث الزجلي والغنائي المشرقي والعبري، وإن كان هذا الفن ينتمي إلى الأندلس في الأصل، ولم تكن ثمة إشارة إلى الموشحات الأندلسية.

---

(1) http://www.geocities.com/muwashshah/

وعلى هامش المؤتمر عُقدت ندوة عن غناء الشيخ إمام من القاهرة، قُدِّمت فيها أغنياته بأداء فرق معاصرة تهتم بذلك اللون من الغناء؛ في مسعى واضح لربط فن الموشحات الأندلسية "بجذوره" المشرقية في الماضي وبأدائه المعاصر الباقي لدى المهتمين بالحفاظ على الطرب الأندلسي.

2) الأعمال المشتركة:

وهي بعض الأعمال التي تضافرت على إنجازها جهود مشتركة من أعضاء الجامعات البريطانية، وأعضاء من جامعات خارج بريطانيا من الباحثين المهتمين بالدراسات الأندلسية في الجامعات البريطانية، ونمثل على تلك الأعمال بمشروع حوسبة التراث العربي الذي بدأ في جامعة أكسفورد، والمشاركة في الكتب الجماعية عن الأندلس بالبحوث العلمية، والعمل على نشر بعض الكتب المتصلة بالأندلس لدى بعض دور النشر البريطانية الكبرى.

أ- حوسبة النصوص التراثية:

بدأ التفكير في حوسبة التراث العربي في جامعة أكسفورد منذ منتصف السبعينيّات من القرن العشرين، ويعد ذلك خطوة مبكرة جداً في الاتجاه نحو توفير ذخيرة تراثية وقاعدة معلومات ميسرة بطريقة عملية تمكّن الباحثين من البحث وتدقيق النصوص واستدعاء المعلومات وتحليلها والربط بينها بسهولة؛ من أجل فائدة البحث العلمي في ميدان الدراسات العربية الإسلامية.

وقد أشار ألن جونز سنة 1975 (1) إلى البدء في حوسبة النصوص الشرقية في أكسفورد وكمبردج؛ لأن الحواسيب يمكن لها أن تكون ذات فائدة حقيقية في الدراسات العربية الإسلامية، مع أنها كانت في ذلك الوقت - منتصف السبعينيّات - ما تزال محدودة الانتشار؛ ذلك أن الحاسوب يمكن له أن يوفر مادةً ونصوصاً من السهل توظيفها توظيفاً حقيقياً في عمليات ثلاث تتطلبها الدراسات العربية الإسلامية، وهي: تحقيق النصوص ومعالجتها

(1) Jones, Alan (1975), The Computer and Material in Middle Eastern Languages, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**, Vol. 2 (1), pp.14-16.

واستعادتها.

إن هذه الخطوة المبكرة من ألن جونز مؤشر ذكي إلى العناية بالتراث العربي بتوظيف إمكانيات التقنية الحديثة في سبيل دراسة أفضل للنصوص، وفي سبيل معالجة جديدة يتيحها البحث في الحاسوب بإمكاناته الهائلة على التعامل مع المعلومات والنصوص بسرعة وفاعلية. لكن المشروع لم يكن ليخلو من صعوبات تقنية في معظمها ـ وعلينا أن نتذكر هنا أن كلامه كان في منتصف السبعينيّات من القرن العشرين ـ ومن تلك الصعوبات مسألة طباعة حروف اللغات الشرقية (كالعربية والعبرية والسريانية..) من الناحية الفنية لاختلافها عن اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية ـ إذ لا مشكلة مثلاً مع التركية الحديثة المكتوبة بالحروف اللاتينية ـ مما قد يؤدي إلى بطء في عملية حوسبة تلك النصوص.

ويبدو أن العملية التي ستفيد كثيراً من حوسبة التراث الشرقي هي عملية تحقيق النصوص؛ إذ إن حوسبة النصوص ستمكّن الباحثين من إجراء التعديلات على النصوص بسهولة كبيرة مرة بعد مرة إلى حين الوصول إلى قراءة يرضى عنها المحقق، وهذا كله يمكن تنفيذه بيسر بفضل الحاسوب. كما سيكون إعداد الفهارس والكشافات أكثر سهولة وسرعة؛ وهو ما كان المستشرقون يعدونه (يدوياً) في السابق عند تحقيق الكتب العربية، وكان جهداً عظيماً؛ حازوا به فضل السبق على غيرهم، وآتى ثماره في الإنجازات الكبرى التي قدموها في فهرسة التراث العربي.

كان من آثار العمل في حوسبة التراث الشرقي في أكسفورد ـ مما يتصل بموضوعنا ـ تفكير ألن جونز في جمع الموشحات الأندلسية وحوسبتها ونشرها في ديوان كامل للموشحات الأندلسية *The Oxford Corpus of Andalusian Muwashshahat*؛ ولا سيّما بعد القضايا العديدة التي أثارتها الموشحاتُ المتضمنة مفرداتٍ أو خرجات بالرومانثية.

و«يعد العمل على ديوان الموشحات الأندلسية عند ألن جونز امتداداً للهدف القديم الذي سعى إليه صموئيل شترن بإصدار المجموعة الكاملة للموشحات العربية الأندلسية في ديوان يضمها ويجمعها. وقد بدأ العمل في صيف 1975 على نَسخ الموشحات الأندلسية

وإدخال بياناتها في ملفات الحاسوب؛ إذ تتيح حوسبة القصائد مرونة أكبر في بعض الأمور المهمة مثل المقابلة بين القراءات المتعددة للقصائد التي تظهر في غير مصدر، وفي التأكد من النصوص المتعارضة في المصادر وتدقيقها، كما أن حوسبتها تجعل من السهل إضافة أي مادة جديدة قد تظهر في أي لحظة ـ وهو شيء يمكن حدوثه دوماً في هذا الميدان من الدراسات ـ وتجعل إمكانية طباعة المجموعة الكاملة المخزنة في الحاسوب على أوراق؛ ميسرةً في الوقت الذي نحتاج إليها فيه»[1] .

ويبدو أن هذا العمل كان له أثر واضح في الدراسات الأندلسية في بريطانيا، إذ بعد عدة سنوات من حديث ألن جونز عن حوسبة النصوص نَشَر كتابَه (**الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية**) سنة 1988، وأنجز كذلك للمرة الأولى تحقيق ديوان ابن بشري الأغرناطي (**عدة الجليس**) سنة 1992، ثم أعاد تحقيق (**جيش التوشيح**) ونشره 1997. ونشر تلميذه فيليب كينيدي دراسة في أغراض الموشحات أفاد فيها كثيراً من النصوص المحوسبة التي أعدَّها أستاذه ألن جونز للموشحات الأندلسية خاصة[2].

وقد وصف الدكتور أحمد بسام ساعي الذي شارك ألن جونز في تحقيق (**عدة الجليس**) وقراءته منذ سنة 1983 ـ العمل بقوله: « ولم يكن كتاب (**عدة الجليس**) وحده تحت أنظارنا ونحن نستكشف مجاهل هذه الموشحات، فالحسّابة (الكمبيوتر) التي اقتنتها جامعة أكسفورد قد حوت أخيراً كل الموشحات العربية الأندلسية، وقدم لنا ذلك كثيراً من المساعدات القيمة في تفسير بعض الكلمات أو العبارات أو الظواهر الخاصة بالموشحات، عن طريق التحليل المقارن لما تشابه من نصوصها، مما لم يكن متاحاً للدارسين من قبل»[3].

وكان ألن جونز قد أفاد حقاً من حوسبة الموشحات الأندلسية في بحث ألقاه في مؤتمر

(1) Jones, Alan (1977), The Oxford Corpus of Andalusian Muwashshahat, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**, Vol. 4, No. 1., pp. 42-43
(2) Thematic Patterning in the Muwassahat: The case of the Gazelle Motif.
In: Corriente, F. and Saenz-Badillos, Angel, (Eds.), Poesia Estrofica, pp. 201-216.
(3) ساعي، أحمد بسام (1993)، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب (عدة الجليس)، **آفاق الثقافة والتراث، دبي**، 1 (3)، ص19.

مدريد سنة 1991 بعنوان: (دراسة حاسوبية للموشح والخرجة)، A Computer Based Study of the Muwassah and the Kharja وقد ظهر في تلك الدراسة مدى استفادته من حوسبة الموشحات التي أتاحت له البحث السريع في النصوص، والإفادة من النتائج الإحصائية لدوران كلمات محددة في الموشحات والخرجات وصلتها بأصول الموشحات من جهة وبالخرجات الرومانثية من جهة أخرى.

ويشير ذلك إلى أن الإفادة من إمكانيات الحاسوب كانت خطوة مهمة ساهمت في دفع الدراسات الأندلسية خطوات واسعة في بريطانيا، إلى جانب ما نلمسه لدى صاحب المشروع من حماسة وجرأة في المضي قدُماً نحو نشر تلك النصوص على الرغم مما تثيره من جدل واسع النطاق بين علماء الدراسات الأندلسية خارج بريطانيا.

ب ـ المؤلفات الجماعية:

درج المستشرقون في القرن العشرين على تصنيف الكتب الجماعية، التي يقوم على إعدادها محررٌ يتولى تنسيق مقالات الكتّاب والجمع بينها في سياق موضوع واحد ينتظمها. وهذا النوع من التأليف اتجاه أخذ ينمو في القرن العشرين، ويمكن النظر إليه في ضوء تراجع التخصصات الواسعة للمستشرقين من الجيل القديم الذي كان الواحد منهم يضطلع بتأليف موسوعة بأكملها.

وينتمي إلى هذا الصنف من الكتب بعض الكتب الجماعية المخصصة لموضوع الأندلس، التي كان للباحثين في الجامعات البريطانية من المهتمين بالدراسات الأندلسية فيها مشاركات تعكس نشاطهم في هذا الميدان، وتعد مؤشراً على تنامي دور المستعربين في بريطانيا في المساهمة في الدراسات الأندلسية إلى جانب أعلام المدارس الأوربية الأخرى من المهتمين بجوانب التراث الأندلسي العديدة. ومن هذه الكتب:

أولاً: كتاب (تكوين الأندلس)[1]

وهو كتاب يضم مجموعة مقالات علمية منشورة بالإنجليزية، جُمِعت من مصادر متعددة ونُسِّقت وفق ترتيب معين؛ ليغطي الكتاب جوانب عديدة من حضارة الأندلس حتى

(1) Conrad, Lawrence I. (General Editor), (1998), ***The Formation of al-Andalus***, Hampshire, U.K: Ashgate Publishing.

القرن العاشر الميلادي. وهذا الكتاب جزء من سلسلة The Formation of the Classical Islamic World التي صدر منها 45 مجلداً تعالج مواضيع متعددة، وتضم عناوين شتى ابتداء من تاريخ ما قبل الإسلام إلى حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثم الفتوحات الإسلامية...وغيرها من مراحل الحضارة العربية الإسلامية. ويقوم الكتاب على اختيار مقالات ودراسات سبق نشرها للباحثين المختصين في الموضوع، وتنسيقها وترتيبها في نظام معين ينتظم جميع مقالات الكتاب.

ويقع الكتاب في جزأين؛ خُصِّص الأول منهما لمواضيع التاريخ والمجتمع، أما الجزء الثاني فهو لمواضيع اللغة والدين والثقافة والعلوم. وتتناول المقالات المختارة لكتاب (**تكوين الأندلس**) ـ الصادر سنة 1998 ـ المرحلة التاريخية التي استمرت منذ الفتح حتى أوج قوة الدولة الأموية في قرطبة في القرن العاشر الميلادي، وهي التي يرى الكتاب أنها تمثل مرحلة تكوين الأندلس حقيقة.

وأغلب المقالات المنشورة فيه هي من إنتاج الباحثين الإسبان، وترجِمت من الإسبانية إلى الإنجليزية: فمن أصل 79 باحثاً اختيرت أعمالهم؛ لتكوّن فصول الكتاب كان 29 باحثاً فقط من غير الإسبان؛ وذلك راجع بطبيعة الحال إلى أن اهتمام الإسبان بتاريخ إسبانيا في العصر الإسلامي جزء من اهتمامهم بتاريخهم القومي، ولذلك فمساهماتهم في ميدان الدراسات الأندلسية ما زالت تحتل الصدارة كماً ونوعاً، حتى مع وجود باحثين متميزين من الدول الأخرى.

ومما يلفت الانتباه في هذا الكتاب وجود مقالتين لباحثين عربيين(1)؛ مما يدلل على التغير الحاصل في الدوائر العلمية الغربية من إدراج الجهود والمشاركات العربية في ميدان البحث في الحضارة العربية الإسلامية .

وقد كانت مسألة اختيار المقالات صعبة أمام المحررين بسبب غزارة المادة العلمية المنشورة المتصلة بالدراسات الأندلسية في السنوات الأخيرة، وذلك مؤشر إلى ازدهار البحوث في الظاهرة الأندلسية ـ إن جاز التعبير ـ وتنوع مناهج تناولها لدى الباحثين

(1) هما حسين مؤنس ومحمود علي مكي.

الأوربيين؛ ومما يعزز هذا الاتجاه أن هناك 19 مقالاً من المقالات المنشورة في الكتاب قد نُشرت بعد سنة 1990 (1)، في دلالة واضحة على كثافة الاهتمام بالدراسات الأندلسية في العقد الأخير من القرن العشرين.

وفي هذا السياق تأتي الإشارة إلى المراجع الأساسية التي يمكن للقارئ الرجوع إليها في موضوع الكتاب؛ لتدل على أن الأعمال التي قدمها رواد الدراسات الأندلسية دوزي وليفي بروفنسال ما زالت تحتل الصدارة في البحوث الأندلسية حتى اليوم، هذا مع التنويه أن الدراسات والبحوث الأنجلوسكسونية تسهم حالياً على نحو ملحوظ في اتساع دائرة البحث في الدراسات الأندلسية(2)، وما اختيار اللغة الإنجليزية لمثل هذا الكتاب إلا دليل واضح على ذلك.

وعلى الرغم من كثرة عدد المقالات التي يضمها الكتاب؛ فإنه لم يحتوِ إلا على مقالتين من الدراسات التي أعدها باحثون في بريطانيا، وهما مقالتان نُشِرتا في الجزء الثاني منه المخصص للغة والدين والثقافة والعلوم، وهاتان المقالتان هما:

* The Language Situation in al-Andalus, by *David Wasserstein*. *University College, Dublin*.

* The End of Written Ladino in al-Andalus, by *Roger Wright*. Liverpool University.

ثانياً: كتاب (الأدب الأندلسي)(3)

وهو من منشورات جامعة كمبردج، وقام بتحريره كلٌّ من: ماريا روزا مينوكال وريموند شيندلين ومايكل سِلز. ويبحث الكتاب مواضيع تتصل بالتراث العربي الإسلامي في الأندلس من الفلسفة والفن والعمارة والموسيقا، ويتسع ليعالج مواضيع من الآداب الأخرى: الرومانثية والعبرية، التي ازدهرت بجانب الثقافة العربية في الأندلس، وخلقت

(1) Conrad, Lawrence I. (General Editor), (1998), ***The Formation of al-Andalus***, Introduction, p. xiii.
(2) Conrad, Lawrence I. (General Editor), (1998), ***The Formation of al-Andalus***, p. xv.
(3) Menocal, Maria Rosa, Raymond P. Scheindlin, and Michael Sells, (Eds), (2000), ***The Literature of Al-Andalus***. Cambridge: Cambridge University Press. The Cambridge History of Arabic Literature.

ثقافة جديدة في إيبيريا القرون الوسطى. ويضم خمساً وعشرين مقالة في مواضيع متعددة كتبها أساتذة متخصصون في الدراسات الإسبانية والعربية والعبرية. ويقع في مقدمة وستة أجزاء؛ على النحو التالي:

القسم الأول: أشكال الثقافة، ويضم مقالات عن اللغة والموسيقا والفضاءات والمعرفة والحب، والقسم الثاني: أشكال الأدب، وفيه حديث عن الموشح والمقامة والقصيدة. والقسم الثالث: أعلام أندلسيون. القسم والرابع: صقلية. والقسم الخامس: الأقليات في الأندلس. والقسم الأخير يضم مقالاً عن نونية ابن زيدون.

قام بتحرير فصول الكتاب ثلاثة محررين: متخصصة في الدراسات العربية والإسبانية، ومتخصص في الدراسات العبرية، وآخر في دراسات الأديان المقارنة؛ بناء على المواضيع المتنوعة التي يضمها الكتاب حول التراث الأندلسي، وهذا يدل بوضوح على التوجه الذي يسود البحث في ميدان تراث الأندلس أو الدراسات الأندلسية عامة في أوربا وفي بريطانيا أيضاً؛ من تسليط الضوء على الثقافات المتعددة في إسبانيا وإظهار دورها في تكوين التراث الأندلسي في الحقبة العربية الإسلامية، إلى جانب ربط صقلية بالأندلس؛ لأنهما من معابر الثقافة العربية الإسلامية إلى أوربا ونقطتَا لقاء الشرق الغربَ.

ومن المفارقات اللافتة للنظر أن هذا الكتاب الصادر عن مطبعة جامعة كمبردج في بريطانيا ـ وهو جزء من سلسلتها المعروفة في تاريخ الأدب العربي ـ لم يشارك في تحريره أو كتابة مقالاته أيٌّ من العلماء والباحثين في الجامعات البريطانية، مع أن بعضهم قد ارتقت أسماؤهم في ميدان الدراسات الأندلسية، وكانت لهم مساهمات ومشاركات خارجية مع باحثين مهتمين في هذا المجال في الدول الأوربية الأخرى وفي الولايات المتحدة؛ مما يثير التساؤلات مجدداً عن وضع الدراسات الأندلسية في الدوائر العلمية في بريطانيا.

ثالثاً: كتاب (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)(1)

يضم الكتاب ـ الذي صدر سنة 1992 ـ مادة غزيرة تغطي الجوانب العديدة لمظاهر

(1) Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994), ***The Legacy of Muslim Spain***, 2 vols. Leiden, New York, Koln: E.J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).

الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، كتبها باحثون مهتمون بالتراث الأندلسي. وقد صدر باللغة الإنجليزية في الذكرى الخمسمئة لسقوط غرناطة ـ وتُرجِم إلى اللغة العربية[1]ـ وضمَّ بين دفتيه وجهات نظر عديدة؛ فقد كان الكتاب متميزاً في أنه ضم كُتّاباً من أرجاء عديدة من العالم: ابتداء من العلماء والباحثين العرب إلى الباحثين من الدول الأوربية وأمريكا الشماليّية والجنوبيّية والوسطى؛ مما يشير إلى كثرة الباحثين المهتمين بالأندلس، وبهذا فقد كان الكتاب فرصة جمعت آراء متباينة في كتاب واحد من 1559 صفحة.

ومن الميزات التي تحسب في مصلحة الكتاب أنه شمل بالبحث الجوانب الحضارية للإرث الأندلسي ما أمكن، وقد نجح إلى حد كبير في ذلك، فالمواضيع في فهرس الكتاب تشمل التاريخ السياسي للأندلس والأقليات والمدن الأندلسية واللغة والشعر والأدب والموسيقا في الجزء الأول. في حين يضم الجزء الثاني مواضيع الفن والعمارة والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي والفلسفة والدراسات الدينية والعلم والتكنولوجيا والزراعة، ويصل عدد المقالات فيه إلى تسع وأربعين مقالة، وهو عدد ضخم يُجمَع في موضوع واحد على هذه الدرجة من الاتساع.

وقد كان نصيب المساهمات التي قدمها باحثون من الجامعات البريطانية في هذا الكتاب جيداً؛ بلغ عشر مقالات من مجموع الكتاب[2]، وهي مقالات متنوعة في: فن العمارة، والمدن الأندلسية، والأقليات من المدجَّنين والموريسكيين، والشعر الأندلسي، والموسيقا الأندلسية...إلى المطبخ وأطباق الطعام الأندلسية. كما يمثل الكتاب فرصة جيدة لعرض آراء هؤلاء الباحثين والنتائج التي خرجوا بها من بحوثهم في ميادين الحضارة الأندلسية.

3) المناهج الجامعية والمقررات الدراسية:

بقي تدريس اللغة العربية في الجامعات البريطانية لزمن طويل محكوماً بالدوافع التي

(1) الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، (1998)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، جزءان، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
(2) ينظر الملحق الأول.

حرّكت الاستشراق على الرغم من البدايات المبكرة لتدريسها في بريطانيا منذ القرن السابع عشر؛ أي إن اللغة العربية بقيت تُدرَّس هناك في ضوء فائدتها في تعليم اللغة العبرية، والاستعانة بها في تحقيق المخطوطات ونشرها، واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر حين ظهرت بواعث جديدة دفعت إلى الاهتمام بتدريس اللغة العربية المعاصرة، والسفر إلى الشرق من أجل إتقانها، والتركيز على المحادثة واللهجات المنطوقة انسجاماً مع المناهج الحديثة في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وتلبيةً لمتطلبات الاستشراق في ثوبه الجديد في طور التوجه نحو الدراسات الإقليمية.

« والجامعات البريطانية التي تمنح الدرجة الجامعية الأولى في اللغة العربية اثنتا عشرة جامعة هي: كمبردج ودَرَم وإدنبرة وإكسِترِ وليدز وأكسفورد وسالفورد ولندن وسانت أندروز وويلز لامبتر ويستمنستر »(1).

وقد أنشأت بعض الجامعات البريطانية مراكز متخصصة في الدراسات العربية الإسلامية أو الدراسات الشرق ـ أوسطية، تقوم على تدريس اللغة العربية فيها، وتقدم كثير من الجامعات دورات مسائية أو خاصة لدراسة اللغة العربية للراغبين في معرفتها دون الالتحاق بالدراسة الجامعية.

يجيء هذا الجزء من البحث حول المناهج الجامعية مبنياً على نتائج الاطلاع على المواقع الإلكترونية الرسمية للجامعات البريطانية(2) التي تدرِّس تخصُّص اللغة العربية، والاطلاع على مفردات خططها الدراسية للعام الدراسي 2008 / 2009 – وهو وقت إعداد هذا الكتاب ـ للمرحلة الجامعية الأولى وللدراسات العليا ومقرراتها الجامعية فيها؛ لتبيّن المادة الأندلسية في تلك المناهج؛ إذ تقدم تلك المواقع تفاصيل وافية عن المناهج الجامعية للتخصصات المختلفة التي تدرِّسها، كما تعطي وصفاً تفصيلياً للمادة الواحدة

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century***, p.217.

وللمزيد حول تخصص اللغة العربية ودراستها في الجامعات البريطانية من حيث: المواد والمقررات والطلبة والأساتذة....، ينظر الفصل 11 من الكتاب نفسه، الصفحات 217–235.

(2) تفاصيل عناوين المواقع الرسمية للجامعات البريطانية يمكن العثور عليها في الصفحة التالية:

http://www.studyoverseas.com/universitiesuk.htm

يتضمن أهداف المادة وخطتها الزمنية والأعمال الفصلية المتوقعة من الطلبة والقراءات المطلوبة...وغيرها.

كان البحث لدى استعراض المواقع الإلكترونية للجامعات البريطانية متجهاً إلى: البرامج والتخصصات التي تقدمها تلك الجامعات لدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، وأعضاء الهيئات التدريسية الذين يعملون في أقسام اللغة العربية ومعرفة مجالات اهتمامهم العلمية ومنشوراتهم العلمية ومدى اقترابها من ميدان الدراسات الأندلسية.

ويلاحَظ غيابُ المواضيع الأندلسية غياباً شبه تام من المقررات والمواد التي يدرسها الطلبة في موضوع اللغة العربية والحضارة الإسلامية في الجامعات البريطانية إلا فيما ندر، فمن بين المواد المطروحة في برنامج ماجستير الأدب العربي في مادة: (**النثر العربي الكلاسيكي والأدب**) وموضوعها يدور على الكتابة النثرية العربية: أشكالها نشأتها ومحتواها.. وفي ختام وصف المادة ذُكر كتاب: (**تراث الأندلس**) في ثبَت المراجع المقترحة للمادة، ولكن دون تحديد الصفحات المطلوب قراءتها منه أو تحديد الموضوع المطلوب قراءته، وهذه تمثل الإشارة الوحيدة إلى الأندلس ضمن تلك المادة التي قد يتوقع المرء أن يجد فيها حيزاً للنثر الأندلسي بوصفه جزءاً من النثر العربي.

وفي مادة أخرى من مواد ماجستير الدراسات الإسلامية في SOAS هي مادة **موسيقا الشرق الأوسط وشماليّ إفريقية**، لا يرد فيها ذكر للأندلس أيضاً ـ خلافاً لما قد يتوقع المرء عند سماع مصطلح " موسيقا شماليّ إفريقية " فيتبادر إلى ذهنه أنها قد تتطرق إلى موسيقا الموشحات الأندلسية وغنائها، الذي تحافظ عليه جمعيات الطرب الأندلسي في المغرب العربي إلى يومنا هذا، ويشكل أداؤها المعاصر للموشحات الأندلسية وحفاظها عليها أساساً للعديد من دراسات الباحثين الأوربيين في هذا الموضوع، بيد أننا لا نجد شيئاً من ذلك.

ولا نجد ذكراً لمتصوفة الأندلس مثلاً في مادة أخرى مقررة عن الصوفية في برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية في الجامعة نفسها، وليس من بين المراجع المقترحة للمادة شيء عن التصوف في الأندلس أو عن شعرائه المعروفين الذين اشتهر بعضهم في المشرق.

وتقدم الجامعات البريطانية الأخرى برامج لتدريس اللغة العربية للمراحل الجامعية الأولى والعليا، لكن المواد المقررة في برامجها تتجه إلى تدريس اللغة العربية لغةً يُراد إتقانُ التحدّث بها في المقام الأول؛ مع إلمام بالحضارة والثقافة العربية الإسلامية. وتنحو تلك التخصصات نحو تدريس الترجمة العربية ـ الإنجليزية وبالعكس، كما أن الميل واضحٌ تجاه تدريس اللهجات العربية المحكية؛ إذ تختص بعض الجامعات بلهجة معينة دون غيرها، ويتجه طلبتها لقضاء سنة في البلاد العربية لاستكمال متطلبات التخرج، فيقضونها عادة في اكتساب اللهجة المحكية للبلد العربي الذي تميل جامعتهم إلى دراسة لهجته.

«وتعد الدراسة في الخارج النقطة التي تلخص الفرق الأساسي بين دراسة اللغة العربية [في الجامعات البريطانية] سنة 1900 ودراستها سنة 2000 ؛ فمع بداية القرن العشرين كان العلماء [المستشرقون] يعدّون اللغة العربية لغة ميتة، ولكن منذ ثمانينيّات القرن العشرين أصبحت سنة الدراسة في الخارج متطلباً لاستكمال دراسة اللغة العربية في جميع الجامعات ـ باستثناء سانت أندروز وويستمنستر ـ »(1)؛ مما يعكس التغيرات الواضحة التي طرأت على الاستشراق وتحوله إلى ميدان يغلب عليه طابع الاهتمام بالفوائد التطبيقية العملية التي يجب أن تُجنى عند دراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

أما عند النظر في المواد التي يدرسها الطلبة في المراحل الجامعية المتعددة؛ فإنه يلاحَظ خلوها من مواضيع أو قراءات تتصل بالأندلس حضارة وتاريخاً. وحتى في الأقسام التي تدرِّس التاريخ الإسلامي؛ فإن مفردات المنهج غالباً ما تُعنى بتاريخ المشرق، ولا تلتفت لتاريخ الأندلس، وهذه الحال متشابهة في الجامعات البريطانية المتعددة. ففي جامعة ليدز مثلاً طُرحت مادةُ **التاريخ العربي الإسلامي حتى سنة 1517**؛ ضمن المواد التي يدرسها طلبة بكالوريوس اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ولكنها تدرس تاريخ المشرق فقط، ولا تلتفت إلى تاريخ الأندلس بالدرس والعناية.

ويمكن العثور في المراجع المقترحة لمادة **مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية** ـ في جامعة ليدز أيضاً ـ على إشارة قصيرة إلى الأندلس قد تكون الوحيدة، وهي من ثَبَت القراءات

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***, p. 219.

المطلوبة للمادة، إذ يوصَى الطلبة بقراءة صفحات عن عبد الرحمن الثالث أول خلفاء قرطبة من كتاب:

Fierro, M. (2005). - *Abd al Rahman III the First Caliph Cordoban*. Oneworld Press.

وهكذا نجد أن المناهج الجامعية والمقررات المخصصة لدراسة اللغة العربية في الجامعات البريطانية كانت في معظمها تعنى بتاريخ المشرق العربي وآدابه وحضاراته، ولم تُخَصَّص مادة معينة؛ لتكون مقتصرةً على الأندلس كغيرها من مواضيع البحث أو مفردات المادة.

ويذكر أنه بسبب الاهتمام المتزايد بموضوع الموشحات الأندلسية وخرجاتها وعلاقتها بالشعر الغنائي الأوربي، فإن أقسام اللغة الإسبانية في بعض الجامعات البريطانية قد أتاحت للطلبة دراسة موضوع الموشحات الأندلسية والخرجات[1]. ولكني لم أعثر على مثل هذه المواد عند استعراض أقسام الدراسات الإسبانية في مختلف الجامعات البريطانية، إذ ربما اقتصر هذا الاهتمام على اجتهاد الأستاذ الشخصي أو تدريس تلك المواضيع في المواد الدراسية من نمط «موضوع أو كتاب خاص»؛ ففي جامعة دَرَم في قسم الدراسات الإسبانية ليس هناك مواد عن إسبانيا القديمة (الأندلس)، وحتى المادة التي تتحدث عن **التاريخ والملاحم ودورهما في صناعة تاريخ إسبانيا الحديثة** ليس فيها ذكر للأندلس، في حين يُذكَر في وصف المادة أنها ستتحدث عن أصول الأمة الإسبانية من خلال تحليل بعض النصوص الملحمية والتاريخية.

وفي جامعة إكستر يدرس الطلبة في قسم الدراسات الإسبانية التابع لقسم اللغات الحديثة، مادة (**العالم الإسباني: التاريخ والمجتمع**) وتهدف هذه المادة إلى تعرُّف الطلبةِ التطورَ السياسي والثقافي للعالم الإسباني منذ أصوله حتى اليوم، ومن مفردات هذه المادة حديثٌ عن الفتح الإسلامي لإيبيريا ثم الاسترداد المسيحي ثم نمو الإمبراطورية الإسبانية وانحلالها، لكن مفردات المادة المطروحة للفصل الأول كثيرة جداً؛ وإن كان من بينها موضوع: إسبانيا والإسلام، لذا فإننا نظن أنها لن تكون كافية؛ ليأخذ الطالب فكرة جيدة كافية ومتوازنة عن الإسلام في الأندلس.

(1) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK, P. 201.

وهكذا فإن موضوع الأندلس والحضارة العربية الإسلامية في إسبانيا لا يشغل حيزاً واسعاً في المناهج الجامعية والمقررات الدراسية للطلبة الذين يدرسون في أقسام الدراسات العربية الإسلامية أو في الدراسات التاريخية أو في الدراسات الإسبانية في الجامعات البريطانية؛ وإن كنا نجد ليزلي مكلوخلن يوجه في خاتمة كتابه الأنظار إلى «أن المنطقة التي يجب على المستشرقين البريطانيين أن يهتموا بها الآن هي دول المغرب العربي، وهي ليست مجهولة لهم؛ فهناك متخصصون بريطانيون في هذه المناطق مثل جون هوبكنز، ولم تعد دول المغرب العربي مجرد (حديقة خلفية) للباحثين الفرنسيين فقط. ومن المؤشرات المشجعة على ذلك التوجه وجود جامعة بريطانية واحدة على الأقل (هي ليدز) ترسل طلبتها إلى المغرب العربي من أجل استكمال متطلب سنة الدراسة في الخارج التي تقتضيها دراسة تخصص اللغة العربية، ومن المؤمل أن التعاون العلمي والجامعي مع هذه البلدان سوف يتطور بقوة في المستقبل»(1).

وربما سيكون للاقتراب والتعاون مع دول المغرب العربي - وهي التي تحتفظ بكثير من ملامح التراث الأندلسي حتى اليوم - أثره في زيادة إقبال الباحثين والمستعربين في بريطانيا على الدراسات الأندلسية.

4) الرسائل الجامعية والأطاريح العلمية:

إن الرسائل والأطاريح التي تعَدُّ في الجامعات البريطانية مؤشر مهم على عنايتها بمجال معين من البحث بإرشاد الطلبة وحفزهم لكتابة الرسائل العلمية فيه، ونحاول هنا أن نتبين بعض الرسائل الجامعية المقدمة للجامعات البريطانية التي تناولت مواضيع التراث الأندلسي.

وقد كان الاعتماد الأول في البحث عن الرسائل الجامعية في الجامعات البريطانية - على الفهرس الذي صنَّفه موريس صليبا(2)، وسجّل فيه عناوين الرسائل الجامعية المتصلة بالدراسات العربية الإسلامية باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية خلال قرن من الزمان:

(1) McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge***, p. 255.
(2) Saliba, Maurice (1983), ***Arabic and Islamic Studies Doctoral Dissertations and Graduate Theses in English, French and German 1881-1981,*** Lebanon.

من سنة 1881–1981؛ لأنه جمع تلك العناوين في صعيد واحد، ثم استكملنا البحث من مصادر أخرى متفرقة.

وكانت نتيجة النظر في مجموع صفحات الكتاب؛ أن الرسائل الجامعية في الجامعات البريطانية المتصلة بالدراسات الأدبية الأندلسية قليلة، ومن بينها رسائل لبعض من أصبحوا أعلاماً في ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا.

وفيما يلي عناوين تلك الرسائل الجامعية التي قُدِّمت في الجامعات البريطانية عن مواضيع تتصل بالأدب الأندلسي ـ مرتبة بحسب ورودها في الكتاب ـ متبوعة باسم الجامعة ورقم الرسالة المتسلسل في الكتاب:

1. Jareer Abu Haider, (1976), *A Study of Certain Linguistic Material and Literary Aspects of the Diwan of Ibn Quzman* (d. 1160 A.D.), SOAS, (392).
2. Ali, Z. (1925), *Diwan of Ibn Hani,* Oxford. (410).
3. Al –Fadda, A.A.A, (1967), *The Andalusian Lyric Poetry "al ـ Muwashshahat",* Cambridge, (528).
4. Harvey, L. P. (1959), *The Literary Culture of the Moriscos (1492-1607), a study based on the extant manuscripts in Arabic,* Oxford, (587).
5. Al ـ Kariem, Mohammad, (1954), *A Critical Edition of Kitab Al-Mutrib fi Ash`ar Al-Maghrib of Ibn Dihyah from the unique manuscript in the British Museum,* SOAS, (642).
6. Al ـ Kariem, M, (1959), *Abu Bakr Ibn Ammar: His life and Poetry,* SOAS. (643).
7. Stern, S, (1951), *The Old Andalusian Muwashshsah,* Oxford, (850).
8. Tibi, A, (1972), *The "Tybian" of Abdullah b. Buluggin, Last Zirid Amir of Granada*. Oxford, (864) (1) .
9. Warburton, E.A.M, (1966). *The Nufadat al-Jirab of Lisan ad-Din Ibn al-*

(1) نشره الباحث باللغة الإنجليزية سنة 1986 في لَيدَن، كما نشره باللغة العربية، ينظر: الطيبي، أمين توفيق (محقق)، (1995)، **كتاب التبيان للأمير عبدالله بن بلقّين آخر أمراء بني زيري بغرناطة،** الرباط: منشورات عكاظ.

وهناك طبعة سابقة للكتاب بعنوان: **مذكرات الأمير عبدالله بن بلقّين،** القاهرة: دار المعارف، 1955.

Khatib, Cambridge, (879) [1] .

10. El-Nashar, A. S. (1951), *The Poetry and Mystical Philosophy of Al-Shushtari,* Cambridge, (1400).
11. Salih, M. O, (1965), *Ibn Tufail: His Place in Islamic and Western Thought,* Cambridge, (1473).

كما توجد رسالتان في الفلسفة عن ابن باجة وابن رشد من الأندلس، وهما في جامعة أكسفورد. ومن الرسائل الجامعية الأخرى لمواضيع تتصل بالتراث الأندلسي:

1. Gorton, T. J. (1976), *The Diwan of Ibn Quzman of Cordoba: A Metrical Study and Complete Critical Edition,* Oxford University.
2. Jarrar, Salah (1982), *Literature and Literary Life in Nasrid Granada (1235-1492),* Thesis (PhD), University of London, SOAS.
3. Haykal, Samir (1983), *The Eastern Muwassah and Zajal,* D. Phill Thesis, (2 vols.), Oxford University.

وتتضمن الرسالة تحقيقاً لكتاب عقود اللآل في الموشحات والأزجال [2] للنواجي.

4. Al-Maatani, A. S. (1984), *A Critical Appraisal of Ibn Bassam's Literary Criticism in al-Dhakhira*. Thesis (PhD), University of Exeter.
5. Baker, K. L. (1986), *Ibn Bassam as a Literary Historian, a Critic and Stylist; a Study of al-Dhakhirat*. Thesis (PhD), University of Glasgow.
6. Abu Hamdah, M. A. (1987), Ibn Khiyra Al-Mawa`ini al-Qurtubi al - Ishbili and his book Rayhan al-Albab wa Ray`an al-Shabab Fi Maratib al-Adab, (PhD), Lancester University.
7. Rifat, N. A. A. M. (1988), *Ibn Ḥazm on Jews and Judaism*. Thesis (PhD), University of Exeter.

(1) النسخة العربية: ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت776هـ)، **نُفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب**، (تحقيق: أحمد مختار العبادي ومراجعة: عبد العزيز الأهواني)، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، دون تاريخ، لكن يبدو أنها نُشرت بعد سنة 1964 بحسب بعض العبارات والمراجع الواردة في مقدمة التحقيق.

(2) نُشر الكتاب سنة 1982 بتحقيق عبد اللطيف الشهابي، في بغداد عن دار الرشيد.

ويوجد تحقيق آخر للكتاب ضمن رسالة جامعية، ينظر: قباجا، عبد المنعم محمد (2006)، **عقود اللآل في الموشحات والأزجال لأبي عبد الله شمس الدين النواجي (ت598هـ)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين.

8. Al-Qaisi, F. A. (1991), Islamic Almeria: It`s Historical Background and it`s Arabic Literature during the 5th A. H./ 11th century A. D., Thesis (PhD), University of London.

9. Hanlon, David (1992), *Linguistic and Literary Aspects of Romance Kharjas in Arabic Script: Towards a Critical Edition,* Unpublished Thesis, University of Exeter.

ويسجَّل استكمال هذه الرسائل العلمية في الجامعات البريطانية في مصلحة رصيد الدراسات الأندلسية هناك، ويعد مؤشراً على جوانب اهتمامات أساتذة الجامعات المشرفين على طلبة الدراسات العليا، التي بات للأندلس فيها نصيب من بحوثهم.

وقد أصبح لمجموعة من أولئك الطلبة الذين أعدوا رسائل جامعية في الجامعات البريطانية عن الأدب الأندلسي ـ أصبح لهم شأن في ميدان الدراسات الأندلسية هناك؛ مثل شترن وتلميذه هارفي وتلميذه أمين طيبي، والدكتور مصطفى عوض الكريم الذي كانت له مجموعة بحوث جيدة في التوشيح وفي الأدب الأندلسي في عهد المرابطين.

كما أن مجموعة من هذه الرسائل العلمية قد أنجزها عدد من الطلبة العرب في الجامعات البريطانية بإشراف أساتذة من تلك الجامعات، وبعض هؤلاء الطلبة قد عاد إلى بلاده؛ ليساهم في الدراسات الأندلسية فيها، وبعضهم الآخر قد بقي في بريطانيا، وأصبح عضواً من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات البريطانية، وصارت أعماله في دراسة التراث الأندلسي تعد من مساهمات بريطانيا في تعزيز ميدان الدراسات الأندلسية والارتقاء به في تلك البلاد.

الفصل الثاني

المواضيع الأدبية الأندلسية في دراسات المستشرقين البريطانيين

المبحث الأول: أعلام الشعر والنثر

كانت دراسة أعلام الأدب الأندلسي إحدى الأدوات التي توسل بها المستشرقون والباحثون في بريطانيا لتناول الأدب الأندلسي والكشف عن أصالة هذا الأدب وتنوّعه، لكنهم لم يتصدَّوا لدراسة تفصيلية وموسعة لأعلام الأدب الأندلسي إلا قليلاً، فقد كانت أعمالهم عن الأدباء الأندلسيين ـ من أهل الشعر والنثر ـ موجزة في مقام تقديم الأعمال الأندلسية التي قاموا على نشرها (مترجمة أو محققة)؛ إذ كانت مقدمة التحقيق أو مقدمة الترجمة عادة تتضمن نبذة في التعريف بصاحب الكتاب، يسعى فيها المحقق أو المترجم إلى إضاءة جوانب من حياة المؤلف تتصل خاصة بالعمل المقدَّم بين يدي القارئ. وتختلف تلك النبذة التعريفية بالأدباء الأندلسيين بحسب الجمهور الذي يقدَّم إليه الكتاب: ففي حين يُكتَفى بموجز عن الأديب وعصره وبعض ميزات أسلوبه في الكتب المعدَّة للقارئ المتخصص، فإن تلك النبذة قد تطول، ويستغرق خلالها المحققُ أو المترجم في مناقشة تفاصيل مثيرة من حياة الأديب الأندلسي؛ وذلك في سبيل تقديم مادة يسيرة وجذابة في الوقت نفسه، تزيد من تشويق القارئ غير المتخصص إلى مجال الدراسات العربية والإسلامية.

ولم يكتب المستشرقون في بريطانيا عن أعلام الأدب الأندلسي شيئاً ذا بال قبل القرن العشرين، إنما كانت ثمة وقفات سريعة موجزة حول بعض الأدباء: كما نجد في الترجمة الإنجليزية لـ (**حي بن يقظان**) التي قام بها سايمون أوكلي سنة 1708، وفي بعض المختارات الشعرية الأندلسية المترجَمَة في كتاب كارلايل (**لمع من الشعر العربي**) سنة 1796.

لكن الأمر لا يخلو من الاهتمام ببعض أعلام الأدب الأندلسي ممن خصَّهم الباحثون في بريطانيا بدراسات علمية مفصَّلة، وإن كانت تلك الدراسات بوجه عام محدودة العدد. وقد اعتنوا فيها ببضعة أمور حين تصدوا للتعريف بأعلام الأدباء الأندلسيين في وسائل النشر المتعددة، فقد وقفوا أولاً عند التعريف باسم العَلَم ولقبه وكنيته ونسبه وتاريخ ميلاده ووفاته إن أمكن، وأصله: من أي منطقة هو، أو قد يردّونه إلى أصول أجداده في الشرق أو في

الغرب. وقد وقفوا عند هذه الأصول على نحو ظاهر؛ إذ إن الأصول العرقية كانت دوماً على جانب كبير من الأهمية لدى المستشرقين في ميدان الدراسات الأندلسية؛ فعلى الأصل العرقي للأديب الأندلسي كثيراً ما كانوا يبنون أحكاماً تسِمُ تجربته وإنتاجه الأدبي الخالص بميسم خاص، وتضعها في ضوء ذلك في مكانة معينة من الأدب الأندلسي عامة. فالحديث عن الأصول المسيحية أو البربرية لبعض الأعلام الأندلسيين يقود إلى أحكام غير تلك التي تقود إليها أصوله الإسلامية مثلاً؛ وفي الحديث عن الأصول العرقية للأديب فسحةٌ لردّ جرثومة إبداعه الأدبي إليها، وفيها كذلك جلاء للجوانب الإبداعية الخفية في النصوص التي أنتجها، وفيها إظهار للعناصر غير العربية الدخيلة بوصفها إحدى مقومات الإبداع الأندلسي الذي لم يكن ليوجد لولا الاختلاط بعناصر غير شرقية. وذلك ظاهرٌ مثلاً في الحديث عن ابن حزم وفي الحديث عن ابن شُهَيد وابن قُزمان؛ إذ يتلقى القارئ منذ بداية التعريف بهم أخبار أصولهم غير العربية، وليس ذلك إلا ليقع في نفس المتلقي أن الدماء غير العربية هي سبب الإبداع عندهم وأن عبقريتهم بذلك قد أصبحت معروفةً جذورها.

ولم يدخر المستشرقون كذلك جهداً في التعريف بالعصر الذي ينتمي إليه الأديب الأندلسي ـ ولا سيّما في النواحي السياسية والاجتماعية ـ في سبيل دعم ما يرمون إليه من نظرات ترى الإبداع رهناً للعصر؛ وذلك حين نسبوا كل رديء مثلاً لعصر المرابطين، وكل طريف مبتكر لعصر ملوك الطوائف. كما اهتموا بالصلات التي تجمع الأديبَ بمعاصريه من أعلام الأندلس في الفنون المختلفة، والبحث في منزلته الاجتماعية ومدى اقترابه من السلطة الحاكمة.

ويلاحظ أن المصادر التي اعتمد عليها الباحثون في التعريف بأدباء الأندلس كانت المصادر العربية من كتب التراجم والرجال والمجموعات الأدبية...وغيرها مما أتاحته لهم مكتبات أوربا من المطبوعات والمخطوطات. لكن اعتمادهم على المصادر العربية لم يمنع من الاهتمام كذلك بدراسات المستشرقين الأوربيين من أبناء المدارس الاستشراقية الأخرى التي سبقت بريطانيا في البحث في التراث الأندلسي. ولم يكن اللجوء إلى تلك الأعمال دائماً من قبيل الاتفاق معها، وإنما من قبيل مناقشة الآراء السائدة أو نسخها والإتيان برأي جديد.

عمد المستشرقون والباحثون في بريطانيا عند التعريف بأعلام الأدب الأندلسي إلى عدة وسائل، كان منها: المقالات المنشورة في الدوريات العلمية أو في دائرة المعارف الإسلامية، والمقدمات التي مهّدوا فيها للكتب الأندلسية التي نشروها (المحقَّقة والمترجَمة)، والدراسات الموجزة حول تاريخ الأدب العربي. ولا نعثر فيما قدموه من أعمال على باحث منهم تفرغ لدراسة موسَّعة عن واحد من الأدباء الأندلسيين إلا نادراً، مثل الدراسة التي خصصها جيمس دكي (يعقوب زكي) لابن شهيد.

وتخلو قائمة أعلام الأدب الأندلسي الذين درسهم المستشرقون في بريطانيا من دراسة حول شاعرات أندلسيات؛ إلا ما ورد من إشارات قصيرة لدى كارلايل وترِند وشترن: فقد أشار كارلايل في (**لمع من الشعر العربي**) ـ الذي ترجم فيه مقطوعة شعرية لولادة بنت المستكفي (ت484هـ) ـ إلى والدها المستكفي بالله[1] بعد فقرة موجزة في تاريخ المسلمين في إسبانيا، لكنه لم يتحدث عن ولادة نفسها إلا في فقرة قصيرة ينقلها باللاتينية عن فهرس ميخائيل الغزيري للمخطوطات العربية في الإسكوريال[2].

كما أشار ترِند إلى شاعرات الأندلس في فقرة يقول فيها: « إن النساء أيضاً قد كتبنَ الشعر في إسبانيا، ومنهن حفصة الركونية [ت586هـ] التي تنتسب إلى عائلة بني حجاج المنتسبة إلى غيطشة آخر ملوك القوط... والأميرة الأموية ولادة [ت484هـ] التي أحبها ابن زيدون [ت463هـ]، وكانت تقرض الشعر أيضاً »[3]. ولم يمثل لأشعارهن في كلامه. ومن جهة أخرى كتب شترن مقالةً [4] في موشحٍ للشاعرة الأندلسية نزهون الغرناطية (ق6هـ).

أما أعلام الأدب الأندلسي الذين خصَّهم المستشرقون البريطانيون بدراسات منفردة؛ فكانوا:

---

(1) Carlyle, J. D. (1796), ***Specimens of Arabian Poetry***, p. 132.
(2) Ibid, p.135.
(3) Trend, J. B. (1990), ***Spain from the South,*** p. 126.

(4) ينظر قائمة مؤلفاته، ص329 رقم (156)، في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**. وهي بعنوان:

« Muwashshaha li-sh-sha'ira l-Andalusiyya Nazhun " [A muwashshah by

the Andalusian poetess Nazhun], **Majalle-je 'Uliim-i Isldmiyya** [Aligarh] (June 1960), pp. 1-8.

* **ابن طفيل: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي (ت 581هـ).**

صاحب (**حي بن يقظان**)، التي نَشَر لأول مرة ترجمتها الإنجليزية عن العربية سايمون أوكلي سنة 1708، ولم يتوقف فيها عند حياة ابن طفيل، فقد بدأ بترجمة الرسالة دون تمهيد حول المؤلف. وكل ما كان يهمه فيها هو مضمون القصة، كما يراها من وجهة نظره قسيساً في كنيسة إنجلترا.

وفي الترجمة الإنجليزية الشعبية لـ (**حي بن يقظان**) التي نشرها بول برونله في لندن بعد ثلاثمئة عام بعنوان (**يقظة الروح**)؛ خصص المترجمُ في مقدمتها فقرتين[1] أوجز فيهما الحديث بما تيسر من سيرة ابن طفيل، الذي رأى أنه على الرغم من كونه ليس من كبار فلاسفة المسلمين إلا أن روايته هذه قد بوّأته مكاناً رفيعاً، وخلّدت اسمه على مرّ الزمان.

أما فولتون في تحقيقه للترجمة الإنجليزية التي كان أصدرها سايمون أوكلي من قبل، وجاءت بعنوان (**تاريخ حي بن يقظان**)؛ فقد أَولى ابنَ طفيل اهتماماً أكبر[2] غير أنه قدّم لكلامه ببيان ضآلة المعلومات المتوافرة عنه، لكنه مع ذلك أتى على بعض أخباره التي لم تنفصل عن أخبار خلفاء الموحدين الذين عاش ابن طفيل في كنفهم. وخلص المحقق إلى أن عبقرية ابن طفيل الفلسفية لا تتوافق ودينه الإسلامي؛ لأن القرآن يتعارض و« الروح التنويرية» التي يمثلها ابن طفيل[3].

* **ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي** (ت 614هـ).

صاحب الرحلة التي حققها وليم رايت، ونشرها بالعربية سنة 1852، وخصص بداية النص العربي من الكتاب لصفحات عديدة عن حياة ابن جبير وأخباره، بيد أن تلك الصفحات كانت مقتبسة حرفياً من المصادر القديمة: ما سماه (**تاريخ غرناطة**) لابن الخطيب، و(**تاريخ مصر الكبير المقفى**) للمقريزي، ومن (**نفح الطيب**) للمقري[4]، دون أن يتدخل المحقق في النصوص.

وكان وليم رايت قد أشار في الفقرة الأولى من مقدمة التحقيق المكتوبة بالإنجليزية

(1) Broennle, Paul (1907), ***The Awakening of The Soul,*** London: Wisdom of The East, (Third Edition). pp. 12-13.
(2) Fulton, A. S. (Ed.), (1929), ***The History of Hayy Ibn Yaqzan by Abu Bakr Ibn Tufail, Translated From Arabic By Simon Ockley,*** New York: Frederick A. Stokes Company Publishers. Pp. 9-15.
(3) Ibid, p.27.
(4) Wright, William, (1907), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** (Second Edition Revised by: M. J. De Goeje), Leyden: E. J. Brill, London: Luzac & Co. pp. 12-36.

إلى أنه ليس من الضروري أن يدخل في تفاصيل سيرة حياة ابن جبير؛ لأن من يبتغي تلك التفاصيل يجدها في مصادر بعض المستشرقين الذين درسوا حياته وأعماله[1].

أما مقدمة الترجمة الإنجليزية للرحلة بتحقيق برودهيرست؛ فقد تحدث فيها بإيجاز عن السبب الذي دعا ابن جبير للقيام برحلته تلك وتابَعَ خطّ سيره فيها، وأشار في حاشية الصفحة إلى نبذة يسيرة من حياة ابن جبير: مولده واسمه ونسبه وأجداده الداخلين إلى الأندلس... وقد اعتنى المترجم بالإشارة إلى بعض المميزات في أسلوب المؤلف في الرحلة، منها إكثاره من الثناء على الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ودقة الأحكام وغزارة التفاصيل، وقوة الوصف التي تكشف جميعها عن منزلته الأدبية الرفيعة. كما استوقفت المترجم « التعليقات المتوازنة » التي أطلقها ابن جبير بحق النصارى الأعداء في سورية الصليبية وصقلية النورمانية؛ لأنها برأيه تعكس الموقف المعتدل الذي كان ابن جبير يمثله، وهو عملة نادرة في عصر اتسم بالتعصب[2].

*** محمد بن ربضان الموريسكي**[3]

عرّف بشعره اللورد ستانلي في سلسلة مقالات[4] نشرها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بين 1867–1872، ولكنه لم يتوقف عند حياة هذا الشاعر؛ وذلك بطبيعة الحال لقلة المصادر المتوافرة عن عصره، فالشاعر ينتمي إلى مرحلة جرت فيها ملاحقةُ الأندلسيين الموريسكيين والتضييق عليهم، فضاعت كثير من آثارهم وأخبارهم.

*** ابن عربي: محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد** (ت638هـ).

لم يأتِ نيكلسون في تقديمه لديوان (**ترجمان الأشواق**)[5] على سيرة ابن عربي، واكتفى

(1) Ibid, Introduction p. 13.

(2) Broadhurst, R. J. C. (1952), ***The Travels of Ibn Jubayr***, London: Jonathan Cape. P. 20.

(3) ينظر عنه في: بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص582.

وفي: دي فوينتس، ألبارو جالميس (1980)، أدب أواخر المسلمين والموريسكيين، **دراسات عربية**، 16(7)، ص 153.

(4) Stanley, Henry Edward (1868-1872), The Poetry of Mohamed Rabadan, of Aragon, **Journal of Royal Asiatic Society**.

(5) Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq: A Collection of Mystical Odes, by Muhyddin Ibn Al-`Arabi,*** India: Ayder, Madras, U.S.A.: Wheaton, Illinos.=

من حياته بما له صلة بالنص الشعري في الديوان. ووقف عند بعض آرائه حول الله والعالم، والله والإنسان، والدين[1]. وهو يردّ أفكار ابن عربي وآراءه إلى عناصر مستمدة من المذاهب الغنوصية والأفلاطونية الحديثة والمسيحية وغيرها، كما أن لدى ابن عربي الكثير مما يذكِّر القراءَ بفلاسفة النصارى[2].

ووقف عنده كذلك في حديثه عن التصوف في الإسلام[3] إذ عرَّف به وبمنزلته في التصوف الإسلامي، ووقف عند بعض أهم آثاره. وقد بيَّن أن انصراف المستشرقين عن إعطاء ابن عربي الاهتمام الكافي ـ حتى وقته ـ يعود إلى غزارة كتابات ابن عربي وصعوبتها بسبب مصطلحاته الخاصة [4]. بيد أن اسم ابن عربي على الرغم من ذلك يفتتح في رأيه عهداً جديداً في تاريخ الصوفية، فإليه يعود ما ابتدأ حركةً دينية شخصية، وانتهى فلسفةً في نظام وحدة الوجود تحديداً، ولقبُ " الشيخ الأكبر" شاهد على منزلته الرفيعة في عالم التصوف الإسلامي[5].

*** المعتمد: محمد بن عباد بن محمد (ت 488هـ).**

في كتاب (**قصائد المعتمد ملك إشبيلية**) ـ وهو من الكتب التي نشرتها سلسلة حكمة الشرق الموجهة للقارئ العام ـ قدمت المترجِمةُ بين يدي الأشعار بمقدمة طويلة[6] عرضت فيها لجوانب من حياة المعتمد الخاصة، برفقة زوجته اعتماد الرميكية (ت488هـ) وصديقه الشاعر ابن عمار(ت 479هـ)، وقد اختارت المترجِمة أسلوباً أدبياً لكتابتها، وصاغت

=يبدو اهتمام نيكلسون بابن عربي متجلياً في امتلاكه بعض مخطوطات مؤلفاته مثل (**ترجمان الأشواق**)، الذي ترجمه إلى الإنجليزية، ومخطوط **فصوص الحكم** الذي حققه تلميذه أبو العلا عفيفي، وكان نيكلسون قد كلَّف تلميذه بدراسة ابن عربي موضوعاً لرسالته في الدكتوراه في جامعة كمبردج سنة 1927. ينظر: عفيفي، أبو العلا (1946)، **فصوص الحكم** لمحيي الدين بن عربي ت 638هـ، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط. 2000)، ص 20.

(1) Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq***, pp. viii-xi.

(2) نيكلسون، رينولد، (1978)، التصوف، في: تراث الإسلام، (ط 3)، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص328.

(3) Nicholson, Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, chapter 8, pp. 399-404.

(4) Ibid, p. 403.

(5) Ibid, p. 404.

(6) Smith, Dulcie Lawrence (1915), ***The Poems of Mu`tamid: King of Seville***, London: Wisdom of The East. Pp. 11-32.

حياة المعتمد في قالب قصة مثيرة، وانتقت لأجل ذلك الغرض مواقف مناسبة من حياته. وهي تصرّح بأن غرضها من المقدمة ليس إثقال الكتاب بوقائع التاريخ، وإنما أن تنقل حياة المعتمد المثيرة إلى القارئ، وبهذا تثير فيه الرغبة في قراءة أشعاره التي تصور حياته على نحو مؤثّر.

وليست مقدمة الكتاب ذات طابع علمي؛ فهي تخلو من الإحالة على المصادر، كما أنها لا تتوخى الدقة في إيراد بعض الوقائع، وهو ما تدل عليه عباراتُ المترجِمة بقولها:« إنه لا يهمها ما إذا كان المعتمد قد توفي في أغمات أو مكناس، في سنة 1095 أم في 1100م ولا مبلغ سطوته ولا أسماء أولاده أو أعدائه أو غير ذلك...»[1]. والإشارة النقدية التي يحملها تقديمُها للكتاب كانت في حكمها بأن شعر المعتمد في المنفى أقل منه في الأندلس، وأن أجمل شعره كان في الغزل في أثناء أيامه السعيدة!

وقد مرّ على ذكر المعتمد أيضاً نيكلسون في (**تاريخ العرب الأدبي**)[2]، ولكنه اقتبس كلام ابن خلكان (ت 681هـ) عنه من ترجمة (**وفيات الأعيان**) التي قام بها الفرنسي دي سلان (ت1878).

*** ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم (ت456هـ)**

عرَّف مترجِمُ (**طوق الحمامة**) إلى الإنجليزية-آرثر جون آربري- في مقدمة الترجمة[3] بحياة المؤلف: مولده واسمه ونسبه، وأصوله التي تعود إلى أسرة مسيحية أسلمت، ومنزلته الاجتماعية الرفيعة، ومحنته وتقلُّب أحواله أيام الفتنة القرطبية. ونرى في المترجم ميلاً واضحاً تجاه الحوادث التاريخية التي أحاطت بحياة ابن حزم، وعملت على تغيّر أحواله من عهدٍ لآخر.

وكان غير مستشرق في بريطانيا قد أشار إلى ابن حزم في مناسبات متفرقة؛ فقد تحدث عنه نيكلسون في (**تاريخ العرب الأدبي**)، ووصَفَه بأنه أعظم العلماء والعباقرة في إسبانيا

(1) Smith, Dulcie Lawrence (1915), ***The Poems of Mu`tamid***, p. 14.
(2) Nicholson, Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, pp.422-424
(3) Arberry, Arthur John (Tr.), (1994), ***The Ring of The Dove by Ibn Hazm (994-1064), A Treatise on the Art of Love and Practice of Arab Love,*** London: Luzac Oriental. (First edition 1953). Pp.7-140.

الإسلامية(1)، كما أشار إليه جِب في (**المدخل إلى الأدب العربي**)(2)، وكان أول شيء يُذكر عن ابن حزم أنه من أسرة كانت مسيحية فيما مضى ثم تحولت إلى الإسلام، وأنه يعود بنَسَبه البعيد إلى أصول فارسية، وإلى هذه الأصول تُرَدُّ عبقريته، وإليها كذلك يُرَدّ تميزه في كتبه التي وضعها؛ ولا سيّما (**كتاب المِلَل والنِّحَل**) و(**طوق الحمامة**)، اللذين يمثلان عبقرية ابن حزم وأسبقيته في التأليف في موضوع الأديان المقارنة وفي نظرية الحب، وهي مواضيع طريفة في زمانها يستكثر المستشرقون والباحثون ـ الذين أشاروا إليها ـ أن تصدر عن عقل عربي مسلم.

أما بيير كاكيا الذي أشار إلى ابن حزم كذلك في استعراضه للأدب الأندلسي؛ فإنه يعد كتابه الطوق مفاجأة متميزة تصدر عن فقيه(3)؛ لأن موضوعه في الحب والمحبين لا يمت إلى ما اشتهر به ابن حزم في علوم الفقه والدين. وهو يرجِع «الميل التأملي» لدى ابن حزم إلى أصله الإيبيري(4). في حين يرى هاملتون جِب أن عبقرية ابن حزم تتجلى في كتابه **المِلَل والنِّحَل** الذي يعَد أول الأعمال في موضوع الأديان المقارنة، وهو ثمرة من ثمرات أجواء التسامح التي أبداها المسلمون في الأندلس تجاه الأقليات الأخرى(5).

*** ابن قزمان (الأصغر): أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك** (ت554هـ).

خصَّ شترن ابنَ قزمان بالحديث في مقالٍ بعنوان: دراسات عن ابن قزمان(6)، وهو في أقسام أربعة تتناول أزجال ابن قزمان وصلتها بالموشحات ومعارضة الشعراء لها، وكان قد ضم في القسم الأخير منها أزجالاً غير منشورة من قبلُ لابن قزمان وغيره من الشعراء مأخوذة من الوثائق العبرية المعروفة بـ «الجنيزة» Genizaالمحفوظة في جامعة كمبردج(7).

(1) Nicholson. Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, p.426.
(2) Gibb, H.A.R. (1926), ***Arabic Literature: An Introduction***, p. 79.
(3) وات، مونتغمري (1994)، في **تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا**، (ط1)، ترجمة محمد رضا المصري، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. ص 140.
(4) وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص 141.
(5) Gibb, H.A.R. (1926), ***Arabic Literature: An Introduction***, p. 80.
(6) Stern, S. M. (1951), Studies on ibn Quzman, ***Al-Andalus,*** xvi, pp. 381-425.
(7) وهي الكتابات القديمة التي وُجدت في القرن التاسع عشر في كنيس يهودي في القاهرة، وتعود محتوياتها إلى القرن العاشر الميلادي وحتى العصر الحديث، وتحتوي مجموعة وثائق من الأدب العبري، والأدب اليهودي العربي، والأدب الإسلامي. ينظر: شايندلين، ريموند (1998)، اليهود في إسبانيا المسلمة=

وقد نال ابن قزمان حظوة لدى الباحثين نظراً لعنايتهم بفن الزجل في الأندلس[1]؛ إذ يكتسب ابن قزمان أهمية خاصة في هذا المجال؛ لأنه رائد هذا الفن، وهو الوحيد الذي وصلت إلينا أزجاله مجموعة في ديوان، نال عناية من الدارسين والعلماء، وحُقِّق عدة مرات.

* **ابن الحاج النميري: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله** (توفي بعد 780هـ).

تناول هوبكنز في مقالة له[2] الحديث عن ابن الحاج النميري، إلا أنه أشار منذ البداية إلى قلة مصادر ترجمة ابن الحاج، ومن ثم فإنه عالج المصادر المتوافرة التي تترجم له ولأشعاره، وعرض مخططاً لمصادر ترجمة الشاعر والصلات فيما بينها[3].

وعرَض في جزء لاحق لحياة ابن الحاج: (اسمه، زمانه، صلاته بمشاهير عصره، رحلاته..) من خلال الروايات والترجيح فيما بينها. وانتقل في الجزء الأخير من مقالته إلى الحديث عن أعمال ابن الحاج النميري. وقد وجّه هوبكنز اهتمامه في تلك المقالة إلى حياة ابن الحاج ورحلاته ومعاصريه ومَن لقيهم في تلك الرحلات.

* **ابن شُهيد: أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد ابن شهيد الأشجعي** (ت426هـ).

خصَّه يعقوب زكي (جيمس دكي) بدراسة وافية في مقدمة التحقيق لديوان ابن شهيد الذي جمعه، ونشره باللغة العربية في القاهرة[4]، وكان قد نشر دراسة عن حياة ابن شهيد باللغة الإنجليزية[5]، وهي دراسة مطوّلة توقف فيها عند حياة ابن شهيد وفق مراحل زمنية محددة. وقد أفاد في دراسته تلك من منجزات مناهج البحث العلمي الحديث وأدواته في التنقيب عن سِيَر المشاهير، ابتداء من الحديث عن أصوله وأهل بيته ومكانة أسرته

=(ص301–316) في: الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، (1998)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ص 303، حاشية (2).

(1) ينظر المبحث الثالث من هذا الفصل عن: ابن قزمان والزجل الأندلسي.

(2) J. F. P. Hopkins, (1961), An Andalusian Poet of the Fourteenth Century: Ibn Al-Hajj, **The Bulletin of SOAS**, Vol. 24, pp. 57-64.

(3) Ibid, p. 58.

(4) ابن شهيد الأندلسي (ت426هـ)، **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، تحقيق يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969.

(5) Dickie, James (1964), Ibn Shuhayd: A Biographical and Critical Study, **Al-Qantara, 29** (2), pp.234-310

الاجتماعية وتفاصيل طفولته، إلى ملامحه الجسدية والنفسية المتغيرة بانتقاله من مرحلة إلى أخرى، في حياةٍ كانت حافلة بالإبداع والتقلبات والمِحَن، كما لم يترك الباحث علاقات ابن شهيد «العاطفية» من غير أن يتوقف عندها ويجد لها ما يناسبها من تعليل أو أثر في ما ترك من أعمال.

وتتضح في هذه الدراسة ملامح بارزة في معالجة الباحثين والمستشرقين البريطانيين للبحث في تراجم أعلام الأدب الأندلسي، كان من أهمها الاعتماد على آراء المستشرقين البارزين في الحقل الأندلسي، ومن أهمهم دوزي وليفي بروفنسال وغرسية غومس وهنري بيريس (توفي بعد 1962).. وهم من أعلام هذا الحقل، ولا يكاد يؤلَّف مولَّف في أوربا يبحث في الشأن الأندلسي دونما الرجوع إلى أعمالهم التي تعد مصادر أساسية لا غنى عنها لجلاء صورة تراث الأندلس وحضارتها أمام الباحثين الجدد.

أما في غير ذلك من الكتب والأعمال الأندلسية التي نشرها باحثون من بريطانيا، وهي ديوان (**عدة الجليس**)[1] وديوان (**جيش التوشيح**)[2] التي قام على تحقيقها ونشرها ألن جونز؛ فإن المحقق مثلاً اكتفى في مقدمة التحقيق لـ (**عدة الجليس**) بنسبة النص للمؤلف دون الخوض طويلاً في سيرته؛ وذلك لقلة المعلومات المتوافرة عن ابن بشري الأغرناطي (ق9/8هـ)، الذي عرفناه فقط مما ورد في مؤلَّفه الذي ذكر فيه لنفسه بضعة موشحات. أما ابن الخطيب مؤلف (**جيش التوشيح**) فلم ير المحققُ في الإفاضة في التعريف به إضافةً ذات فائدة؛ لاشتهار أمره بين دارسي الأدب الأندلسي، فاكتفى بموجز قصير لسيرته.

وإلى جانب هذه الجهود في التعريف ببعض الأعلام من الأدباء الأندلسيين نلاحظ بعض الدراسات القصيرة المتفرقة الأخرى عند الباحثين والمستشرقين في بريطانيا، كان منها: مقالة جون ديريك ليثم في (**دائرة المعارف الإسلامية**) عن مقدم بن معافى القَبري (ت549هـ)[3] الذي عرَّف به بصفته مبتدع فن الموشحات الأندلسية، وقد ناقش في مقالته

(1) Jones, Alan (Ed.), (1992), ***The Uddat al-Jalis of Ali Ibn Bishri: An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat,*** Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial.
(2) Jones, Alan (Ed.), (1997), ***The Jaysh al-Tawshih of Lisan al-Din Ibn al-Khatib: An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat,*** Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial.
(3) ***Encyclopaedia of Islam***, New Edition, (1993), vol. 7, Leiden: E. J. Brill. p. 492.

الموجزة تلك مسألة تشابه اسمه مع اسم محمد بن محمود القَبري الذي ورد ذكره عند ابن بسام في (**الذخيرة**) على أنه هو مبتدع هذا الفن. ويناقش ليثم الروايات المختلفة وهو يتكئ فيها على آراء شترن وبحوثه في التفريق بين محمد بن محمود القَبري ومقدم بن معافى.

ويعدّ شترن من أكثر الباحثين في بريطانيا تعريفاً بأعلام الأدب الأندلسي ـ ولا سيّما في فن الموشح والزجل ـ وهو من أوائل مَن كتب هناك في هذا المجال؛ إذ كانت رسالته للدكتوراه ـ التي قدمها في أكسفورد عام 1951 ـ بعنوان (**الموشح الأندلسي القديم**)، قد اعتمد فيها على مجموعة من الموشحات التي أعدَّها؛ لتكون نواةً لمشروعه في نشر ديوان الموشحات الأندلسية، وكانت هذه المجموعة تتضمن « تراجم لأبرز أعلام الموشح في عصوره المختلفة وموشحاتهم ومعارضاتها ومصادرها، ومقارنة المصادر بعضها ببعض في اختلاف الرواية أو نسبة النص إلى صاحبه»[1]. وقد عرض شترن في هذا المجموع لأعلام الموشحات الأندلسية بالترجمة الموجزة التي أراد منها محاولة حصر أعلام الموشحات والوشّاحين، واكتفى بإيراد المصادر التي ترجمت لهم أو ذكرت بعض أخبارهم وأشعارهم. وكان اهتمامه موجَّهاً نحو نصوص الموشحات نفسها؛ وإن كانت له ملحوظات دقيقة فيما يتصل ببعض الأعلام ومكانتهم في التأريخ للموشحات الأندلسية: فقد وزّع شترن أعلام الموشحات على العصور الأندلسية، وابتدأ بما سماه «عصر ما قبل تاريخ الموشح» ثم عصور ملوك الطوائف والمرابطين ثم الموحدين، وانتهى بـ «وشاحين من عصر مجهول». كما قام بالتعريف ببعض أعلام الموشحات على نحو منفصل، كما في أحد المقالات بغير اللغة الإنجليزية عن عبادة بن القزاز[2]، وكما في تعريفه ببعض أعلام الشعر الأندلسي في إحدى الموسوعات الأدبية[3]، وكما في مقالته «أربعة موشحات من مختارات ابن بشرى»[4]، التي حقق فيها نصوص أربعة موشحات، وعرَّف بواضعيها من الوشّاحين

(1) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، مقدمة المترجم، صفحة. ل. وينظر الباب الثاني من الكتاب: الموشحات والوشاحون، ص159–319.

(2) ينظر ثبَت مؤلفات شترن، رقم (14) لسنة 1950، في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص323.

(3) ينظر ثبَت مؤلفات شترن، الأرقام (28–73) لسنة 1953، في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص324.

(4) Stern, S. M. (1958), Four Famous Muwassahs from Ibn Bushra`s Anthology, **Al-Andalus**, xxiii: 339-369.

الأندلسيين. وتعد هذه المساهمات رائدة في بابها؛ إذ كان شترن من أوائل من كتب باللغة الإنجليزية في تراجمِ أعلامِ التوشيح.

المبحث الثاني: الأعمال الأدبية: نثراً وشعراً

كانت النصوص الإبداعية الأندلسية التي اعتنى بدراستها المستشرقون والباحثون في بريطانيا قليلة العدد عند مقابلتها مع الأعمال الأندلسية التي اعتنى بها غيرُهم، على أن تلك القلة لا تمنع أن جهودهم في تناول هذه النصوص كان لها منزلتها بين المستشرقين وأعلام الدراسات الأندلسية في أوربا؛ لأن بعض تلك النصوص كان قد رأى النور لأول مرة على يدي المستشرقين في بريطانيا. وقد نشروا إلى جانبها مجموعة من النصوص النثرية والشعرية الأندلسية كانت قد نُشرت أو تُرجِمت من قبلُ في أوربا أو في البلاد العربية.

أما الدوافع التي تقف وراء الاهتمام بهذه النصوص الأندلسية لدى المستشرقين والباحثين في بريطانيا؛ فإننا لا نكاد نعثر على دافع مشترك ـ يجمع بين من قاموا بنشرها ـ يكون خيطاً يربط عملهم في هذا الميدان في نسق محدد تنتظمه الدراسات الأندلسية أو الرغبة في الكشف عن التراث الأندلسي، وربما لا يكون هذا الأمر مثيراً للغرابة إذا أخذنا في الحسبان أن مجال الدراسات الأندلسية في بريطانيا ما زال في طور النشأة والتأصيل ربما حتى اليوم، وأن أغلب العلماء ـ ممن قاموا على نشر النصوص الأندلسية في تلك البلاد ـ هم من المعروفين باهتماماتهم العلمية في الدراسات العربية والإسلامية عامة، وكانت مشاركتهم في نشر الأدب الأندلسي جزءاً من تلك الدراسات؛ وليس اهتماماً خاصاً بالأندلس.

ويتيح النظر في كل عمل من الأعمال الإبداعية الأندلسية التي درسها الباحثون في بريطانيا المجال للبحث في صورة مستقلة عن دوافع الاهتمام به، وهي دوافع حين تستقصى لا نجد من بينها التصدي للبحث في الأدب الأندلسي والتعريف به؛ إلا في عمل جيمس دكي في (**ديوان ابن شهيد**) وعمل ألن جونز في ديواني (**عدة الجليس**) و(**جيش التوشيح**)؛

فالاهتمام بالتراث الأندلسي على وجه التحديد لم يكن مشهوراً بين المستشرقين والباحثين في بريطانيا الذين انصرفوا إلى تحقيق المصادر العربية القديمة، ولم يلتفتوا إلى التراث الأندلسي.

كانت رسالة (**حي بن يقظان**) لابن طفيل مثلاً من أكثر الكتب العربية القديمة ـ بعد القرآن الكريم و(ألف ليلة وليلة) ـ نشراً وترجمةً في أوربا[1] فقد تُرجمت إلى لغات أوربية عدة[2]، وعندما نُشرت على يد إدوارد بوكوك الابن في أكسفورد سنة 1671؛ لاقت اهتماماً كبيراً في أوربا «فقد أُهديت إلى العديد من المستشرقين في الجامعات الأوربية، وكانت ترجمتها اللاتينية التي أُرفقَت بالنص العربي عاملاً في أن تكون متاحة للنخبة المثقفة الأوربية، وساعدت على انتشارها بين أيدي فئة واسعة من المهتمين. كما أن سمعة بوكوك الأب الذي ذيَّل بتوقيعه مقدمةَ الرسالة قد جعلت لها شهرة كبيرة، حتى إن ترجمتها نُسبت خطأ مراراً إلى بوكوك الأب؛ وليس إلى ابنه»[3].

وليس محل شك أن الدافع الأول الذي كان وراء الاهتمام بـ(**حي بن يقظان**) على صعيد أوربا كان مضمون الرسالة ومحتواها، وإن كان أسلوبُها المشوّق قد لفت الأنظار إليها؛ فإن العناية بها ربما كان وراءها دافع شخصي، وهو رغبة المستشرق بوكوك الأب في يقدّم ابنه إدوارد بوكوك الابن إلى الساحة العلمية في أكسفورد بعملٍ تكون له قيمته، ويكون مناسباً لابنه الذي رأى فيه الأبُ خليفةً مناسباً له على منصب أستاذ العربية في جامعة أكسفورد. ولم يكن يدور في خلد بوكوك الابن حين تصدى للرسالة بالتحقيق والترجمة شيءٌ من الكشف عن تراث الأندلس الأدبي والفلسفي مثلاً؛ في وقت كانت فيه الفلسفة الإسلامية مجهولة من علماء أوربا، وكانت مقدمةُ بوكوك الأب للكتاب الممتلئة بالأخطاء والغموض شاهداً على ذلك[4].

---

(1) Conrad, Lawrence, I. (Ed.), (1996), ***The World of Ibn Tufayl on Hayy ibn Yaqzan: Interdisciplinary Perspectives.*** Leiden: E. J. Brill. p. 3.

(2) للمزيد عن الترجمات الأوربية لرسالة (حي بن يقظان) ينظر مقدمة الترجمة الإنجليزية للرسالة، في:

Fulton, A. S. (Ed.), (1929), ***The History of Hayy Ibn Yaqzan by Abu Bakr Ibn Tufail, Translated From Arabic By Simon Ockley,*** New York: Frederick A. Stokes Company Publishers. Pp. 35-36.

(3) Russell, G. A. (1994), The Impact of the Philosophus Autodidactus, pp. 226-227.

(4) ينظر: صالح، مدني (1973)، ابن طفيل: من اللاهوت إلى الرواية الإنكليزية، **الأقلام**، بغداد: 9 (1)،

وقد تمثلت العناية برسالة (**حي بن يقظان**) في ترجمات إنجليزية ثلاث صدرت خلال ما يقرب من 30 سنة، وكانت تلك العناية نابعةً من مضمونها المثير للجدل، إذ لم يروا فيها أكثر من مجرد محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة عند ابن طفيل.

أما (**رحلة ابن جبير**) التي نشرها وليم رايت سنة 1852؛ فإن الدافع وراء العناية بها كان توجيه أستاذه دوزي المهتم بالتراث الأندلسي في جامعة لَيدَن، إذ إن عمل رايت فيها كان جزءاً من إعداده للأطروحة التي نال عنها درجته الجامعية هناك. لكن ترجمتها إلى الإنجليزية على يد برودهيرست ـ بعد نشرها لأول مرة بمئة عام تقريباً ـ كانت نزولاً عند رغبة أحد زملاء كلية King`s College في جامعة كمبردج، وآخرين من زملائه وأساتذته في الجامعة[1]، ونزولاً عند رغبته هو في أن يقدم " إسهاماً مناسباً في تطوير الاهتمام المتنامي والتعاطف المتزايد لدى أبناء بلده تجاه العالم العربي والإسلامي"[2].

ويمكن أن يقال الشيء نفسه في الترجمة الإنجليزية التي قدمها آربري لـ (**طوق الحمامة**)؛ إذ لم يقدّم بين يدي الترجمة بما يفي منزلة الكتاب حقها ضمن الأدب الأندلسي خاصة أو العربي عامة؛ وإن أشار في عبارة مقتضبة تنم على إعجابه بالكتاب إلى أنه "من الكتب العربية النادرة والطريفة في موضوعها، ولهذا يستحق الترجمة"[3].

وكان هدفُ آربري من العمل في ترجمة الكتاب تقديمَ ترجمة مقبولة للقارئ العام؛ بعيداً عن فرضيات الأدب المقارن مثلاً كتلك التي انبرى للبحث فيها المستشرق الأمريكي التشيكي الأصل نيكل الذي كان قد ترجم (**طوق الحمامة**) إلى الإنجليزية سنة 1931، وبحث في بيان أوجه التشابه بين الطوق وأعمال التروبادور[4]؛ مما لم يبحث فيه آربري عند ترجمته للطوق وتقديمه له.

ولا يكاد الأمر يختلف في البحث عن الدوافع وراء نشر بعض دواوين الشعراء الأندلسيين

ص6، وص 11 حاشية (3).

(1) Broadhurst, R. J. C. (1952), ***The Travels of Ibn Jubayr***, p. 7.
(2) Ibid, p. 21.
(3) Arberry, A.J. (Tr.), (1994), ***The Ring of the Dove, by Ibn Hazm***, p.13.
(4) Nykl, A. R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry***, Chapter vii: Relations between The Hispano-Arabic Poetry and That of The First Aquitanian Troubadours, pp. 371-411.

لدى الباحثين في بريطانيا؛ إذ لا تتضح في أعمالهم ـ إلا فيما ندر ـ رغبةُ المحققين والمترجمين في درس الشعر الأندلسي دراسة متأنية أو تقديم نظرة جديدة في قضاياه.

فقد كان دافع نيكلسون إلى تحقيق (**ترجمان الأشواق**) وترجمته ـ التي نُشرت 1911 ـ أنه لم يكن هناك من كتابٍ لابن عربي قد تُرجم إلى لغة أوروبية حتى ذلك الوقت، وليس هناك دراسة كافية عنه وعن تأملاته الصوفية التي كان لها آثار استثنائية في العالم الإسلامي ـ على حد قوله ـ كما أن هذا الديوان قد شرحه مؤلفه ابن عربي بنفسه: وهو الذي يعرف معنى الشعر تماماً؛ مما أغرى المستشرق الإنجليزي الذي يمتلك نسخة خاصة من مخطوط الديوان بأن يُقدِم على هذا العمل(1)، فقد كان نشرُ (**ترجمان الأشواق**) حدثاً بارزاً فقط؛ لأنها كانت المرة الأولى التي يُقَدَّم فيها أعظمُ المتصوفة المسلمين للعالم الغربي(2).

ومن دوافع نيكلسون لإنجاز هذا العمل وغيره من تراث التصوف الإسلامي أنه اشتغل "بالتصوف حتى أدرك استحالة وضع تاريخ له قبل أن تُعَدَّ مصادره الأولى إعداداً علمياً دقيقاً، فأخذ يقوم بنفسه بهذه المهة الشاقةً؛ مهمة نشر المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها وترجمتها وتحليل مادتها، فنشر وترجم إلى اللغة الإنجليزية طائفة من أصول التصوف العربية والفارسية"(3).

ويتجلى الباعث على نشر أصول التصوف الأولى في قول نيكلسون عنها في مقدمة كتاب (اللُّمع) الذي نشره سنة 1914: "...هذا المجلد خطوة جديدة من خطوات ذلك العمل الشاق الذي أخذت نفسي به منذ زمن طويل، أعني إعداد مادة صالحة لتاريخ التصوف، ولا سيّما دراسة نشأته في أقدم عصوره، ابتداء من القرن الثاني حتى نهاية ق4هـ، وإنك لتتبيّن النتائج الطيبة التي يمكن الحصول عليها من دراسة أصول التصوف الأولى دراسة نقدية تحليلية؛ مما قام به [لويس ماسينيون (ت1962)] في كتاب (الطواسين) للحلاج، فليس هناك شك في أن سلسلة من البحوث من هذا الطراز تمهد السبيل لوضع تاريخ التصوف العام"(4).

(1) Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq***, p. 1.
(2) Ibid, Preface to the 1978 Edition, by: Martin Lings, p. xiii.

(3) عفيفي، أبو العلا (مترجم)، (1946)، **في التصوف الإسلامي وتاريخه: طائفة من الدراسات التي قام بها العلامة الأستاذ رينولد نيكولسون**، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر. صفحة. م، مقدمة المترجم.

(4) عفيفي، أبو العلا (مترجِم)، (1946)، في **التصوف الإسلامي وتاريخه**، صفحة. م، مقدمة المترجم.

وكانت أشعار المعتمد ملك إشبيلية هي الأخرى قد تُرجمت إلى الإنجليزية سنة 1915 في طبعة شعبية ضمن سلسلة "حكمة الشرق" التي تهدف إلى مدّ جسور التواصل بين الشرق والغرب، ولأجل ذلك الهدف سعت إلى اختيار نماذج أدبية شرقية تقدَّم للقارئ الإنجليزي بأسلوبٍ مشوِّق. ولم تكن دوافع ترجمة تلك الأشعار دوافع علمية ـ إن جاز التعبير ـ بل كانت مجرد سعي لتقديم قصة أحد الشرقيين (بالمعنى العام لـ Orient وليس المعنى الجغرافي) الملأى بالمواجع والإثارة إلى القارئ الإنجليزي.

أما الحديث عن الدوافع العلمية ـ أي الدوافع ذات الصلة بدراسة التراث الأندلسي لدى الباحثين في بريطانيا ـ فإننا يمكن أن نعدّ ترجمة آربري لـ(**رايات المبرزين**) اقتراباً من الدوافع العلمية للبحث في الأدب الأندلسي تحديداً، وليس مجرد عمل متصل بالتراث العربي الإسلامي؛ وإن لم يكن يقصد آربري إلى ذلك قصداً؛ ففي تقديمه للترجمة الإنجليزية للرايات أثنى على عمل الإسباني غرسية غومس الذي نشر الرايات في مدريد سنة 1942، وترجمه إلى الإسبانية، وقدم له بمقدمة جيدة، لكن آربري مع اطّلاعه على قراءة زميله الإسباني للكتاب كان له رأي آخر في قراءة بعض الأبيات الشعرية الواردة فيه، وهو لا يدعي أن قراءته أفضل من قراءة غرسية غومس ولكنه يقوم فقط بتقديم قراءة أخرى يرى أنها أصوب(1)، وهو شيء يفعله عادة المحققون والمترجمون الذين يعيدون النظر والعمل في النصوص المخطوطة التي سبق نشرها.

وفي هذا يقترب آربري من الدوافع العلمية التي كان لأجلها قد عمل كثيرون ـ ممن اهتموا بالدراسات الأندلسية في أوربا ـ على نشر النصوص الأندلسية أو ترجمتها، لكن هذه قد لا تكون دوافعه الحقيقية للاهتمام بهذا الكتاب تحديداً، وهو المستشرق الذي كان اهتمامه الأول متجهاً نحو التصوف الإسلامي في الأدب الفارسي والأدب العربي؛ تأسياً بنهج أستاذه نيكلسون الذي درس على يديه آربري اللغة العربية في مقتبل عمره(2).

فالنظر في سيرة آربري يجعلنا نقف على ما يمكن أن نعده دافعاً لهذه الترجمة وغيرها من الترجمات التي قدمها لعالم الدراسات العربية والإسلامية؛ إذ أمضى وقته في أثناء

(1) Arberry, A. J. (1953), ***Moorish Poetry: A Translation of the Pennants: An Anthology Compiled in 1243 by the Andalusian Ibn Sa`id.*** New York: Cambridge University Press. P.x.

(2) بدوي، عبد الرحمن (1984)، **موسوعة المستشرقين**، ص5.

الحرب العالمية الثانية موظفاً في وزارة الإعلام لأربع سنوات (وكان المستشرقون حينذاك يتركون أشغالهم العلمية، وينخرطون في الوظائف التي تتطلبها مصالح الدولة)، ثم عاد إلى الحياة العلمية والجامعية من جديد سنة 1944، وتولى كرسي الفارسية في جامعة لندن، وكرسي العربية في كمبردج سنة 1947 إلى وفاته. وكان في أثناء خدمته قد قام بإصدار منشورات للدعاية البريطانية في الشرق الأوسط بالعربية والفارسية، وقد شرع يعمل باجتهاد في ترجمة الآداب الشرقية؛ العربية والفارسية، ومن بينها ترجمة القرآن الكريم سنة 1955، من أجل تقريبها إلى القارئ الإنجليزي؛ نوعاً من التكفير عن تلك السنوات التي أمضاها في العمل في وزارة الإعلام[1]. وقد انهمك في هذا العمل، وأبلى فيه بلاء حسناً حتى إنه حين وفاته كانت كتبه قد ناهزت الستين، ووصلت إلى جمهور واسع كما كان آربري يأمل[2].

في السنوات اللاحقة لعمل آربري نجد أحد الباحثين في بريطانيا يقترب من الدوافع العلمية التي تتجلى في السعي للكشف عن روائع التراث الأندلسي في إقدام الاسكتلندي يعقوب زكي (جيمس دكي) على جمع أشعار ابن شهيد ونشرها في ديوان يضمها، وكان عمله هذا إعداداً لأطروحته الجامعية التي قدمها في جامعة القاهرة، وهو يصرح في تقديمه لها بأنه يحاول أن يَسدَّ "حاجة كانت تفتقر إليها الدراسات الأندلسية، وما يجري منذ أكثر من قرن من الزمان من استرداد أشتات الثقافة الأندلسية"[3].

وتبدو في مقدمة تحقيقه للديوان وفي عمله فيه مظاهرُ السعي إلى ضبط النص والدقة في جمع المعلومات والتحليل والاستنباط لبيان جوانب عبقرية الشاعر الأندلسي؛ بما يصدّق تلك الدوافع، ويقوّي أمرها، وهو شيء نتوق لالتقاط أخباره في أعمال المستشرقين

(1) بدوي، عبد الرحمن (1984)، **موسوعة المستشرقين**، ص 6.

(2) M. C. Lyons, 'Arberry, Arthur John (1905–1969)', ***Oxford Dictionary of National Biography,*** Oxford University Press, 2004. [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/30429, accessed 7 March 2009].

(3) ابن شهيد، أبو عامر أحمد عبد الملك (ت426هـ)، **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969. ص3.

وكان شارل بيلا «المستشرق الفرنسي» قد جمع أشعار ابن شهيد سنة 1963، في: **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، (ط1)، بيروت: دار المكشوف.

والباحثين في بريطانيا.

وفي العقود المتأخرة من القرن العشرين بدأ تصاعد الاهتمام بالآداب الشعبية والمحلية في الأدب العربي يأخذ مكاناً واضحاً بين الباحثين والمهتمين بالدراسات العربية والإسلامية إلى جانب قضايا الأدب المقارن ومناهجه، لهذا فقد حازت مواضيع الموشحات الأندلسية عناية أكبر من غيرها لدى الباحثين في التراث الأندلسي، كان من نتائجها خروج ألن جونز بنشر ديوان **(عدة الجليس)** لابن بشري الأغرناطي، فقد كان نشره لهذا الديوان خطوة غير مسبوقة تجاه نصٍّ ظل طويلاً محل اهتمامٍ بين الباحثين في شؤون الموشحات الأندلسية والخرجات الرومانثية فيها، وأفاد من نسخته الوحيدة ـ التي كانت ملكاً للمستشرق الفرنسي جورج كولان (ت1977) ـ عددٌ من الباحثين المستشرقين والعرب في دراساتهم عن الموشحات الأندلسية[1].

ولم يأتِ جونز في تحقيقه للكتاب على ذكر كيفية وصول المخطوط إليه، لكنه أوضح أن الهدف الذي دفعه للمغامرة في إخراجه عن نسخته الفريدة هو تقديم طبعة أمينة للنص المخطوط من الموشحات تكون أقرب ما يمكن إلى الصورة التي وردت عليها في المخطوط.

وكان غرسية غومس عندما أتيحت له فرصة الاطلاع على المخطوط من كولان قد نشر مجموعة من الموشحات الأندلسية والخرجات الرومانثية الواردة فيه؛ ودراسات في أصل الموشحات بناءً عليها [2]، وقدّم في تلك الأعمال قراءةً محددة للموشحات وللخرجات الرومانثية الواردة في بعضها تتوافق ونظريتَه التي يقول فيها بالأصل الإسباني للموشحات وبأنها تقوم على أساس العروض الأوربي؛ وليس العروض الخليلي.

ولهذا فقد كان جزءٌ كبير من عمل جونز في تحقيقه لديوان **(عدة الجليس)** تقديمَ قراءة

(1) الغديري، مصطفى (1994)، كتاب (عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس) لعلي بن بشري الأغرناطي الأندلسي، **دراسات أندلسية**، تونس، ع12، ص69.

(2) نشر غرسية غومس G. Gomez (ت1995) مجموعة من المقالات في هذا الموضوع في مجلة الأندلس ثم في كتابه: الخرجات الرومانثية في إطار الموشحات العربية. ينظر: الغديري، مصطفى (1994)، كتاب (عدة الجليس)..، ص69 حاشية (7).

أقرب ما تكون إلى النص الأصلي، دون اللجوء إلى توجيه القراءة؛ لتخدم هدفاً معيناً في نفس المحقق.

وتتضح الدوافع العلمية التي دفعت الباحث إلى دراسة الآثار الأندلسية وتقديمها على أفضل وجه ممكن، لأن الكتاب الذي دفعه إلى القرّاء كتاب فريد في بابه خاصة ؛ إذ يضم **(عدة الجليس)** مجموعة من الموشحات تناهز في عددها ما كان معروفاً من قبل، وكثير منها ليس مذكوراً في مصدر آخر. لذا فإن عمل ألن جونز هذا يعد في جانبٍ منه إغناءً لميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا وفي غيرها بهذا الكشف الجديد غير المسبوق، ووضعه بين يدي الباحثين؛ ليس من المهتمين بالدراسات الأندلسية فحسب، بل أولئك المهتمين بالدراسات الرومانثية والدراسات المقارنة [1] .

وتقف وراء عمل ألن جونز الثاني في تحقيق ديوان **(جيش التوشيح)** لابن الخطيب سنة 1997 دوافع مماثلة؛ فعلى الرغم من أن **(جيش التوشيح)** قد رأى النور قبل ذلك بما يزيد على ثلاثين عاماً حين نُشرت طبعته الأولى؛ فإن ألن جونز سعى إلى إخراج النص من جديد بأقرب صورة ممكنة لما هو موجود في المخطوطات الثلاث التي وصلتنا لـ **(جيش التوشيح)** وهي ليست مخطوطة وحيدة كما هي الحال مع **(عدة الجليس)** ـ بناء على النهج الذي اختط طريقَه ألن جونز في تحقيق النص العربي وإخراجه وفق طريقة «البليوغرافيا» [2] التي تعتني بدراسة الخطوط القديمة التي دوِّنت بها النصوص.

ويدرك ألن جونز أنه يقدم من خلال هذه الأعمال مشاركة فريدة في باب الدراسات الأندلسية بتقديم نصوص أولية تمهد السبيل للدراسة والتأمل والتمحيص في موضوع ما

(1) Jones, Alan (Ed.), (1992), ***The Uddat al-Jalis of Ali Ibn Bishri, An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat,*** Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial. Introduction, p. 1.

(2) البليوغرافيا *Palaeography* هو علم دراسة الخطوط والكتابات القديمة، وهو علم أو فن فك أسرار المخطوطات التاريخية وقراءتها. ينظر:

* Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition,*** 20 vols.,Oxford: Clarendon Press. Palaeography, Vol. 11, p. 83-84.

وينظر: السامرائي، قاسم (2001)، **علم الاكتناه العربي الإسلامي**، ط1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص 17–20.

استعَمل المصطلح لأول مرة سنة 1703 الراهبُ الفرنسي Bernard de Montfaucon (ت1741).

زال يأخذ بقسط وافر من الدرس والمناقشة: ألا وهو الموشحات الأندلسية وخرجاتها الرومانثية وما تثيره من قضايا حول جوانب التأثر والتأثير بين الأدب العربي في الأندلس والآداب الأوربية (في إسبانيا وفي جنوبيّ فرنسا "البروفانس" وفي جنوبيّ إيطاليا)؛ مما سنأتي على تفصيله في المبحث التالي.

وهكذا تزيد هذه الدوافع الصورة وضوحاً بأن المستشرقين والباحثين في بريطانيا المهتمين بالتراث الأندلسي لا يزالون على نحو استثنائي قلة من حيث عددهم ومن حيث تضافر جهودهم واجتماعها على صعيد واحد وضمن تيار متناغم، لكن تلك القلة مع ذلك كان لها حضور واضح في الدراسات الأندلسية بما تقدمه من بحوث ونتائج جديدة.

المبحث الثالث: القضايا الأدبية

لم يكن تطلّع المستشرقين في بريطانيا لدراسة الأدب الأندلسي منفصلاً عن الدراسات التي قدّمها المستشرقون الأوربيون، لذا ظلت نظرتهم إلى هذا الفرع من الدراسات العربية الإسلامية في كثير من الأحيان محكومة بنظرة من سبقهم، وأسَّس لها من المستشرقين الأوربيين الذين اشتهروا في الدراسات الأندلسية، واستمر هذا إلى أن تغير الحال في الربع الأخير من القرن العشرين حين بِتنا نعثر على نفرٍ من الباحثين في بريطانيا ممن يحاولون الخروج من دائرة الآراء السائدة بتوظيفهم المناهج الحديثة في الدراسات الأدبية.

كانت القضايا التي أثارتها دراسةُ الأدب الأندلسي لدى المستشرقين الأوربيين عامة والمستشرقين في بريطانيا خاصةً متنوعة ومتشعبة؛ ذلك أن تناول هذا الأدب له في نفس المستشرق خصوصيةٌ ما تجذبه تارة، وتبعده أخرى؛ إذ يمثل الأدب الأندلسي للمستشرق الشيء وضده: فهو يتجه إلى دراسته بصفته تراثاً شرقياً ينتمي إلى حضارة وثقافة أخرى مغايرة، لكنه في الوقت نفسه يجد في التراث الأندلسي مزيجاً من الشرق والغرب له نكهته المميزة من الأدب الشرقي الخالص، ويجد فيه بعضاً من ذاته الأوربية.

وقد طفقت مساهمات البريطانيين في مناقشة العديد من قضايا الأدب الأندلسي

تنمو وتزيد وترسخ تقاليدها، ولم تبقَ حكراً على المدارس الأخرى: فما أن حلّت نهايةُ القرن العشرين حتى كانت مساهماتهم تلك قد أخذت مكانها في عالم البحث العلمي والدراسات الأندلسية في أوربا والعالم. هذا على الرغم من أن أهم قضايا الأدب الأندلسي التي تناولوها هي القضايا ذاتها التي أثارت جدلاً بين الباحثين في أماكن أخرى، أي كما لو كانوا قد ساروا في ركاب الموجة السائدة؛ لكن مشاركتهم فيها مع ذلك كانت ذات شأن؛ وإن لم يتجهوا لتقديم دراسات موسعة شاملة في الأدب الأندلسي مثلما نجد لدى مدارس استشراقية أخرى.

ويمكن إجمال القضايا ـ التي شاركت المدرسة البريطانية في نقاشها في الدراسات الأندلسية ـ في ثلاثة مجالات منفصلة ومتصلة في الوقت نفسه؛ لأنها، وإن بدت متباعدة ـ متصلة بعضها ببعض بأقوى الأسباب. وهي:

1) التأريخ للأدب الأندلسي.
2) الأثر العربي في الآداب الأوربية.
3) الموشحات والأزجال الأندلسية.

1) التأريخ للأدب الأندلسي:

لم تشهد الكتابات في بريطانيا عن الأدب الأندلسي أعمالاً توازي في شأنها من حيث التخصص والشمول والاتساع ما بلغته أعمال رواد ميدان الأندلسيات أمثال: رينهارت دوزي وليفي بروفنسال وغرسية غومس وهنري بيريس...وغيرهم ممن كتبوا كثيراً في تاريخ الأندلس وفي الأدب الأندلسي، حتى أصبحت كتاباتُهم أعمالاً (كلاسيكية) لا غنى عنها للمتخصص وغيره في هذا الميدان، وغدت ذات أثر قوي في الباحثين الأوربيين وفي غيرهم.

وقد كان لبعض كبار المستشرقين البريطانيين مشاركة في التأريخ للأدب والتراث الأندلسي، وذلك في سياق دراساتهم عن الأدب العربي إجمالاً، وهي تعد من قبيل المحاولات الأولى في بريطانيا للكتابة والتأليف في مجال الأدب والتراث الأندلسي.

اعتاد الباحثون والمستشرقون في بريطانيا ممن كتبوا في التأريخ للأدب الأندلسي أن يمهدوا لذلك بالحديث عن الأدب العربي عامة وانبثاقه في الجزيرة العربية ثم الانتقال إلى الأندلس فيما بعد؛ وكان ذلك تقليداً مبنياً على نظرتهم إلى التراث الأندلسي على أنه جزء غير منفصل عن جسم الأدب العربي ككل. وقد قادهم هذا الحديثُ في أحيان كثيرة إلى مسألة الأصول المشرقية للأدب الأندلسي (ولا سيّما في عهد الإمارة وجزء من عهد الخلافة) التي كانت تغذّيها على الدوام التأثيراتُ المشرقية المتواصلة في الأندلس من خلال ارتحال أعلام الأدب والثقافة المشارقة إليها، أو ارتحال طلبة العلم عن الأندلس إلى الشرق؛ مما جعل الأدب الأندلسي يميل إلى أن يكون تقليداً للأدب المشرقي بتأثير ولع الأندلسيين بكل ما هو مشرقي، هذا الولع الذي انقلب إلى ضده بمحاولة الأندلسيين أن يشبّوا عن الطوق ويبحثوا عن شخصيتهم المتميزة، فكان من نتاج صنيعهم ذاك أن أبدعوا في الآداب الشعبية إبداعاً تجلى خاصة فيما وصلنا من فنون الموشحات والأزجال[1].

خصص نيكلسون في كتابه (**التاريخ الأدبي للعرب**) الصادر سنة 1907 ـ الذي تحدث فيه عن الأدب العربي للقارئ العام والمتخصص ـ فصلاً للتاريخ وللأدب في الأندلس جعله بعنوان: العرب في أوربا[2]، وهو يبدو أمام القارئ للوهلة الأولى محمَّلاً بنظرة المؤلف تجاه الأندلس والوجود الإسلامي فيها؛ ذلك أن الأندلس بالنسبة إليه هي إسبانيا، وهي تبقى كذلك: قطعة من أوربا حتى إن عمرها المسلمون أكثر من ثمانمئة عام، وطبعوها بطابعهم المميز، فذلك لا يغير من الأمر الذي يراه وجوداً طارئاً للعرب في أوربا، وكأنّ أوربا قد بقيت على حالها مع وجودهم على أرضها.

ويسلك نيكلسون في استعراضه للأدب العربي في الأندلس المنهج التاريخي، بتقسيم الأدب وفق العصور السياسية، ويختار من كل عصر علَماً أو عدة أعلام أو ميزة ظاهرة اشتهر بها ذلك العصر (كالمكتبات أو الهزائم الحربية أو الانتصارات...) للتمثيل على ملامح الأدب فيه. ويقدم للحديث عن شعر المسلمين في أوربا بما يريد أن ينطبع في ذهن القارئ من أن الشعر الأندلسي يبدو شبيهاً بالشعر المشرقي: إذ سار الشعرُ الأندلسي على

(1) وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، 83.
(2) Nicholson, Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, pp. 405-441.

خُطا التقاليد التي أرساها الأدباء المشارقة في بغداد وحلب(1). ويجمع الأدبين ـ المشرقي والأندلسي ـ أنه " إذا كان الأدبُ المشرقي قد تأثر بالثقافة الفارسية؛ فإن الأدب الأندلسي قد شهد شيئاً مشابِهاً؛ ذلك أن امتزاج الآريين والساميين قد أعطى الأدبَ ملامح جديدة جعلت الشعر (الإسباني ـ العربي) يجنح تجاه المشاعر الرقيقة..ونحو حب الطبيعة ..وهي مما يجعل القارئ الأوربي يتذوق هذا الشعر، ويجد فيه ما لا يجده في المعلقات أو في قصائد المتنبي... ويقف المؤلف بسرعة على الشعر الشعبي الذي ابتكره أهل الأندلس: الموشحات والأزجال، وهي التي تمثل الأنماط الشعبية المفضلة لدى السكان"(2).

ويخرج القارئ من حديث نيكلسون عن وجود العرب في أوربا بتثبيتٍ آخر لبعض الأحكام والأقوال التي روّجها المستشرقون من قبلُ عن التراث العربي الإسلامي عامة والأدب الأندلسي خاصة: أنه ليس ثمة أدب عربي خالص، فمرجع الإبداع عند العرب إلى مؤثرات خارجية دوماً (الفُرس في الشرق والإسبان في الغرب) وأن الذين ساهموا في رفعة شأن الحضارة العربية الإسلامية هم غير العرب، وما للعرب إلا أقل القليل في هذا.

وتسود لديه الآراء والنظرات التي روّج لها المستشرق الهولندي في (**تاريخ مسلمي إسبانيا**) كالأوصاف السيئة التي لحقت بالمرابطين والموحدين، وما نجم عنها من عدّ عهدَيهما عهدَي تحجر وجمود مقابل عهد ملوك الطوائف الذين ازدهرت على أيديهم فنون الأدب، وارتفع شأنها. وأن ازدهار الفلسفة والعلوم في هذين العهدين، وارتفاع نجم بعض الفلاسفة المسلمين؛ فيه هو في حقيقته عائد إلى أن هؤلاء الفلاسفة ينتمون بصورة أو بأخرى إلى أوربا(3).

أما هاملتون جِب فقد جعل الأدب الأندلسي جزءاً غير مستقل عن الآداب في المناطق الإسلامية الأخرى التي تحدث عنها فيما سماه العهد الذهبي، من سنة 945م ـ 1055م، والعهد الفضي من سنة 1055م1258–م، وتحدث عن أبرز أعلام التراث الأندلسي ومشاركتهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية هناك. وكانت نظرة جِب تجاه أهل الأندلس

(1) Nicholson, Reynold A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, p.415.
(2) Ibid, p. 416.
(3) Nicholson, R. A. (1993), ***Literary History of the Arabs***, p. 434.

تتفق ونظرة نيكلسون؛ فكلاهما يؤكد الحكم الشائع بأن الأدب العربي لم يكن ليرتقي بين الأمم لولا المؤثرات الأجنبية، وكلاهما حاول تضخيم دور الثقافات الأجنبية في نمو الأدب العربي وازدهار فنونه في الشرق والغرب: ففي السطر الأول من كتاب هاملتون جِب، وفي محاولته تحرير مصطلحات البحث؛ يخبر القارئ بأن مصطلح الأدب العربي الذي يحمله عنوان الكتاب إن هو إلا نسبة إلى الحضارة لا إلى الناس الذين أنتجوها؛ فمعظم من شارك في بناء الحضارة العربية هم ممن ينتمون إلى أجناس أخرى غير عربية[1].

وهو المنهج ذاته الذي اتخذ سبيلَه بيير كاكيا أيضاً في استعراضه لتاريخ الأدب الأندلسي[2]؛ إذ بيّن أن العرب المسلمين لم يكونوا إلا أقلية صغيرة في الأندلس التي لم يتشرَّب أهلُها من الخصائص العربية أو الإسلامية إلا القليل.

وعلى هذا، كان الرأيُ المستقر لدى المستشرقين والباحثين في بريطانيا في معظم الأحيان يتجه إلى الإشارة إلى مصادر محتملة لأي عمل إبداعي أندلسي ـ سواء أكانت من ثقافات أخرى أم من المشرق في أحسن الأحوال ـ فرسالة (**التوابع والزوابع**) قد تكون احتذاءً لإحدى مقامات بديع الزمان الهمذاني أو لمحاورات أفلاطون اليونانية، وكتاب (**طوق الحمامة**) هو الآخر "لا يفتقر إلى سوابق مماثلة في المشرق العربي"[3] وفيه " يعكس ابن حزم النظرة الأفلاطونية الحديثة الصرف القائلة بأن الحب اتحاد شِقَّي روح خُلقت كتلة واحدة"[4]، " وبأن الحب وسيلة بها يتحد في الحياة الدنيا شقّان منفصلان لماهية علوية واحدة"[5]، وأن (**حي بن يقظان**) وإن كانت نتاج عقل فذّ؛ فإن لها نظائر ليست نادرة في تراث الحضارات القديمة التي تتمثل في قصص الأطفال[6].

أما الجديد لدى الباحثين في بريطانيا في شأن التأريخ للأدب الأندلسي؛ فهو خوض

---

(1) Gibb,H.A.R.(1926).***Arabic Literature: An Intraduction***, p. 5.

(2) كاكيا، بيير (1998)، الأدب الأندلسي، في: الجيوسي، سلمى (محررة)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، (ص 463–464)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

(3) كاكيا، بيير (1998)، الأدب الأندلسي، ص 467.

(4) وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص 127.

(5) جب، هاملتون (1936)، الأدب، ص 166.

(6) كاكيا، بيير (1998)، الأدب الأندلسي، ص469.

غمار ميدان لمّا يزل قيد البحث، ألا وهو أدب الموريسكيين؛ فإذا كان اللورد ستانلي قد اعتنى مبكراً بهذا الجانب حين نشر سنة 1872 أشعار محمد بن ربضان الموريسكي، وقدّمها للقراء على صفحات مجلة الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية؛ فإن ليونارد هارفي بعده بنحو قرن من الزمان قدم أطروحته الجامعية عام 1958 في أكسفورد بعنوان: "الثقافة الأدبية للموريسكيين بين 1492–1609" .

وكان موضوع الموريسكيين منذ عقود محط أنظار كثير من الباحثين الأوربيين، الذين كانت معظم بحوثهم تُنشر باللغة الفرنسية أو الإسبانية، إلى أن صار دخولُ اللغة الإنجليزية ملحوظاً في باب البحوث والدراسات المتصلة بالموريسكيين، التي يحاول أصحابُها الإتيان بجديد منهجاً ومحتوى.

وتحت وطأة الشعور بالمنافسة أو الاعتزاز باللغة الإنجليزية فإن ليونارد هارفي ـ وهو الباحث الإنجليزي في شؤون الموريسكيين والأدب الخميادي ـ يسعى إلى التذكير بأن بلاده كانت رائدة في خوض هذا الميدان في ظل تزاحم ساحة البحث الأندلسي؛ إذ يرى في مقالةٍ نشرها الإسباني باسكال جاينجوس (ت1897) في سنة 1838 (1) عندما كان مقيماً في بريطانيا في ثلاثينيّات القرن التاسع عشر ـ بدايةً أولى لتناول موضوع الموريسكيين باللسان الإنجليزي(2).

وقد جعل ليونارد هارفي في دراساته عن الموريسكيين من الأدب الخميادي مصدراً في تأريخه لجوانب حياة الموريسكيين في ظل الظروف الصعبة بعد سقوط غرناطة، وقد استمر في بحوثه في هذا المجال نحواً من نصف قرن، ثم جاءت خلاصة دراساته في كتابه الصادر سنة 2005 بعنوان: (**المسلمون في إسبانيا من 1500–1614**) الذي خصص الفصل الخامس فيه لـ: الحياة الفكرية للمسلمين سراً، وقد ضم الفصل دراسة جيدة للكتب التي كانت بحوزة الموريسكيين، الذين يسميهم ليونارد هارفي "المسلمين السرّيين" "*crypto-*

(1) كانت المقالة بعنوان: «The Language and Literature of the Moriscos"،ونُشرت على صفحات: **British and Foreign Quarterly Review**, Vol. vi, num, xvi. Pp.62 ss..

(2) Harvey, L. P. (2005), ***Muslims in Spain, 1500-1614***, Chicago and London: University of Chicago Press. p. ix.

muslims"، ودور هذه الكتب في تكوين ثقافتهم وفي المحافظة على كيانهم الخاص وهويتهم الإسلامية، وهم أقلية في المجتمع الإسباني.

وتعلو نبرةُ التعاطف مع الموريسكيين لدى ليونارد هارفي نتيجة المصير المؤلم الذي لاقوه على أيدي الإسبان؛ إذ يرى في قضية الموريسكيين بُعداً أوربياً قلّما يحظى بالاهتمام ـ يكمن في مسألة ظهور الأدب الخميادي، فهل كان الموريسكيون مجرد بقايا لمسلمي إسبانيا أم كانوا أوربيين من أوربيي عصرهم؟ وهو يميل إلى أنهم كانوا على نحوٍ ما أوربيين؛ ولهذا فقد احتاجوا إلى أن تكون لديهم كتبهم المقدسة بلغتهم الخاصة، وكانت في تلك الأثناء قد تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللهجات الأوربية عشية الإصلاح الديني، وأخذ ينتشر بين طبقات الناس المتعددة بانتشار الطباعة، ولهذا فإن ظهور الأدب الخميادي بين الموريسكيين هو في نظره مظهر من مظاهر أوربيتهم واشتراكهم في أحد ملامح الثقافة الأوربية(1).

2) التأثير العربي في الآداب الأوربية:

تتصل هذه القضية بالدراسات الأندلسية من حيث إن البحث في ملامح التأثير العربي في الآداب الأوربية قاد إلى الحديث عن الأندلس بصفتها معبراً من معابر الثقافة العربية إلى أوربا؛ والحديث عن الموشحات والأزجال الأندلسية.

وما زال الحديث عن تأثير الثقافة العربية في أوربا في العصور الوسطى محل جدل بين الباحثين حتى اليوم مع مرور ما يزيد على قرنين منذ أشار الراهب الإسباني خوان أندريس إلى التشابه بين أشكال الشعر العربي في الأندلس من جهة والشعر البروفنسي في جنوبيّ فرنسا وأنماط شعرية أخرى في إيطاليا من جهة ثانية، وذلك في كتابه (**أصول الأدب عامة وتطوراته وأحواله الراهنة**) الذي نشره بالإيطالية بين عامَي 1782–1798، وبيَّن فيه أن "الشعر البروفنسي إنما ينتسب إلى العرب أكثر مما ينتسب إلى اليونان واللاتين؛ إذ لم يكن لدى البروفنسيين علم بهذين الأدبين في حين أن شعر العرب كان أقرب مورداً إليهم"(2).

(1) Harvey, L. P. (2005), ***Muslims in Spain, 1500-1614,*** pp. 135-136.

(2) بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص597.

وقبله بقرنين كان الإيطالي جان ماريا باربياري (1519–1575) قد كتب رسالة بعنوان (حول مصادر الشعر المقفى)، وكان بذلك " أول داعٍ إلى النظرية القائلة: إن للمؤثرات العربية عن طريق إسبانيا دورها في نشأة شعر التروبادور، وإن شعراء بروفانس وما يجاورها قد اقتبسوا هذا الفن عن طريق إسبانيا"(1).

" بدأ اهتمام الأوربيين بدراسة دور العرب في نشوء الشعر الأوربي الحديث على نحو جاد منذ الثورة الفرنسية، ففي عام 1791 نُشر في روما كتاب بالإيطالية عن (تأثير العرب في نشوء الشعر الحديث في أوربا) لمؤلفه الباسكي (إيستبان آرتياكا) وفي عام 1813 نشر (سيسموند) في باريس كتابه عن (الأدب في الجنوبيّ الأوربي) ويرى الكاتبان أن الشكل والمضمون في الشعر الأوربي الحديث جاء به العرب في إسبانيا عن طريق بروفنس ...[وقد] أدخل العرب على الشعر الأوربي استعمال القافية ولم تكن معروفة في قديم الشعر اللاتيني"(2)، وربما كان من أهم ثمرات هذا الجدل حول تأثير العرب في الأدب الأوربي "أنه نبَّه المشتغلين بدراسة الآداب الأوربية وتاريخها إلى ضرورة العناية بالتراث الأندلسي الذي كان يعد حلقة طبيعية بين الثقافة العربية والإسبانية أولاً ثم الأوربية بعد ذلك"(3).

يستند البحث في جوانب تأثير العرب في الآداب الأوربية إلى الحديث عن ظاهرة الشعر البروفانسي أو الشعر الأوكسيتاني أو شعر الحب الرفيع the courtly Love(4)، وهي جميعاً مصطلحات تشير إلى الشعر الغنائي المكتوب بالعامية في جنوبيّ فرنسا، وهو أقدم شعر غنائي معروف في أوربا الغربية(5).

وظاهرة الحب الرفيع هذه التي عبَّر عنها شعراء التروبادور في أشعارهم هي ظاهرة

---

(1) أبو حيدر، جرير (1993)، الأصول العربية للموشحات الأندلسية، **راية مؤتة**، الأردن، مج2، عدد2، ص44–45.

(2) لؤلؤة، عبد الواحد (1981)، ملامح عربية في بواكير الشعر الأوربي، في: **النفخ في الرماد: دراسات نقدية**، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر. ص106–107.

(3) مكي، محمود علي (مترجم)، (1999). **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**، ص 7.

(4) ينظر من أجل ترجمة مصطلح (The Courtly Love): الطعمة، صالح جواد (2003)، **في العلاقات الأدبية بين العرب والغرب**، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ص78–79.

(5) Menocal, Maria Rosa (1987), ***The Arabic Role in Medieval History: A Forgotten Heritage,*** Philadelphia: University of Pennsylvania Press. P. 71.

ثقافية شاملة، برزت في البيئة الأرستقراطية المسيحية التي كانت عرضة للتأثيرات العربية الإسبانية...وتتمثل السمات الأساسية لهذا التصور الخاص بالحب في استقلالية المحبوبة وإخلاص المحب وخضوعه، وفي السرية، وفي غيرها من السمات الموجودة في التراث العربي المعروف بالحب العذري[1].

أثارت هذه الظاهرة نقاشاً واسعاً بين العلماء الأوربيين ما بين معارض ـ وهم أصحاب النظرية الأوربية ـ وما بين مؤيد؛ وهم أصحاب النظرية العربية، بيد أن غالبية الآراء كانت طوال القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين تميل بقوة إلى الأخذ بالنظرية الأوربية؛ والبحث عن أصولٍ بعيدةٍ عن الشرق للآداب الأوربية. وكان نصيب بريطانيا حين شاركت في هذا الجدلِ الدائرِ مما يضاف إلى مساهمات علمائهم في الدراسات الأندلسية في تلك البلاد؛ إذ كان الشعر والنثر مدار البحث، وفي حين لم تكن الأدلة على تأثير النثر العربي في مثيله الأوربي موضع شك؛ فقد ظلت مسألة انتقال بعض سمات شعر الموشحات والأزجال الأندلسية إلى أوربا موضع نظر[2].

والناظر في الدراسات التي تناولت تأثير العرب في الآداب الأوربية والتي تقود بطبيعة الحال إلى البحث في الشعر الأندلسي ـ يجدها تكاد لا تتجاوز البحث في المحاور الآتية[3]:

1 ـ الروابط الثقافية وسبل الانتقال الممكنة بين أوربا والأندلس.

2 ـ النظرية الموسيقية وأشكال ممارستها وتطبيقاتها في الشعر الأندلسي.

3 ـ العناصر الشكلية والأسلوبية في الشعر الأندلسي.

4 ـ الأغراض العامة والمواضيع الخاصة .

5 ـ تأثير الأفكار والنظريات الفلسفية حول العشق والعشاق في هذا الشعر.

ولا يمكن الحديث عن رأي مميز أو مدرسة واحدة ينتمي إليها الباحثون البريطانيون في

---

(1) بواز، روجر (1998)، التأثير العربي في الشعر الغزلي الأوربي، في: الجيوسي، سلمى (محررة)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص660–662 بتصرّف.

(2) جب، هاملتون (1936)، الأدب، في: آرنولد، توماس (محرر): **تراث الإسلام**، ج1، ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص176 بتصرف.

(3) بواز، روجر (1998)، التأثير العربي في الشعر الغزلي الأوربي، ص 665 بتصرف.

النظر لهذه القضية؛ إذ لكلٍّ منهم وجهته ومنهجه، فإذا ما كان هاملتون جِب في النصف الأول من القرن العشرين قد مال إلى القول بوجود نوع من التأثير للأدب العربي في الآداب الأوربية عبر إسبانيا؛ فإن غيره لم يقل بمثل قوله. وقدَّم جب للأدلة على وجود الصلات الثقافية بين العرب وأوربا بمقدمة نظرية أكّد فيها ارتقاء الآداب العربية في وقت كانت فيه أوربا خلواً من الآداب الرفيعة، بيد أنه مع ذلك أقرَّ بأن الآداب الشرقية لم تكن ذات أثر محدد دائماً، وإنما كان أثرها متفاوتاً من وقت لآخر ومن مكان لآخر؛ «ذلك أن أضرب الأدب الغربي التي تأثرت بالأدب الشرقي قد اتخذت لها فيما بعد طريقاً خاصاً في التقدم والتوسع دون أن ترجع في شيء من هذا إلى الشرق»(1)، وأن الآداب الشرقية قد التمست لها في الآداب الشعبية الأوربية ملاذاً أكثر أمناً منه في الآداب الرفيعة الراقية، وقد تمثل هذا في تسرب الزجل والموشح والمقامات والقصص الشعبية..إلى الفنون الأدبية في أوربا.

وهو يرى - في رأيٍ قد لا يوافقه عليه كثيرون - أن « تشرّب العصور الوسطى بمواضيع الأدب العربي كان في الحقيقة يؤلف مظهراً من مظاهر حركة فكرية عامة شملت تلك العصور... ولما لم يجدوا [الأوربيون] مقنعاً فيما لديهم من الآداب اللاتينية على ضيقها وجدبها...كان لا بد لهم من أن يولوا وجوههم شطر وجهة أخرى لعلهم أن يظفروا بما كانوا يرغبون فيه»(2)، وقد وجدوا بغيتهم في ذلك الفيض من المجموعات الأدبية العربية شعراً ونثراً.

إن موقف هاملتون جِب محاولة جريئة لانتقاد التقليد الذي أرساه رينهارت دوزي في عالم البحث العلمي بكلمته الشهيرة التي أراد بها أن يقطع دابر البحث والتنقيب في بيان تأثير الأدب الأندلسي في أشعار التروبادور جنوبيّي فرنسا، «حين قال بأن هذه المسألة ضرب من العبث، وليس لها محل في الجدل العلمي»(3)؛ فقد ناقش جِب الآراءَ التي سادت

(1) جب، هاملتون (1936)، الأدب، ص 153.
(2) المصدر نفسه، ص 189.
(3) المصدر نفسه، ص 159، وينظر كذلك:

Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** Studies selected and edited by: L. P. Harvey, Oxford: Clarendon Press. P. 220.

" كان دوزي R. Dozy (ت1883) في أواخر [القرن التاسع عشر] هو الحُجة التي لم يكن يجرؤ على=

عالم البحث العلمي حول الموضوع منذ أواسط القرن التاسع عشر، إلى أن انجلت الأيام عن حقائق جديدة تذهب بمثل تلك الآراء، وتؤكد « أن شيئاً...من شعر الأندلس قد أثّر حقيقةً في الأقدمين من شعراء بروفانس فليست جِدة الشعر البروفانسي آتية من ناحيةِ موضوعه، ولكنها آتية من ناحية الطريقة التي اتبعت في صوغ هذا الموضوع»(1).

ولا يبدو هذا الرأي مقبولاً عند غيره من الباحثين في بريطانيا، ففي سنة 1964 ألقى صمويل شترن ورقة شهيرة في مؤتمر في مدينة سبوليتو الإيطالية تشهد من عنوانها على موقفه الصارم تجاه مسألة التأثير العربي في الآداب الأوربية، وكانت بعنوان: العلاقات الأدبية بين العالم الإسلامي وأوربا الغربية في العصور الوسطى المبكرة: هل كانت موجودة؟(2)؛ فالعلاقات الأدبية تبدو شيئاً ذا « قدسية» خاصة لدى الباحثين الأوربيين الذين لا يودّون أن يكون مشوباً بتأثيرات خارجية فضلاً على أن تكون عربية وإسلامية، فإذا ما كانوا قد سلَّم بعضهم بأثر العرب في نهضة العلوم والفلسفة الأوربية في العصور الوسطى؛ فإن ذلك قد لا يكون مقبولاً لديهم بالدرجة نفسها في المجال الأدبي. وفي ذلك استمرارٌ للنظرة الاستشراقية التقليدية التي كانت محكومة بالنظريات والآراء التي سادت في القرن التاسع عشر، الذي كان عصر التوسع الاستعماري وعصر طغيان المركزية الأوربية في مختلف الميادين.

لهذا فإن شترن يميل فيما صدر عنه من آراء في الموشحات والأزجال الأندلسية إلى تفنيد مزاعم أنصار نظرية تأثير العرب في أشعار التروبادور؛ لكونه يمثل نواة الشعر الغنائي الأوربي الحديث. فهو ـ وإن كان قد قبِل بوجود بعض الأفكار والمواضيع المتشابهة لدى

=معارضتها أحد في ميادين الدراسات الأدبية والتاريخية التي تتصل بالجزيرة الإيبيرية في العصور الوسطى. [و] كانت بحوثه في الأدب والتاريخ الإسبانيين الوسيطين وتاريخه الممتع للمسلمين في الأندلس؛ قد أعطته زعامة غيرِ منازعة في هذين الميدانين...فظلت كلمته هذه وكأنها القول الفصل في موضوع الشعر الأندلسي زمناً طويلاً ». ينظر:

مؤنس، حسين (1945)، الأشعار الأندلسية وأثرها في الأشعار الأوربية: رأي المدرسة الإسبانية، **الثقافة** (مصر)، ع364، ص 18.

(1) جب، هاملتون (1936)، الأدب، ص159–160.

(2) الترجمة الإنجليزية للورقة موجودة في الدراسات التي جمعها تلميذه ليونارد هارفي في كتاب:

Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** pp. 204-230.

شعراء الأندلس وشعراء التروبادور ـ فإنه لا يعلِّق على هذا التشابه أهمية تذكر، فذلك ليس إلا من باب انتقال الأفكار عن طريق الرواية الشفوية التي ليس لها أهمية[1]. ويميل شترن إلى القول بانعدام الصلات القريبة بين العرب والتروبادور، وأن التشابه الذي قد نقع عليه في نماذج من أشعارهم لا تسطع دليلاً على معرفتهم بشعر العرب معرفة مباشرة [2]، إنما مرجع ذلك إلى التأثيرات التي نقلها الوسطاء ـ أي المستعربون ـ من سكان الأندلس، الذين هيأت لهم معرفتُهم بالعربية دوراً كان برأيه ضعيفاً على كل حال في الحياة الفكرية والثقافية في إسبانيا عند مقابلته بالدور الذي قام به المسيحيون في المشرق الذين كانوا نقَلَة للتراث العلمي والفلسفي اليوناني[3].

كما رفض شترن الآراء التي زعمت وجود صلات مباشرة بين التروبادور والعرب، وقال: إن ذلك غير وارد؛ لأن التروبادور لم يكونوا يفهمون الشعر العربي[4]، وهو يحسم القضية بقوله: إنه «يشكّ في أن يكون هناك ولو مجرد عنصر واحد في شعر التروبادور يدين بشيء ما لتأثير الشعر العربي»[5].

إن موقف شترن في هذه المسألة غريب نوعاً ما؛ يتمثل في « استماتته» في الدفاع عن رأيه هذا حتى لو كذَّبته الأدلة والبراهين[6] ولا أظن أنه يمكن تفسير هذا الرأي إلا بأنه يصدر عن عنصرية تجاه العرب، ولا ننسى أن شترن ـ اليهودي ـ كان يكتب في ظل أجواء ابتداء الصراع العربي ـ الإسرائيلي على الأرض بُعَيدَ عام 1948؛ أواخر الحقبة الاستعمارية.

وإذا ما كان موقف شترن صارماً في نفي أي تأثير عربي في الأشعار الأوربية؛ فإن روجر

---

(1) Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** 204.
(2) Ibid, p. 214.
(3) Ibid, p. 206.
(4) Ibid, p. 216.
(5) Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** p. 220.
(6) ينظر بعض البحوث التي أثبتت وجود مثل هذه الصلات، ومنها على سبيل التمثيل:

* مكي، محمود علي وآخرون (1970)، **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. وينظر: كتاب روزا مينوكال **دور العرب في تاريخ العصور الوسطى**:

* Menocal, Maria Rosa (1987), ***The Arabic Role in Medieval History: A Forgotten Heritage,*** Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

بواز قد تصدى لهذه المسألة من وجهة نظر مغايرة في كتابه[1] (**أصول شعر الحب النبيل ومعناه: دراسة نقدية للبحوث الأوروبية**) 1977 الذي فصَّل فيه القول على آراء المستشرقين[2]- التي بدا تأثيرُ دوزي فيها واضحاً - تجاه الأثر العربي في الآداب الأوروبية، وقد انتهج في دراسته تلك سبيل مناقشة فرضيات البحث بناءً على الأدلة والشواهد المتاحة التي تبين هذه الصلة، وعلى عقد المقابلات والموازنات بين النصوص؛ ولا سيّما في شعر الحب العُذري ونظرية الحب في (**طوق الحمامة**).

ويلفت النظرَ في بحوث روجر بواز أنه في اقتحامه هذا المجال الشائك كان يحاول التصدي لبعض المسلَّمات التي ركن إليها المستشرقون والباحثون الأوربيون، سواء أصدرت عن اجتهاد أو اقتناع شخصي، أم صدرت عن عصبية قومية أو نظرة فوقية كانت ما تزال تنظر بعين الاحتقار إلى الآخر الشرقي موضوع دراستها، فقد وضع بواز نصب عينيه أنه « لا يوجد في التاريخ الأدبي أو الثقافي أيّ مطلقات ثابتة؛ وأن النظريات تتغير بتغير أمزجة العصور وأن الباحث الذي يدعي النزاهة والتجرد الكاملين هو عادة أكثر الباحثين تحيزاً وميلاً إلى الهوى»[3].

وهذا ما هو موجود حقاً؛ لأن الأيام كشفت عن مواد جديدة ساهمت في إلقاء الضوء على جوانب كانت غامضة أمام الدارسين في هذا الموضوع، كما أن القول الفصل في الموشحات الأندلسية بالذات - لصلته الوطيدة بمسألة الأثر العربي في الآداب الأوربية - ما زال غير نهائي، وأكبر دليل على ذلك أن شترن نفسه قد استدرك مثلاً على بعض نتائجه التي وصل إليها في أطروحته الجامعية؛ بناءً على ما استجدَّ من كشوف جديدة عن الموشحات، وأن هذه الآراء ما زالت قابلة حتى اليوم لمزيد من النقاش والبحث بعد نشر الديوان للقراء في مطلع تسعينيّات القرن العشرين.

أما جرير أبو حيدر فيميل إلى نفي أي تأثير للأدب العربي في شعر التروبادور خاصة،

(1) ***The origin and meaning of courtly love: A Critical Study of European Scholarship,*** Manchester: Manchester University Press. 1977.

(2) من أجل عرض موجز للكتاب ولأطروحته باللغة العربية، ينظر: الطعمة، صالح جواد (2003)، **في العلاقات الأدبيةً بين العربً والغرب**، جدة: النادي الأدبي الثقافي. ص80–84.

(3) بواز، روجر (1998)، التأثير العربي في الشعر الغزلي الأوربي، ص 660.

وقد درَس الصور والخيال واللغة في أشعار التروبادور وفي الشعر الأندلسي، ليجد أن الصور واللغة متباينة ومختلفة في كلٍّ منهما؛ بما ينهض دليلاً على انعدام الصلات بينهما[1]، وقد قابل جرير أبو حيدر الصور واللغة بين الموشحات والأزجال الأندلسية وبين شعر التروبادور، واجتهد في استنطاق نصوص الشعرين ومقابلة أحدهما بالآخر لبيان أن الصور الأدبية والخيالية لدى الشاعر الأندلسي لا تتفق وتلك الموجودة لدى شاعر التروبادور؛ وأن كلاً منهما كان يستمد عناصر صورته من مصدر مختلف: ففي حين كانت البيئة المحيطة هي مصدر شاعر التروبادور في صوغ الصور الفنية والخيالية، فإن الشاعر الأندلسي كانت صلته ببيئة الأندلس الطبيعية ضعيفة نوعاً ما؛ لأنه كان يتطلع دوماً إلى الأدب المشرقي على أنه « مستودع البراعة الأدبية »[2]، وما يسري على الصور الفنية يسري كذلك على اللغة والألفاظ المستعملة في الشعر الأندلسي والشعر البروفانسي، فقد ظل الشعر الأندلسي وفياً للمشرق بالنظر إلى نتاجه الشعري على أنه المثال والنموذج، وأن لغة الموشحات والأزجال التي استعملها الأندلسيون لمعالجة مواضيع الحب في شعرهم ليست على صلة باللغة المستعملة في أغنيات الحب في الأشعار البروفانسية [3]، كما أن الكلمات ذات الأصل العربي الموجودة في اللغة البروفانسية أو الإسبانية نادرة في الشعر البروفانسي نفسه[4].

3) الموشحات والأزجال الأندلسية:

أ- الاهتمام الزائد بالخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية

كانت قضية الموشحات والأزجال الأندلسية أو ما يسمى « الشعر المقطعي أو الشعر الدَّوري Strophic Poetry » الأندلسي أكثر قضية من بين قضايا عديدة يضمها التراث

---

(1) وذلك في القسم الثالث من كتابه الذي كان بعنوان: لا أصداء عربية في الشعر الغنائي البروفانسي: No Arabic Echoes in the Provencal Lyrics. ينظر:

Abu Haidar, Jareer, (2001), ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** Surrey: Curzon Press. Pp. 169-257.

(2) Ibid, P. 174.

(3) Ibid, p. 227.

(4) Ibid, p. 229.

الأندلسي قد حظيت باهتمام الباحثين في بريطانيا، وذلك منذ منتصف القرن العشرين؛ حين قادت اكتشافات شترن للخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية إلى إعادة تسليط الأضواء على الموشحات الأندلسية وما يرتبط بها من مسائل شائكة كلغة أهل الأندلس وأصول الموشحات وأوزانها والموسيقا الأندلسية...وغيرها.

وربما هيَّأ التكوينُ العلمي لشترن في سنوات دراسته أن يكون أهلاً للبحث في هذه القضية؛ إذ درس في الجامعة العبرية في القدس اللغة العربية والعبرية واللغات الرومانثية وآدابها، فاجتمعت له بذلك " توليفة " مكَّنته من أن يقدم أول بحوثه في الموضوع؛ لأنه استطاع فيما بعد أن يفك مغاليق الكلمات الرومانثية في خرجات الموشحات العبرية في الأندلس[1] وذلك في مقالته الأولى عن الموضوع، التي نُشرت بالفرنسية عام 1948 على صفحات مجلة "الأندلس" في مدريد، وكانت بعنوان: الأسطر الأخيرة في الموشحات العبرية في إسبانيا[2]، وكانت هذه الخرجات وغيرها من النصوص التي تحمل كلمات رومانثية قد استعصت على بضع محاولات بذلها الباحثون من قبل في تفسيرها، كان من أشهرهم مينينديث بيلايو [M. Y Pelayo (ت1912)] في أواخر القرن التاسع عشر في محاولته تفسير موشحة بالعامية الإسبانية كانت ملحقة بموشح عبري[3]، فلم تكن الإشارت الواردة عند ابن سناء الملك مثلاً عن الخرجة مفهومة تماماً[4]، إلى أن استطاع شترن أن يحل أسرار تلك المفردات ويفهم أنها ألفاظ رومانثية مكتوبة بالحروف العربية.

---

(1) Wansbrough, John (1970), Obituary: Samuel Miklos Stern, **Bulletin of the School of Oriental and African Studies.** Vol. 3 (3). p. 599.

(2) نشرت المقالة في الأصل باللغة الفرنسية، والترجمة الإنجليزية لها بعنوان:

The Final Lines of Hebrew Muwashshahs from Spain موجودة في كتاب:

Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** pp. 123-160.

وينظر قائمة مؤلفات شترن في نهاية الكتاب رقم 7، والقائمة موجودة كذلك في الترجمة العربية في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، الصفحات 322–336.

(3) كورينتي، فيدريكو (1997)، الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة، **مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة**، ع81، ص20.

(4) ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت608هـ)، **دار الطراز في عمل الموشحات**، (ط3)، (تحقيق: جودت الركابي) دمشق: دار الفكر،1980. ص43.

وقد نشر شترن الخرجات بالحروف العبرية مع كتابتها بالحروف اللاتينية، وأتبعها بشروح وتفسيرات بيَّن فيها أن بعض الكلمات الواردة هي باللهجة العامية التي كان يتكلمها أهل الأندلس من المسلمين واليهود والمسيحيين، وتتضمن عناصر من اللهجة الرومانثية؛ أي الإسبانية القديمة. كما بيَّن شترن أهمية الموشحات العبرية في إضاءة جوانب عدة من الموشحات العربية؛ لأن المؤرخين العرب قد ترفّعوا عن تدوين هذه الموشحات في مجموعاتهم الأدبية، في حين لم يتحرج مؤرخو الأدب العبري من تدوين هذا الفن الشعبي[1]. وبهذا الكشف وجد غيرُه من الباحثين ـ منذ الخمسينيّات إلى سبعينيّات القرن العشرين ـ الفرصة ملائمة لنشر مختارات من الموشحات أو دراسات أخرى عنها.

كانت عناية المستشرقين والباحثين الأوربيين بخرجات الموشحات الأندلسية مبالغاً بها إلى درجة ملحوظة، ولا يفسرها إلا أن تلك الخرجات قد احتوت (من حيث النظرية كما قال مؤرخو الأدب مثل ابن بسام وابن سناء الملك، ومن حيث التطبيق كما فعل الوشاحون) كلمات ليست من اللغة العربية (لا الفصيحة ولا العامية)، بل من لغة الرومانس التي كان يعرفهاً أهل الأندلس، ويتكلمون بها على اختلاف أعراقهم وأديانهم، فانصرفت جهود المستشرقين إلى محاولة قراءة هذه الكلمات وتفسيرها أولاً، ثم محاولة إيجاد صلة ما أو تأكيدٍ لما ذهبوا إليه من أن الموشحات الأندلسية تعود إلى أصل إسباني انبثقت منه حتى استوت على الصورة التي عرفناها بها فيما بعد. وكانت هذه مجمل آراء من أُطلق عليهم أنصار النظرية الإسبانية في أصل الموشحات.

وقد أشار غيرُ مستشرق إلى هذه المبالغة غير المسوَّغة في الاهتمام بالخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية، ومنها مثلاً إشارة المستشرق الفرنسي شارل بيلا (ت1992) الذي بيَّن أن هذه المبالغة هي انصرافٌ عن الأدب الأندلسي وعن مضمون الموشحات ومعانيها وأغراضها، واهتمامٌ بجانب واحد منها فقط؛ وهو الخرجات، وكانت هذه العناية زائدة عن حدها بما أثارته من دراسات وتحليلات وافتراضات ونظريات إلى درجة

(1) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص–14 15، وينظر عن الموشح العبري: الصفحات 133–139.

أنها أوقعت الباحث والقارئ في حيرة كبرى[1]. كما أن المستشرق الإسباني فيدريكو كورينتي قد وصف كثرة الخوض في موضوع الخرجات على نحو ساخر أصبحت فيه كلمة "الخرجة" على كل لسان، إذ قال: "... قد لا تصدقوننا إذا ما قلنا لكم: إننا رأينا في مدن إسبانيا مقاهي وملاهي تسَمَّت بلفظة "الخرجة"، وقد سمعنا بأجواق موسيقية تدعى كذلك، بل وشاهدنا يوماً فتاة تنادي كلبتها، وإذا باسمها " خرجة " أيضاً »[2].

ولم يكن الباحثون في بريطانيا بمنأى عن هذا الاهتمام المحموم بالخرجات وبالموشحات الأندلسية الذي انتاب المستشرقين والباحثين في أوربا وأمريكا وغيرها. لذا فقد كان العمل الأول الذي خُصِّص لها في بريطانيا هو رسالة الدكتوراه التي أعدها شترن سنة 1950 في أكسفورد بعنوان (**الموشح الأندلسي القديم**) [3]. وتمتاز هذه الدراسة بأن صاحبها قد بذل فيها جهداً واضحاً في التنقيب في المخطوطات المتفرقة في مكتبات أوروبية عدة؛ لأن مصادر دراسة الأدب الأندلسي والموشحات منه تحديداً لم يكن قد نُشر منها الكثير.

ثم واصل بحوثه في هذا المجال في ضوء المكتشفات الجديدة للمصادر المتصلة بالموشحات الأندلسية، ومنها مثلاً مخطوط ديوان (**عدة الجليس**) الذي يضم موشحات أندلسية لا نعرف لها مصادر أخرى حتى اليوم. ولا ننسى أننا نتكلم عن أعمال شترن في حين لم تكن كثير من مصادر الموشحات قد نُشرت بعد، وعلى رأسها (**دار الطراز في عمل الموشحات**) [4]

---

(1) بيلا، شارل (1970)، الموشح والزجل همزة وصل بين ثقافات مختلفة، **مجلة كلية الآداب**: **جامعة الرياض**، 1 (1)، ص 43 بتصرف.

(2) كورينتي كوردوبا، فيدريكو (1997)، الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية، ص 18.

(3) جزء من رسالة شترن هذه منشور في الكتاب الذي أعدّه وحرره ليونارد باتريك هارفي لمجموعة مختارة من أعماله المتصلة بالموشحات والأزجال الأندلسية، بعنوان:

Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** Studies selected and edited by: L. P. Harvey, Oxford: Clarendon Press.

وللكتاب ترجمة عربية جيدة ووافية في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، (ط2)، عبد الحميد شيحة (مترجم)، القاهرة: مكتبة الآداب.

(4) ينظر: ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت608هـ)، **دار الطراز في عمل الموشحات**، (ط3)، (تحقيق: جودت الركابي) دمشق: دار الفكر،1980.

لابن سناء الملك (ت608هـ) الذي نشره جودت الركابي للمرة الأولى في سنة 1949، وكان الكتاب من قبل "مجهولاً لا يعلم بأمره إلا عدد قليل من الباحثين في الشرق، فالمستشرقون كانوا يرجعون في العادة إلى مخطوطة في ليدن، بهولندا، أما الباحثون العرب فلم يكن لديهم سوى نسخة وحيدة، هي النسخة المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة"(1)، وبقي الحال على هذا النحو إلى أن ظهرت طبعته المحققة عام 1949، ثم ظهرت أخبار الكشف عن مخطوط **(عدة الجليس)** سنة 1948، ثم عن مخطوطات **(جيش التوشيح)** لابن الخطيب، فبدأ البحث في الموشحات الأندلسية يتخذ مساراً جديداً وُجِّهت العناية فيه إلى النصوص نفسها.

نشر شترن نتائج بحوثه(2) على صفحات مجلة "الأندلس" وغيرها من الدوريات في عقد الخمسينيّات من القرن العشرين، وقد تزامنت مقالاته تلك مع الدراسات التي قام بها الإسباني غرسية غومس عن الموضوع نفسه، ونشر نتائجها على صفحات مجلة "الأندلس" أيضاً.

فقد كان اكتشاف المخطوطة الفريدة لكتاب **(عدة الجليس)** ـ التي عثر عليها المستشرق الفرنسي جورج كولان بخزانة جامع القرويين في المغرب سنة 1948 ـ فاتحة عهد جديد في الدراسات الأندلسية في أوربا، بتوجيه الأنظار تجاه الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية، وكان شترن أول من أفاد من هذه المخطوطة التي أبلغه عنها جورج كولان ـ مالكُها آنذاك ـ فاعتمد عليها أولاً في كتابة مقالتين باللغة الفرنسية(3) عن الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية، وضمت المقالتان دراسة عن تسع عشرة خرجة رومانثية في موشحات عبرية أندلسية لشعراء يهود، وعن خرجة واحدة في موشحٍ عربي للأعمى التطيلي (ت525هـ).

ثم تتابعت الدراساتُ والبحوث من الخمسينيّات حتى سبعينيّات القرن العشرين عن

(1) عناني، محمد زكريا (1995)، **في الأدب الأندلسي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص 173.

(2) ينظر في قائمة مؤلفاته المؤلفات ذوات الأرقام: 14، 20، 27، 98، 132، 156 في: سترن، صمويل (1996): **الموشح الأندلسي**، ابتداء من صفحة 322.

(3) * (1948),"Les vers finaux en espagnol dans les muwassahs hispano-hebraiques: une contribution a l`histoire du muwassah et a l'etude du vieux dialecte espagnol 'mozarabe'", ***Al- Andalus***. xiii, 299-346.

* (1949),"Un muwassah arabe avec terminaison espagnole", ***Al- Andalus***. Xiv, 214-18

والترجمة الإنجليزية للمقالتين في: Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** pp. 123-163.

هذه القضية في أوربا وأمريكا، وبلغت مبلغاً عظيماً من المؤلفات يصعب عدُّه، لا يتناسب وحجمَ الخرجات الرومانثية المكتشفة نفسها: ففي حين دبّج الباحثون بأقلامهم في شأن الخرجات صفحات كثيرة جداً في الكتب والدوريات العلمية، وانطلقت أفواههم تحدّث بأخبارها في المؤتمرات والمحاضرات؛ فإن الموشحات الأندلسية العربية ذات الخرجات الرومانثية تكاد لا تتجاوز في عددها 48 موشحة من مجموع 627موشحة، أي ما نسبته 7.65 % من المجموع الكلي للموشحات المعروفة لنا حتى اليوم[1]، وبعض هذه الخرجات التي لا تتجاوز سطرين، ليس فيها إلا مجرد كلمة أو بضع كلمات رومانثية، وأحياناً ربما بقليل من التدبر في قراءتها يتبيَّن أنها ألفاظ عامية عربية؛ وليست رومانثية.

وقد استدعت غزارةُ الدراسات عن الخرجات أن قام الباحث الإنجليزي ريتشارد هيتشكوك بجمع بياناتها في كتاب أعدَّه سنة 1977 بعنوان (**الخرجات: ببليوغرافيا نقدية**)[2] جمع فيه 230 عنواناً للمقالات والكتب المنشورة باللغات الأوربية التي صدرت عن الموضوع؛ مما يعني أنه في غضون أقل من ثلاثين عاماً منذ اكتشاف شترن للخرجات كان متوسط عدد الدراسات المخصصة لموضوع الخرجات والموشحات الأندلسية نحو سبع دراسات سنوياً، وهو عدد يشير إلى الاهتمام الزائد بها.

وبلغ من انصراف الباحثين ـ وبعضهم في بريطانيا ـ إلى الخرجات الرومانثية وانهماكهم فيها أن أقدم ألن جونز ـ الذي كان يعمل في تحقيق ديوان (**عدة الجليس**) ـ على نشر تحقيق خاص بتلك الخرجات فقط في كتاب مستقل، نشره في 1988 قبل أن ينشر الديوان نفسه فيما بعد في 1992.

ونظراً لغزارة الدراسات عن الخرجات والموشحات الأندلسية؛ لم يكتف هيتشكوك بكتابه الأول؛ بل جمع بالاشتراك مع كونسويلو لوبيث موريّاس سنة 1996 عناوين جديدة

(1) ينظر: الغديري، مصطفى (1998)، نظرية المستشرقين في أصول الموشحات الأندلسية: عرض ونقد، في: الغديري، مصطفى (محرر)، **البحث في التراث الغرناطي: حصيلة وآفاق**، وجدة، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، ص22 و23.

(2) Hitchcock, Richard: (1977), ***The Kharjas: A critical Bibliography,*** London: Research Bibliographies and Checklists 20.

وقد انتهج هيتشكوك في الكتاب ذكر اسم المؤلِّف وعنوان البحث ومكان نشره وموجزاً يكشف أطروحته.

في ملحقٍ لكتابه السابق[1]، وقد أضافا في الكتاب 226 عنواناً جديداً من الدراسات والمقالات الأوربية والعربية عن الموشحات الأندلسية التي نُشرت حتى عام 1993، ويمتاز الكتاب الثاني بأن القسم الذي خُصِّص للعناوين العربية قد ضمَّ نحواً من 113 عنواناً تتميماً لفائدة المهتمين بهذا النوع من الدراسات، كما أضاف الكتاب عناوين أخرى جديدة ما كانت مدرجة فيه سابقاً؛ لأنها كانت تعد خارجة عن اهتمام البحث، كالحديث عن أوزان الزجل والموشح وعن الخرجات في الموشحات العبرية.

وكان هيتشكوك - في المدة الواقعة بين إصدار الكتابين بين 1977–1996 - قد نشر سنة 1985 مراجعة للبحوث والدراسات التي قُدِّمت عن الخرجات الرومانثية في مقالة عن (مصير الخرجات: مراجعة الدراسات المنشورة مؤخراً) [2]؛ بما يشير إلى تواصل الدراسات وتتابعها في الموضوع على نحو يتطلب مراجعة مستمرة لما ينشر من البحوث والدراسات وإلقاء الضوء على الجديد منها.

وكان طبيعياً أن ينجم عن العناية الزائدة بالخرجات آراء عديدة ومدارس متباينة في التفسير والاستنتاج، انقسم فيها الباحثون إلى "معسكرين":

1 - أنصار **النظرية الإسبانية**؛ ومعظمهم من المستشرقين من الإسبان خاصة، وهم يُرجِعون الموشحات الأندلسية إلى أصلٍ مأخوذ عن أغنيات شعبية محلية شاعت في إسبانيا، ودليلهم على ذلك هو تلك الخرجات التي تمثّل بمادتها الرومانثية بقايا هذه الأغنيات. ويستند أنصار هذه النظرية إلى بحوث خوليان ريبيرا (ت 1934) في أن اللغة المزدوجة لأهل الأندلس هي سبب نشوء هذا الطراز الشعري الجديد[3]، وإلى آراء رامون مينينديث بيدال (ت1968) في أن مواضيع الموشحات والأزجال تدل على أصلها الإسباني[4].

2 - أنصار **النظرية العربية** التي لا تعلّق على الخرجات الرومانثية اهتماماً كبيراً، وترى أن وجودها في الموشحات الأندلسية لا ينفي عروبة الموشحات وأندلسيتها؛ وأنها جزء

(1) Hitchcock, Richard and Lopez-Morillas Consuelo (1996), ***The Kharjas: A critical Bibliography,*** Supplement No.1. London: Grant & Cutler Ltd.

(2) Hitchcock, Richard, (1985), The Fate of the Kharjas: A Survey of Recent Publications, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**, Vol. 12. (2), pp. 172-190.

(3) ينظر: بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 173.

(4) المصدر نفسه، ص 188.

من محاولات تجديد الشعر العربي التي بدأت في المشرق، ويقول بهذا الرأي معظم الباحثين العرب وبعض المستشرقين الأوربيين، ومنهم عدد من الباحثين في بريطانيا.

وفي خضمّ الجدل الواسع حول الخرجات والموشحات الأندلسية لم يكن الباحثون في بريطانيا على صعيد واحد؛ ففي حين كان شترن ـ من جهة ـ لا ينتصر تماماً للنظرية الإسبانية؛ لأن المسألة تقع في باب الظن والتخمين بسبب قلة النصوص بين أيدينا، وينفي بشدة الأثر العربي في الآداب الأوربية من جهة ثانية(1)؛ فإن غيره من الباحثين والمختصين بالدراسات الإسبانية أو دراسات القرون الوسطى والدراسات الرومانثية والدراسات العربية ـ كانوا على الصعيد المقابل.

و لم تكن العناية الزائدة بالخرجات وبالموشحات الأندلسية دائماً موضعَ البحث العلمي الجاد والمجادلة المنطقية المدعومة بالحجة والدليل، بل إنّ الأمر تجاوز ذلك إلى حدٍّ انحدر فيه الباحثون المهتمون بهذا الموضوع إلى درَك السّباب والألفاظ غير اللائقة(2) وتبادل الاتهامات بين أتباع كل معسكر. ومن ذلك: الاتهامات التي وجهها ألن جونز وهيتشكوك إلى قراءة غرسية غومس للخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية؛ فقد بيَّن هيتشكوك(3) أن قراءة غومس للخرجات الرومانثية لم تكن دقيقة تماماً، وقد قامت على أساسها دراسات كثيرة وبحوث متواصلة ربما لا تفضي إلى نتيجة مستقرة؛ لأن تلك النصوص غير مضبوطة على نحو صحيح، وأن تلك القراءة تحتاج إلى إعادة كتابة جذرية من جديد.

فغرسية غومس ـ برأي هيتشكوك ـ كان يقوم بتصويبات كثيرة في نصوص الخرجات وتغييرات لا يقدم لها تفسيراً، هذا إلى جانب أن نسبة الخرجات العربية في الموشحات الأندلسية (سواء أكانت فصيحة أم عامية) هي 95 %، وأغلبها يمكن قراءته بسهولة، وحتى تلك الخرجات التي

---

(1) ينظر الفصل الذي عقده شترن بعنوان (أصول الموشح) في: سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص94–112

(2) أشار ليونارد هارفي إلى شيء من ذلك في مراجعته لكتابَي جونز وغومس عن الخرجات الرومانثية في مقالته المنشورة في مجلة الأدب العربي: **Journal of Arabic Literature, vol. 23 (1), 1992, p. 74..**

(3) وذلك في مقالته:

Some Doubts About the Reconstruction of the Kharjas, **Bulletin of Hispanic Studies,** 50 (2), Apr. 1973, pp. 109-119.

يُشَكّ بوجود ألفاظ رومانثية فيها لا تمثل إلا جزءاً صغيراً جداً من المجموع الكلي للموشحات... لذلك فمن المضلل وصف تلك الخرجات بأنها « ثنائية اللغة » ولا سيّما حين تكون هناك مجرد كلمة مشكوك بأنها رومانثية(1). وينتقي هيتشكوك عدداً من الأمثلة؛ ليبين فيها خطأ غومس في قراءة الكلمات التي ربما تكون عربية، ولا تحتاج إلى ليّ عنق النص من أجل مواءمتها مع أفكاره التي تقول: إن الخرجات الرمانثية هي بقايا شعر إسباني قديم.

ويلاحظ أنه لم يكن ثمة مصدر متاح للباحثين حتى ذلك الوقت يضم نصوص الموشحات الأندلسية والخرجات في خاتمتها ـ إلا "تحقيق الألماني هيكير في 1960 (2)، وتحقيقَي الأستاذين الإسبانيين غارسية غومس في 1965 (3) وسولا سوليه في [1973](4) مع أن المرجع الرئيس، أي مخطوطة (**عدة الجليس**) التي صارت ملكاً للمستشرق الفرنسي كولان في المغرب، لم يطّلع عليه إلا غارسية غومس بإذن مالكه، ثم صار بعد وفاة كولان محفوظاً في بنك إنكليزي تحت تصرف الأستاذ جونز الذي نشره في 1992"(5).

وقاد البحثُ في خرجات الموشحات الأندلسية إلى نقاش جديد حول أوزانها حين نشر جيمس مونرو وزميل له مقالة بعنوان: ثلاث وتسعون خرجة رومانثية عربية في موشحات عبرية(6) كان الهدف منها إظهار أن تلك الخرجات تسير وفق نظام النبر المقطعي الإسباني؛

---

(1) Hitchcock, Richard (1980), The Kharjas as Early Romance Lyrics: A Review, **Modern Language Review**, vol. 75, p. 483 and p. 484.

(2) Die bisher veroffentlichten Hargas und ihre Deutungen. Tubingen: Zeitschrift fur Romanische Philoloie, 1960 (206 pp.) « الخرجات المنشورة حتى الآن ومعانيها ».

(3) ***Las Jarchas Romances de la Serie Arabe en su marco, Madrid:*** Siciedad de Estudios y Publicaciones, 1965. (433 pp.).

وقد عرَّب عدنان محمد آل طعمة هذه الخرجات الرومانثية: أي كتبها بالحروف العربية وترجمها إلى العربية؛ لأن غرسية غومس كان قد نشرها بحروف لاتينية، كما أضاف عدنان آل طعمة النصوص الكاملة للموشحات التي انتهت بها تلك الخرجات الرومانثية. ينظر:

آل طعمة، عدنان محمد (1987)، **المختار الأنيس من كتاب عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس**، (ط1)، مصراتة، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

(4) Corpus de Poesia Mozarabe (Las Hargas Andalusies). Barcelona: Ediciones Hispam, 1973. (380 pp.). " ديوان شعر المستعربين: الخرجات الأندلسية "

(5) كورينتي، فيديريكو (1997)، الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية، ص20.

(6) (1977), Ninety-three Arabic Hargas in Hebrew Muwassahs: Their Hispano-Romance Prosody and Thematic Features, **Journal of the American Oriental Society,** vol. 97, pp 141-163.

أي على الأوزان العروضية للشعر الرومانثي [1]، وليس على أوزان الخليل العربية.

ثم دار جدل ساخن مطلع الثمانينيّات على صفحات مجلة *"La Coronica"* الأمريكية المهتمة بالآداب الروماثنية، حول مسألة وجود الكلمات الرومانثية في الخرجات من عدمه وصلة ذلك بالشعر الغنائي الأوربي، عبر مقالات عديدة من كلا المدرستين ناقشت بالدرجة الأولى صلة هذه الألفاظ وتأثيرها في أوزان الموشحات الأندلسية؛ وبالتالي أثرها في صياغة النظرية حول أصول الموشحات والأزجال الأندلسية.

وقد شارك في هذا الجدل الإنجليزيُّ ألن جونز والأمريكيان جيمس مونرو وصمويل آرمستيد من جامعة كاليفورنيا إلى جانب هيتشكوك نفسه. وقد تصدى ألن جونز في مقالاته على صفحات *"La Coronica"* لأنصار المدرسة الإسبانية، وانتصر بشدة للنظرية العربية حين قال: إن نسبة الخرجات الرومانثية الضئيلة من مجموع الموشحات الأندلسية لا تجعل منها قاعدة متينة لإصدار أحكام عامة؛ فدراسات الخرجة كثيرة جداً، لكنها لا تستند إلى أساس، وهي بحاجة إلى تقييم جذري، ألا وهو الخرجات الرومانثية التي حققها غومس، وقد دعا في ختام مقاله إلى ضرورة الإسراع بإتاحة صورة فوتوغرافية لمخطوط **(عدة الجليس)** ومخطوطات **(جيش التوشيح)** من أجل النظر والمقابلة[2].

وكان باحثون عدة في بريطانيا يدعون إلى انتظار تحقيق نصوص الخرجات ونشرها كما هي مطابقة للأصل المخطوط، ومنهم مثلاً هيتشكوك[3]؛ من أجل أن تكون نتائج البحوث في قراءة الخرجات والأحكام المترتبة عليها أقرب إلى الصواب مما هي عليه في البحوث السابقة التي اهتمت بالخرجات فقط خارج سياق الموشحات، وأهملت الموشحات نفسها، ولم تهتم بالحصول على صورة مطابقة للخرجات كما هي في الأصل المخطوط من أجل قراءة أصح.

ومن المظاهر غير العلمية في الجدل المستمر حول الخرجات؛ الحكاية الغامضة التي

(1) Hitchcock, Richard (1985), The Fate of the Kharjas: A Survey of Recent Publications, Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies, Vol. 12 (2), p.174.
(2) Hitchcock, Richard (1980), The Kharjas as Early Romance Lyrics, pp. 175-176.
(3) Hitchcock, Richard (1985), The Fate of the Kharjas, p. 172.

تقبع خلف استئثار ألن جونز بالمخطوط الفريد لديوان (**عدة الجليس**)[1] وهو المخطوط الذي انقطعت أخباره بعد وفاة شترن، ولم يُعرَف مصيرُه؛ فقد كان شترن استعار المخطوط من المستشرق الفرنسي جورج كولان بعد أن أحاطه الأخير علماً بمحتواه، لكن بعد وفاة شترن لم يتمكن كولان من استرجاع المخطوط ثانية.

وقد أشار ليونارد باتريك هارفي ـ وهو تلميذ شترن ـ سنة 1974، في تقديمه للكتاب الذي جمع فيه أجزاء مهمة من رسالة الدكتوراه الخاصة بأستاذه ومجموعة مقالات له تختص بالموشحات الأندلسية ـ أشار في مقدمة ذلك الكتاب إلى أن أوراق صمويل شترن قد رُتِّبَت بعد وفاته بإشراف ريتشارد والزر[2] (ت1975)، وقد كانوا يبحثون بين تلك الأوراق عن شيء يتصل بديوان الموشحات الأندلسية الذي كان شترن يعتزم إخراجه اعتماداً على (**عدة الجليس**)، وكان قد تحدث عنه مراراً في مناسبات عدة، لكنهم لم يجدوا شيئاً مكتوباً يتصل بذلك الديوان[3].

ويشير محمد زكريا عناني إلى أن كولان لم يتمكن من استرداد مخطوط (**عدة الجليس**) بعد وفاة شترن وأنه لا يعرف مصيره الآن[4] (أي في نهاية السبعينيّات) مع أنّ ألن جونز في كتابه **الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية** قدم شكره للمستشرق كولان؛ لأنه وضع المخطوطة تحت تصرفه[5] كما قدم له شكراً آخر في تحقيقه لديوان (**عدة الجليس**) بقوله: إنه لولا كرم جورج كولان لَمَا كان تحقيق ألن جونز للديوان ممكناً[6]. وهي عبارات لا

(1) وهي نسخة فريدة كانت في ملك جورج كولان، « وكانت توجد نسخة مصورة كاملة لهذا المخطوط عند المستعرب غرسية غومس. وترجع هذه النسخة إلى العصر السعدي، وكانت في ملك المستضيء ابن السلطان إسماعيل العلوي». ينظر: المقري، بدر (2004)، **أدب الغرب الإسلامي في دراسات المستعربين الفرنسيين: دراسة توثيقية تحليلية**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب. ج2: ص 547.

(2) وهو زميل شترن في أكسفورد، وكان يعيش – هو وزوجته– مع شترن في بيت واحد، وكتب عن شترن مقالة في سيرته الشخصية ومسيرته العلمية ومؤلفاته وبحوثه. ينظر المقالة في: ،Walzer، Richard (1972) Samuel Stern: In Memoriam، Israel Oriental Studies، Vol. 2، Pp.1–14.

(3) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص4، بتصرف.

(4) ينظر: عناني، محمد زكريا (1980)، **الموشحات الأندلسية**، سلسلة عالم المعرفة (31)، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، ص 13، حاشية رقم (4).

(5) Jones, Alan (Ed.), (1988), ***Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry: A Palaeographical Analysis,*** London: Ithaca Press, Acknowledgements.

(6) Jones, Alan (Ed.), (1992). ***The Uddat al-Jalis of Ali Ibn Bishri,*** Acknowledgements.

تفي ببيان كيفية حصوله على المخطوط الأصلي للديوان، وكان من قبلُ قد أشار في مقالة له إلى أنه حصل على صور شرائح ملونة لمخطوط (عدة الجليس) وميكروفلم لمخطوطات (**جيش التوشيح**)؛ وذلك منذ سنة 1980، وهو تاريخ نشر مقالته تلك(1).

وترد في صفحة الشكر ـ التي قدمها ألن جونز في تحقيق ديوان (**عدة الجليس**) إلى بعض الذين ساعدوه في عمله ـ عبارةُ شكر لأحمد بسام ساعي، الأستاذ في كلية الدراسات الشرقية في أكسفورد، الذي ساعد جونز على قراءة المخطوط(2)، ولكن يُفهَم من كلام أحمد بسام ساعي نفسه أنه قد شارك ألن جونز في تحقيق الديوان خطوة بخطوة، وفي قراءة المخطوط وتفسير مفردات الموشحات ووزنها. وهو يصف عمله هذا بصراحة بأنه « مشاركة» في تحقيق كتاب (**عدة الجليس**)(3)، مع أن غلاف الكتاب لا يحمل اسمه إلى جانب اسم ألن جونز!

وفي السطور السابقة دلائل تسطع على الأجواء التي سادت عالم البحث في الدراسات الأندلسية في أوربا بين المستشرقين والباحثين الأوربيين الذي وصل إلى حد إخفاء الأصول المخطوطة؛ للاستئثار بالإفادة منها في البحوث ولإحراز قصب السبق في تحقيقها ونشرها للقراء.

إن مثل هذا الجدل المحتدم حول قراءة الخرجات في الموشحات الأندلسية لم يكن من أجل تحقيق النصوص؛ بل لأن طريقة قراءتها هي التي كانت تؤدي إلى نظريات متضاربة عن أصول تلك الموشحات مما قد جاء به الباحثون.

وقد خفتت حدّةُ الجدل حول الموشحات الأندلسية في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبدأ البحث يتخذ مساراً جديداً بالتوجه نحو قضايا في بنية الموشحات نفسها، ربما تكون أقرب إلى المناهج العلمية المحايدة بالابتعاد عن طرائق المنهج الفيلولوجي الذي ساد دراسات الخرجة طويلاً، والتوجه إلى توظيف مناهج جديدة في دراستها من الداخل.

(1) Jones, Alan (1980), Romance Scansion and the Muwassahat: An Emperor's New Clothes, ***Journal of Arabic Literature,*** vol. 11, p. 38.

(2) ساعي، أحمد بسام (1993)، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب (عدة الجليس) 1 من 2، **آفاق الثقافة والتراث، دبي**، 1 (3)، ص19.

(3) ساعي، أحمد بسام (1994)، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب (عدة الجليس) 2من2، (القسم الثاني)، **آفاق الثقافة والتراث**، دبي، 1 (4)، ص24.

ب ـ الموشحات الأندلسية: أصولها وأوزانها وأغراضها:

كان البحث في مسألة وجود الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية قد أعاد إلى الواجهة من جديد القضايا الأساسية المتصلة بها، وهي: أصول الموشحات وأوزانها، وقد جمعتُ الحديث بينها على صعيد واحد؛ لأنها متصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً، كما أنها من جهة أخرى متصلة بالحديث السابق عن الخرجات الرومانثية؛ ذلك أن العثور على ألفاظ رومانثية في الموشحات كان حُجّة لعدد من المستشرقين والباحثين الأوربيين منذ أواخر القرن التاسع عشر للقول بالأصول الإسبانية للموشحات، وبناء على هذه الألفاظ قام بعضهم بمعاملة الموشحات وفقاً للأوزان الشعرية الأوربية نفياً منهم لأصولها العربية، كما ناقشوا أغراض الموشحات في سبيل بيان صلة تلك الأغراض بالأصول التي ترجع إليها الموشحات.

ففي مسألة أصول الموشحات الأندلسية يقف الباحثون موقفين: موقف القائلين بالنظرية الإسبانية وموقف القائلين بالنظرية العربية، ولا يملك كل فريق منهما إلا اللجوء إلى البحث في أوزان الموشحات وأغراضها التماساً للحجج والأدلة التي تدعم رأيه.

ويتلخص رأي **النظرية الإسبانية** بأن الموشحات الأندلسية تنتمي إلى أصول إسبانية، ودليلهم على ذلك أن الموشحات تخالف الشعر العربي التقليدي والمعهود من حيث لغتها وأوزانها وأغراضها؛ ممّا يجعلها أقرب إلى روح البلاد الإسبانية وروح الشعر الرومانثي منها إلى روح الشعر العربي، ويمثل هذه النظرية عادة معظم المستشرقين الإسبان، ومنهم ريبيرا ومينينديث بيدال وغرسية غومس ومن الباحثين الأمريكان جيمس مونرو وصمويل آرمستيد.

أما أنصار **النظرية العربية** فهم يرون أن الموشحات امتداد طبيعي لمحاولات تجديد الشعر العربي في المشرق، وأن الموشحات تسير على الأوزان العربية، حتى مع وجود بعض التنويعات والإضافات ضمن الأوزان العربية المعروفة، ويمثلها معظم الباحثين العرب، ومن

الباحثين في بريطانيا: شترن وليثم وجونز وأبو حيدر.

وقد لا تلوح في الأفق مدرسة واحدة ينتمي إليها الباحثون البريطانيون في موقفهم تجاه القضايا الخلافية في الأدب الأندلسي، بيد أننا ندرك بيسر مدى الدعم والثناء الذي يكيله الباحثون البريطانيون لزملائهم حين تتطلب مواقف الجدل العلمي ذلك، وتبدو الأمثلة على ذلك في الجدل الذي احتدم بين الباحثين في بريطانيا ونظرائهم من المدارس الاستشراقية في أوربا وفي أمريكا[1]، ويبدو لنا من مواقف الدعم تلك أن معظم الباحثين في بريطانيا من المهتمين بالدراسات الأندلسية يقفون تجاه مسألة أصول الموشحات وأوزانها موقفاً يميل إلى الانتصار للنظرية العربية؛ إلا أن لكل واحد منهم منهجه وأدلّته في بيان انتماء الموشحات الأندلسية إلى الأصول العربية المشرقية.

لا يقطع شترن مثلاً برأي حاسم تجاه أصول الموشحات؛ لأنها قضية تعتمد الحدس والتخمين، ولا تسعف النصوص في قولٍ فصلٍ بشأنها، أما أوزان الموشحات برأيه فهي على أنواع[2]: إما متوافقة وإما متقاربة والبحورَ العربية التقليدية. وقد تكون قلة المصادر والنصوص بين يدي شترن حين بدأ بحوثه هي التي دفعته إلى عدم تبني موقف حاسم وواضح من هذه القضية.

أما في السنوات التي تلت عمله هذا، وكُشفت فيها نصوص مهمة لدراسة الموشحات والأزجال؛ فإن المجادلات والردود التي قامت بين الباحثين في بريطانيا وخارجها على مسألة قراءة الخرجات الرومانثية تمثل محاولة متجددة لدعم النظرية العربية، إذ كانت نقطة الخلاف بين الباحثين الإنجليز من جهة وغرسية غومس من جهة مقابلة في قراءته للخرجات؛ أنه كان يقرأ كلماتها بطريقة تجعلها تتواءم وأوزان الشعر الرومانثي، في حين رأى جونز وهيتشكوك أن كثيراً من الألفاظ الملتبسة التي قرئت في الموشحات والأزجال على أنها

(1) ينظر المبحث السابق من هذا الفصل.

(2) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ينظر الفصل ج بعنوان: أوزان الموشح ص52–62. ويشبه عمله هذا عمل د. مقداد رحيم الذي درس عروض الموشحات الأندلسية دراسة تطبيقية، وقسمها إلى ما يشبه هذه الأجزاء بناء على استقراء نماذج الموشحات –التي كانت متوافرة له حتى سنة 1990 أي لا يدخل فيها موشحات (**عدة الجليس**)–. ينظر: رحيم، مقداد (1990)، **عروض الموشحات الأندلسية**، (ط1)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية).

رومانثية هي كلمات عربية (عامية أو فصيحة)؛ وهي بذلك لا تنقض أوزان الموشحات القائمة على البحور التقليدية العربية.

وقد تصدى جونز لهذه المسألة في مقالة له بعنوان ذي دلالة واضحة: (التقطيع الرومانثي والموشحات: ملابس الإمبراطور الجديدة) ـ في إشارة إلى أن تلك الملابس لم تكن إلا وهماً كما في القصة الشهيرة[1] ـ وأشار جونز إلى أن صعوبة تطبيق الأوزان العروضية العربية على الموشحات قد تكون ناتجة من عبارة ابن بسام الشنتريني (ت542هـ) التي قال فيها: إن معظم الموشحات هي على الأعاريض المهملة غير المستعملة[2]، لكن ذلك لا يمنع أن الوشاحين برأيه ـ وهم الشعراء الذين كانوا قد كتبوا الشعر التقليدي أيضاً ـ حين أقبلوا ينظمون الموشحات فعلوا ذلك إما على أوزان الشعر المعروفة لهم وإما على أوزانٍ قريبة منها؛ إذ من الأفضل برأي جونز أنه حتى مع وجود صعوبات جمّة في تطبيق الأوزانً العربية على الموشحات ألا نستبعدها تماماً لمصلحة القول: إن الموشحات تسير على نظام الأوزان الرومانثية[3]. ومنهجه في ذلك كله النظر في نصوص الموشحات نفسها: فقد عرض في مقالته تلك أمثلة كثيرة لموشحات تنتهي بخرجات رومانثية، وبيَّن مواضع الاضطراب في قراءة غرسية غومس لها، وأنه يمكن تطبيق الأوزان العربية عليها بيسر وسهولة بقراءتها قراءة أخرى. ولا يفتأ جونز يكرر باستمرار أن الموشحات أوزانها عربية تماماً؛ لأن الخرجات الرومانثية ليست إلا قسماً ضئيلاً من مجموعها، وأن الأوزان العربية للموشحات بالتالي تنفي أن تكون تلك الموشحات ذات أصول مستمدة مباشرة من أغنيات شعبية إسبانية.

وجونز كغيره من زملائه الإنجليز يرى أنه يجب الاستدلال على أصول الموشحات من النصوص نفسها؛ لأن ما يقدمه ابن بسام وابن سناء الملك عن صناعة الموشحات لا يكفي

(1) وهي قصة الأطفال المعروفة (ملابس الإمبراطور) للكاتب هانز كريستيان أندرسون.

(2) Jones, Alan (1980), Romance Scansion and the Muwassahat: An Emperor's New Clothes, **Journal of Arabic Literature**, Vol. 11, p. 36.

وينظر النص في: ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت542هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 4مجلدات، (ط1)، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، مج1، ص 362.

(3) Jones, Alan (1980), Romance Scansion and the Muwassahat, p.37.

لحسم هذه المسألة(1). ومع أنه يرى أن الموشحات الأندلسية لها بُعد إسباني لا يمكن تجاهله "يتمثل في استعمال الرومانثية في بعض ألفاظها، وهي التي يراها ظاهرة فريدة في تاريخ اللغة العربية تنهض دليلاً على التعايش اللغوي الذي ترفضه اللغة العربية عادة؛ فإنه يتساءل إن كان التأثير الرومانثي من القوة بحيث يخلق فناً جديداً أم أنه كان مجرد عنصر من مجموعة عناصر ساهمت في إيجادها؟"(2)؛ ولذا فهو يميل إلى أن التأثيرات العربية هي التي ساعدت على خلق أشكال الشعر المقطعي في الأندلس، فعلى الرغم من إقراره بالبعد الإسباني الذي تتضمنه الموشحات؛ "فإن القول بأن مجموع الخرجات الرومانثية بالكامل يمكن أن يكون اقتباساً من شعر غنائي سابق هو احتمالية أكثر منه حقيقة"(3).

ولهذا فقد كان عمَلُ ألن جونز وأحمد بسام ساعي في تحقيق (**عدة الجليس**) متجهاً إلى تطبيق الأوزان العربية على الموشحات، بيد أن قسماً كبيراً منها "مرتبط بتفعيلاته وأوزانه معاً بالبحور الخليلية مع اختلاف في درجة هذا الارتباط، من التقيد الكامل بقواعدها، إلى التلاعب الأصيل بها والخروج خروجاً معتدلاً عن بعض تفعيلاتها، أو خلطها بتفعيلات بحور أخرى"(4)؛ وذلك لا يمنع من القول بأوزانها العربية.

وعلى خطواته ومنهجه كانت محاولة هيتشكوك أيضاً في بيان أن قراءة غومس الخطأ للخرجات والألفاظ الرومانثية في الموشحات هي التي جعلته ينتصر للأصل الإسباني لها، في حين كان هيتشكوك يرى أن القراءة الدقيقة للموشحات ـ كما في أصولها المخطوطة التي وصلت إلينا ـ هي التي ستقود إلى رأي أكثر صواباً في مسائل أصول الموشحات وأوزانها.

وقد استدرك هيتشكوك على غومس بتقديم قراءات جديدة(5) لبعض الخرجات الرومانثية؛ فالنصوص برأيه تبقى مفتوحةً لقراءات عدة للألفاظ التي يُعتَقَد أنها رومانثية؛ لأنها تحمل دليلاً على براعة الشاعر الأندلسي، فهو ليس بارعاً في لغة واحدة؛ وإنما في لغتين.

(1) Jones, Alan (1991), «Omnia Vincit Amor», In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja***, p. 95.
(2) Ibid, p. 88-103.
(3) Ibid, p. 93.
(4) ساعي، أحمد بسام (1993)، الوجه الآخر للموشحات..، (القسم الأول)، ص 19.
(5) Hitchcock, Richard (1991), Interpreting Romance Kharjas, in: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), Studies on the Muwassah and the Kharja, pp. 49-59.

وكان كلام هيتشكوك هذا قد عرضه في ورقة قدمها لمؤتمر إكستر عن الموشحات سنة 1988 في السنة نفسها التي كان متوقعاً أن يصدر فيها تحقيق جونز للخرجات الرومانثية - وقد صدر في السنة نفسها بالفعل - الذي عدَّه هيتشكوك علامة فارقة في دراسات الخرجة بمنهجه الجديد الذي سيتيح نصوص الخرجات للقراء كما وردت في المخطوطات الأصلية وكما قرأها المحقق، وترجمها، وسيتمكن القراء للمرة الأولى من مشاركة المحقق في معاناة خطوط النصوص وقراءة الكلمات في أصولها على نحو أكثر دقة. وهو يرى أن اختلاف عدد الألفاظ الرومانثية لدى المستشرقين الذين درسوا الخرجات الرومانثية يدل على أن الكلمات التي لا يرقى الشك في رومانثيتها ربما تكون أقل مما قالوا، وبالتالي ستكون لهذا آثاره في الفرضيات المتصلة بالموشحات وأصولها العربية أو الإسبانية(1).

وانضم جون ديريك ليثم إلى زملائه في بريطانيا في موقفهم من قراءة غرسية غومس للخرجات الرومانثية؛ فقد وضعها موضع تساؤل، ولم يرَ فيها أساساً متيناً للخروج بنتائج وأحكام تتصل بأصول الموشحات وأوزانها(2).

وينهج ليثم نهجَ زملائه السابقين في إعادة النظر ببعض الموشحات والخرجات الرومانثية بتقديم قراءة جديدة لألفاظها، وبيان أوزانها، وذلك في سبيل نقض القول بالأصل الإسباني للموشحات وترجيح رأي النظرية العربية في ذلك(3)؛ إذ يرى ليثم أن أوزان الموشحات الأندلسية ليست رومانثية، حتى إن بعض الخرجات الرومانثية نفسها تتوافق والأوزان العربية(4).

---

(1) Ibid, p. 56.
(2) Latham, L. P. (1983), The Prosody of an Andalusian Muwashshah re-examined, In: Bidwell, R. L. and Smith, G. R. (1983), ***Arabian and Islamic Studies: Articles Presented to R. B. Serjean***t…, London and New York: Longman. P. 88.

والمقال منشور كذلك في كتابه:

From Muslim Spain to Barbary, Studies on the History and Culture of the Muslim West, London: Variorum Reprints, 1986.section xvi.

(3) ينظر مثلاً:

Latham, L. P. (1986), New Light on the Scansion of an Old Andalusian Muwassah, In: ***From Muslim Spain to Barbary,*** section xvii, pp.62-75
(4) Latham, L. P. (1983), The Prosody of an Andalusian Muwashshah re-examined, p. 90.

وقد تصدى ليثم كذلك لمناقشة الآراء والنتائج التي وصل إليها الأمريكي جيمس مونرو[1] (وهو يقول بمثل آراء غومس بالأصل الإسباني للموشحات) في بحث له كانت أطروحته فيه: أن بعض أغراض الخرجات الرومانثية ومواضيعها وأفكارها تشبه إلى حدٍّ بعيد أغراضاً وأفكاراً مشابهة موجودة في بعض الآداب المتوسطية القديمة، مثل: الأدب الإسباني والسومري والإغريقي واللاتيني والعبري والعربي[2].

ويصل ليثم في النهاية إلى أن الموشحات الأندلسية «ليست امتداداً فقط لبعض التجديدات في الشعر المشرقي، وإنما امتداد أيضاً لبعض المحاولات العروضية في الشعر الفارسي؛ فالموشحات الأندلسية ليست شعراً تقليدياً، لذا فمن غير المناسب أن نلتمس أوزانها في النظام الخليلي الصارم للعروض العربي؛ إذ إن تحرر الموشحات من قيود العروض التقليدي لا تسمح لنا بالبحث خارجه فقط، بل وخارج الجزيرة الإيبيرية نفسها، باكتشاف عوالم أخرى من الشعر العربي غير التقليدي والشعر الفارسي التقليدي»[3].

كما قدم من أجل دعم آرائه تلك دراسة أخرى[4] في وزن أحد الموشحات الذي مطلعه (من لي برشاً..)، وهو من الموشحات المنتهية بخرجة رومانثية، قابل فيه ليثم بين وزن هذا الموشح وبين أوزان الشعر الفارسي؛ بالنظر إلى بعض التفعيلات الموجودة فيه التي ليس لها مقابل في الأوزان العربية؛ بل في الأوزان الفارسية[5].

ويرجّح ليثم أن الموشحات التي تعد فناً يُكتَب بالدرجة الأولى من أجل الغناء قد تأثرت بأساليب الغناء، وكانت أساليب الغناء في الأندلس قد تأثرت كلياً بمقدم زرياب (ت230هـ)

(1) في ورقة له عن الخرجات العربية والرومانثية بعنوان:

* Kharjas in Arabic and Romance: Popular Poetry in Muslim Spain, In: A. T. Welch and Pierre Cachia, (1979), ***Islam: Past Influence and Present Challenge, In Honour of William Montgomery Watt,*** Edinburgh: Edinburgh University Press.

(2) Latham, L. P. (1986), The Origins of the Andalusian Muwashshah: A Theory Examined, In: ***From Muslim Spain to Barbary,*** section xix, p.88.

(3) Ibid, p. 92.

(4) Latham, L. P. (1991), Man Li Bi-Ras-an: Comments on the Metre of an Andalusian Muwassah, In: Angel, Seanz-Badillos and F. Corriente, Poesia Estrófica: Actas del Primer Congreso Internacional sobre ***Poesia Estrófica Arabe y Hebrea y sus Paralelos Romances,*** Madrid. Instituto de Cooperación con el Mundo Arabe. Pp. 217-224.

(5) Ibid, p. 220.

الذي نقل في القرن التاسع الميلادي (ق3هـ) التأثيراتِ الموسيقية الفارسية من العراق إلى الأندلس[1]. ولا تقف التأثيراتُ الفارسية المحتملة في نشأة فن الموشحات الأندلسية برأيه عند هذا، بل إن محاولات التجديد الشعرية التي قام بها بعض المشارقة ذوي الأصول الفارسية خاصة، أو الذين تعرضوا للتأثيرات الفارسية الغنائية والموسيقية؛ كان لها جميعاً أثرها في التوشيح، ومنها أنّ ما لا يقل عن ست وثلاثين من خمريات أبي نواس (ت198هـ) التي تنتهي باقتباسات وتضمينات على لسان غيره تنهض دليلاً على التشابه بينها وبين الخرجة في ختام الموشح بما لا يجعل القول بالتأثيرات الفارسية موضع شك[2].

وفي الجهة الأخرى يتصدر جرير أبو حيدر ـ في جامعة لندن ـ الانتصار بشدة للنظرية العربية التي ترى أن الموشحات الأندلسية إن هي إلا امتداد للمحاولات التجديدية التي قام بها الأدباءُ المشارقة. إذ يضع جرير أبو حيدر ظاهرة الموشحات الأندلسية في مكانها من الحياة الأدبية التي أنتجتها، ونشأَت في ظلالها.

وتتلخص آراؤه ـ التي يدافع عنها بشدة بالأمثلة المستمدة من النصوص نفسها لا من النظريات الأدبية ـ في أن الموشحات الأندلسية تنتمي إلى بيئة أدبية خاصة تمثلت في وصول النثر الفني في المشرق العربي إلى مرحلة من التأنق البديعي المبالغ فيه، تمثلها المقامات التي لاقت ترحيباً في الأندلس، جعل الوشاحين الأندلسيين يحاولون نقل براعتهم الفنية من النثر إلى الشعر؛ وكانت تلك المحاولة تمهيداً لابتداع الموشحات، حين لجأ الوشاحون الأندلسيون إلى كل وسيلة تمكّنهم من زخرفة الشعر وتزيينه، بإضافة القوافي المستمدة من بعض الأشعار الواردة في خواتيم المقامات[3]. ثم كانت « محاولة مضاهاة التغصين في النثر بتغصينٍ مقابلٍ في الشعر، وتعداد القوافي في بنية الشعر وتقاطيعه، بعد أن تعددت التقفية أو السجعات فٍي سياق النثر وتقاطيعه »[4] خطوةً مهمة في نشأة الموشحات.

ويقترب جاك سمارت من آراء جرير أبو حيدر في قوله بالأصل العربي للموشحات، ولكن

(1) Latham, L. P. (1991), Man Li Bi-Ras-an, p. 223.
(2) Ibid, pp. 223-224.
(3) Abu Haidar, Jareer (2001), ***Hispano-Arabic Literature***, pp.122-123. and, p. 165.
(4) أبو حيدر، جرير (1993)، الأصول العربية للموشحات الأندلسية، **راية مؤتة**، الأردن، مج2، عدد2، ص46.

من زاوية نظر أخرى؛ هي البحث في دلالة مصطلح التوشيح نفسه في صناعة الموشحات، إذ يرى أن مصطلح التوشيح هو مصطلح عربي صرف؛ مما يدعم الأصول العربية لها، فلو أن هذه الموشحات تنتمي إلى أصول إسبانية، فلماذا لا نعثر على مصطلح غير عربي أو ترجمة لمصطلحات رومانثية تتصل به؟(1) وحتى مع وجود الخرجات الرومانثية فيها، فهي ليست كافية وحدها؛ لأنها ببساطة تمثل تطبيقاً لما اصطلح عليه النقاد العرب في مسألة التضمين والاقتباس المعروفة في الشعر العربي.

ويرى سمارت كذلك أن مصطلح التوشيح متصل بمسائل العروض والقافية، مستنداً في رأيه ذاك إلى بعض المصادر الأدبية التي تشير إلى أن التوشيح سمِّي كذلك؛ لأن معناه أن الشاعر يبني قصيدته على بحرين من البحور الشعرية(2). ويشير كذلك إلى أن الأندلسيين أعجِبوا بالحريري وبنمط الأشعار البارعة التي كان يختم بها بعض مقاماته التي تشبه إلى حد كبير نمط التوشيح والموشحات(3)، فكان ذلك المثال منبعاً يستلهمون منه موشحاتهم.

وفي سبيل الانتصار للنظرية العربية في أصول الموشحات العربية اتجه بعض الباحثين إلى النظر في أغراض الموشحات دليلاً على عروبتها، إذ رأى شترن أن أغراض الموشحات ـ كما تشهد بذلك النصوص نفسها ـ هي الأغراض التقليدية ذاتها للشعر العربي وأن الموشحات في أغراضها لا تتميز من القصيدة التقليدية باستثناء الخرجة(4).

ومنهم أيضاً جرير أبو حيدر، الذي يرى أن الموشحات الأندلسية هي نتاج الأندلسيين الذين ظلَّ المشرقُ العربي يمثل لهم المورد والمنهل والمثال الذي يحتذى في الأدب والثقافة والفكر إجمالاً(5)؛ فقد ظل الأدبُ الجاهلي ونتاج الشعراء العباسيين مثلاً أسمى يحاول الأندلسيون اللحاق به؛ لذا فإن معظم ألفاظ الموشحات الأندلسية نلتمسها في

(1) Smart, Jack (1991), The Rhetorical Term Tawsih and it`s Relation to the Art of the Muwassah, (pp. 104-114). In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja Proceeding of the Exeter International Colloquium, UK,*** Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University. P.106.

(2) Ibid, p. 108.

(3) Ibid, p.113.

(4) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص80 81–

(5) Abu Haidar, Jareer (2001), Hispano-Arabic Literature, p. 142.

أجواء الشعر العربي في المشرق لا في البيئة المحيطة بالشاعر الأندلسي[1].

كما يرى أن الخرجةَ العامية أو الأعجمية في خاتمة الموشحات الأندلسية لا تنفي الأصولَ العربية للموشحات؛ فهي جزء ملحق بالموشح ذلك أن الخرجة تمثل مظهراً من مظاهر الأدب الهزلي الذي عرفه الأدب المشرقي أيضاً، أو مظهراً للانتقال من الجدّ (في متن الموشحة التي ينبغي أن تكون بالفصحى) إلى الهزل (في خاتمتها؛ أي في الخرجة التي تتطلب قدراً من السخف والعامية، التي تناسب ذلك المقام، حتى لا يذهب جمال الحكاية)، ولأجل تحقيق هذا المطلب لم يدخر الوشّاح الألفاظ العامية والمبتذلة حتى الرومانثية من أجل زيادة المتعة والهزل فيها[2] .

وتشهد الخرجةُ الأعجمية برأي جرير أبو حيدر على براعة الشاعر الأندلسي الذي أتقن تطويع الأعجمية لنظام الوزن والقافية والشكل العربي[3]؛ أي « إن الخرجة كانت تتوخى في الوقت نفسه إشاعة الدعابة والمرح من جهة وإبراز ما عند الوشاح من طاقات فنية من جهة أخرى»[4].

إن آراء جرير أبو حيدر تدور جميعاً في محور واحد، هو أن الأندلسيين قد ساروا على خُطا الأدباء المشارقة، وظل النموذج الأدبي المشرقي مثالاً يسعون إلى بلوغه، فالصور والألفاظ والأخيلة في الشعر الأندلسي ـ ومنه الموشحات ـ ليست مستمدة من البيئة بقدر ما هي مستوحاة من محمولات الأدب المشرقي[5].

وبمثل هذا الرأي يقول فيليب كينيدي الذي لا ينكر مع ذلك القول بتأثير البعد المحلي

---

(1) يُنظر الفصل الثامن الذي يقابل فيه جرير أبو حيدر بين ألفاظ الموشحات وألفاظ الشعر البروفانسي، ويخرج بأن الألفاظ والصور عند الشاعر الأندلسي مستمدة من المثال المشرقي، أما عند الشاعر البروفانسي فألفاظه مستمدة من البيئة المحيطة، وهي تختلف عن ألفاظ الشاعر الأندلسي، وبالتالي يقوي ذلك حجته في القول بالأصل العربي للموشحات، ينظر:

Chapter 8: The Case for the Arabic Origins of the Muwashshahat: Court Poetry and Burlisque in Al-Andalus, in; Abu Haidar, Jareer, (2001), ***Hispano-Arabic Literature,*** pp 139-146.

(2) Abu Haidar, Jareer (2001), ***Hispano-Arabic Literature,*** p.120.

(3) Ibid, p. 115.

(4) أبو حيدر، جرير (1993)، الأصول العربية للموشحات الأندلسية، ص49

(5) Abu Haidar, Jareer (2001), ***Hispano-Arabic Literature,*** p. 142.

الإسباني على الموشحات، أو على الأقل في تفسير وجود العناصر الرومانثية فيها، فهو يبحث عن سوابق محتملة للموشحات في الآثار المشرقية؛ إذ يرى أن الموشحات الأندلسية تتشابه في أغراضها إلى مدى كبير والشعرَ العربي في المشرق؛ ولا سيّما لدى بعض الشعراء الذين أرسوا تقاليد خاصة في أشعار الغزل والخمريات وهي المواضيع المفضلة في الموشحات. ويُعتَقَد أن أبا نواس وعمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد يمثلون مصدراً مهماً استوحى منه الشعراء فن الموشحات(1).

ويتخذ كينيدي من المقابلة بين أمثلة من الموشحات وأمثلة من قصائد مشرقية غزلية أو خمرية لهؤلاء الشعراء خاصة؛ منهجاً يصل فيه إلى أن التشابه شديد بين تلك القصائد والموشحات إلى درجة تسمح بالقول: إن شعر الموشحات لا يختلف عن شعر الحب التقليدي في المشرق، وإن الخرجات الرومانثية ربما تكون ترجمةً للأفكار العربية في الشعر أكثر منها استعارة من أصول أدبية رومانثية، بدليل أن معظم أغراض الخرجات الرومانثية ليست غريبة على تقاليد الشعر المشرقي ولا على تقاليد الموشحات تحديداً(2). فالفرق بين المقاطع التي يتألف منها الموشح وتكوِّن القسم الأول منه؛ والمقطع الأخير من الموشح الذي يكوِّن الخرجة ـ هو مسألة أسلوب لا أكثر، إذ إن المواضيع متشابهة بينهما ومنسجمة مع بقية الموشح، أما مسألة الأسلوب فتكمن في استعمال صيغة الكلام المباشر في الخرجة الذي يعطي نكهة مختلفة تماماً عما في المقاطع السابقة؛ تتجه فيها لغة الموشح في نهايته لتصبح أقل رسمية إلى درجة تسمح بقبول تضمين الكلام المباشر وبالعامية أيضاً(3).

ج ـ ابن قزمان والزجل الأندلسي

إن الاهتمام بالشعر الشعبي الأندلسي ـ الموشحات والأزجال ـ لدى الباحثين والمهتمين

(1) Kennedy, Philip F, (1991),Thematic Relationships between the Kharjas, the Corpus of Muwashshahat and Eastern Lyrical Poetry. (pp. 68-87). In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja, Proceeding of the Exeter*** International Colloquium, UK, Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University. Pp.70-79.

(2) Ibid, p.86.

(3) Ibid, p. 77.

بالأندلس في بريطانيا هو جزء من تيارٍ عام حديث ينظر بعين التقدير والعطف للآداب الشعبية والمحلية التي تملكها الشعوب، في محاولة "لرد الاعتبار" لهذه الأنواع التي أُبعدت لمصلحة الآداب التي حظيت بتشجيع السلطات السياسية أو الثقافية.

وقد لا يكفي انصراف الاهتمام حالياً إلى هذا النوع من الأدب الأندلسي - لدى الباحثين في المؤسسات العلمية البريطانية - ليكون دليلاً على الاهتمام بالدراسات الأندلسية في تلك البلاد؛ إذ تكاد تخلو بحوثهم من دراسات تتصل بالأدب الأندلسي "التقليدي" إلا فيما ندر، وجلّ البحوث التي قدموها تتصل فقط بالآداب الشعبية الأندلسية: الموشحات (التي مرَّ ذكرُها في الصفحات السابقة) والأزجال (التي نحن بصددها).

كان ديوانُ ابن قزمان مجهولاً للباحثين في الدراسات الأندلسية حتى أواخر القرن التاسع عشر، إذ كان الديوان ملكاً للقنصل للفرنسي في بغداد روسّو الذي اضطر إلى بيعه ضمن مجموعة من المخطوطات الشرقية كانت بحوزته، وقد اشترت روسيا تلك المجموعة في عام 1825، وظل الديوان مجهولاً لأكثر من ستين عاماً حتى وصفه الروسي فيكتور روزن (ت1908) في الفهارس العلمية للمخطوطات العربية في المتحف الآسيوي[1] في بطرسبرغ - لينغراد لاحقاً - وبفضل هذا الفهرس عرف العالم عن ديوان ابن قزمان، لكنه لم يحظَ بدراسة وافية إلى أن قام أحد تلامذة روزن - وهو الألماني ديفيد غونزبرغ (ت1910) - بنشر المخطوط وطباعته بطريقة التصوير الشمسي[2]، فظهرت طبعة الديوان تلك سنة 1896 في برلين.

وكانت هذه الطريقة جديدةً في عالم نشر المخطوطات الشرقية، لكنها - وإن لم تستوفِ شروط التحقيق العلمي ومنهجه - قدمت الكثير في دراسة الزجل الأندلسي ودراسات أخرى تتصل بالأندلس؛ فقد كانت هذه الطبعة مصدراً أساسياً لعدد من الباحثين الذين أفادوا منها في

(1) كراتشوفسكي، أغناطيوس (1969)، **مع المخطوطات العربية: صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر**، تعريب: محمد منير مرسي، القاهرة: دار النهضة العربية، ص 99. وللمزيد عن قصة مخطوط ديوان ابن قزمان ينظر الفصل الخاص به في الكتاب بعنوان: مخطوط وحيد وعلماء اثنتي عشرة لغة، الصفحات 97–103.

(2) De Gunzburg, David (1896), Le divan d'Ibn Guzman, Fasc. I, Berlin: S. Calvary & Co.

دراساتهم، وأشهرها دراسة خوليان ريبيرا عن ابن قزمان التي خرج بنتائجها سنة [1]1912، وقال فيها بازدواجية لغة أهل الأندلس[2]، وبنى على هذه النتيجة أحكاماً وتصورات دفعت بالبحوث في ميدان التراث الأندلسي قدُماً بسبب ما أثارته من جدل في دائرة المستشرقين خاصة.

اهتم الأوربيون بديوان ابن قزمان كثيراً؛ إذ كان اكتشاف الديوان " حدثاً جديداً في تاريخ الشعر الأندلسي؛ بل والأوربي كله، فعكف عليه العلماء، سواء في ذلك أصحاب الدراسات العربية والدراسات الرومانية في القرون الوسطى، يقتبسون منه الشواهد؛ ويقارنون بين نظام القوافي عنده وعند التروبادور، ويحاولون تفسير بعض الألفاظ الأعجمية التي استخدمها الزجّال، إلى غير ذلك من أبحاث عدَّ منها الأستاذ ليفي بروفنسال في مقالة له كتبها سنة 1944 [في مجلة "الأندلس"] تسعة وعشرين بحثاً..."[3].

وكان اهتمامهم ذاك على الرغم من صعوبة قراءة الديوان، إذ تحتاج إلى مهارة خاصة؛ لأن في الديوان صعوبات عديدة، مرجعها أن لغة الديوان بعامية أهل الأندلس، وتحتاج إلى دربة خاصة في قراءتها، وهي العامية التي خالطتها ألفاظٌ من الإسبانية القديمة أو الرومانثية التي كانت سائدة في إسبانيا، ودخلت بعض مفرداتها في عامية أهل الأندلس، وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن نسخة الديوان الموجودة بين أيدينا هي نسخة كُتبت في مدينة صفد الفلسطينية ـ في القرن السابع الهجري ـ أي في المشرق[4]، وأن الناسخ يبدو أنه لم يكن يفهم بدقة اللهجة الأندلسية التي كُتِبت بها أزجال ابن قزمان؛ أدركنا الصعوبات التي تواجه الباحثين في سبيل

(1) وذلك في محاضرته الافتتاحية التي ألقاها في المعهد الملكي الإسباني:

Discursos leidos ante la Real Academia Espanola en la recepcion publica del Sr. D.

Julian Ribera y Tarrago, el dia 20 de mayo de 1912 (Madrid: Maestre, 1912), reprinted in

Julian Ribera y Tarrago, "El cancionero de Abencuzman," Disertaciones y opusculos (Madrid: Maestre, 1928), vol. 1, pp. 3-92.

(2) بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 173.

(3) الأهواني، عبد العزيز (1957)، **الزجل في الأندلس**، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية. ص69.

(4) يشير الدكتور الأهواني (ت1982) إلى كثرة النُسَخ المشرقية لأزجال ابن قزمان، حتى قال ابن سعيد: إنه رأى أزجال ابن قزمان سائرة في بغداد أكثر منها في حواضر المغرب، ينظر: الأهواني، عبد العزيز (1957)، **الزجل في الأندلس**، ص68–69.

تحقيق الديوان والبحث فيه. لكن هذه الصعوبات لم تمنع عدداً من الباحثين من خوض غمار أسرار لغة ابن قزمان وقراءة أزجاله والبحث فيها، وكان من تلك المحاولات بضع محاولات قدمت باللغة الإنجليزية التي أصبحت منذ الربع الأول للقرن العشرين تنافس اللغات الأخرى كالفرنسية والألمانية والإسبانية في البحوث المتصلة بالدراسات الأندلسية.

فقد قام الأمريكي من أصل تشيكي نيكل بتحقيق ديوان ابن قزمان ونشر أزجاله بالحروف اللاتينية سنة 1933، وقد طبَعَته مدرسةُ الدراسات العربية في مدريد(1).

ثم عَقَد جزءاً خاصاً بابن قزمان في كتابه (الشعر الأندلسي)، ونشر فيه بضعة أزجال مع ترجمتها للإنجليزية (2).

وفي بريطانيا لقي ابن قزمان والزجل الأندلسي عناية أقل من تلك التي لقيتها الموشحات الأندلسية وخرجاتها الرومانثية، وقد كان شترن من أوائل من كتبوا في هذا الموضوع؛ إذ اهتم بالحديث عن الفروق بين الزجل والموشح في أطروحته الجامعية (3)، وربما لم يفسح

(1) Nykl, R. A. (1933), **El cancionero del seih, nobilisimo visir, maravilla del tiempo, Abu Bakr ibn Abd al-Malik Aben Guzman**, Madrid: Maestre.

ولم يكتف الباحثون بهذه الطبعة من ديوان ابن قزمان؛ إذ أقدم على تحقيقه من جديد المستشرقون في إسبانيا، فكانت هَناك طبعات أخرى، وهي:

* طبعة غرسية غومس 1972 (**كل ما يتعلق بابن قزمان**) في ثلاثة مجلدات، وهي بالحروف اللاتينية:

Todo Ben Quzman (Madrid: Gredos, 1972), 3 vols.

* طبعة فيدريكو كورينتي 1980 (**ديوان ابن قزمان: نصاً ولغة وعروضاً**) مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، وقد نُشرت فيها أزجال ابن قزمان للمرة الأولى بالحروف العربية:

Gramatica, métrica y texto del cancionero hispano-arabe de Aban Quzman (Madrid: Instituto Hispano-arabe de Cultura, 1980).

وصدرت للديوان بتحقيق كورينتي طبعة جديدة عن: المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة سنة 1995 بتقديم د. محمود علي مكي.

* وهناك طبعة عربية لديوان ابن قزمان بتحقيق رضية إحسان الله، بعنوان: **الكامل في ترجمة ابن قزمان إمام الزجّالين**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة، 1999. يتألف من جزأين، الأول مقدمة في عصر ابن قزمان وحياته وأزجاله، ص7–123، والثانية نص الديوان: **إصابة الأغراض في ذكر الأعراض**، مع شروح لألفاظ الأزجال، ص123–544، ثم ملحق لأزجال ابن قزمان من مصادر أخرى غير الديوان.

(2) Nykl, A.R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry***, pp. 266-301.

(3) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص 98–102

شترن مكاناً واسعاً للزجل في أطروحته؛ لأن النصوص كانت قليلة بهذا الشأن، أو أنه أراد أن يجعلها في مقال مستقل، وهو ما فعله في السنة ذاتها؛ إذ نشر دراسة جيدة عن ابن قزمان[1] تناول فيها مسائل متعددة تتصل بالأزجال، هي: الفروق بين الزجل والموشح والصلات بينهما، ومعارضة ابن قزمان للموشحات، ومعارضات الشعراء لابن قزمان، كما نشر في الجزء الأخير من المقال مجموعة أزجال غير منشورة لابن قزمان وغيره من مصادر عبرية.

وقد تصدى شترن في دراسته تلك للفرق بين الموشح والزجل الذي ساد الاعتقاد طويلاً أنه محصور في اللغة: أي إن لغة الموشح هي الفصيحة، ولغة الزجل هي العامية، وقال: إن بينهما كذلك فروقاً من حيث المبنى؛ وعلى ذلك ميَّز شترن بين نوعين من الزجل: أحدهما الزجل الشبيه بالموشح الذي يشترك مع الموشح في بعض خصائصه البنائية ـ ومنها الخرجة ـ وأغراضه، والثاني الزجل غير المقيد بعدد المقاطع التقليدية للموشح مثلاً، ولا يحتوي خرجات، ويعالج مواضيع غير معهودة في الشعر العربي التقليدي [2]، كما أن الزجل برأيه يمثل انتقالاً للموشح من اللغة الفصيحة إلى العامية؛ وذلك بسبب المكانة الأدبية التي أحرزها الزجل على أيدي بعض الزجالين أمثال ابن قزمان وابن راشد اللذين منحا الشعر الشعبي العامي الحق في أن يُصَنَّف بين الآداب الرفيعة[3].

ويرى شترن أن الزجل الشبيه بالموشح يشترك مع الموشح في أنه كان أيضاً موضع التقليد والمعارضة من قبل شعراء آخرين، وهو يعطي في هذا الصعيد أهميةً خاصة لأمثلة عديدة لشعراء يهود عارضوا الأزجالَ والموشحات الأندلسية، وكان تقليدُ الآداب العربية شائعاً بين اليهود في الأندلس[4]؛ فالمعارضة كانت تقليداً أدبياً معترفاً به؛ لأن التقليد يقع في الجانب الموسيقي: وقد كان الباعث إلى معارضة الأزجال والموشحات هو تقليد لحن من الألحان الشائعة بكتابة نص يسير على منواله، فكانت المعارضة تتم بكتابة قصيدة جديدة

(1) Stern, S. M. (1951), Studies on ibn Quzman, **Al-Andalus**, xvi, pp. 381-425

(2) Ibid, p. 383.

(3) Ibid, p. 384.

(4) كتب شترن مقالة (بالعبرية) عن: معارضة الشعراء اليهود في إسبانيا للموشحات العربية، ينظر رقم (7) من قائمة مؤلفاته، والمقالة بعنوان:

Imitation of the Arabic Muwassahs by the Hebrew Poets of Spain, **Tarbis**, xix, 1947-1948, 62-63.

على خُطا الموشح المراد معارضته لحناً وأنغاماً، وتظهر ملامح هذه الطريقة بجلاء في المخطوطات العبرية التي تحمل عبارات من مثل (لحن) عند بداية القصيدة الأصلية(1).

ويلاحظ أن شترن في دراساته للأدب الأندلسي يهتم اهتماماً خاصاً بالأدب العبري في الأندلس، ويبحث دوماً عن مجالات التشابه والتأثر والتأثير بين الأدب العربي والعبري، لدرجة تُشعِر القارئ بأن اليهود كانوا هم وحدهم أصحاب التراث الأدبي الأندلسي!

وكان جرير أبو حيدر مهتماً كذلك بدراسة ابن قزمان وأزجاله؛ وكتب في هذا عدداً من البحوث، كان منها أولاً أطروحته الجامعية من جامعة لندن سنة 1976، التي كانت بعنوان: (**دراسة في بعض المظاهر اللغوية والعروضية والأدبية في ديوان ابن قزمان**)(2). كما اعتنى بدراسة ديوان ابن قزمان وأزجاله إلى جانب دراسته للموشحات الأندلسية أيضاً، وهو يعتقد أن الزجل ـ مثله مثل الموشحات ـ يجب أن يُدرَس في ضوء البيئة الأدبية التي أنتجته والتي نشأ فيها، إذ ليس من الحكمة دراستهما بمعزل عن التطور الأدبي الموازي في المشرق، لذا فالزجل عنده هو نوع من التأليف الهزلي(3) الذي كان يقصد منه الزجالون أن يمنحوا جمهورهم فيه شيئاً من الدعابة والمتعة (4).

وقد خصَّ جرير أبو حيدر ديوان ابن قزمان بالدراسة؛ " لأن نسخة الديوان الفريدة تقف شاهداً ومثالاً وحيداً على جنس أدبي بعينه، لم تصلنا منه أمثلة كافية لغيره من الشعراء، وليس لهذا العمل نظير في أهميته لدراسة الزجل الأندلسي، كما أن هذا العمل ليس مجرد ديوان يجمع أعمال صاحبه، بل إن الديوان هو أهم ديوان للأدب الشعبي المعروف لنا في الأندلس "(5).

(1) Stern, S. M. (1951), Studies on ibn Quzman, p. 386.

(2) ***A Study of Certain Linguistic, Metrical and Literary Aspects of the Diwan of Ibn Quzman*** (d. 1160 A.D.), Unpublished PhD thesis, University of London.

وقد قُدِّمت في السنة نفسها في جامعة أكسفورد أطروحةٌ أخرى عن ديوان ابن قزمان وتحقيقه، قام بها:

T. G. Gorton, (1976), ***The Diwan of Ibn Quzman of Cordoba: A Metrical Study and Complete Critical Edition,*** University of Oxford.

(3) Abu Haidar, Jareer (2001), The Language and the Function of the Hispano-Arabic Zajal***, in: Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics***, p.32.

(4) Ibid, p. 34.

(5) Abu Haidar, Jareer (2001), The Script and Text of Ibn Quzman`s Diwan, in: ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics***, p.55.

وتعد دراسة جرير أبو حيدر للديوان عملاً مشابهاً لما قام به هيتشكوك وجونز ـ من إعادة النظر في قراءة غرسية غومس للخرجات الرومانثية ـ حين أشاروا إلى أخطاء تلك القراءة، التي جعلها صاحبُها على نحوٍ خاص؛ لكي تتواءم وآراءه في جريان الموشحات الأندلسية على عروض الشعر الإسباني الرومانثي. فقد عمل جرير أبو حيدر على النظر في (ديوان ابن قزمان) من جديد لإعادة قراءة بعض الألفاظ في أزجاله، تلك التي قرأها من قبلُ غرسية غومس[1] سنة 1972، وتلك التي قرأها كورينتي سنة 1980 ثم 1995، والترجمة الإسبانية التي قدمها للديوان سنة 1985، وكذلك تلك القراءات التي قدمها شترن لبعض أزجال ابن قزمان سنة 1951.

وقد جاءت قراءة جرير أبو حيدر لكثير من ألفاظ الأزجال قراءة جديدة تخالف ما سبق أن استقر لدى المستشرقين عن الزجل الأندلسي وعن ابن قزمان، ويكمن أسّ المعضلة عند جرير أبو حيدر في قراءة أزجال ابن قزمان أن النسخة الفريدة الباقية لديوانه هي نسخة خطَّتها يدُ ناسخ جاهل؛ إذ كان يسمع ما يملَى عليه، ولم يكن يدرك كثيراً من أساسيات الكتابة والإملاء، ويبدو جهله كذلك ببعض الألفاظ المغربية ـ لأن النسخة كتبت في المشرق ـ لذا جاءت نسخة الديوان ملأى بالتصحيفات والأخطاء التي ساهمت في غموض المعاني، وأدت إلى أخطاء في الاستدلال. وتقوم أطروحة جرير أبو حيدر في قراءته الجديدة لأزجال ابن قزمان على الاستدلال بقرائن من خط يد الناسخ ـ كأخطائه في تهجئة بعض الكلمات[2]، أو أخطائه في رسم التنوين[3]، أو طريقته في الكتابة وأسلوبه في الخط، وقرائن أخرى من أسلوب ابن قزمان نفسه وغيرها ـ تنحو جميعاً إلى قراءة أكثر صواباً للديوان.

ويخلص جرير أبو حيدر إلى أن النظر في ديوان ابن قزمان يدل دلالة قاطعة على مهارة ابن قزمان وكفايته في اللغة العربية الفصيحة؛ ذلك أن أزجاله تظهر بوضوح معرفته بدلالات

(1) لقد ردَّ د.عبد العزيز الأهواني (ت1982) على عمل غرسية غومس في تحقيقه لديوان ابن قزمان، واستدرك عليه جملة من الأخطاء والملحوظات نشرها في ثلاثة أجزاء بعنوان: «على هامش ديوان ابن قزمان»، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، مدريد: مج 17، 1972–1973، مج 18، 1974–1975، مج 19، 1976–1978.

(2) Abu Haidar, Jareer (2001), The Script and Text of Ibn Quzman`s Diwan, pp. 56+

(3) Ibid, pp. 60+

الألفاظ ومعانيها في مجالات عدة.

كما أن البُعد الرومانثي في الأزجال ـ وهو الذي يهم المستشرقين بالدرجة الأولى من ابن قزمان ـ هو أبعدُ من مجرد خلط ألفاظ رومانثية بأخرى عربية في الزجل، فقد كان استعماله للألفاظ الرومانثية محدوداً جداً بحيثً لا يصلح للإشارة إلى ازدواجية لغوية عنده(1)، لكن مظاهر أخرى أكثر عمقاً تبين لنا ملامح التأثير الرومانثي في أزجاله عن طريق استعماله مثلاً لصيغ التصغير بغرض التحبب بالطريقة التي كانت مستعملة فيها في الرومانثية(2). وهذا ليس دليلاً على انتصارأبو حيدر للنظرية العربية أو الإسبانية في أصول الموشحات، بل إنه يشير بشدة إلى أن الزجل كان ابن البيئة الأندلسية التي أنتجته، تلك البيئة التي كان يكثر فيها استعمال صيغ التصغير بغرض التحبب على ألسنة الناس في الحياة اليومية، كما أنه لا يزال عنصراً مميزاً في الإسبانية حتى اليوم(3) أما التصغير المراد منه التحقير والازدراء فكان نادراً في أزجال ابن قزمان(4).

ويشدد جرير أبو حيدر ـ مثله مثل جونز وهيتشكوك وغيرهما من الباحثين في بريطانيا في الدراسات الأندلسية ـ على العناية الشديدة بديوان ابن قزمان من حيث قراءته؛ بحيث لا يجري أي تغيير فيه على النسخة الفريدة التي وصلتنا إلا إذا كان التغيير مستنداً إلى دليل، وأن اختلاف المترجمين والمحققين الذين اهتموا بأزجال ابن قزمان حول قراءة بعض ألفاظها تدعو من جديد إلى كثير من الانتباه والحذر في قراءة نصوصه الملتبسة بسبب خط ناسخ الديوان(5).

(1) Ibid, p. 75.

(2) ينظر عن هذا الموضوع أمثلة عديدة في مقالته التي خصصها لصيغ التصغير في ديوان ابن قزمان، في:

* Abu Haidar, Jareer, (2001), The Diminutives in the Diwan of Ibn Quzman: A Product of Their Hispanique Milieu, in: ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** (pp.86-104).

(3) Abu Haidar, Jareer (2001), The Diminutives in the Diwan of Ibn Quzman P. 90.

(4) Ibid, p. 96.

(5) Abu Haidar, Jareer (2001), The Script and Text of Ibn Quzman`s Diwan, pp.79 and 80.

الفصل الثالث

منهج البحث في الأدب الأندلسي عند المستشرقين في بريطانيا

المبحث الأول: أصول تحقيق النصوص ونشرها

يعد تحقيق النصوص العربية ونشرها تتويجاً لمراحل سابقة من جهود المستشرقين وغايةَ العمل من جمع المخطوطات الشرقية ووصفها وفهرستها؛ لتضاف إلى مجموع الأعمال والنصوص الأخرى التي كانت المادة الأولية اللازمة لعمل المستشرقين.

كانت الدواعي الأولى إلى تحقيق النصوص في أوربا تتمثل في الحاجة ـ التي أصبحت ملحّة بعد ظهور الطباعة ـ إلى توفير المادة المخطوطة في نُسَخ مطبوعة متعددة بين أيدي المهتمين، فانبرى أهلُ العلم لتحقيق تلك المواد على الصورة التي ينبغي أن تصل إلى القارئ وفق شروط معينة بغض النظر عن مدى دقتها وأمانتها في نقل النص الأصلي. وقد بدأ الاهتمام بنقد النصوص القديمة في أوربا منذ القرن الخامس عشر، وذلك « حينما اهتم القوم هناك بإحياء الآداب اليونانية واللاتينية؛ فكانوا يومئذٍ إذا وجدوا كتاباً من كتب القدماء قاموا بطبعه: لا يبحثون عن النسَخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يصححون إلا أخطاءه اليسيرة، فلما ارتقى علم الآداب القديمة (Philology) عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء وإلى المقابلة بين هذه النسخ المتعددة...وما زال الأمر كذلك إلى أواسط القرن التاسع عشر، حين وضعوا أصولاً علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة. أما المستشرقون فقد استعملوا ـ بعد زملائهم بمدة ـ تلك الأصول وتلك القواعد في نقد الكتب العربية والشرقية"[1].

أما تحقيق النصوص العربية التي تلت طباعةَ الكتب الأوربية فلم تكن تجري بلا ضوابط، بل « كانت لها ضوابط وقواعد استفادها... المستعربون من خبرة علمائهم الذين نشروا تراثهم المخطوط بلغاتهم القومية أو باللغة اللاتينية أو اللغة اليونانية، مع مراعاة طبيعة التراث العربي، ومتطلبات نشره الخاصة به»[2].

---

(1) برجشتراسر (1982)، **أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات ألقاها على طلبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1932/1931**، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، الرياض: دار المريخ للنشر. ص 11–12.

(2) بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)**، ترجمة محمود المقداد (ط1)، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر. ص 13 مقدمة المترجم.

كان تأخر دخول الطباعة إلى العالم العربي قد أدى إلى نشر المصادر العربية بكثرة في أوربا على أيدي المستشرقين، نتيجة تراكم المخطوطات العربية في بلادهم، ولهذا كان إرساء مبادئ أصول التحقيق وقواعد نشر النصوص العربية لديهم شيئاً متوقعاً، وحين طفق العلماء العرب يسهمون في نشر النصوص المخطوطة من التراث العربي أخذت القواعدُ المنهجية للتحقيق ـ مع مرور السنوات ومع الخبرة ـ تتأسس أركانها بين العاملين في هذا المجال في العالم العربي.

وعند النظر في النصوص الأندلسية التي قام على تحقيقها ونشرها مستشرقون في بريطانيا؛ فإن بعض تلك النصوص كانت قد نُشرت في وقت لم تكن فيه أصولُ تحقيق النصوص ـ ولا سيّما العربية منها ـ قد أُرسيت وتوطدت أركانُها بين المستشرقين الأوربيين عامة، وهذه الحال تمثلها المخطوطات الأندلسية التي نُشرت في بريطانيا قبل القرن التاسع عشر؛ فقد كان نشر النصوص العربية حينئذٍ لا يسير وفق ضوابط علمية؛ إذ لم يكن المحققُ مثلاً يسعى إلى جمع نُسَخ متعددة من المَخطوط للمقابلة فيما بينها أوضبط النص على النسخة الأم ...، كما لم تكن كثير غيرها من الأصول والضوابط المنهجية والإجرائية قد استقر مما أصبح معمولاً به في ميدان التحقيق.

وعلى ذلك فقد نشر إدوارد بوكوك الابن رسالة (**حي بن يقظان**) سنة 1671 بالعربية وترجمتها اللاتينية عن النسخة الوحيدة التي جلبها والدُه من رحلته إلى حلب، ولم يكن من صميم اهتمام بوكوك أن يبحث عن نُسَخ أخرى للنص، بل إن عكوفه على تحقيقها قد يكون نتيجة عامل ذوقي انطباعي أملى عليه تحقيقَ النص وترجمته، وربما كانت رغبة والده ومشورته هي ببساطة ما دفعه إلى هذا العمل؛ أو لأنه كان يبحث عن تعزيز سمعته العلمية في الجامعة؛ إذ كان والده يعدُّه لكي يخلِفَه في منصبه في تدريس اللغات الشرقية في جامعة أكسفورد(1).

أما في نهاية القرن الثامن عشر، حين نطالع ما يمكن أن نعده أولى الأشعار الأندلسية المطبوعة بالحروف العربية والمترجمة إلى الإنجليزية في كتاب (**لمع من الشعر العربي**)

(1) Toomer, G. J. (1996), ***Eastern Wisedome and learning***, p. 219.

لجوزيف كارلايل؛ فإننا نجد أن نشر النصوص الشعرية المختارة بالعربية في كتابه ينسجم نوعاً ما والضوابطَ التي أصبحت معروفة في نشر المخطوطات العربية فيما بعد؛ وإن كان المؤلف قد أحكم ترتيب كتابه وفق خطة منظمة.

قسم كارلايل الكتاب إلى جزأين؛ جعل الأول منهما للنصوص باللغة العربية، ونشر فيه المقطوعات الشعرية المختارة في حروف عربية مشرقية، مع ذكر قائليها في العناوين، ثم أتى بالقطعة الشعرية، وربما ذَكَر شيئاً يعرِّف بالشاعر أو بمناسبة الأبيات، وهو في عمله هذا لا يخرِّج نصوصه من مظانّها، ولا يحيل على المصدر الذي اقتبس منه، ويحتل الجزء العربي الصفحات من (1–71) من الكتاب. أما القسم الثاني فيبدأ بترقيم جديد للصفحات (من1–180) تقع فيه الترجمة الإنجليزية للقِطَع الشعرية المختارة الواردة في القسم الأول، لكن المؤلف كان في القسم الإنجليزي يتوسع في ملابسات المقطوعة الشعرية وظروفها أكثر مما أورده في القسم العربي؛ وقد يعود ذلك إلى أنه يتوجه بكتابه هذا إلى القارئ الإنجليزي الذي ليس لديه إلمام جيد باللغة العربية وبالأدب العربي؛ فيقدم له مزيداً من التفصيل والتمهيد بين يدي النص.

وتطلعنا مقدمةُ الكتاب - وهي باللغة الإنجليزية - على أن كارلايل قد جعل كتابه مختارات شعرية من المصادر العربية المنشورة والمخطوطة، وهو ما لم نعرف تفاصيله عند كل قطعة شعرية؛ لأنه لا يحيل على مصادره، وهذه المختارات ليست تمثيلاً لإنتاج الشعراء العرب المشهورين فقط؛ بل والمغمورين منهم، فاختيارها وانتظامها في سياق الكتاب هو نوع من التأريخ الأدبي للشعر العربي[1]. وقد كانت المقطوعات الأندلسية المختارة في الكتاب قليلة جداً: ثلاث مقطوعات فقط جاءت تمثيلاً لأدب المسلمين في الغرب، من أصل ستين مقطوعة وقصيدة عربية في الكتاب.

ويحسن في هذا المقام التذكير بأن الكتاب كان يهدف أساساً إلى تعريف القارئ الإنجليزي بالأدب العربي عامة لا بالأدب الأندلسي، كما أن العمل فيه لم يكن موجهاً بالدرجة الأولى إلى تحقيق نصوص عربية ونشرها؛ فلم يقدّم المؤلف بين يدي المختارات

(1) Carlyle, J. D. (1796), ***Specimens of Arabian Poetry,*** introduction, pp. i-ii.

العربية بمقدمة يبين فيها منهجه في العمل كما هي عادة محققي النصوص في بيان عملهم في النص؛ وربما كان ذلك من باب أنه لم يكن يرى في عمله تحقيقاً للنصوص، ولا سيّما أن بعض تلك النصوص كان منشوراً من قبل، وربما لأن همَّه الأول كان تقديم نماذج من الشعر العربي للقارئ الإنجليزي العادي؛ وليس للباحث المتخصص.

ومن حيث الشكل حافظ كارلايل في كتابه على طباعة المختارات العربية بحروف الخط المشرقي، وليس هناك ضبط بالحركات على الكلمات، وهو يُبقي على النص كما هو ـ من تسهيل الهمز مثلاً أو الرسم الخطأ لبعض الكلمات ـ ويرتب الأبيات الشعرية في شطرين يوضع كل منهما على سطر مستقل. ويخلو الكتاب من الفهارس الفنية التي تُرفق عادة بالنصوص والمصادر العربية التي يحققها المستشرقون.

وهكذا يمكن القول: إن نشر النصوص الأندلسية في بريطانيا قبل القرن التاسع عشر كان يفتقر ـ إلى حدٍّ بعيد ـ لضوابط التحقيق والنشر العلمي التي اصطلح عليها فيما بعد المشتغلون في تحقيق النصوص العربية، التي لم تكن قد اتضحت قبل حلول القرن التاسع عشر، الذي شهد تثبيت دعائم الاستشراق في رحاب المؤسسات العلمية؛ وابتدأ فيه نشر النصوص العربية عن أصولها المخطوطة وفق مناهج وضوابط محددة، بحيث لا يكون نشر النصوص وطباعتها إلا ضمن تلك الأصول التي قررها العاملون في ميدان الاستشراق، واصطلحوا على قواعدها في سعيهم إلى توحيد جهود العاملين في هذا الميدان من العلماء.

ثم كان نشر وليم رايت لـ (**رحلة ابن جبير**) منتصف القرن التاسع عشر مثالاً على الاتجاه العلمي في نشر النصوص العربية؛ فقد قام بتحقيق النص العربي لـ (**رحلة ابن جبير**) تحقيقاً علمياً جيداً، ونشره سنة 1852؛ ويعود ذلك إلى أنه كان يقدم عمله هذا لنيل الدرجة الجامعية، لذا فمن الصعب عليه ألا يحقق النص على الوجه الأمثل، ويعود كذلك إلى فضل دوزي أستاذه المشرف الذي حثّه على تحقيق الرحلة، وساعده على إنجازها(1).

أما منهجه في العمل فقد نشر رايت (**رحلة ابن جبير**) بالحروف العربية المشرقية، وقدم للنص بمقدمةٍ باللغة الإنجليزية، تعدّ نموذجاً لما تكون عليه مقدمات التحقيق، وتتضمن

(1) Wright, William (1907), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** introduction, p. 22.

ملامح عمله في الكتاب وبعض أصول تحقيق النصوص العربية التي اتضحت فيما بعد، ومنها الحديث عن:

1 ـ **نُسَخ المخطوط**: عمل رايت في تحقيق (**رحلة ابن جبير**) من مخطوط واحد في مكتبة جامعة لَيدَن، وإن كان أشار إلى مخطوط آخر لها موجود في الإسكوريال، كما أنه تحرى تخريج نصوص الرحلة من المصادر الأخرى.

2 ـ **وصف المخطوط**: وفيه وصف مادي للمخطوط ابتداء من تحقيق العنوان، وعدد الصفحات، وجودة الخط وصعوباته...

3 ـ **عمله في التحقيق**: من تلافي الأغلاط الواردة في النسخة المخطوطة، أو بيان المواضع الغامضة صعبة القراءة؛ بإدخال التصويبات الملائمة وفق المصادر الأخرى أو وفق رأيه، مع دعم ذلك الرأي بالاستعانة بالمعاجم وغيرها، وقد نشر رايت الرحلة بحروف عربية مشرقية، وضبطَ الكلماتِ الملبِسة فيها بالشكل المناسب، وكان يشير في الحواشي إلى القراءات المتعددة لبعض المواضع، مع الإحالة إلى المصادر دائماً. لكنه لم يذكر شيئاً عن الكتابة العالمية لحروف اللغة العربيةTransliteration [1]، فلم تكن قواعدها مستقرة بعد وكانت ـ وما زالت ـ هناك مدارس عدة لكتابة الكلمات وأسماء الأعلام العربية بالحروف اللاتينية[2].

4 ـ **مصادر النص**: التي اعتمد عليها المحقق في تصحيح نص الرحلة وتحقيقه، وقد صنَّف مصادره العربية في مجموعات وفق أهميتها؛ وكانت تلك المصادر في وقتها مخطوطة إلا (**نفح الطيب**). كما اعتمد رايت إلى جانب المصادر العربية على بعض أعمال المستشرقين الأوربيين حول ابن جبير، ولا سيّما عمل المستشرق الإيطالي ميخائيل أماري (ت1889) الذي نشر الجزء المتصل بصقلية من (**رحلة ابن جبير**) مع ترجمتها

(1) ***Transliteration***: يترجمها منير البعلبكي: النقحرة، وهي منحوتة من «نقل» و«حرفي»؛ ويفسرها بمعنى: يكتب حروف لغة بحروف لغة أخرى. ينظر مادة ***Transliterate*** في: البعلبكي، منير (2000)، **المورد: قاموس إنكليزي-عربي**، (ط34)، بيروت: دار العلم للملايين.

(2) بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص 40، وينظر الكتاب نفسه ص90-92 جدول أهم الاصطلاحات حول الكتابة الصوتية العالمية في عددٍ من أبرز أعمال المستشرقين.

للإيطالية[1]، ونشرها ثانية بالحروف العربية عام 1857 في كتابه الشهير (**المكتبة العربية الصقلية**)[2].

وفي مثل هذا تتضح مدى أهمية اتساع مرجعية الباحث المحقِّق لأجل أن يكون البحث والعمل على قدر من المصداقية تجعل القارئ مطمئناً للعمل عند الاطلاع عليه.

5 ـ **إعداد الفهارس**: وهي من مزايا الكتب التي عمل على تحقيقها المستشرقون، وأولوها عنايتهم الفائقة؛ لما لها من أهمية في مساعدة الباحثين الذين يتوفرون على دراسة المصادر العربية، لذا فقد ألحق رايت بالنص العربي للرحلة فهارس أربعة: فهرس أسماء الرجال والنساء، وفهرس المواضِع والأمم والقبائل، وفهرس الكتب الواردة في التراجم والرحلة، وفهرس الأمثال الواردة. ثم أضاف في آخر الكتاب مسرداً للمصطلحات التقنية المعمارية والبحرية...وغيرها مما لا يوجد في معجم الألماني جورج فريتاج[3] (ت1861) .

وليس ثمة قواعد خاصة متعارف عليها لدى الإنجليز في نشر النصوص العربية أو ترجمتها مثلما اشتهر عن المدرسة الفرنسية والألمانية، لكن ذلك لا يمنع أننا نلمس لدى المستشرقين والباحثين الإنجليز الاقتداء بمن سبقهم في هذا المجال.

على أنه حين نصل القرن العشرين نلاحظ أن أصول تحقيق المخطوطات العربية ونشرها قد اتضحت ملامحُها، ودوِّنت أصولُ بعضها؛ مما جعل الكثير من أعمال المستشرقين في نشر النصوص العربية ـ في ذلك القرن ـ تتبع تلك السُّبُل التي جعلت من أعمالهم أعمالاً ذات قيمة في مجال نشر التراث العربي الإسلامي.

ففي بداية القرن العشرين سنة 1911 نشر نيكلسون ـ المتخصص بالتصوف الإسلامي ـ ديوان ابن عربي (**ترجمان الأشواق شرح ذخائر الأعلاق**)، وكان يريد من نشره « أن يجعل

---

(1) في: المجلة الآسيوية **Journal Asiatique** المجموعة الرابعة، مجلد 6–7 سنة 1846.
(2) أماري، ميخائيل (1857)، **المكتبة العربية الصقلية**: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، بغداد: مطبعة المثنى.
(3) وهو معجم (عربي– لاتيني) منشور في هالّه سنة 1830.

المتصوفة المسلمين يتحدثون بأنفسهم من المصادر الأصلية»[1] .

أما عن عمله في تحقيق الديوان وترجمته؛ فقد نظر نيكلسون في ثلاث نسخ مخطوطة للديوان توافرت له: واحدة يملكها شخصياً، واثنتان من مكتبة جامعة لَيدَن، لكن المحقق اختار أن يعتمد نسخته الخاصة مع أنها متأخرة عن السابقتين لتكون أصلاً للتحقيق، دون أن يذكر سبب اعتماده إياها بالذات، بيد أنه مع ذلك أثبت اختلاف القراءات بين النسَخ في الحواشي. كما أنه لم يصف المخطوط من حيث عدد أوراقه وجودة الخط وسلامة الصفحات من الخروم أو حالتها العامة، ولم يرفق بالتحقيق صورة شمسية ولو لصفحة واحدة من المخطوط[2].

وقد مهّد للكتاب بمقدمة التحقيق التي تضمنت الحديث عن ابن عربي وعن مؤلَّفه وعن المخطوطة، ثم أتى بالنص العربي لأشعار ابن عربي منشورة تباعاً بحروف عربية مشرقية، تلتها الترجمة الإنجليزية للأشعار، وهو يعطي لكل قطعة شعرية رقماً، ويترجم أبياتها في شعر إنجليزي، ثم يترجم شرح ابن عربي عليها، ويكتفي نيكلسون في الترجمة بشرح ابن عربي نفسه، ولا نكاد نجد للمحقق تعليقاً أو حاشية. كما يميل في الترجمة إلى كتابة بعض المصطلحات بالحروف العربية غير مكتفٍ فقط بترجمتها الإنجليزية أو كتابتها في مقابلها الصوتي بالحروف اللاتينية وفق الكتابة العالمية للكلمات العربية.

وتعد كتابة بعض المصطلحات بالحروف العربية ميزةً في هذا الكتاب؛ لأن الحروف العربية تكاد تختفي اليوم من أعمال المستشرقين عن التراث العربي؛ مما يعزز الانطباع الذي بدأ يسود من ضعف بعض المستشرقين الجدد أو المستعربين وعدم إتقانهم للغة العربية، على الرغم من تخصصهم في الدراسات العربية الإسلامية!

وقد أردف عمله هذا بفهارس في نهاية الكتاب: للأعلام والأماكن والكتب، والمصطلحات الفنية، وأغلبها بطبيعة الحال من مصطلحات الصوفية التي من دون معرفتها

(1) Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq,*** introduction, p. vi.

(2) لم تكن هذه الخطوة قد انتشرت بعد في بداية القرن العشرين؛ بسبب أن تقنية التصوير لم تكن شائعة في ميدان التحقيق، على الرغم من الضجة التي أثارها نشرُ المستشرق الروسي ديفيد غنزبرغ D. Gunzburg (ت1910) لديوان ابن قزمان بالصورة الشمسية لصفحات المخطوط سنة 1896، وأصبحت بذلك مسألة نشر المخطوطات بالصور الشمسية محل أخذ وردّ ما بين مؤيد ومعارض.

تصعب قراءة أعمال ابن عربي؛ إذ كانت تلك الصعوبة سبباً في ابتعاد كثير من الباحثين عن ابن عربي. وكان نيكلسون يكتب أكثر المصطلحات كما تُنطَق بالعربية؛ ولكن بحروف أجنبية، ثم يفسرها ويشرحها بعد ذلك بالإنجليزية.

وقد يكون علوّ مقدار نيكلسون في حقل الدراسات الإسلامية هو ما جعله في حِلٍّ من التقيد بأصول التحقيق بصرامة، أو لعل ذلك مرجعه إلى أن الكتاب موجَّه للقارئ العادي غير المتخصص، وذلك ما نجد مثيله عند نيكلسون في كتبه الأخرى، حين لا يذكر تعليقات في الحواشي، ولا يحيل إلى مصادر معلوماته بالتفصيل، بل يكتفي بسردٍ لأهم المصادر في خاتمةً الكتاب.

ولم يشهد القرن العشرون منذ تحقيق نيكلسون لـ **(ترجمان الأشواق)** باحثاً في بريطانيا قام على تحقيق النصوص الأندلسية إلا حين طفق شترن ينشر بعض مقالاته ونتائج بحوثه في الأدب الأندلسي، ما اتصل منها بالموشحات والأزجال ـ تحديداً ـ التي كان يعمل على جمع ديوانها، ذلك المشروع الذي انقضى عمره دونه، فكان عزاءُ الباحثين أنه قام على نشر بعض تلك الموشحات على صفحات دوريات علمية سيارة، بأن نشر بعضها للمرة الأولى، وإن يكن دون نهج محدد؛ إذ نشر بعضَها بالحروف العربية، ثم ترجمها إلى الإنجليزية[1]. وفي أحيان أخرى كان يستثني نشر النصوص باللغة العربية، ويكتفي بالحروف اللاتينية في كتابتها ثم الترجمة الإنجليزية. وهو بطبيعة الحال يوثق النصوص من مظانّها؛ لأن من ميزات جهده المبذول في ذلك الوقت استخراج نصوص بعض الموشحات الأندلسية لأول مرة من المصادر، والكشف عن موشحات لم تكن معروفة أو مشتهرة بين الباحثين[2].

ثم نشر جيمس دِكي (يعقوب زكي) ديوان ابن شهيد الأندلسي[3] سنة 1969، وكان

---

(1) ينظر مؤلفاته في السنوات: 1949 و1951 و1958.

(2) مثال ذلك في الأزجال التي اكتشفها في جنيزة القاهرة، ونشرها في:

Stern, S. M. (1951), Studies on Ibn Quzman, pp.411-125.

(3) كان المستشرق الفرنسي شارل بيلا (ت1992) قد جمع شعر ابن شهيد، ونشره سنة 1963 في: **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، (ط1)، بيروت: دار المكشوف. ثم استدرك على الديوان: الساوري، عبد العزيز (1988)، المستدرك على ديوان ابن شهيد الأندلسي (المتوفى سنة 426هـ)، **المورد**، بغداد، 17 (1): 244–250. كما نُشر شعر ابن شهيد من جديد في: ابن شهيد الأندلسي (1997)، **ديوان ابن شهيد ورسائله**، جمعه وحققه وشرحه: محيي الدين ديب، (ط1)، بيروت: المكتبة العصرية.

قد جمع شعره من المصادر العربية المختلفة المخطوطة والمطبوعة، ونشره باللغة العربية، وهو في الحقيقة عمله في أطروحته الجامعية من جامعة القاهرة وجامعة مدريد، لذا فقد قدّم للديوان بمقدمة تفصيلية للتحقيق كانت نموذجاً لمقدمات التحقيق(1)، اشتملت على سيرة تفصيلية لابن شهيد وآرائه النقدية، وقد فصَّل القول في حياته التي جعلها على مراحل، إلى جانب قسم خاص تحدث فيه عن نقد مصادر أشعار ابن شهيد الأندلسي وبيان أهميتها ونسخها المتعددة؛ ولا سيّما أن ابن شهيد ليس له ديوان مجموع، ولم يصلنا خبرٌ عن ذلك، ولهذا نلاحظ أن النهج الذي اختاره يعقوب زكي في جمع أشعار ابن شهيد من المصادر وترتيبها في ديوان قد مال فيه إلى المزج بين النُسَخ المتباينة للقصيدة الواحدة؛ إذ أراد أن يعيد نصَّها أقرب ما يمكن إلى صورته الأولى، مع عدم اللجوء إلى ذلك إلا في ترتيب الأبيات في القصيدة، وليس في تباين القراءات في البيت الشعري الواحد(2) ؛ لأن طريقة التلفيق ليست مقبولة تماماً من محققي النصوص العربية.

كان يعقوب زكي قد نشر الديوان باللغة العربية، ونشر مقدمته كذلك مترجَمة إلى العربية في الكتاب نفسه، مخالفاً بذلك نهج غالبية المستشرقين الذين يجعلون مقدمات التحقيق عادةً بلغاتهم هم؛ وليس باللغة العربية، فديوان ابن شهيد من أوله إلى آخره بالعربية، باستثناء أسماء المراجع الأوربية – في الحواشي وفي قائمة المراجع ـ التي لجأ إليها المحقق على عادة المستشرقين في الاعتماد على المصادر الأوربية في دراسة الآداب العربية. ومن الجدير بالذكر أن اسم جامع الديوان ومحققه كذلك يظهر بصيغته العربية وبالاسم العربي الذي اختاره لنفسه، وليس هناك أدنى إشارة إلى اسمه السابق « جيمس دكي».

وقد رتب يعقوب زكي أشعار ابن شهيد على حروف المعجم، وجعل لكل مقطوعة عنواناً قصيراً يبين مضمونها، كما ضبط النصوص بالحركات المناسبة، واكتفى في حواشي التحقيق في صفحات القصائد ببيان الفروق الضرورية بين النُّسَخ، أما بقية الملحوظات

(1) وقد نُشرت مقدمة التحقيق باللغة الإنجليزية سنة 1964 في مجلة «القنطرة» في إسبانيا، ينظر:

Dickie, James (1964), Ibn Shuhayd: A Biographical and Critical Study, Al-Qantara, 29 (2), pp.234-310.

(2) ينظر: ابن شهيد، أبو عامر أحمد عبد الملك (ت426هـ)، ديوان ابن شهيد الأندلسي، (جمعه وحققه: يعقوب زكي)، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969. ص77.

على القصائد ـ من وزن القصيدة ومناسبتها وتاريخ تأليفها وغيرها من ملابسات متيسرة عن النصوص ـ فقد جعلها المحقق في ملحق خاص باسم: (حواشي القصائد) في نهاية الكتاب. ويقع هذا العمل ليعقوب زكي موقعاً جيداً بين الدراسات الأندلسية في بريطانيا، على الرغم من أسبقية المستشرق الفرنسي شارل بيلا في محاولته جمع شعر ابن شهيد ونشر ديوانه قبل ذلك ببضع سنين.

وفي الربع الأخير من القرن العشرين حقَّق ألن جونز قفزة واضحة على صعيد الدراسات الأندلسية بتحقيق كتاب (**عدة الجليس**)[1] وهو مختارات من الموشحات الأندلسية، سنة 1992، ثم مختارات ابن الخطيب من الموشحات الأندلسية في كتابه (**جيش التوشيح**)[2] سنة 1997. وسنقف على تفاصيل طريقة المحقق في إخراجه لهذين الديوانين؛ التي أملتها عليه طبيعةُ النص وما رافقه من مشكلات خاض فيها الباحثون في أمر الموشحات الأندلسية، كما مرَّ من قبل.

وللوهلة الأولى حين نقابل بين الأعمال الأندلسية التي قام على تحقيقها المستشرقون في بريطانيا قبل منتصف القرن العشرين، وبين عمل ألن جونز؛ نجد أن ألن جونز قد عمل لسنوات في حوسبة التراث العربي في أكسفورد، وكان منها حوسبة الموشحات الأندلسية، ثم ظهرت آثار عمله الطويل في قراءة ديوان (**عدة الجليس**) التي استمرت أكثر من عشر سنوات، ونشره محقَّقاً؛ ليكون بين أيدي الباحثين المتخصصين بأفضل حال وأدق صورة ممكنة كما يرجو[3].

وقد تكون الصفحات الأولى من مقدمة التحقيق بين يدي الديوان كافية لبيان مقدار الفرق الذي نلحظه بين الطبعات السابقة للأعمال الأندلسية المنشورة في بريطانيا وأعمال

(1) علي بن بشري الأغرناطي (من أهل القرن الثامن الهجري)، **عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس**، تصحيح: ألن جونز، أوكسفورد: مطبعة مركز الحسّابات لجامعة أوكسفورد، 1992.

(2) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني (ت 776هـ)، **جيش التوشيح**، تصحيح: ألن جونز، أوكسفورد: مطبعة مركز الحسّابات لجامعة أوكسفورد، 1997.

(3) يشير كذلك د. مصطفى الغديري إلى جهد ألن جونز في هذا الكتاب وعمله المتأني فيه، ينظر: الغديري، مصطفى (1994)، كتاب عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس لعلي بن بشري الأغرناطي الأندلسي، **دراسات أندلسية**، تونس، ع12، ص72–73.

ألن جونز؛ إذ مهّد بين يدي النص بمقدمة طويلة، لم يترك فيها صغيرة ولا كبيرة في تفصيل منهجه وطريقته وعمله في المخطوط إلا أتى عليها، وهي تشير - فيما تشير إليه - إلى ضبطه العمل وفق مواصفات خاصة، مع ما تمتاز به من ظهور شخصيته وما تسِمُ النصَّ به من سمات ألن جونز التي نتبيّنها أيضاً في عمله الثاني تحقيق ديوان **(جيش التوشيح)**، وربما كان ذلك بسبب حساسية مسألة قراءة الخرجات والألفاظ الرومانثية التي وقفنا على جانب من ملابساتها فيما سبق، وكيف أن القراءة الدقيقة الملتزمة بنصّ الأصل المخطوط ضرورية جداً - برأي جونز - لضبط النتائج والأحكام المترتبة عليها في قضايا أصل الموشحات الأندلسية وأوزانها، وهي القضايا التي سيطرت عليه في أثناء التحقيق.

حافظ ألن جونز في عمله في تحقيق هذين الديوانين على خُطا الاستشراق التقليدي الملتزم منهجَ الفيلولوجيا ونقد النصوص، مع اختلافه عن المدارس الاستشراقية الأخرى في جوانب معينة[1]، كان منها مثلاً أنه حريص جداً على نشر النصوص العربية كما وردت في المخطوط تماماً[2]، فهو لا يضع الهمزات ولا علامات الترقيم مثلاً في النص، ويحافظ على طريقة نَسخ الكاتب للمخطوط، لذا فقد استعمل ألن جونز حروف الخط المغربي لطباعة الديوانين - واضطر أحياناً لاستعمال يده في ضبط بعض الحروف، مثل حرف الفاء مثلاً الذي يُكتب بنقطة أسفله على الطريقة المغربية - لأن النُّسَخ المخطوطة للديوانين - **(عدة الجليس)** و**(جيش التوشيح)** - كانت مكتوبة بذلك الخط. ويخالف ألن جونز في ذلك المدرسةَ الفرنسية في نشر النصوص العربية، التي كانت ترى وجوب نشر النصوص العربية بالخط المشرقي[3]؛ حتى إن كانت تلك المدرسة قد عملت كثيراً في نشر التراث الأندلسي المخطوط الذي أتيح بين يديها في بلاد المغرب العربي، وهو تراث غالباً ما كان مكتوباً بالحروف المغربية.

---

(1) فالمدرسة الفرنسية مثلاً – التي عملت كثيراً في تحقيق النصوص والمصادر الأندلسية – تهتم بترقيم النص الأصلي وتجزئته إلى فقرات وضبطه بالحركات المناسبة ونشره بالخط المشرقي. ينظر:

بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص48 وص50.

(2) كان الألماني برجشتراسر G. Bergstrasser (ت1933) يرى أن المحقق لا ينبغي له أن يصحح الأغلاط في المخطوط، حتى تلك التي يجدها في الآيات القرآنية؛ " لأن ذلك خلاف وظيفته التي هي الرجوع إلى ما كتبه المؤلف" بالضبط. ينظر: برجشتراسر (1982)، **أصول نقد النصوص ونشر الكتب**، ص 43.

(3) بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص48.

منهج ألن جونز في التحقيق:

أولاً: كتاب (عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس):

يلاحظ أن ألن جونز قد أضاف عنواناً فرعياً إلى الكتاب على عادة المستشرقين في تحقيق الكتب العربية(1)؛ حين يكون العنوان طويلاً أو غير مفهوم للوهلة الأولى لدى القارئ الغربي، فأعطى (**عدة الجليس**) العنوان الفرعي التالي: (An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat)، وقد قدَّم المحققُ لديوان ابن بشري الأغرناطي بمقدمة تفصيلية، بيَّن فيها أن هدفه من إخراج هذه الطبعة المحققة لديوان (**عدة الجليس**) هو تقديم النص للقارئ بأقرب صورة ممكنة لما هو وارد في المخطوطة نفسها، وهي مخطوطة فريدة وحيدة؛ ومع ذلك اعتمد عليها في إخراج الكتاب لأهميته وندرة موضوعه، إذ ربما كان (**عدة الجليس**) أهمَّ كتاب يرى النور في القرن العشرين في ميدان الدراسات الأندلسية، هذا على الرغم من أن الاعتماد على مخطوطة واحدة في إخراج المصادر قد يكون على أقل تقدير مغامرة غير محمودة العواقب.

وتضمنت مقدمة التحقيق ما يلي من العناصر:

1 - **الهدف العام من تحقيق (عدة الجليس) ونشره.**

2 - **الكتاب:** تعريف موجز بالكتاب وأهميته في التراث الأندلسي فهو أكبر مجموعة معروفة من الموشحات الأندلسية، وتمتاز بأن أغلبها غير موجود في مصادر أخرى، وفيه موشحات بخرجات رومانثية.

3 - **المؤلف:** علي بن بشري: (اسمه) وهو مغمور لم تذكره المصادر، ولهذا اكتفى جونز بما يساعدنا على التعريف به من الكتاب، وأول مشكلة هي اسمه: فهل هو علي بن بشرى أم بشري؟ إذ ظهر اسمه مرة واحدة في المخطوط بشكل يُقرَأ على الوجهين، وكان كولان قد قرأه لدى اكتشافه علي بن بشرى؛ لأن الألف المقصورة بلا نقط، لكن جونز يرى أن نسبته (الأغرناطى) كذلك مكتوبة بياء غير منقوطة، ولهذا يعتقد جونز أن

(1) ينظر: بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ص35.

اسمه علي بن بشري؛ لأن الاسم بشري كان مستعملاً في المغرب في القرون الوسطى. وهناك مشكلة أخرى: (حياته) هل تؤخذ نسبة "الغرناطي" بحرفيتها (أي إنه فعلاً من غرناطة) أو لا، وجونز يشكّ في ذلك، ويعتقد أن تلك النسبة ببساطة تشير إلى أصول عائلته، وأن المؤلف يدّعي الأصول الأندلسية، ولكن ليس لجونز دليل!! وله في الديوان 12 موشحة من تأليفه. ويبدو أنه قد عاش بعد جيل لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/ 1375م)؛ لأنه ذكر موشحات له.

4 ـ **مخطوط كولان**: (**الوصف المادي**): فالصفحة الأخيرة من المخطوط مفقودة، لذا لا نعرف عمره، ثم ذكر المحقق قياس المخطوط ومسطرة أوراقه وجودته.

5 ـ **الخط والإملاء**: يبدو أنه اشترك في نسخ المخطوط ما لا يقل عن ستة ناسخين، ويبدو أن النَّسخ لم يكن دقيقاً، ويظهر ذلك خاصة في كتابة الخرجات الرومانثية، التي كان النُسّاخ ينسخونها نسخاً دون معرفة بها أحياناً، ويشرح ألن جونز قليلاً الفروق بين الخط المشرقي والخط الأندلسي والمغربي من جهة رسم الحروف.

6 ـ **منهج التحقيق**: وجّه ألن جونز في هذا الجزء من مقدمة التحقيق انتقاداً لأساليب التحقيق التي يميل فيها المحققون إلى العمل على تقريب المخطوطة المحقَّقة؛ لتصبح في متناول القارئ المعاصر؛ لأن هذا المنهج يؤدي حتماً إلى إنتاج نسخةٍ مغايرة لما هو موجود فعلاً في المخطوطة الأصلية للنص. وإذا ما كان ذلك يعد مقبولاً لخدمة عامة القراء؛ فإنه لا يفي بالأغراض المبتغاة من تحقيق النصوص العربية على المستوى العلمي الذي يهمّ المتخصص؛ لأنه لن يأخذ أدنى فكرة عن طبيعة المشكلات النصية الموجودة في المخطوط(1)، وهو يقصد بذلك المشكلات التي تثيرها القراءة غير الدقيقة للموشحات الأندلسية ولخرجاتها وما تبع ذلك من خلاف على الألفاظ الرومانثية فيها؛ إذ يفصّل جونز في بعض صعوبات النص المخطوط المتصلة بالخط المغربي الأندلسي وسماته المميزة التي قد تؤدي إلى قراءات متعددة للكلمة الواحدة. لذلك أراد ألن جونز من منهجه هذا أن يقدّم طبعة من (**عدة الجليس**) تشبه النص الأصلي المكتوب في المخطوط الذي وصل إلينا؛ لتساعد على قراءة المفردات العامية من اللهجة الأندلسية والرومانثية

(1) Jones, Alan (Ed.), (1992), ***The Uddat al-Jalis of Ali Ibn Bishri,*** Introduction p. 6.

الواردة في الموشحات خاصة. وكان قد نشر من قبلُ تحقيقاً للخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية استعمل فيه الطريقة ذاتها سنة 1988 (1)، وأرفقها بصور طبق الأصل للخرجات الرومانثية كما وردت في المخطوطات الأصلية؛ ليبين تلك المشكلات وأثرها في القراءات المتعددة لها.

7ـ **حواشي التحقيق**: وقد أوضح المحقق في هذا الجزء من مقدمة التحقيق عمله في الحواشي، وهو:

أ) كتابة الحواشي باللغة العربية ـ كما هي عادة أغلب المستشرقين ـ إلا في استثناءات قليلة؛ هي: كتابة الأسماء والمصطلحات العبرية بالعبرية، وكتابة أسماء المراجع الأوربية بالحروف اللاتينية.

ب) تصحيح النص عندما تقتضي الضرورة، وقد أعطى أمثلة على ذلك.

ج) وضع علامة مميزة † عند الفقرات المحرّفة التي لم يكن لديه حول قراءتها اقتراح سديد لتصويبها، وهذه أمانة من جانبه في نقل المشكلات والصعوبات النصية الموجودة في المخطوطة.

د) تصحيح بعض الفقرات لأسباب عروضية، وقد أشار المحققُ إلى ذلك في مواضعه، كما أوضحَ أنه عامَلَ الموشحات وفق التقطيع العروضي العربي الخليلي.

ولم يكن من مقاصده في الحواشي عقد المقابلات بين نصوص الموشحات الواردة في أكثر من مصدر، لذا خلت الحواشي منها.

وفي ختام المقدمة ذكر المصادر الرئيسية الأخرى للموشحات، ولم يذكرها في الحواشي إلا إذا تضمنت معلومات ليست واردة في غيرها.

ثانياً: ديوان (جيش التوشيح):

في تحقيق كتاب (**جيش التوشيح**) سنة 1997 فنحن نرى فيه جهد ألن جونز مشابهاً لما

(1) Jones, Alan (Ed.), (1988), ***Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry: A Palaeographical Analysis,*** London: Ithaca Press.

في تحقيق (**عدة الجليس**)، فقد قدم للتحقيق بمقدمة مستفيضة باللغة الإنجليزية، على نمط ما فعل في الديوان السابق، وقد تضمنت ما يلي:

1 ـ **الهدف من نشر الديوان**: إخراجه بصورة مشابهة لما كان في (**عدة الجليس**)؛ من حيث الحواشي المختصرة، والمراجع المحدودة؛ من أجل التركيز على النصوص والقصائد فقط، ليس لأنها لم تنشر من قبل؛ ولكن من أجل نشرها بصورة أقرب إلى ما هي عليه في مخطوطات (**جيش التوشيح**)، وإتاحتها أمام الباحثين على هذا النحو قريبةً مما هي عليه في الأصل.

2 ـ **المؤلف**: لسان الدين بن الخطيب. قدم المحقق موجزاً عن حياة ابن الخطيب دون إحالات مرجعية؛ وذلك لاشتهاره علَماً من أعلام التراث الأندلسي.

3 ـ **الكتاب**:

أ) المحتوى (أهميته): (**جيش التوشيح**) هو ثاني أهم مختارات شعرية للموشحات الأندلسية التي وصلت إلينا، ويعقد المحقق مقابلة موجزة بينه وبين (**عدة الجليس**).

ب) مخطوطات (**جيش التوشيح**): وهي ثلاث نسخ مخطوطة، وليس نسخة واحدة فقط كـ (**عدة الجليس**)، ولهذا فالعمل فيه مختلف. وهنا يستذكر ألن جونز الجهد الذي قدمه من قبل صمويل شترن(1) في مقالته عن (**جيش التوشيح**)، التي وصف فيها مخطوطاته ومصادر ابن الخطيب فيه، فاقتبس ألن جونز جزءاً كبيراً من تلك المقالة (3 صفحات).

وقد اعتمد ألن جونز في تحقيق (**جيش التوشيح**) على المخطوطات الثلاث نفسها، وأوضح بعض الفروق بين عمله وعمل شترن وهي طفيفة. ثم قدم التسويغ الذي دفعه إلى إعادة نشر الديوان الذي كان قد حُقِّق من قبل، ونُشر في تونس سنة 1967 ؛ إذ إنه " يرى أن طبعة الديوان للمحققَين [هلال ناجي ومحمد ماضور] كانت فقيرة؛ لأنها اعتمدت مخطوطة واحدة، وأشارت إلى ثانية في أحيان قليلة؛ لأنهما لم يتمكنا من الاطلاع عليها. وقد حذفا كذلك من الكتاب ـ القسم السابع عشر ـ موشحتين، ببساطة لأن الناسخ ألحق

---

(1) كان شترن قد أشار إلى (**جيش التوشيح**) حين نشر مقالة عنه وعن **توشيع التوشيح** للصفدي، في: مجلة «أرابيكا» سنة 1955. ينظر:

* Stern, S. M. (1955), Two Anthologies of Muwassah poetry: Ibn al-Hatib`s Gays al-tawsih and al-Safadi`s Tawsi` al-tawsih, Arabica, ii: 150-192.

بالمتن موشحتين ليستا من أصل الكتاب"[1]، ولهذا يرى ألن جونز أن تحقيقه الجديد للكتاب لن تؤثر فيه الطبعةُ السابقة بسبب عدم كفايتها.

4 ـ **الخطوط والتهجئة**: نُسخت كل مخطوطة بيد ناسخ واحد، وهي مكتوبة بالخط المغربي، وكان النَّسخُ محرّفاً في مواضع الخرجات الرومانثية، ويُرجِع جونز ذلك إلى أن النُّسَخ التي نقل النُسّاخُ منها قد تكون محرفة، وربما أضافوا إليها أغلاطهم هم أيضاً.

5 ـ **التحقيق**: أحال ألن جونز إلى مقدمة (**عدة الجليس**) التي كان قد بيَّن فيها أهمية التحقيق البليوغرافي في نشر النصوص العربية؛ ولا سيّما أن مثل هذه النصوص تضمنت خرجات رومانثية ومفردات من اللهجة العامية الأندلسية، من أجل إخراجها ونشرها على صورتها كما وردت في الأصل المخطوط. لذلك نشر ألن جونز النص بحروف عربية وفق الخط المغربي؛ " لأنه من المفارقة بمكان أن تُكتَب النصوص المغربية بحروف مشرقية"[2].

6 ـ **حواشي التحقيق**: وهي مكتوبة باللغة العربية، مع بعض استثناءات بالعبرية واللاتينية، كما أن الحواشي مختصرة، وتقتصر على بعض التصويبات.

وقد أتبَعَ ألن جونز مقدمةَ التحقيق بصور شمسية للمخطوطات الثلاث المعتمدة في التحقيق ثم صور شمسية للخرجات الرومانثية في المخطوطات الثلاث؛ ليتبين القارئ اختلاف النسّاخ في كتابة النص الواحد.

وكان اعتماد ألن جونز على الصور الشمسية للمخطوطات من ميزات وصف المخطوط لديه[3]، وهو العمل نفسه الذي كان قدمه جونز من قبل في كتابه (**الخرجات الرومانثية**) سنة 1988، إذ يبدو جونز مهتماً إلى حدٍّ بعيد بفكرة المحافظة على النص المخطوط بحيث لا يجوز أن يمسَّه المحققُ بتغيير، وهو في ذلك يوافق السائد لدى معظم المستشرقين في تحقيقهم للنصوص العربية.

(1) Jones, Alan (Ed.), (1997), ***The Jaysh al-Tawshih of Lisan al-Din Ibn al-Khatib,*** Introduction pp. 9-10.

(2) Jones, Alan (Ed.), (1997), ***The Jaysh al-Tawshih of Lisan al-Din Ibn al-Khatib,*** Introduction p.13.

(3) برجشتراسر، (1982)، **أصول نقد النصوص ونشر الكتب**، ص 13.

المبحث الثاني: قواعد ترجمة النصوص

ربما تكون الترجمةُ عملية لا غنى عنها في الرقي الثقافي والعلمي وفي التفاعل بين الحضارات اللاحقة والسابقة، وقد بقي للترجمة دورُها في دعم نشاط المستشرقين وبحوثهم بعد أن تجاوزت أوربا مرحلة ترجمة الآثار العلمية العربية وتَمَثُّلها في بناء نهضتها الحديثة؛ إذ كانت ترجمة الأعمال الشرقية ـ ولا سيّما العربية ـ إلى اللغات الأوربية عاملاً عظيم الأهمية في تعزيز الدراسات الاستشراقية.

وقد عمل بعض المستشرقين في بريطانيا من المهتمين بالتراث الأندلسي على ترجمة النصوص الأندلسية المختلفة إلى الإنجليزية، وسنحاول الوقوف على تلك النصوص لاستجلاء أثر تلك الترجمات في التعريف بالأعمال الأندلسية وبيان منزلتها في نمو الاهتمام بالدراسات الأندلسية في بريطانيا.

إن ضياع بعض المعنى في أثناء الترجمة أو تباين الترجمات المنجَزَة هو شيء ممكن جداً، وغني عن البيان أن النصوص الأدبية بنوع خاص تحتاج إلى مهارة خاصة من أجل الإبقاء قدر الإمكان على النص ومعانيه وإيحاءاته وتأثيراته في لغة الهدف كالنص بلغة المصدر.

وليس من المتوقع أن تكون ترجمات النصوص الأندلسية إلى الإنجليزية على مستوى واحد؛ لاختلاف المترجمين واختلاف النصوص المترجَمة، هذا إلى جانب أن تلك الترجمات تنتمي إلى حقبٍ زمنية متعددة، فهناك ترجمات تنتمي إلى القرن السابع عشر، وأخرى تنتمي إلى نهاية القرن العشرين. وخلال تلك القرون طرأت مستجدّاتٌ في اتجاهات الترجمة ونظرياتها تتطلب من المترجم أن يأخذها في الحسبان.

وقد شهدت العصور الوسطى ظروفاً أدت إلى الارتفاع بمستوى الترجمة نظرياً وتطبيقياً في خضم العمل على ترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية في أوربا، ثم حين ازدهرت العلوم الإنسانية والطبيعية ـ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وظهرت مناهج فكرية جديدة ـ ارتفعت الترجمة إلى مستوى خالفت فيه ما كان سائداً فيما مضى(1)، وأخذت تنحو نحو

(1) ينظر حول تاريخ الترجمة الباب الأول بعنوان: تطور الفكر الترجمي في أوربا، في: محمد، فوزي عطية (1977)، **علم الترجمة: مدخل لغوي**، القاهرة: دار الثقافة الجديدة. ص27–68.

الاهتمام بالقارئ؛ أي بإيصال النص إليه بصورة مؤثرة ومناسبة: كان آربري مثلاً الذي اشتهر بترجماته الشرقية ـ ومنها ترجمة بعض النصوص الأندلسية ـ يهتم بقارئ الترجمات الشرقية على نحو خاص؛ إذ يرى أن هذا القارئ ينبغي أن تتوافر لديه بضعة شروط، منها « ألا يطمع في أن يصل إلى مرتبة التذوّق الحي لكل ما يقرأ إلا إذا تعلم شيئاً عن طبيعة اللغة والأدب اللّذين تمت منهما هذه الترجمات... وأن هذه الترجمات يجب أن تُتَذوَّق تذوقاً لا أن تُزدرَد ازدراداً »(1)، في إشارةٍ إلى أهمية التدرّج في تذوق الآداب الأخرى واستساغتها.

ولا تخرج ترجمة الأعمال الشرقية عن مظاهر حركة الترجمة واتجاهاتها في أوربا، لذلك يلاحظ أن ترجمة الأعمال الأندلسية قبل القرن العشرين كانت تنحو تجاه الترجمة الحَرفية، مع أخذ القارئ الغربي بعين الاهتمام؛ لأن المترجِم جعل همَّه محاولة نقل إيحاءات اللغة العربية إليه ونقل مجازاتها وأساليبها على أفضل وجه. أما بقية الأعمال الأندلسية التي قام على ترجمتها المستشرقون والباحثون في بريطانيا؛ فتنتمي إلى إنجازات القرن العشرين، الذي بدأت تتضح فيه بين المستشرقين أصول نشر النصوص العربية وترجمتها.

كانت الترجمة وسيلة من الوسائل التي أعانت المستشرقين والباحثين في بريطانيا على دراسة الأدب الأندلسي والتعريف به، وقد بدأت ترجمة الأعمال الأندلسية هناك مبكراً منذ القرن السابع عشر حين تُرجمت (**حي بن يقظان**) إلى اللاتينية، ولا نطيل الوقوف على سبب اختياره للغة اللاتينية؛ لينقل إليها النص العربي؛ فهذا مفهوم في ضوء الظروف الثقافية والعلمية التي كانت فيها اللاتينية لغة الثقافة والعلم في ذلك الزمان، بل إنه علاوة على ذلك كانت ترجمتها إلى اللاتينية سبباً في انتشارها السريع في الأوساط العلمية خارج بريطانيا؛ وفي تأثيرها ببعض أعلام ذلك الزمان في إنجلترا مثل: جون لوك (ت1704) وأعلام جماعة الأصحاب «الكويكرز»(2).

أما سايمون أوكلي فاختار ترجمة (**حي بن يقظان**) إلى الإنجليزية في بدايات القرن الثامن

(1) خطاب، صدقي (2000)، فن الترجمة وفن قراءتها، في: **قضايا الترجمة وإشكالياتها**، (ص171–184)، سلسلة أبحاث المؤتمرات (8)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص173.

(2) Russell, G. A. (1994), The Impact of the Philosophus Autodidactus: Pocockes, John Locke and the Society of Friends. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of The Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp. 224-265), Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

عشر بدلاً من اللاتينية، وكان قبل ذلك قد نشر كتابه **(تاريخ العرب السراسنة)** كذلك باللغة الإنجليزية؛ إذ يبدو أنه أراد من نشر أعماله باللغة الإنجليزية أن تصل إلى أكبر عدد من القراء المثقفين في بلاده وألا تبقى أسيرةَ دوائر النخبة المتعلمة فقط التي كانت تعرف اللاتينية، كما أنه كان يجاري في زمانه موجة صعود الآداب المحلية والعناية باللغات القومية.

أما مهمة الترجمة التي اضطلع بها أوكلي؛ فإن تمهيده المختصر للكتاب يقفُنا على أن ما دفعه إلى ترجمته على الرغم من وجود ترجمتين إنجليزيتين سابقتين لـ **(حي بن يقظان)**؛ هو أن تلكما الترجمتين تفتقدان روح المؤلف الحقيقية؛ لأنهما ترجمتا النصَّ من الطبعة اللاتينية، وليس من النسخة العربية لجهل المترجمين باللغة العربية[1]، في حين ترجم هو القصة من اللغة العربية، وهذا ما يعطي للترجمة قيمتها؛ لأن الترجمة عن الترجمة ستجعل النص يفقد الكثير من روح صاحبه في أثناء نقله من لغة إلى لغة ثانية ثم إلى ثالثة. ولم تكن أصول ترجمة النصوص العربية في ذلك الوقت محددة تماماً بين المستشرقين، فما زال بهم التردد بين الترجمة الحَرفية وبين ترجمة المعنى وروح النص، كما لم يكن دافعه إلى ترجمتها احتفاله بالتراث الأندلسي بقدر ما كان رغبته في أن يُجَنِّب القارئ الاستعمال السيئ للكتاب، نتيجة قراءته للترجمات السابقة، ويجدر بنا أن نتذكر أن «الكويكرز» قد أُعجبوا إعجاباً كبيراً بالكتاب حتى أصبح دستوراً لهم لبعض الوقت إلى أن ألغي الاعتماد عليه، واختفى من أدبياتهم[2].

ولا يبدو انصرافُ أوكلي إلى بيان أصول الترجمة التي اتبعها في عمله في الكتاب جلياً، كمثل انصرافه منذ تقديم الكتاب إلى تحذير القراء ولفت انتباههم إلى أن هذه الرواية هي لمؤلف عظيم؛ لكنها تحتوي بعض الشروح (للسُّنَّة المحمدية) التي يأمل في ألا تربك القارئَ وتحيره، ولذلك فإنه يسعف اضطراب القارئ بإضافة ملحق توضيحي[3] في نهاية الكتاب؛ ليكون عوناً له على استدراك ما قد يصيبه من اضطراب وحيرة من قراءة مثل هذه القصة.

(1) Ockley, Simon (Tr.) (1708), ***The Improvement of Human Reason***, p. Preface.

(2) ينظر: صالح، مدني (1973)، ابن طفيل: من اللاهوت إلى الرواية الإنكليزية، ص6–7

(3) Ockley, Simon (Tr.) (1708), ***The Improvement of Human Reason***, pp. 167-195.

وهكذا لم يلتفت أوكلي في ترجمته لـ (**حي بن يقظان**) إلى غير مضمونها الذي غطى على كل شيء آخر. ابتدأ أوكلي بترجمة القصة من خطبة المؤلف، ولم يقدم المترجمُ بين يدي الترجمة بمقدمة يشرح فيها عمله، كما لم يأتِ في تقديمه الموجز للكتاب على ذكر النص الأصلي الذي ترجم عنه: هل هو النص العربي المطبوع أو هو الأصل المخطوط؟ ولم يأتِ على ذكر مشكلات الترجمة من العربية والمشكلات التقنية التي يتعرض لها المترجمون عادة عند اشتغالهم بالترجمة عن العربية، كمسألة كتابة الحروف العربية ومقابلها بالحروف اللاتينية، وهذا يؤيد أن نشر التراث العربي قبل القرن التاسع عشر كان بسيطاً نوعاً ما.

أما الصفحات المترجمة فكان أوكلي يعلّق فيها على بعض العبارات الواردة في النص من مثل عبارة البسملة والشهادتين، والتعريف الموجز ببعض أعلام الفلاسفة المسلمين... ثم انشغل بترجمة النص ترجمة حرفية، ولم يقدم تعليقات كثيرة للقراء الذين يبدو بوضوح أنهم لا يعرفون شيئاً ذا بال عن إسبانيا الإسلامية؛ لكنه لم يدّخر وسعاً في وَسم المسلمين بالسمات التي كانت تميز تصوّرات الغربيين في عصره عن التاريخ الإسلامي والمسلمين.

وبعد مئتي سنة على تلك الترجمة نُشرت أجزاء من (**حي بن يقظان**) بعنوان (**يقظة الروح**) ترجمها بول برونله إلى الإنجليزية من النص العربي، كما تشير إلى ذلك صفحة العنوان، وهذه الترجمة هي عمل خارج إطار الهيئات الجامعية البريطانية؛ فقد نُشرت في سلسلة "أرادت أن تجعل من الكتب سفراء للنوايا الطيبة والتفاهم المتبادل بين الشرق والغرب"(1)، وتهتم بنشر الأعمال الشرقية التي ترى فيها ما هو متوائم وهذا الهدف. ولذلك فقد اختارها المترجم؛ لأنها من واحدة من أروع نتاجات الفلسفة العربية وأكثرها جاذبية للقراء(2).

وقد استهل المترجم عمله بموقف إيجابي تجاه النص، على النقيض مما وجدناه لدى أوكلي؛ لأن (**حي بن يقظان**) في نظره قدَّمت مثالاً على منزلة الفلسفة العربية ببساطتها ووضوحها من جهة وبالقضايا العميقة التي ناقشَتها من جهة أخرى. أما عمله فهو تقديم ترجمة انتقائية لمختارات من القصة فقط، وليس كلها؛ ولهذا اختار المترجم ما رآه أجمل الفصول إمتاعاً للقارئ، لكنه استدرك هذا النقص في المقدمة التي عرض فيها ملخصاً للقصة

(1) Bronnle, Paul (1907), ***The Awakening of The Soul***, p. Editorial Note.
(2) Ibid, p. 9.

كاملة. وهذا يشير من جديد إلى الاهتمام بمضمون **(حي بن يقظان)** أكثر من أي شيء آخر فيها في الأوساط المثقفة في بريطانيا.

ثم حقق فولتون ترجمة أوكلي الإنجليزية لـ **(حي بن يقظان)**، ونشرها عام 1929، وصدَّر الكتابَ بمقدمة موسعة تناول الحديث فيها عن وجود المسلمين في الأندلس، ووقف عند حياة ابن طفيل وعصره، ثم قدم ملخصاً للقصة. أما عمله في تحقيق الترجمة فكان محاولة لتصحيح بعض هفوات أوكلي التي وقع فيها، وقد اعتمد في هذه التصويبات على مقابلة ترجمة أوكلي بالنص العربي للرسالة بتحقيق الفرنسي ليون جوتييه[1] التي يعدها فولتون "أفضل من الأصل العربي الذي اعتمد عليه أوكلي حين ترجمه"[2].

وقد قام فولتون بحذف خطبة ابن طفيل التي كتبها بين يدي **(حي بن يقظان)**؛ لأن فولتون ببساطة وجد أن ليس فيها ما يثير الاهتمام[3]، وربما وجد سنداً له في ذلك في قيام جورج آشويل بحذفها من ترجمته الإنجليزية لها سنة 1686، وحذفها أيضاً من الطبعة الثانية لترجمة أوكلي لها التي صدرت سنة 1731.

ومن الترجمات الإنجليزية للنصوص الأندلسية في بداية القرن العشرين العمل الذي قدمه نيكلسون في نشر ديوان **(ترجمان الأشواق)** لابن عربي وترجمته إلى اللغة الإنجليزية، وهي ترجمة قائمة على الاختصار وانتقاء المترجم للفقرات المهمة والممتعة من الكتاب[4].

وقد أتى نيكلسون بالنص العربي للقصائد بحروف عربية، وأعطى لكل منها رقماً، واحتلت الأشعار بالعربية بداية الكتاب الصفحات10–47، ثم أتبعها بالترجمة الإنجليزية للأشعار ثم بترجمة شرح ابن عربي لديوانه؛ واحتلت الصفحات 48–149. فكأن الكتاب يقع في جزأين: جزء بالعربية وآخر بالإنجليزية.

ويخالف ذلك ما كان سائداً لدى المستشرقين من قبل في نشر النصوص المترجمة ـ ولا

---

(1) صدرت تلك الطبعة في الجزائر سنة 1900، وألحق بها المحققُ ترجمةً باللغة الفرنسية.
(2) Fulton, A. S. (Ed.), (1929), ***The History of Hayy Ibn Yaqzan,*** p.33.
(3) Ibid, p.37.
(4) Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq,*** p. 9.

سيّما المدرسة الفرنسية [1] ـ من ضرورة تطابق الترجمة مع النص الأصلي: وذلك بأن يُنشر النص بالعربية في صفحة من الكتاب وعلى الصفحة المقابلة تنشر الترجمة، وهكذا صفحة بصفحة.

وعلى مثل هذه الطريقة كان كارلايل قبل ذلك قد نشر مقطوعات أندلسية في مختاراته من الشعر العربي[2]، حيث جعل الكتاب في جزأين: جزء للنصوص العربية كما وردت في أصولها، وجزء للترجمة الإنجليزية يبدأ بترقيم جديد للصفحات، جعله كأنه وحدة قائمة مستقلة في الكتاب؛ إذ أضاف إليه زيادات على النص المنشور بالعربية حول ملابسات القصائد والمقطوعات الشعرية؛ لأنه يتوجه إلى القارئ الغربي الذي يحتاج إلى مزيد من التوضيح؛ ليفهم أجواء النصوص العربية.

ومن الأعمال المتصلة بالأدب الأندلسي التي تُرجمت مطلع القرن العشرين إلى الإنجليزية في بريطانيا، (**قصائد المعتمد ملك إشبيلية**) سنة 1915، وهي من منشورات سلسلة حكمة الشرق التي أصدرت من قبل (حي بن يقظان) بعنوان (**يقظة الروح**)، ويلاحظ في هذه الترجمة أنها قائمة على الاختيار والانتقاء، وربما يعود السبب أيضاً إلى المساحة المخصصة للكتاب في تلك السلسلة التي تنشر الآداب الشرقية في كتب ذات حجم محدود، فكان عمل المترجِمة منصبّاً على اختيار بعض القصائد من أشعار المعتمد، اعتمدت في جمعها دون استقصاء على مصادر عربية لم تحددها؛ وعلى مصادر مترجَمة، منها مجموعة أشعار للمعتمد ترجمها إلى الألمانية المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر ـ برجشتال (ت1856)[3].

أما عند الانتقال إلى الأعمال الأندلسية المترجمة إلى الإنجليزية منذ النصف الثاني من

(1) ينظر في ذلك: بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان، (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص36.

(2) Carlyle, J. D. (1796), ***Specimens of Arabian Poetry, from the Earliest Time to the Extinction of the Khaliphat.***

(3) الذي نَشَر في فيينّا كتاباً عن الأدب العربي بين الأعوام 1850–1856 في 7 مجلدات، وأعدَّ قائمة بالشعراء الأندلسيين والشاعرات الأندلسيات الذين ورد ذكر بعضهم في المجلد الرابع والكثير منهم في المجلد الخامس، وفي المجلد السادس ذكر المعتمد وبعض أشعاره. ينظر:

* Nykl, A.R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry***, p. xviii, no. 15.

القرن العشرين؛ فإننا نلاحظ أن تلك الأعمال كانت من إنجاز أعضاء في الهيئات والمعاهد العلمية البريطانية من الأساتذة، وهي نماذج للاتجاه نحو استقرار قواعد خاصة تحكم ترجمة النصوص العربية التي اصطُلح عليها بين المستشرقين.

وتعد مقدمة الترجمة الإنجليزية لـ (**رحلات ابن جبير**)(1) التي كتبها برودهيرست سنة 1952 مثالاً نموذجياً لقواعد ترجمة النصوص العربية إلى الإنجليزية التي يسير عليها المستشرقون في ترجمة النصوص العربية، والصعوبات التي قد تعترض المترجم في أثناء هذا العمل. فقد كان يحاول في عمله هذا أن يقدم ترجمة حَرفية قدر الإمكان تفيد العلماء والمؤرخين وطلبة اللغة العربية في آن واحد(2)، وتساهم أيضاً في تنمية الاهتمام بالعالم الإسلامي بين الإنجليز، مع يقينه بأن ذلك يصطدم بصعوبات جمة عند محاولة نقل إيقاع العربية وقوافيها وأسجاعها إلى لغة أخرى، وهي مشكلة تعترض سبيل المترجمين في الترجمة الأدبية.

وعلى عادة المحققين في مقدمات التحقيق؛ أعطى برودهيرست وصفاً للأصل الذي ترجم عنه، وهو طبعة وليم رايت، وأحال إلى مقدمة رايت حول تفاصيل الأصل المخطوط ومنهج تحقيقه. أما الخطوات التفصيلية التي اتبعها في الترجمة فقد فصَّلها في ختام تقديمه للكتاب(3).

إن هذه القواعد قد ساهمت في إخراج طبعة جيدة من ترجمة (**رحلات ابن جبير**)، وهي تعدّ من الإضافات الواضحة في الدراسات الأندلسية في بريطانيا في النصف الثاني من القرن العشرين؛ إلى جانب بعض الترجمات الأندلسية التي ظهرت في بريطانيا فيما بعد، وكان منها الأعمال المترجمة التي قدمها آرثر جون آربري لـ (**طوق الحمامة**) **و** (**رايات المبرزين**).

ويستوقفنا اختيارُ آربري العناوين الفرعية للكتابين؛ وهي عادةٌ درج عليها المستشرقون في اختيار عنوان فرعي للكتاب؛ إذا ما كان العنوان بالعربية غير مفهوم للقارئ الغربي أو

(1) وهي ترجمة للنص المطبوع بالعربية عن دار بريل في هولندا، الذي نشره وليم رايت سنة 1852، وراجعه سنة 1907 الهولندي دي خويه M. J. De Goeje (ت1909).

(2) Broadhurst, R. J. C. (1952), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** p. 20.

(3) Broadhurst, R. J. C. (1952), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** pp. 21-22.

يثير سخريته[1]. فقد اختار لـ (**طوق الحمامة**) عنواناً فرعياً هو (رسالة في فن الحب العربي وممارسته)، وهو عنوان يبدو فجّاً للقارئ العربي، وربما كان مثيراً للقارئ الغربي؛ لكنه على كل حال ليس معبراً عن مضمون ذلك العمل الأدبي ومحتواه، ولا يفي منزلة الكتاب حقّها، ولا يشي بحقيقته أمام القارئ الغربي.

أما (**رايات المبرزين**) فاختار له آربري عنوان: Moorish poetry: A Translation of the Pennants An Anthology compiled in 1243 by Ibn Sa`id، مستعملاً كلمة (Moorish) لوصف الشِّعر في الأندلس، وهو مصطلح غريب في هذا السياق؛ إذ لا يوجد شيء اسمه (Moorish poetry)، نعم إن صفة (Moorish)، كانت مستعملة في الدلالة على الإسلام في إسبانيا؛ إلا أن المصطلح كان محصوراً تقريباً في وصف فنون الصناعة والعمارة الإسلامية هناك، وربما وُصِفت الأندلس نفسها بـ Moorish Spain أما أن تُلحَق هذه الصفة بالشعر الأندلسي فهذا شيء غير معتاد، وليس له مدلول واضح يؤديه[2].

ويبدو آربري ميالاً إلى الترجمة الحَرفية للنص النثري والشعري كما في اللغة المصدر، واختار ترجمة الشعر العربي إلى شعر إنجليزي؛ لأنها في نظره أسهل من شرح الشعر بعبارات نثرية قد لا تروق القارئ الغربي الذي يرغب في الاطلاع على حقيقة العقل العربي من خلال موضوع الحب[3]. ولا يغيب عنا أن آربري إنما كان يقدم كتابه للقارئ العام، وقد نجح في مسعاه هذا؛ لأن لغة الترجمة كانت ميسورة ومفعمة بالحيوية، وتناسب عامة القراء[4].

وقد امتدح بعضُ الباحثين أسلوبَ آربري في ترجماته للآداب الشرقية عامة والعربية منها خاصة؛ بأن سرَّ نجاحه يعود إلى مهارته في أن يمنح القوافي أناقة لافتة قد لا يبلغها النصُّ

(1) ينظر في ذلك: بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان، (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص35.

(2) ينظر المبحث الرابع من هذا الفصل عن: مصطلح الأندلس.. كما ينظر:

* Abu Haidar, Jareer (2001), ***Hispano-Arabic Literature***, p. 240.

(3) Arberry, A.J. (Tr.), (1994), ***The Ring of the Dove***, p. 14.

(4) R. B. Serjeant (1954), The Ring of the Dove by A. J. Arberry; Ibn Hazm An Anthology of Moorish Poetry by A. J. Arberry; Andalusian Ibn Sa'id, ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London***, Vol. 16, (1), p.191.

العربي نفسه[1]، وربما كان في قوله مبالغة إلا أنها تفصح عن أن آربري استطاع بترجماته أن يحقق ما يسمى في عالم الترجمة «التعادل النسبي» أو «التقارب»[2] بين العمل الأدبي والنص المترجَم.

أما ترجمته لكتاب (**رايات المبرزين**) فإنه ترجم فيها المقطوعات الشعرية فقط، وفي بعضها اكتفى بمجموعة من الأبيات لا كلّها، كما أنه لم يترجم مثلاً كلام ابن سعيد بين يدي الأبيات التي اختارها في كتابه، ويعطي المترجمُ للمقطوعات عناوين من عنده، وقد يضيف تعليقات بعد الأبيات توضح مناسبة النص وغيرها من ظروفه. أي إنه اتجه في الترجمة نحو الاختيار والانتقاء؛ ليقدم للقارئ الغربي نماذج من الأدب الأندلسي تحوز إعجابه.

وإلى جانب ترجمة الكتب الأندلسية كان لبعض الباحثين في بريطانيا اتجاه لنشر مقتطفات من الشعر الشعبي الأندلسي: الموشحات والأزجال على صفحات الدوريات العلمية المهتمة بالتراث الأندلسي، وتأتي المقالاتُ العديدة التي نشرها شترن مثالاً على هذا التوجّه، قدم فيها نماذج من الموشحات والأزجال الأندلسية لم تنشر من قبل وترجمها إلى الإنجليزية. والنماذج الأخرى من شعر الموشحات الأندلسية قام على ترجمتها باحثون في بريطانيا في مقالاتهم وبحوثهم المنشورة في الدوريات وأعمال المؤتمرات. كما كان أسلافُهم من قبل من روّاد المستشرقين ترجموا بعض شعر الأندلسيين، وتمثله بعض المقطوعات في المختارات الشعرية التي قدّمها نيكلسون وآربري في الكتب المعدّة للطلاب في أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات البريطانية.

وبعد، فإن عمل المستشرقين في بريطانيا على ترجمة بعض الأعمال من التراث الأندلسي لم يكن يخرج غالباً عن دائرة المتخصصين بالدراسات العربية؛ « إذ إن الترجمات

(1) ينظر:

* G. E. von Grunebaum (1953), Moorish Poetry: A Translation of The Pennants, an Anthology Compiled in 1243 by the Andalusian Ibn Sa`id by A. J. Arberry, **Speculum,** Vol. 28, (4). pp. 856-857.

(2) ينظر: عبدو، عبده (1995)، **هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي**، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب. ص61.

عن الأدب العربي...تتم في دائرة محصورة لا تتعدى أقبية المستشرقين إلا نادراً، وتتم طباعة المترَجَمات في دائرتها، والكميات المطروحة منها لا تتجاوز ألف نسخة!»[1]. وهذا يؤيد أن المستشرقين كانوا عادة ما يكتبون لأنفسهم ولبعض القراء المهتمين بالشرق، وهم يضعون قراءهم من الأوربيين في الاعتبار الأول، ويغلب على تلك الترجمات ميل المترجمين إلى تقديمها على نحو يلائم ذوق القارئ الغربي من حيث محتواها وعرضها.

ولا يسعنا إلا ملاحظة أن حركة نقل الأعمال الأدبية العربية ـ ومنها الأندلسية ـ وترجمتها إلى الإنجليزية؛ كانت تجري في إطار حركة الاستشراق، وقد « تميزت هذه الحركة النقلية بطبيعة العلاقة بين الناقل والمنقول عنه...إنها علاقة غالب بمغلوب، وهي بذاك ليست علاقة قائمة على الندية، وهذا له أثره الفعال في التعامل مع أدب الآخر»[2]؛ إذ تكشف المقدمات النقدية ـ التي صدَّر بها المترجمون الترجمات الإنجليزية للأعمال الأندلسية ـ عن بعض الأحكام الاستشراقية التي لا تغيب عن نوايا المترجم بقصد أو دون قصد منه، التي يطبعها على النص العربي الذي يقدمه للقارئ الغربي؛ ودور تلك الأحكام في استقبال القارئ لهذا النص.

إن المقدمة النقدية التي يصدِّر بها المترجم عمله تساعد المتلقي على استقبال النص الأندلسي ـ وهو أدب غريب عنه بكل الأحوال ـ استقبالاً حسناً يلقى القبول؛ إذ لا تكفي الترجمة وحدها. وكان المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (ت1973) قد اهتم بالمقدمة أو التمهيد الذي يقدَّم بين يدي المخطوطات العربية المترجمة للقراء الأوربيين، بأن يسعى المترجم فيه إلى تقديم خلاصة مكثفة للعمل الأدبي أو المصدر العربي؛ وإلى جعل النص متيسراً للقارئ غير المستشرق إذ « ينبغي للترجمة أن تُصَمَّم على أساس الاكتفاء بنفسها، ولا ينبغي أن تكون شرحاً ساذجاً للنص ولا ترجمة حرفية له»[3].

إن الجهود التي بذلها المستشرقون والباحثون في بريطانيا في نقل التراث الأندلسي إلى

---

(1) جبريل، محمد، (2000)، الترجمة نظرة مستقبلية، (ص273–282) في: **ندوة قضايا الترجمة وإشكالياتها**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص279.

(2) الجزار، المنصف (1989)، الترجمة الأدبية، (ص107–144)، في: **الترجمة ونظرياتها**، إعداد: كمال عمران وآخرون، تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة). ص123.

(3) بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**، ص66.

اللغة الإنجليزية؛ تبدو محدودة إذا قوبلت بما قام به نظراؤهم الفرنسيون والإسبان مثلاً، ولا ينفي ذلك أن تلك الجهود هي جزء من تيار ما زال يتسع ويتنامى باتجاه دراسة التراث الأندلسي في بريطانيا.

المبحث الثالث: مرجعية دراسة التراث الأندلسي

لم تكن السبيل ممهدة أمام المستشرقين الأوربيين الذين أقبلوا على دراسة التراث الأندلسي، بل إنها كانت مجهولة حتى أزال غموضَها روادُ الدراسات الأندلسية على مدى نحو قرن كامل ابتداء من القرن التاسع عشر.

لكن بريطانيا لم تعدم في ذلك الوقت بضع محاولات للكتابة عن الوجود الإسلامي في إسبانيا، إذ نُشرت خلال القرن التاسع عشر في بريطانيا مجموعة من الكتب عن تاريخ المسلمين في إسبانيا تماشياً مع الموجة الرومانسية - التي سادت في أوربا - المتصلة بإسبانيا وبقصر الحمراء تحديداً، لكن تلك الكتب لم تسترعِ اهتماماً كبيراً من المستشرقين البريطانيين، الذين كانت معظم اهتماماتهم في ذلك الحِين تُجاري مصالحَ الإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار، ولم يكن هناك التفاتٌ حقيقي إلى دراسة التراث الأندلسي.

كانت مصادر التراث الأندلسي المخطوطة والمبثوثة في مكتبات أوربا قد وجدت طريقاً لها إلى عالم الطباعة مع نهاية القرن التاسع عشر؛ نتيجة لاهتمام بعض الأوربيين بالأندلس وحضارة المسلمين فيها، وتيسرت بذلك مجموعةٌ من المصادر بين أيدي الباحثين الذين توفروا على متابعة البحث في هذا المجال.

وحين بدأ المستشرقون في بريطانيا دراسة التراث الأندلسي - ولا سيّما مع العقود الأولى في القرن العشرين - كانت مجموعة المصادر الأندلسية التي طُبعت قد أزالت عقبات كثيرة أمامهم في سبيل دراسة الأدب الأندلسي، الذي اجتهدوا في البحث فيه فيما بعد معتمدين على مصادر عديدة وفَّرتها لهم جهودُ من سبقوهم في دراسة هذا التراث. وينبغي ألا يغيب عن البال أن بعض المصادر الأندلسية مخطوطة ومطبوعة كانت متوافرة حقاً في المكتبات

البريطانية منذ القرن التاسع عشر[1]، ولكن لم يمكن الإفادة منها تماماً على أيدي الإنجليز، بل أفاد منها غيرُهم.

تتنوع المصادر التي لجأ إليها الباحثون في بريطانيا في دراستهم للأدب الأندلسي، إلى مجموعات ثلاث:

أولاً: مجموعة المصادر العربية الأولية

وهي التي ينبغي أن تكون المعين الأول للمستشرق والباحث في التراث الأندلسي، وقد توافرت المصادر الأندلسية الأولية المتصلة بالأدب الأندلسي من مخطوطة ومطبوعة في المكتبات البريطانية منذ ق19 وإن لم ينصرف إليها الباحثون هناك؛ لانشغالهم ببحوثهم الشرقية حول شعوب الشرق الأخرى. وكان توفر الباحثين البريطانيين - ولا سيّما في بحوثهم المبكرة - على المصادر العربية الأولية قد أعطى بحوثهم قيمة معرفية كبيرة؛ فقد كان من ميزات أطروحة الدكتوراه لشترن في أكسفورد (**الموشح الأندلسي القديم**) سنة 1951 أن صاحبها حين أنجزها في ذلك الوقت كان اقتفى أثر عدد كبير من المخطوطات المتفرقة في المكتبات الأوربية وغيرها؛ من أجل جمع مادة مناسبة، كان منها مجموعة من المصادر غير المشتهرة حينذاك بين الباحثين في التراث الأندلسي.

وقد اجتهد غيره من الباحثين في بريطانيا في جمع مادة النصوص الأدبية الأندلسية تحديداً - مما تيسر لهم من مصادر عربية أولية، ويُحسَب رجوعُهم إليها واتكاؤهم عليها في بحوثهم علامة مميزة لمصلحة نهج أكثر دقة من مناهج من سبقوهم؛ لأن دراسة النصوص نفسها تقود إلى نتائج مختلفة عما تقود إليه دراستها من خلال رؤى غيرهم من المستشرقين وانتماءاتهم.

لكن ذلك لم يكن منهجَهم جميعاً؛ إذ لجأ بعضهم إلى المصادر العربية المترجمة إلى اللغات الأوربية، ويكثر الرجوع إليها لدى الباحثين من غير المستعربين، الذين يستعينون

(1) ينظر مثلاً في فهرس الكتب العربية المطبوعة في المتحف البريطاني:

Ellis, A. G. (1967), ***Catalogue of Arabic Books in The British Library,*** London, Published by The Trustees of The British Museum, (First published 1894).

بها في بحوثهم عن جوانب جديدة من الأدب الأندلسي. وربما لا تنتقص هذه المسألة من نتائج تلك البحوث إذا كانت ذات منهج علمي يُغني دراسة الأدب الأندلسي من زوايا متباينة، بيد أن ذلك لا يمنع من الإقرار بضرورة الرجوع إلى المصادر الأولية باللغة العربية في حال دراسة الأندلس؛ «لكي تتحدث المصادر عن نفسها بنفسها»[1] للقارئ الغربي؛ الذي حيل طويلاً بينه وبين الاستماع لوجهة النظر العربية في الشأن الأندلسي.

ثانياً: مجموعة المصادر الأوربية

وهي المراجع التي أنجزها المستشرقون حول الأندلس؛ فقد كان سَبقُ بعض المستشرقين إلى ارتياد مجال الدراسات الأندلسية سبباً في أن يكون لهم دور رائد في هذا الميدان حافظوا عليه لعقود طويلة، وهو ما فعله مستشرقو إسبانيا وهولندا وفرنسا. وكانت البداية مع الإسباني خوسيه كوندي في كتابه **(تاريخ السيادة العربية في إسبانيا)** الذي نشره بين 1810–1812، وكان كتابُه ترجمة تقريبية لـ**(نفح الطيب)**، وظل هذا المصدر في القرن التاسع عشر مرجعاً عاماً لتاريخ المسلمين في أوربا حتى هاجمه الهولندي دوزي سنة 1849[2].

ثم أصبحت أعمال دوزي في دراسة الأندلس؛ وأهمها كتابه **(تاريخ مسلمي إسبانيا)** الذي صدر بالفرنسية سنة 1861 ـ وتُرجم إلى الإنجليزية سنة 1913 بعنوان Spanish Islam ـ هي السائدة والمسيطرة في عالم الدراسات الأندلسية حتى ثلاثينيّات القرن العشرين[3]. إلى أن قام ليفي بروفنسال بمراجعة الكتاب وتنقيحه وإصداره من جديد سنة 1932 . ثم رأى ليفي بروفنسال أن الحاجة تستدعي كتاباً جديداً، وتمكن قبل وفاته 1956 من إصدار عدة أجزاء من كتابه المسمى **(تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية 711–1031)** [4]، ونال هذا الكتابُ المكانة التي حظي بها من قبلُ كتاب دوزي حتى حين. وقد بيّن فيه أن تاريخ دوزي يتوقف عند دخول المرابطين، وأن العصور التالية من تاريخ المسلمين في الأندلس لم تحظَ بالعناية، ولا يوجد عنها إلا فصول متفرقة هنا وهناك،

(1) Hitchcock, Richard (1986), Hispano-Arabic Historiography: The Legacy of J.A. Conde, p.59
(2) Hitchcock, Richard (1986), Hispano-Arabic Historiography: The Legacy of J.A. Conde, p.63.
(3) Ibid, p.66.
(4) Levi-Provencal, E. (1950), Histoire de l`Espagne Musulmane, Leiden: E. J. Brill.

وتحتاج إلى دراسة شاملة، سيحاول هو أن يؤديها في كتابه[1].

وقد ظلت لهذين الكتابين سطوة كبرى على الباحثين في الدراسات الأندلسية، ولم يتمكنوا من التحرر كلياً من بعض الآراء التي أرستها، ولم يكن الباحثون في بريطانيا استثناء؛ فقد شاع لديهم - ولا سيّما في مستهل القرن العشرين حتى منتصفه - الاعتماد على ما اشتهر من آرائهما تجاه الحقبة الإسلامية في الأندلس وتجاه المنجزات الحضارية للمسلمين هناك، ويظهر ذلك بوضوح حتى لدى كبار المستشرقين الإنجليز أمثال جِب ونيكلسون.

ولم يكن التحرر من أسر تلك الآراء شيئاً سهلاً؛ إلا أنه أصبح ممكناً، ابتداء من النصف الثاني للقرن العشرين، حين طفق المستشرقون في بريطانيا يناقشون الآراء السائدة في البحث الأندلسي، ويقدمون وجهات نظر متميزة يتوسلون إليها بمناهج تختلف عما انتهجه السابقون. وتَظهر الرغبةُ في التحرر من أسر تلك الآراء جليةً في كلام مونتغمري واط في كتابه (**في تاريخ إسبانيا الإسلامية**) الذي صدر سنة 1965؛ أي بعد نحو قرن على صدور كتاب دوزي، قال فيه: إن من الأهمية بمكان العمل على إصدار مراجع جديدة عن تاريخ المسلمين في الأندلس باللغة الإنجليزية، وإن كتابه هذا يعد خطوة على الطريق من أجل رؤية مختلفة[2].

ثالثاً: مجموعة المصادر العربية التي قام عليها باحثون عرب

يميل المستشرقون غالباً إلى الدراسات التي أنجزها زملاؤهم من مختلف المدارس الاستشراقية، بيد أن هذا الاتجاه قد بدأ يتغير في القرن العشرين بمساهمة الباحثين والعلماء العرب بقوة في بعث التراث العربي والعناية بتحقيقه ونشره ودراسته؛ وقد بدأنا نلاحظ أن قوائم المصادر والمراجع المختارة في أعمال المستشرقين البريطانيين عن الأندلس تتضمن أعمالاً للباحثين العرب الذين كان لهم بصمة مميزة في دراسة التراث الأندلسي، وربما كان من أوائل الإشارات إلى مرجع عربي لدى الباحثين الإنجليز في الأدب الأندلسي الإشارة إلى

(1) ليفي بروفنسال، إيفاريست (2000)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية** (711–1031)، ترجمه عن الإسبانية: علي عبد الرؤوف وعلي إبراهيم المنوفي والسيد عبد الظاهر عبدالله، (ط3)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص39–40.

(2) ينظر عن ذلك: وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص185–186.

العمل الذي أنجزه جودت الركابي (1913) في تحقيق (**دار الطراز في صناعة الموشحات**)، وإلى عمل عبد العزيز الأهواني (ت1975) في دراسة الزجل والموشحات الأندلسية، وإلى الأعمال التي قدمها إحسان عباس (ت2003) في التراث الأندلسي بحثاً وتحقيقاً.

ويتجلى الميل إلى المراجع والدراسات العربية في أن هيتشكوك قد أضاف إلى ملحق كتابه[1] عن بحوث الخرجات والموشحات الأندلسية قسماً جديداً، جعله للبحوث الصادرة عن الموضوع باللغة العربية، وهو يمثل رصداً لإنجازات الباحثين العرب في هذا المجال تحديداً من الأدب الأندلسي؛ مجال الموشحات التي لا يستطيع المستشرقون والباحثون الأوربيون تجاوزها في الوقت الراهن.

ويشير ذلك ـ فيما يشير إليه ـ إلى تغير الرؤى الاستشراقية التي كانت تعيش في أبراجها العاجية، وتصدر عن نزعة عرقية متفوقة لا ترى في الشرق إلا موضوعاً للدرس وللتعامل معه بغية امتلاك السيادة عليه[2] وليس كياناً يحيا بأهله، ويشير إلى النظر بعين التقدير لجهود الباحثين العرب في خدمة التراث العربي والأندلسي تحديداً.

وفي هذا السياق أصبح المجال مفتوحاً الآن لغير المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية أو الدراسات الشرق ـ أوسطية؛ إذ إن بعض الباحثين العرب قد أصبحوا جزءاً حقيقياً من المؤسسة الاستشراقية نفسها بانضمامهم إلى الجامعات البريطانية، وأصبحت جهودُهم العلمية والبحثية ـ التي يعودون فيها إلى دراسات الباحثين العرب المعاصرين ـ محل اهتمام زملائهم الأوربيين في المؤسسات العلمية.

ويمكن أن نضيف مجموعةً أخرى من المصادر في دراسة الأدب والتراث الأندلسي في بريطانيا، وهي تنتمي إلى فئة المصادر غير المعتادة، وهي ليست مصادر أدبية تماماً، وإنما يُستَفاد منها في إضاءة جوانب من حضارة المسلمين في الأندلس، كما تعمل على إغناء البحث والدراسات الأندلسية في بريطانيا بنتائج جديدة ورؤى مختلفة. ويدخل في هذه المجموعة من المصادر:

(1) Hitchcock, Richard and Lopez-Morillas Consuelo (1996), ***The Kharjas: A critical Bibliography,*** Supplement No.1. London: Grant & Cutler Ltd.

(2) سعيد، إدوارد (1995)، **الاستشراق**، ص39.

* المصادر الأثرية كالمسكوكات والعملات النقدية، وقد اعتمد عليها ديفيد ويسرستين في أطروحة كتابه[1]:

الخلافة في الغرب: المؤسسة السياسية الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية

* مجموعة من المنمنمات والصور والنوتات الموسيقية التي اعتمد عليها مثلاً ديفيد ولستان[2] وأوين رايت[3] في بحوثهما عن الموسيقا الأندلسية والصِّلات بين الموسيقا الإسبانية والموشحات.
* الآثار المعمارية الإسلامية في الأندلس وهي من اهتمامات جيمس دكي.
* المؤلفات والمخطوطات المكتوبة بالخميادية، وهي من اختصاص باتريك هارفي[4].

المبحث الرابع: مصطلح الأندلس في الدراسات الأندلسية في بريطانيا

يعد انتقاء المصطلحات جزءاً لا يتجزأ من خطاب المستشرق والباحث الغربي تجاه مسألة البحث في التراث الشرقي، وهو يكشف مبدئياً عن موقفه تجاه موضوع البحث، وقد تعددت المصطلحات المستعملة لدى المستشرقين البريطانيين في حديثهم عن الحضارة والأدب الذي أنتجته الحقبة التي كانت فيها إسبانيا تحت حكم المسلمين، ويرجع هذا التعدد إلى اختلاف القرون التي جرت فيها دراسة هذا الموضوع، وقد كانت الكتابات قبل القرن التاسع عشر تكتفي ببساطة بمصطلح إسبانيا (Spain) إشارة إلى الأندلس، وأخذت

(1) Wasserstein, David (1993), *The Caliphate in the West: An Islamic Political Institution in the Iberian Peninsula,* Oxford: Clarendon Press.

(2) Wulstan, David (1982), The Muwassah and Zagal Revisited, ***Journal of the American Oriental Society,*** Vol. 102(2), pp. 247-64.

(3) Wright, Owen (1998), Music in Islamic Spain, In: Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994). ***The Legacy of Muslim Spain,*** 2 vols. (vol.2, pp. 555-579), Leiden, New York, Koln: E.J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).

وبالعربية: رايت، أوين (1998)، الموسيقى في الأندلس، في: الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، جزآن،(ج1: 803–835)، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

(4) ينظر الملحق الأول لمؤلفات المستشرقين والباحثين البريطانيين المهتمين بالتراث الأندلسي.

إسبانيا فيما بعد توصف بأنها إسلامية أو عربية في سياق الكتابات التي بدأت تعالج الحقبة الإسلامية في إسبانيا، كما يتضح في عناوين المؤلفات التي صدرت عن الأندلس في بريطانيا، وكانت تلك الأوصاف قد ترواحت بين:

(Moslem Spain)، (Mohammadan Spain)، (Arabic Spain)، (Moorish Spain)، (Islamic Spain)، (Hispano-Arabic Literature or Poetry).

وقد شاع استعمال إسبانيا الإسلامية (Moorish Spain) حتى قبيل منتصف القرن العشرين بقليل، واستعمله غير واحد من المستشرقين في بريطانيا ممن اهتموا بالأندلس.

ومصطلح (Moorish) مأخوذ من (Moors) التي تعني المسلمين من العرب والبربر القادمين من شماليّ إفريقية، «وقد استُعملت هذه الكلمة حتى القرن التاسع عشر في كل اللغات الأوربية؛ لتشير إلى مسلمي إسبانيا القدماء وإلى القاطنين في موانئ المتوسط شماليّ إفريقية»(1).

أما الصفة (Moorish) نفسها التي تعني الإسلامي؛ فهي «تشير تحديداً إلى ذلك الأسلوب الفني المستمدة أصولُه من العرب أو المسلمين عامة»(2)، و«تستعمل للإشارة إلى نمط الأثاث والبناء الذي كان شائعاً في إنجلترا في القرن التاسع عشر، ويمتاز بأنه من صنع مسلمي إسبانيا»(3).

وقد كان هذا المصطلح بتصريفاته المتعددة Mauresque, Moresque, Moorish قد ظل مستعملاً في القرن التاسع عشر والقرن العشرين بظلاله السلبية التي تحملها كلمة Moros "التي كانت أُطلقت في إسبانيا باللغة الإسبانية على الفاتحين المسلمين عامة، وساهمت الاختلافات الدينية في موقف عدائي تجاههم"(4).

(1) ***The Encyclopaedia of Islam,*** New Edition, (1960-2002), Prepared by A Number Of Leading Orientalists, Under The Patronage Of The International Union Of Academics, Leiden – New York: E. J. Brill. Moor, vol. 7, p. 235.

And: Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition,*** Moors, Vol. 9, p.1085.

(2) ***The Encyclopaedia of Islam,*** New Edition, (1960-2002), Moors, Vol. 7, p. 236.

(3) Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition,*** Moorish, Vol. 9 p. 1060.

(4) ***The Encyclopaedia of Islam,*** New Edition, (1960-2002), Moors, Vol. 7, p. 236.

ثم أخذت هذه الصفة في القرن العشرين تتراجع شيئاً فشيئاً في كتابات الباحثين في بريطانيا مع تغير طبيعة الاستشراق القديم؛ بعد الحرب العالمية الثانية خاصة، وبدأ مصطلح الأندلس (Al-Andalus) يدخل في الحديث عن إسبانيا تحت حكم المسلمين.

وكان مصطلح (Hispano-Arabic) من المصطلحات التي استعملت أيضاً في وصف الأدب والتراث الإسلامي في الأندلس، وقد استُعمل مصطلح قريب منه وهو (Hispano-Arabian) للمرة الأولى سنة 1880 في بريطانيا(1).

ولا يخفى ما في هذا المصطلح من إقحامٍ للعنصر الإسباني فيه باستعمال (Hispano) التي حين تلحق بـ (Arabic) يصبح وصف الشيءِ بمعنى: (إسباني وعربي) فتشارك (Hispano) على هذا النحو في وصف الأدب العربي في الأندلس بصفةٍ ربما تتضمن قدراً كبيراً من المبالغة إن لم نقل شيئاً آخر!.

وكان شترن مثلاً قد اختار مصطلح (Hispano-Arabic) ومصطلح (Hispano ـ Hebraiac) لوصف الأدب العربي والأدب العبري ـ على التوالي ـ في الأندلس، هذا مع الإشارة إلى أن شترن نفسه كان قد عنون أطروحته في جامعة أكسفورد سنة 1951 بـ (The Old Andalusian Muwashshah) مستعمِلاً (الأندلسي) لوصف الموشح في (إسبانيا).

ولم يختفِ مصطلح (Hispano-Arabic) حتى اليوم من وصف الأدب الأندلسي باللسان الإنجليزي، وقد استُعمل مراراً في البحوث المنشورة بالإنجليزية، كان من أشهرها استعماله في كتاب نيكل: (Hispano-Arabic Poetry and It`s Relations With The Old Provencal Troubadours)، وقد أرفق المؤلفُ العنوانَ بالإنجليزية بالمقابل العربي له "الشعر الأندلسي" بالحروف العربية على صفحة العنوان الداخلي للكتاب قبل العنوان بالإنجليزية، في إشارة واضحة إلى أن (الشعر الأندلسي) تعني (Hispano-Arabic Poetry).

وربما يكون من المضلل للقارئ الغربي استعمال (Andalusian) وصفاً للأدب الأندلسي؛ لأن هذه النسبة تشير بالتحديد إلى المنطقة الجنوبيّة في إسبانيا التي تسمى

(1) Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second Edition,*** Hispano- ,Vol. 7, P. 254.

(Andalusia)، وقد لا تكفي تلك النسبة؛ لكي تكون واضحة تماماً في ذهن القارئ الغربي ـ ولا سيّما من غير المتخصصين ـ ليفهم أن الحديث يدور عن إيبيريا حين كانت في وقت من الأوقات إسلامية، وليس عن مقاطعة الأندلس في جنوبيّ إسبانيا. مع أن هذا المصطلح قد يبدو مناسباً لوصف الأدب الأندلسي، ولهذا مال ألن جونز إلى استعماله في العنوان الفرعي الذي عنون به ديواني **(عدة الجليس)** و**(جيش التوشيح)** وهو: (An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat)، مع الإشارة إلى أن (Andalusian) قد لا تكفي وحدها لانصراف ذهن القارئ الغربي إلى الأدب العربي الإسلامي هناك. كما أن استعمال ألن جونز وصف (Arabic) إلى جانب (Andalusian) يلمّح بقوة إلى وجود موشحات أخرى في الأندلس غير العربية، ألا وهي الموشحات العبرية.

ولا يمنع وجود مصطلحات عديدة يستعملها الباحثون في بريطانيا من الإشارة إلى أن مصطلح الأندلس (Al-Andalus) قد بدأ يأخذ موقعاً مع نهاية القرن العشرين في معظم البحوث التي تتناول التراث الأندلسي هناك؛ إذ يدخل مصطلحا (Al-Andalus) و(Andalusian) الآن في عناوين أغلب الدراسات ومتونها، وفي عناوين المؤتمرات والمناقشات العلمية...وغيرها من المظاهر التي تمثل العناية بالأدب الأندلسي في بريطانيا.

إن التوجه نحو استعمال مصطلح الأندلس (Al-Andalus) في بريطانيا ـ تماماً كما يُلفَظ بالعربية ـ يعد خطوة إيجابية للدراسات الأندلسية هناك وممثّلاً لنظرة أكثر موضوعية تجاه الأندلس. كما يعد كذلك من باب محاولة المستشرقين والباحثين في بريطانيا تجاوز بعض الآراء التي كانت سائدة ومسيطرة في عالم البحث العلمي المتصل بالأندلس التي أدت في كثير من الأحيان إلى الوقوع في أسرها.

ويجد أحد المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا أن التوجه لاستعمال مصطلح الأندلس هو شيء مرغوب فيه؛ لأن هذا المصطلح هو أفضل من استعمال (Hispano-Arabic) لوصف الدراسات المتصلة بشبه الجزيرة الإيبيرية تحت حكم المسلمين[1]. وعلى ذلك امتدح هيتشكوك القائمين على نشر تاريخ كمبردج للأدب العربي الذي

(1) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK, p. 197

خُصِّص للأندلس، والذي أصدرته جامعة كمبردج بعنوان (**الأدب في الأندلس**)[1] (The Literature of Al-Andalus) ؛ لأن كلمة الأندلس استُعملت في عنوانه ومضمونه كما يستعمله المؤرخون العرب والمسلمين.

بيد أن ذلك لا يعني أن مصطلح (Hispano-Arabic) بدأ يختفي بين الباحثين؛ إذ ما زال مستعملاً بقوة في كثير من الأحيان، وليس أدل على ذلك من أن عنوان مقالة هيتشكوك التي يوجِّه فيها العناية إلى ضرورة استعمال مصطلح الأندلس كانت بعنوان[2]: (Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK)، في العدد نفسه من مجلة (المساق) الذي كان مخصصاً لبحث ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا وفي دول أوروبية أخرى والولايات المتحدة.

كما أن بعض أهم الكتب التي صدرت في الدراسات الأندلسية في بريطانيا في أواخر القرن العشرين، وهو كتاب جرير أبوحيدر، الذي جمع فيه مجموعةَ بحوثٍ له عن الأدب الأندلسي، قد كان بعنوان: (Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics).

(1) Menocal, Maria Rosa, Raymond P. Scheindlin, and Michael Sells, (Eds). (2000), ***The Literature of Al-Andalus.*** Cambridge: Cambridge University Press. The Cambridge History of Arabic Literature

(2) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. **Al-Masaq,** 16 (2), Pp.197-204.

الفصل الرابع
اتجاهات المدرسة البريطانية في دراسة الأدب الأندلسي

المبحث الأول: ملامح منهجية عامة

1) قيود الأحكام الاستشراقية القديمة:

لم يستطع الباحثون في الدراسات العربية والإسلامية حتى أواخر القرن العشرين الخروج تماماً من الدائرة الاستشراقية التقليدية بأحكامها التي رسخت في مراحل سابقة، بل بقي كثيرٌ من تلك الأحكام مترسبة في لا شعور الباحثين الجدد في التراث العربي الإسلامي، وعلى ذلك فإن الأعمال التي قدّمها المستشرقون في بريطانيا عن الأدب الأندلسي يمكن تمييزها في مجموعتين، **أولاهما**: مجموعة الأعمال التي أُنجِزت قبل الحرب العالمية الثانية وإلى قرون خلت قبلها، **وثانيتهما**: المجموعة التي أنجزت منذ النصف الثاني من القرن العشرين حتى اليوم، ويعود التمايز بين المجموعتين إلى التغيرات التي لحقت بحركة الاستشراق عامة والآثار التي عادت عليها بعد الحرب العالمية الثانية؛ من ظروف انحسار النفوذ الاستعماري الأوربي في الشرق، وخلخلة بعض مرجعيات الخطاب الاستشراقي، ومنها المركزية الأوربية والتفوق العرقي وتغيّر النظرة تجاه الآخر...، وغيرها من الظروف التي أدت إلى تغيّر ملامح الاستشراق التقليدي، وبلغ ذروته في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في باريس سنة 1973، وأُعلن فيه عن إلغاء مصطلح الاستشراق؛ ليحلّ بدلاً منه مصطلح: دراسات العلوم الإنسانية في آسيا وشماليّ إفريقية[1]، وليتحول الاستشراق إلى نوع من الدراسات الإقليمية الأكثر تخصصاً، التي تُعنى ببحث الشؤون المتصلة بمنطقة معينة من المناطق والتخصص فيها دون غيرها.

كان لهذه الأجواء تأثيرها الواضح الذي نلحظه في أعمال المستشرقين والباحثين في بريطانيا في شؤون الأدب الأندلسي؛ إذ لا تخلو أعمال المجموعة الأولى من الكثير من الأحكام الاستشراقية التقليدية في كل فرصة سانحة تجاه الإسلام والمسلمين وتراثهم الحضاري في الشرق وفي الغرب، تلك الأحكام التي صوَّرَت الشرقيين والمسلمين في نمط معين لم يستطع كثير من المستشرقين الخلاص منه في أغلب الأحيان، حتى في العصور الحديثة مع تقدم وسائل الاتصال والمواصلات في العالم، بل إن الصور النمطية نفسَها قد ثُبِّتت من جديد حتى في وسائل الإعلام الحديثة[2].

(1) Lewis, Bernard (2004), ***From Babel to Dragomans***, pp. 435-436.

(2) سعيد، إدوارد (1995)، **الاستشراق**، ص 285.

وتعود مجمل الآراء والأحكام الاستشراقية التقليدية التي كررها المستشرقون في بريطانيا إلى تصورات خاصة لحقت الأدب والتراث العربي بمجمله، كان من أشهرها القول: إن الحضارة العربية الإسلامية لا يتفق لها من هذا الوصف إلا اسم الذين حملوها، أما الإبداع الحقيقي فيها فكان من نصيب الأجناس والأعراق الأخرى غير العربية.

ومن الآراء التي شاعت في مجال دراسة الأندلس تحديداً ـ تلك النظرة السلبية تجاه عصر المرابطين، أحد عصور التاريخ الأندلسي، فقد كان لدوزي أثره الكبير في شيوع هذه النظرة؛ إذ كان هو الذي أعلى من شأن ملوك الطوائف، وعدَّ عصرهم أزهى عصور المسلمين في الأندلس، أما المرابطون برأيه فقد كانوا سبب اضمحلال الأندلس وانحلالها. ولم يتوقف كثيرون عند آرائه تلك، ويظهر أثر تلك الآراء في إطلاق القول عامة في احتقار شأن الآداب في عصر المرابطين على الرغم من أن الشواهد تدحض ذلك.

بيد أن الأحكام الاستشراقية التقليدية التي غلبت على أعمال بعض من كتبوا عن الأندلس في بريطانيا حتى منتصف القرن العشرين لم تعدم مَن يأتي بجديد، وبدأت أصواتٌ عديدة من الباحثين تعلو في بريطانيا معلنةً عن نظرة جديدة وأحكام ناسخة لما استقر من آراء، وتقدم رؤية قد تكون أكثر موضوعية من ذي قبل. وقد ظهرت هذه الأصوات في النقاشات والبحوث التي دارت حول مسائل الموشحات الأندلسية وخرجاتها خاصة، وفيما أثارته من جدل مما مرَّ معنا بيانُه من قبل.

2) حضور اليهود في دراسة التراث الأندلسي؛ باحثين وموضوعاً للبحث:

«كانت اليهودية عاملاً مهماً في تطور الاستشراق والدراسات العربية الإسلامية في الغرب، من حيث تأثيرها في المناهج العلمية خاصة؛ فقد كان علم النصوص ودراسة العهد القديم هما القناتين اللتين قادتا الدراسات العربية والإسلامية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين»(1).

ويعدّ المستشرقون اليهود ـ على اختلافهم نوعاً ما عن نظرائهم الأوربيين ـ مشتركين

(1) Benaboud, M`hammad (1982), Orientalism and the Arab Elite, **Islamic Quarterly**, vol. xxvi (1), p.9.

معهم في قدر معين من الخضوع العام للبنية التي تحكم العقل الغربي، وتتحكم في رؤاه تجاه الشرق، على هذا فإن « ما يصح من تقديرات وأحكام على (الكل الأوربي) في الاستشراق ينطبق على (الجزء اليهودي) فيه؛ لأن المستشرقين في جانب من حياتهم أبناء بيئتهم الكبرى، تشربوا ثقافة مجتمعاتهم بطريقة أو بأخرى، في الوقت الذي كانوا يحتفظون فيه بطابع خاص في محيطهم (الجيتوي) الصغير »(1)، وعلى ذلك فإن عدداً من المستشرقين اليهود كانوا قد اقتحموا ميدان الدراسات العربية والإسلامية في أوربا في القرن التاسع عشر خاصة، وبدأ نجمهم يلمع في هذه الدراسات، وحقق بعضهم منزلة رفيعة في هذا المجال، وصارت آراؤهم ذات وزن بين باقي المستشرقين، كان من أشهرهم في بريطانيا مثلاً ديفيد صمويل مرجليوث (ت1940). وكان للمستشرقين اليهود بذلك أثرٌ غير مباشر في مسيرة الدراسات العربية الإسلامية في أوربا أولاً، ثم في أمريكا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم كان لظروف الصراع العربي الإسرائيلي - فيما بعد - بعضُ الأثر في ظهور الباحثين اليهود وسطوع نجمهم في تلك الدراسات(2).

وعندما بدأت أسماء المستشرقين من اليهود تلمع في الدراسات العربية الإسلامية، وصارت لبحوثهم سمعة بين الباحثين في هذا المجال انبرى بعضُهم لدراسة التراث الأندلسي، كان من أشهرهم الفرنسي ليفي - بروفنسال، وكان من أوضح آثارهم في هذا المجال توجيهُ البحث وتسليط الضوء على أعلام اليهود من العلماء والمفكرين والأدباء اليهود الذين اشتُهروا في ظل الثقافة العربية في الأندلس، مثل ابن ميمون (ت1204م) وغيره(3)، وبيان الحضور اليهودي

(1) عبدالكريم، إبراهيم (1993)، **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**، (ط1)، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. ص47.

(2) ويشهد على ذلك انتقال عدد من المستشرقين الأوربيين من اليهود أو المتعاطفين معهم إلى أمريكا، ومنهم برنارد لويس خاصة، المعروفة مواقفه من الإسلام ومن العرب.

(3) Benaboud, M`hammad (1982), Orientalism and the Arab Elite, p.11.

كما أن النشاط الثقافي للجاليات اليهودية في إسبانيا اليوم مثلاً يعمل على تضليل الرأي العام بتنصيب الجنس اليهودي كحجر زاوية في صرح الحضارة الأندلسية، ينظر حول ذلك صفحة 245 في:

الكمون، أحمد عبد الرحمن (1996)، التراث الإسلامي الأندلسي في ميزان الاستشراق الإسباني المعاصر: نماذج مختارة، (القسم الثاني: ص133–247) في: **ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، 5 مجلدات، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

في صناعة التراث الأدبي في الأندلس، والبحث عن نماذج التسامح الإسلامي تجاه اليهود هناك.

وقد ابتدأت الدراسات الأندلسية في بريطانيا كذلك خطوتها الحقيقية على يد المستشرق الإنجليزي اليهودي الأصل صمويل شترن، الذي كان قد درس في الجامعة العبرية، ثم خدم في أثناء الحرب العالمية الثانية في الجيش البريطاني مراقباً للمطبوعات في أراضٍ عربية متعددة، منها العراق والسودان(1)، وأرسى شترن تقاليد البحث في تراث الموشحات الأندلسية، هذا التراث الذي التقطه من بعده باحثون مهتمون بالأندلس في بريطانيا؛ حيث قدّم في هذا المجال بحوثاً كانت ذات أهمية خاصة في بريطانيا والعالم لمجال الموشحات الأندلسية، كان منها بعض البحوث التي كتبها باللغة العبرية.

وقد فتح تسليطُ الضوء على أعلام اليهود وأعمالهم في إسبانيا البابَ لبحوث عديدة عن هؤلاء وعن مدى مشاركتهم في بناء صرح الحضارة الأندلسية على أرض إسبانيا، ولنا في بحوث شترن عن الموشحات العربية والعبرية الأندلسية خير دليل: فقد خصَّص قسماً للموشح العبري في كتابه (**الموشح الأندلسي**) وجزءاً عن الخرجات في (الموشحات العبرية)(2). وعن المعارضات العبرية للموشحات العربية، وعن أهمية الخرجات العبرية في حفاظها على بعض السمات التي لم تتمكن الموشحات العربية من الاحتفاظ بها(3)، هذا إلى جانب بعض البحوث التي نشرها باللغة العبرية عن الموضوع.

ويحسن التذكير في هذا المقام بأن الذي قاد شترن إلى موضوع الموشحات العربية الأندلسية في بدء مسيرته العلمية كان في الأصل دراسته للموشحات العبرية التي عثر فيها على سطور غير مفهومة، وهي الخرجات الرومانثية، ثم العثور على تلك الخرجات في الموشحات

---

(1) ينظر عن سيرة حياة شترن:

* Walzer, Richard (1972), Samuel Stern: In Memoriam, **Israel Oriental Studies**, Vol. 2, Pp.1-14.

*عبد العزيز، هشام فوزي (1997)، مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس 1926–1948، **عالم الفكر** (الكويت)، 26 (1)، ص274.

(2) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، ص309.

(3) المصدر نفسه، ص134.

العربية، فاستغرق شترن في دراستها والبحث فيها حتى خرج بنتائج دراساته المعروفة.

وربما كان من الملامح التي تنطق بالحضور اليهودي في دراسات الأندلس في بريطانيا؛ أن شترن هذا يلاقي من الباحثين في بريطانيا تقديراً وإجلالاً ربما يكون مبالغاً فيه، ويتضح ذلك من عبارات الثناء على جهوده في مقالات التأبين مثلاً، أو في عبارات تلميذه هارفي في التقديم للكتاب الذي جمع فيه مجموعة مقالات شترن وجزءاً من أطروحته للدكتوراه، أو في ثناء ألن جونز على أعماله في عدة مناسبات، منها مؤتمر إكستر عن الموشحات الأندلسية وخرجاتها(1).

وكان تأثير الباحثين اليهود ـ الذين يمثلهم أولاً شترن ثم غيره من الباحثين المتعاطفين مع اليهود ـ في الدراسات الأندلسية في بريطانيا واضحاً في المواضيع المختارة قيد البحث في الأدب الأندلسي وفي مناهج دراسة النصوص الأندلسية؛ ويجري العمل فيها على تضخيم دور اليهود في الأدب وفي مناشط الحياة الأدبية في الأندلس، ويتجلى ذلك في البحوث التي تناولت موضوع الصلات بين الموشحات العربية الأندلسية ونظيرتها العبرية، وموضوع الموسيقا الأندلسية ...وغيرها.

ولا يتجلى حضور اليهود في البحوث الإنجليزية في إقحام دراسة الأدب العبري في الأندلس عند الحديث عن الموشحات العربية الأندلسية، والمعارضات العبرية لها، أو في الحديث عن دور بعض أعلام الأدب من اليهود في تفسير بعض جوانب في بنية الموشح الأندلسي فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى حضور اليهود في أحيان كثيرة، عند الحديث عن الأدب الأندلسي أو الحديث عن الأدب العربي عامة، بحيث يكونون موضوعاً للموازنات مع الجانب العربي، وأحياناً يُقحَمون في السياق بلا مناسبة واضحة، فقط لمجرد ذكر اليهود في الحديث عن الأدب العربي في الأندلس(2)؛ ليقع في نفس القارئ أنه لا يمكن

(1) Jones, Alan, (1991), «Omnia Vincit Amor», pp.(88-103).

(2) ينظر في ذلك بحوث ديفيد ولستان التي يستعمل فيها أزجالاً باللغة العبرية، والقول بأن هناك أزجالاً عند بعض شعراء اليهود –مثل: ابن جابيرول (ت 1057م) وابن التبّان (من ق11م)– سابقة على أزجال ابن قزمان الأندلسي (ت1160م). ينظر:

* Wulstan, David (1982), The Muwassah and Zagal Revisited, **Journal of the American Oriental Society**, Vol. 102 (2), P. 259.

الحديث عن الأدب العربي منفصلاً عن الحديث عن آداب أمم أخرى؛ مما يزيد النظرة السائدة رسوخاً من أن العرب ليس لهم باع في الآداب الرفيعة ولا في العلوم البديعة.

ومن الملامح الأخرى التي تشير إلى حضور اليهود في مجال البحث في تراث الأندلس الأدبي في بريطانيا؛ أن المصادر الأدبية العبرية تكاد تقترب من أن تصبح مراجع أساسية وأصيلة أمام الباحثين في شأن الموشحات الأندلسية وفي بحث الأدب الأندلسي. ومن ذلك اعتماد شترن على مخطوطات جنيزة القاهرة في الكشف عن بعض الموشحات الأندلسية الواردة فيها، حتى إن كان ذلك في حقيقته مفيداً للبحث العلمي الذي يسعى إلى الإفادة القصوى من أي مصادر متاحة للباحث. ومنها كذلك الاعتماد على دواوين الشعراء اليهود في تصويب النصوص وتحقيقها، كمثل عمل ألن جونز في تحقيق الموشحات الأندلسية في (**عدة الجليس**) و(**جيش التوشيح**)، ومنها اعتماد الدراسات التي ينجزها الباحثون اليهود - من إسرائيل ومن الجامعات الأوربية والأمريكية - مصادر مهمة في دراسة الأدب الأندلسي.

وتنصبّ جميع الجهود في هذا الإطار على إظهار أن تراث اليهود الأدبي في الأندلس هو جزء أساسي لا يمكن استبعاده عند الحديث عن التراث العربي الأندلسي.

ومن الملحوظات اللافتة للنظر مشاركة الباحثين اليهود في المؤتمرات المُقامة في بريطانيا حول التراث الأندلسي، من إسرائيل أو من دول أورورِبية وأمريكية، وتقديم أوراق تُعنى بجوانب من الأدب الأندلسي تتصل باليهود في الأندلس، والتركيز على ما يتصل بهم من قضايا وشؤون، بحيث أصبح حضور اليهود في مثل هذه المؤتمرات والملتقيات العالمية جزءاً وتقليداً من تقاليد النقاش الدائر عن الأندلس، في حين يلاحظ أن حضور الباحثين العرب المتخصصين لمثل هذه الملتقيات قليل؛ إن لم نقل: نادراً، ولا يُحتَفى بآرائهم على أي حال.

وليس أبلغ من التمثيل على إفساح المجال لمساهمة اليهود في دراسة التراث الأندلسي في بريطانيا من كتاب كمبردج للتراث الأندلسي(1)، الذي صدر بعنوان (**الأدب الأندلسي**)،

(1) Menocal, Maria Rosa, Raymond P. Scheindlin, and Michael Sells, (Eds). (2000), ***The Literature of Al-Andalus.*** Cambridge: Cambridge University Press. The Cambridge History of Arabic Literature.

والذي لم يُكتَب فيه فصلٌ واحد بقلم باحث من الجامعات البريطانية من المتخصصين والمهتمين بالدراسات الأندلسية، ولم يقم على تحريره أيضاً واحد من أساتذة الجامعات البريطانية المهتمين بهذا المجال، لكنه ضمَّ 26 فصلاً بأقلام باحثين من أمريكا، بيد أن ذلك لم يمنع أن يكون هناك فصلان كتبهما باحثان من إسرائيل، وأن يكون واحدٌ من محرري الكتاب الثلاثة متخصص بالأدب العبري والدراسات العبرية، هو ريموند شيندلين.

3) دراسة الأدب الأندلسي بصفتها وجهاً من وجوه الدراسات المقارنة:

يحفل ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا بالإنتاج العلمي، ويلاحظ أنه يميل إلى العناية بمسائل تتصل ببحث سبُل التأثر والتأثير بين الأدب الأندلسي والأدب الأوربي، حتى ليمكن القول: إن عمل الباحثين في دراسة الأدب الأندلسي قد انصرف إلى لون من دراسة الآداب المقارنة، ولا يكاد يلتفت إلى دراسة الأدب الأندلسي على حقيقته بما هو امتداد للأدب العربي وجزء لا تنفصم عراه عن نظيره في الأدب المشرقي.

تشترك معظم البحوث ـ على تنوعها واختلاف أهواء أصحابها ـ في أنها تُعنى بدراسة الصلات الأدبية ومواطن الالتقاء وغيرها من المؤشرات الدالة على التأثر والتأثير في الظواهر الأدبية المختلفة ورصد الوقائع المتباعدة؛ بقصد الكشف عن الصلات الحقيقية التي تربط أدب أمة بأدب أمة أخرى(1)؛ وكل ذلك يصبّ في توجهات البحث العلمي الدائر في الأوساط الغربية التي انشغلت بالموشحات الأندلسية وخرجاتها الرومانثية، وانشغلت بالأزجال الأندلسية وما تقدمه لغتها العامية من إضاءات في تفسير بعض مظاهر المجتمع الأندلسي على تنوّع فئاته، وأهملت ما عدا ذلك من سائر فنون الأدب الأندلسي المتنوعة.

وربما كان ما يتميّز به المستشرقون والباحثون في الغرب في مجال الدراسات العربية والإسلامية من إجادتهم للغات عديدة قديمة وحديثة قد جعلهم لا يستطيعون من دائرة المقارنة فكاكاً؛ فهم يتوفرون في تكوينهم العلمي على ما يمكن أن يكون عدّةً للباحث المقارِن، من: الثقافة التاريخية التي تتيح إحلال الأثر الأدبي محلّه بالنسبة إلى الأحداث

(1) ينظر: وزان، عدنان محمد (1983)، **مطالعات في الأدب المقارن**، السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع. ص16 وص18.

التاريخية التي تؤثر فيه، كما يمتلكون الاطّلاع على قدر كبير من الآداب الأجنبية التي تُعين على تحديد نوعية الصِّلات بين أدبين أو أكثر، ومعرفة عدد كبير من اللغات تتيح لهم قراءة النصوص بلغاتها الأصلية، إلى جانب تحري المعلومات في مظانها بمساعدة الفهارس (الببليوغرافية)(1)، وقد ساعدتهم تلك المواهب والمهارات التي تمتعوا بها على توجيه البحث في دراسة الأدب الأندلسي تجاه الدراسات المقارنة. وقد يكون هذا التوجيه من بقايا مخلَّفات المنهج التاريخي المقارن الذي ساد الدراسات الاستشراقية طويلاً، وكان يُعنى ببحث الصِّلات الممكنة بين الإسلام والأديان الأخرى: المسيحية واليهودية لتبيُّن أثرها في الإسلام.

وتعد قضية الموشحات الأندلسية أو الشعر المقطعي أو الشعبي الأندلسي ـ بأبعادها المتعددة ومسائلها الخلافية المتصلة بها وتداخلها مع قضايا نشأة الآداب الأوربية الحديثة ـ مثالاً واضحاً على أن البحوث والدراسات الأندلسية في بريطانيا قد أضحت وجهاً من وجوه الدراسات المقارنة لا درساً في الأدب الأندلسي على الحقيقة؛ فالراغب في قراءة الأعمال الإنجليزية حول الأدب الأندلسي ينبغي عليه أن يتحلّى ـ كما المؤلف صاحب العمل ـ بالعديد من المهارات والعلوم؛ لكي يتمكن من مجاراة المؤلف في مقاصده وآرائه، كمعرفة اللغات الرومانثية القديمة التي كانت مستعملة في إسبانيا في القرون الوسطى، وحلَّت محلَّ اللاتينية، ومعرفة اللهجات المحلية العربية لأهل المدن الأندلسية التي خلَّفت لنا تراث الموشحات الأندلسية..وغيرها.

ولهذا فإن الدراسات الأندلسية في بريطانيا ليست حكراً على المستعربين من الباحثين في الدراسات العربية الإسلامية، بل إن مشاركة الباحثين من أقسام أخرى ـ أهمها الدراسات الرومانثية ودراسات القرون الوسطى والدراسات الإسبانية ـ غدت ملمحاً واضحاً من ملامح معالجة الأدب الأندلسي في بريطانيا، وتكفي نظرة إلى اختصاصات المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا لتبين ذلك. وعليه قد يثور التساؤل التالي: هل من الممكن

(1) ينظر: طحّان، ريمون (1983)، **الأدب المقارن والأدب العام**، (ط2)، بيروت: دار الكتاب اللبناني. ص29–33.

أن نعدّ مساهمة الباحثين في بريطانيا حول الأدب الأندلسي مساهمة في مجال الدراسات الأندلسية حقاً وفي دراسة الأدب الأندلسي حقيقة أم هي شيء آخر؟

وتنبغي الإشارة كذلك في هذا السياق إلى مسألة توظيف منجزات العلوم والمعارف الأخرى في النقاش والبحوث والمؤتمرات حول تراث الموشحات الأندلسية، ومن أهمها علم الموسيقا في البحث في جوانب تأثير الموسيقا بين الأندلس وأوربا.

كما أن الرجوع إلى مصادر غير إسلامية وغير عربية في البحوث عن الموشحات الأندلسية هو ملمح بارز آخر في معالجة الأدب الأندلسي في إطار الدراسات المقارنة؛ وذلك باستغلال مصادر جديدة، من أهمها المصادر الإسبانية الوسيطية (من العصور الوسطى) الدينية والدنيوية، للوقوف على (أسرار) الموشحات وبيان ملامح التأثر والتأثير بين الجانب العربي والجانب الإسباني على أرض الأندلس.

وهذا يقود إلى ملمح آخر من ملامح معالجة الأدب الأندلسي في بريطانيا على ضوء الدراسات المقارنة، ألا وهو اتجاه هذه الدراسات نحو معالجة النصوص نفسها بعيداً عن الأدلة والنظريات التي استند إليها الباحثون من قبل في قضايا الموشحات الأندلسية[1].

على أن قراءة النص الأندلسي تبقى مع ذلك خاضعةً للبنية المعرفية والثقافية التي ينتمي إليها الباحث الغربي عموماً، ورغم هذا فإننا نلحظ أن للباحثين في بريطانيا نشاطاً يُستَأنَف من جديد في تدبُّر قراءة النصوص على نحوٍ أكثر دقة من أجل الوصول إلى نتائج أكثر صواباً، هذا على الرغم من أن السمة البارزة في تحولات الاستشراق التقليدي هي الخروج من عباءة المنهج الفيلولوجي ونقد النصوص إلى مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية والمناهج الحديثة عموماً، التي تعتني بالدراسات النصية، وتميل إلى الاهتمام باللغات واللهجات المحلية والآداب الشعبية لدى الأمم.

وتجعلنا بحوثهم - على ما فيها من أطاريح جديدة ورؤى تتميز من سابقاتها من المدارس

(1) وخير ما يمثل هذا الاتجاه هو أن العديد من دراسات الباحثين البريطانيين عن الأدب الأندلسي تقوم على دراسة نصوص وقصائد أو موشحات بعينها ونقاش قضايا عدة تتصل بنص معين فقط. ينظر الملحق الأول وقائمتَا المصادر والمراجع لعناوين بعض تلك الدراسات التي تُظهر بوضوح هذه السمة.

الاستشراقية الأخرى فيما يتصل بالأندلس ـ تجعلنا نزداد رسوخاً في الاعتقاد أن ما يمكن وصفه بموت الاستشراق التقليدي الذي تحدث عنه المستشرقون أنفسهم قبل غيرهم؛ لا يعني موت مصادره ومناهجه، وأكثر من ذلك موت رؤاه المستقرة التي لمّا تُنتَزَع من جذورها حتى اليوم.

فما زال لديهم في أعماق رؤيتهم للأندلس من بذور الاستشراق التقليدي شيء من التمسك بقدسية النص وحَرفيته، مع أخذهم بأسباب المناهج الجديدة والدراسات المقارنة التي تنحو نحو دراسة النص ومعالجته.

المبحث الثاني: نظرة عامة على اهتمام المستشرقين البريطانيين بالتراث الأندلسي

إن نظرة شاملة على ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا تجعلنا نقف على بعض الملحوظات حول نشاط المستشرقين الإنجليز الذين ساهموا في الدراسات الأندلسية في بريطانيا؛ إذ لم يكن التخصص الدقيق لغالبيتهم هو الدراسات الأندلسية، وإنما هم في الغالب من المستشرقين ومن المستعربين المهتمين عامةً بالدراسات العربية والإسلامية، الذين كان لهم ـ فيما كان من دراساتٍ استشراقية وبحوثٍ متعلقة بالتراث العربي ـ بعضُ البحوث والأعمال المتصلة بالأندلسِ من تحقيقٍ للنصوصِ الأندلسية أو ترجمتها أو بعض الدراسات التي تقف عند مظهر معين من مظاهر التراث الأندلسي وحضارة المسلمين في إسبانيا. لكن هؤلاء المستعربين توقفوا عند هذا المقدار المحدود في دراسة التراث الأندلسي الذي أنجزوه خلال مسيرتهم العلمية، ولم يفكروا في أن يتخصصوا في الدراسات الأندلسية بعينها: فقد كان المستشرق وليم رايت مثلاً في مقتبل عمره حين نشر لأول مرة نصَّ (**رحلة ابن جبير**) بالعربية سنة 1852، وترجم قسماً من كتاب (**نفح الطيب**) مع مجموعة من المستشرقين بين الأعوام 1855–1861، ومع ذلك لم يكن لاطّلاعه المبكر على التراث الأندلسي ـ في جامعة لَيدَن بإشراف أستاذه المستشرق الهولندي دوزي الذي يعده الأوربيون رائد الدراسات الأندلسية ـ أثر ملموس في أن يخصص نفسه وبحوثه العلمية لهذا الموضوع

بالتحديد؛ فقد تابع تخصصه فيما بعد في دراسات العهد الجديد واللغة السريانية، حتى صار علَماً في ميدان دراسة اللغات السامية في وقته، ونشر (**قواعد اللغة العربية**) (1859) و(**فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني**) (1870–72) و(**موجز تاريخ الأدب السرياني**) (1894)، وله محاضرات في النحو المقارن للغات السامية (1890)[1].

وكذلك كانت حال المستشرق الكبير رينولد نيكلسون الذي نشر النص العربي مع ترجمة إنجليزية لديوان (**ترجمان الأشواق**) لابن عربي المتصوف الأندلسي، لكن موضوع التصوف الإسلامي هو الذي كان يقف وراء عناية نيكلسون بهذا الديوان ـ وليس الاهتمام بالتراث الأندلسي ـ فقد كان التصوف هو الموضوع الذي نذر نيكلسون نفسَه للتخصص فيه ضمن دراساته العربية والإسلامية، حتى أطلق عليه تلميذُه آرثر جون آربري في كتابه (**مقالات شرقية**) لقب الدرويش (The Dervish) في عنوان الفصل الذي خصّصه للحديث عنه[2].

وكذلك كان تلميذه آرثر جون آربري نفسه، الذي قدّم هو الآخر ترجمة إنجليزية لبعض النصوص الأندلسية، وهي كتاب (**طوق الحمامة**)، وكتاب (**رايات المبرزين**)، فهو لم يكن من المتخصصين في الدراسات الأندلسية، بل في الصوفية؛ سيراً على خُطا أستاذه نيكلسون، وقد أطلق على نفسه لقب «المُريد» (The Disciple) في الفصل السابع الذي خصصه للحديث عن نفسه في كتابه (**مقالات شرقية**)[3].

أما مونتغمري واط الذي كان لكتابه (**في تاريخ إسبانيا الإسلامية**) صيت كبير، فهو كتابه الوحيد في موضوع التراث الأندلسي ضمن تخصصات الدراسات العربية الإسلامية التي كان يدرّسها في جامعة إدنبرة، وله كتب وبحوث كثيرة في التراث العربي الإسلامي غير الأندلسي[4].

---

(1) J. Roper, 'Wright, William (1830–1889)', ***Oxford Dictionary of National Biography,*** Oxford University Press, 2004 [http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/view/article/30069, accessed 7 Nov 2008].

(2) Arberry, A.J. (1960), ***Oriental Essays: Portraits of Seven*** Scholars. Pp. 197-232.

(3) Ibid, Pp. 233-256.

(4) من أشهر كتبه: * محمد في مكة (1953) *Mohammad at Mecca*،

* محمد في المدينة (1956) *Mohammad at Medina*.

ويُرجِع أحدُ الباحثين(1) مسألة ابتعاد المستشرقين البريطانيين عن التخصص في التراث الأندلسي إلى أنهم كانوا ينظرون على الدوام إلى الكتابات والنصوص الأندلسية على أنها جزء لا ينفصل من الأدب العربي ككل، ولهذا يرون أنّ تلك النصوص تنبغي دراستُها في ضوء تكاملها والأدبَ العربي على رحبه واتساعه وليس بمعزل عنه. ويضيف إلى هذا السبب سبباً آخر يتمثل في أن المقررات الجامعية لمناهج أقسام الدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا مزدحمة جداً: تبدأ من الشعر الجاهلي إلى أن تغطي جميع مظاهر الأدب الإسلامي بما تتضمنه الكلمة من فن الأدب والتاريخ والأدب المعاصر حتى السياسة والاقتصاد...؛ ولأن الأقسام الأكاديمية البريطانية عادة ما تكون صغيرة، فلا يتمكن أحدها من أن يقدم للباحثين تخصصاً يلبي رغبتهم فقط بالدراسات الإسبانية ـ العربية [الأندلسية] حصرياً.

ومن جهة أخرى يمكن أن يُرَدَّ وقوفُ كثير من المستشرقين البريطانيين الذين قدّموا في أثناء حياتهم العلمية أعمالاً حول الأندلس ـ عن متابعة التخصص في الدراسات الأندلسية ـ إلى أن تعدد الاهتمامات ضمن تخصُّص الاستشراق كان سمةً لغالبية أهله، ولا سيّما في القرن التاسع عشر مثلاً، وهو منسجم كذلك مع التوقعات التي كانت تحيط بالمستشرقين التقليديين: وهي أن الذي يعرف لغةَ شعبٍ من الشعوب قادر على الكتابة في أي شأنٍ من شؤونه: التاريخية أو الأدبية أو الدينية...؛ مما جعل تعدُّد ميادين اهتمامات المستشرقين وتنوُّع أعمالهم وبحوثهم شيئاً مألوفاً، وهي سمة استمرت حتى في أثناء القرن العشرين إلى حدٍ كبير، إلى أن بدأت تختفي تدريجياً ولكن ببطء شديد؛ بفعل التغيُّر الذي حصل في الدراسات الاستشراقية وتحوُّلها إلى نوع من الدراسات الشرق ـ أوسطية، يميل فيه الخبراء إلى التخصص الدقيق في مجال محدد.

ومما يزيد في بيان هذا التغير أن المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا في النصف الثاني من القرن العشرين تكاد تغلب عليهم سمة الاقتصار على دراسة التراث الأندلسي بالمرتبة الأولى من بين اهتماماتهم العلمية، مما يؤكد التوجه نحو التخصص الدقيق على حساب النظرة السابقة تجاه المستشرق بأنه ليس متخصصاً في شيء محدد.

(1) Harvey, Leonard Partick (1992), ***British Arabists and Al Andalus. Al Qantara,*** p. 432.

كما يلاحظ أن الأعمال التي أنجزها الاستشراق البريطاني في ميدان الدراسات الأندلسية لا تقتصر على المستشرقين أو المستعربين ممن يتخصصون في الدراسات العربية الإسلامية فقط، بل شارك في هذه الدراسات ـ ولا سيّما في النصف الثاني من القرن العشرين ـ علماءُ من تخصصات أخرى كعلماء الإسبانيات (Hispanist) وعلماء الدراسات العبرية (Hebraists) وعلماء القرون الوسطى (Medievalists) وعلماء الدراسات الرومانثية (Romanists)؛ وذلك نتيجةً للمباحث الكثيرة المتعددة التي انبثقت من اكتشاف الخرجات الرومانثية في الموشحات الأندلسية: العربية والعبرية ـ منتصف القرن العشرين؛ مما استدعى جدلاً واسعاً حول طبيعة تأثير الأدب الأندلسي في الآداب الأوربية، وقد استفزّ هذا الجدلُ الدائر كثيراً من العلماء من تخصصات شتى وفي بلدان عديدة، ساهموا بآرائهم في هذه القضية وما تولد عنها من قضايا.

ومن جهة أخرى لم يقتصر المستشرقون والباحثون في بريطانيا ـ من الذين كتبوا في المواضيع المتصلة بالتراث الأندلسي ـ على الكتابة في مواضيع في مجال معين منه، إذ كتب بعضهم في التاريخ الأندلسي وفي لغة أهل الأندلس وفي الأدب الأندلسي، وعمل بعضهم في ترجمة بعض النصوص الأندلسية: الشعرية والنثرية، وكتبوا في العمارة والتاريخ الاجتماعي والمجتمع الأندلسي، ولم يقتصروا على جانب واحد في حديثهم عن الأندلس وتراثها الحضاري؛ وإن رجحت كفة الموشحات الأندلسية ولهجة أهل الأندلس من جهة التراث الأدبي تحديداً: فقد قدّم جيمس دِكي (يعقوب زكي) تحقيقاً لـ (**ديوان ابن شُهَيد**) في دراسته الجامعية، وهو يتضمن دراسة في سيرة ابن شهيد وآرائه في النقد الأدبي، لكن جيمس دِكي في الوقت نفسه مهتم بالمدن الأندلسية وبالعمارة الإسلامية في إسبانيا، وقد نشَرَ بعض المقالات والفصول في هذا الموضوع.

كما أن جون ديريك ليثَم هو الآخر قد كتب في مواضيع عديدة في التاريخ الأندلسي السياسي[1]؛ وعن فئات سكان الأندلس خاصة المدجَّنين والموريسكيين، وكتَبَ في

(1) ينظر عناوين فصول كتابه: من الأندلس إلى المغرب الذي يضم مجموعة من مقالاته حول جوانب متعددة من التراث الأندلسي والمغربي:

* Latham, J. D. (1986), ***From Muslim Spain to Barbary, Studies on the History and Culture of the Muslim West,*** London: Variorum Reprints.

الحسبَة والموازين وغيرها، لكنه التفت كذلك في بحوث متعددة لاحقة إلى الموشحات الأَندلسية وعلاقة الشعر العربي في الأندلس بالشعر الغنائي الأوربي: مضموناً وموسيقا وعَروضاً.

وتبرز في مجال الدراسات الأندلسية في بريطانيا إلى الواجهة ظاهرة جديرة بالانتباه ـ وهي مما تتطلّبه هذه الدراسات في الوقت الراهن في البلدان الأوربية والعربية على السواء؛ لتؤتي نتائج أكثر ضبطاً وأشمل رؤية ـ ألا وهي أن الدراسات الأندلسية قد أصبحت ميداناً لعدد من التخصصات (كالإسبانيات والعبريات والرومانثيات ..)، وتحتاج بسبب ذلك إلى تعاون منهجي بين أهل التخصصات المختلفة؛ يمكّن الباحثين من تناول التراث الأندلسي ودراسته دراسةً أفضل مما سبق؛ نظراً لتداخل التراث الأندلسي بالتراث الأوربي: فالوقت الذي كان فيه علماء الإسبانيات لا يلتفتون بجِدّية إلى الأندلس «إسبانيا الإسلامية»، ويمرّون على صفحتها سريعاً في كتاب التاريخ الإسباني قد مضى، وأصبح من غير الممكن أن تُطوى تلك الصفحة ببساطة: وقد استدعى هذا معرفةَ اللغة العربية لدى غير المستعربين؛ من أجل الاطّلاع على التراث العربي الإسلامي في الأندلس، ودراسته على أنه جزء من التاريخ الإسباني، حتى إن لم يكن هذا مقبولاً لدى بعض الإسبان، وذلك من أجل فهم ظواهر عديدة تحتاج إلى هذا النوع من التداخل أو التعاون بين التخصصَين.

ومن جهة أخرى فإن القضايا الجديدة التي أثارتها احتمالية التأثير العربي في الآداب الأوربية والشعر الغنائي البروفانسي؛ تتطلب هي الأخرى معرفة اللغات التي سادت في هذه البقعة من أجل فهم أدق لصورة التداخل الذي حصل على أرض الأندلس؛ ونال في تأثيره المناطقَ القريبة، كما في قضايا الموشحات والأزجال ذات اللغات المتعددة، فقد أصبحت معرفة اللغة الرومانثية وعاميّة أهل الأندلس وأعجميّتهم ـ إلى جانب اللغتين العربية والإسبانية – مطلوبة للباحثين في هذا الميدان. وهذا الأمر مما ينبغي على الباحثين العرب أن يتداركوه؛ لأنه يجعل كفّة المستشرقين ترجح على كفّتهم في ميدان بحوث الدراسات الأندلسية، المتصلة بالموشح والزجل خاصة ؛ إذ إن قضية الخرجات الأعجمية الرومانثية التي اكتُشفت في الموشحات العربية الأندلسية ـ والتي هي موجودة كذلك في الموشحات

العبرية في الأندلس ـ أضافت بعداً جديداً في الدراسات الأندلسية، وفتحت الباب أمام اجتهادات مُحدَثة ووجهاتِ نظرٍ جديدة في هذا التراث.

بيد أن النشاط المتزايد في الدراسات الأندلسية في بريطانيا ـ وفي الغرب عامة ـ يسير باتجاه بعيد نوعاً ما عن الأدب الأندلسي كما استقر في أذهان الباحثين العرب؛ إذ تقترب تلك الدراسات بمناهجها وطرائق معالجة النصوص الأندلسية من ميدان الآداب المقارنة أكثر؛ بتركيزها على قضايا معينة بالذات، وهي تلك التي تتصل بالخرجات الرومانثية، والمسائل العروضية في الموشحات الأندلسية، ولغة أهل الأندلس..وغيرها من القضايا التي يناقشها علماء من تخصصات عديدة ليس منها دائماً تخصص اللغة العربية والأدب العربي، ولهذا فإن منظور الباحثين الذي يحكم أعمالهم في هذه القضايا يتباين تبعاً للتخصص الذي ينتمي إليه الباحث، وكلٌّ منهم يريد أن يجرّ التراث الأدبي في الأندلس إلى حمى تخصصه.

المبحث الثالث: مشكلات ميدان الدراسات الأندلسية في بريطانيا

كانت معظم البحوث الاستشراقية في ميدان الدراسات الأندلسية ـ حتى وقت قريب ـ تُنشَر باللغتين الإسبانية والفرنسية؛ نظراً لأن الفضل في إغناء هذا الميدان بالبحوث والدراسات كان من نصيب العلماء المتخصصين بالدراسات الأندلسية من المدرسة الاستشراقية الإسبانية؛ ولأن بعض المتخصصين بالأندلس ـ من جنسيات مختلفة ـ اختاروا اللغةَ الفرنسية وسيطاً لنشر نتائج بحوثهم وأعمالهم في المجال الأندلسي (مثل الهولندي دوزي)، هذا بطبيعة الحال إلى جانب الباحثين والعلماء من المدرسة الفرنسية نفسها في مجال الدراسات الأندلسية (مثل ليفي بروفنسال).

ثم أخذت البحوث العلمية المنشورة باللغة الإنجليزية في ميدان الدراسات الأندلسية تزداد شيئاً فشيئاً، وذلك راجعٌ إلى الجهود المتزايدة التي يبذلها المستشرقون من أصحاب اللسان الإنجليزي في إغناء هذه الدراسات ببحوثهم ووجهات نظرهم الجديدة؛ ليأخذوا بنصيبهم في هذا الميدان إلى جانب علماء المدارس الاستشراقية الأخرى التي سبقَتهم.

وليست هذه الجهود مقتصرة فقط على الباحثين في بريطانيا؛ بل إن الدراسات الأندلسية أصبحت اليوم موضع عناية لدى الباحثين في القارة الأمريكية (شماليّها وجنوبيّها ووسطها)، وتلاقي تلك الدراسات هناك اهتماماً متزايداً يوماً بعد يوم لارتباطها بمجالات أخرى من البحث: كالإسبانيات، والدراسات العبرية، والرومانثية، ودراسات العصور الوسطى، ولكن ليس هنا محل الإفاضة في تبيان ذلك.

ومع النشاط المتزايد للاستشراق البريطاني في الدراسات الأندلسية، منذ الربع الأخير للقرن العشرين خاصة؛ فإننا يجب أن نعترف بأن هذا النشاط ما زال محدوداً ـ نوعاً ما ـ قياساً إلى الإنجازات التي حققتها المدارس الاستشراقية الأخرى نظراً لأسبقيتها في تلك الدراسات، وليس في ذلك انتقاص من مقدرة الاستشراق البريطاني على خوض ذلك الميدان، وإنما قد يُرَدُّ الأمر إلى السمات العامة للاستشراق البريطاني التي كان من أهمها في القرن التاسع عشر ـ وهو القرن الذي شهد مطلعُه نشوء ميدان الدراسات الأندلسية ونموّها في أوربا ـ ارتباطه بالعوامل السياسية والاستعمارية ارتباطاً قوياً لا يُنكَر، ومن أجل ذلك فقد ازدادت حينها العنايةُ بالدراسات المتصلة بشبه القارة الهندية، التي كانت جوهرة التاج البريطاني، ثم بالدراسات العربية والإسلامية للشرق في النصف الثاني من ذلك القرن عقب الاحتلال الإنجليزي لمصر خاصة.

ويبدو أن التنافس الاستعماري وتقسيم العالم العربي بين فرنسا وإنجلترا قد أوجد نوعاً من تقسيم الاختصاصات بينهما في ميدان البحث الاستشراقي كذلك: فصارت مصر والعراق والجزيرة العربية من اختصاص الإنجليز، وصارت بلاد المغرب العربي وسورية ولبنان من اختصاص الفرنسيين، ونشط كلا الفريقين في الدراسات التي أتاحتها له تلك البلاد؛ بما يخدم مصالحه لتثبيت وجوده فيها.

ولهذا لم يكن التوجّه الأكاديمي على وجه التحديد نحو الدراسات الأندلسية من قِبَل الإنجليز واضحاً آنذاك، وقد استغرق القرنَ التاسع عشر كلَّه ومطلع القرن العشرين، إلى أن بدأت جماعة من الباحثين في معاهد العلم في بريطانيا (ولم يكونوا دائماً من أبناء بريطانيا) تقدم وجهة نظرها الخاصة ـ إن جاز التعبير ـ أو جهودها الخاصة في دراسة الأندلس.

ومع تلك الجهود الناشئة والمتنامية يوماً بعد يوم، فإنه لا يمكن القول: إن في بريطانيا شيئاً يشبه جماعة (بني كوديرا) في إسبانيا[1]، وهي جماعة من الباحثين الذين تلمذوا للمستشرق فرانشيسكو كوديرا زيدان (1917)، ومنهم: خوليان ريبيرا (ت1934) وآسين بلاثيوس (ت1942) وأنخل بالنثيا (ت1949)، ثم تابعهم إميليو غرسية غومس (ت1995)، وكانوا مدرسةً في الدراسات الأندلسية ذات منهج وأركان وخُطا يتلمّسها كلٌّ منهم على نهج سابقيه؛ إذ يختلف الاستشراق الإسباني في هذا عن البريطاني؛ لأنه في حالة الباحثين الإسبان فإن الأندلس قد اتخذت لها مكاناً خاصاً في نفوسهم؛ بعد أن أُعيد النظرُ في العلاقة بين (إسبانيا الإسلامية) و(إسبانيا المسيحية) وصار يُنظَر إلى الأندلس على أنها جزء من التاريخ القومي الإسباني، وصار الإسبانيُّ يشعر بأن الأندلس تعني له شيئاً مميزاً عما تعنيه للأوربي؛ على الرغم من محاولات القطيعة التي سادت إسبانيا منذ سقوط غرناطة في القرن الخامس عشر، حتى أواخر القرن الثامن عشر حين هبوب رياح التنوير، التي أدّت بالإسبان إلى الإقبال على التراث الأندلسي المخطوط بنَهَم، وهو الذي تحتفظ إسبانيا منه بنصيب وافر، والانكباب عليه دراسةً وتحقيقاً ونشراً وترجمة، فأنتجوا سيلاً لا ينقطع من الدراسات والبحوث والترجمات والنصوص الكثيرة في تراث الأندلس، التي بزّوا فيها العلماءَ من المدارس الاستشراقية الأوربية الأخرى.

أما في بريطانيا فالحال مختلفة تماماً، ويفصّلها هيتشكوك (أحد أعلام الدراسات الأندلسية والإسبانية في بريطانيا) بقوله: «إن الباحثين في هذا الميدان ـ كما يتضح بالتحديد منذ الربع الأخير في القرن العشرين ـ هم أقرب ما يكونون إلى الجزر المعزولة إحداها عن الأخرى، وكل واحد منهم يحاول جهده إلقاء شيء من الضوء على جوانب متعددة من مظاهر الحضارة والثقافة الأندلسية التي تحظى باهتمامه»[2].

ويواجَه الباحثون والعلماء في مجال الدراسات الأندلسية بمشكلة عملية تتصل بالمستعربين الذين ينتمون إلى الهيئات العلمية في بريطانيا؛ ذلك أن المهتمين بالتراث

(1) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. **Al-Masaq**, 16 (2), p. 198.
(2) Hitchcock, Richard (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium.., p.199.

الأندلسي منهم يجدون أنفسهم يقفون موقفاً ملتبساً محيِّراً؛ ففي حين يعمل بعضُهم في أقسام الدراسات الإسبانية في الجامعات، ويُنظَر إليهم على أنهم متخصصون في القرون الوسطى، ويضطرون إلى تدريس مجالات بعيدة عن موضوع اهتمامهم؛ فإن بعضهم الآخر ليسوا بأفضل حالاً، إذ يجدون مكانهم في أقسام الدراسات الإسلامية حيث لا زال يُنظَر إليهم ـ حتى وقت قريب ـ على أنهم متخصصون في الدراسات العربية.

«وفي حين يبدو أن هؤلاء الباحثين والمتخصصين في الدراسات الأندلسية في بريطانيا ليس لديهم مَن يشاركونهم اهتماماتِهم البحثية؛ فإن لهم أصدقاء وزملاء من خارج بريطانيا يتبادلون وإياهم خبراتهم الأكاديمية وبحوثهم العلمية، وهذا التعاون الدولي يتجلى في علاقاتهم بالعلماء في دول أخرى مثل إسبانيا وشماليّ أفريقيا والولايات المتحدة، فلا تبقى نتائج بحوثهم وجهودهم العلمية حبيسة شرنقة ضيقة... بل على العكس، تحقق لها هذه الصلاتُ سمعة وتميّزاً في الدوائر الأكاديمية الدولية»(1)؛ مما أتاح الفرصة أمام الباحثين في الجامعات البريطانية لإغناء النقاش الدائر في الدراسات الأندلسية بآرائهم وأعمالهم المميزة، التي كانت أحياناً مثار نقاشات في أوربا أو على الضفة الأخرى للمحيط الأطلسي؛ حيث عنايةُ الباحثين الأمريكان في الشؤون الأندلسية ومساهمتهم فيها تتعاظم كمّاً وكيفاً.

أما فيما يتصل بالتعاون الدولي مع المستعربين الأوربيين خارج بريطانيا؛ فإن هذا التعاون كان وما زال من العوامل التي تدفع بالدراسات الأندلسية قدُماً في هذه البلاد: فقد كان لها دورها في السابق منذ أن نشر وليم رايت (**رحلة ابن جبير**) وساهم في ترجمة (**نفح الطيب**)، فالفضل في ذلك يعود إلى عوامل متداخلة؛ فوالدته الهولندية ـ التي كانت تعرف شيئاً من اللغات الشرقية ـ هي التي دفعته أولاً، وشجعته على المضيّ في دراستها، ثم كان لدراسته الجامعية في جامعة لَيدَن وتلمذته للهولندي رينهارت دوزي ـ المتخصص الأول في الدراسات الأندلسية في أوربا آنذاك ـ الدور الكبير في دفعه للبحث في التراث الأندلسي، فكان أن قام بتحقيق (**رحلة ابن جبير**)، وكانت باكورة حياته العلمية، ونال عنها درجة الدكتوراه من هناك، ثم بقي على اتصال مع أستاذه، فكان ثمرة ذلك التواصل أن

(1) Ibid, Pp. 198-199

استمر في العمل الجماعي معه، وهو ترجمة القسم الأول من (**نفح الطيب**) بمشاركة من مستشرقين آخرين كلهم كانوا يعملون تحت إشراف أستاذهم دوزي.

ويعطي التعاون الدولي بين المهتمين بالدراسات الأندلسية في بريطانيا وخارجها ثماره التي تتجلى في الأعمال المشتركة بين الجانبين مثل تأليف الكتب الجماعية وعقد المؤتمرات ـ مما تقدم بيانه في الفصل السابق ـ ويحاول المهتمون بالدراسات الأندلسية في بريطانيا من خلال عملهم في هذا الميدان وتثبيت أركانه في بلادهم أن يسدوا ثغرة في المصادر التي يعتمد عليها القارئ الإنجليزي لتحصيل المعرفة بالأندلس (إسبانيا الإسلامية)، وذلك ببذل المزيد من الجهود ونشر الدراسات والبحوث التي تغطّي ذلك النقص في المادة العلمية عن الأندلس المتاحة للقراء الناطقين بالإنجليزية، سواء أكانوا من المتخصصين أم من غيرهم. ذلك أن جزءاً من الصعوبات ـ التي تواجه القرّاء في سبيل معرفةٍ أفضل عن تاريخ المسلمين في إسبانيا ـ هي أنه لعقودٍ مضت كانت المصادر المتاحة للناطقين باللغة الإنجليزية في هذا المجال هي المصادر «الأجنبية»؛ فقد ظل قراء اللغة الإنجليزية عالة على البحوث والدراسات التي أُنجِزَت باللغات الأوربية الأخرى حول الدراسات الأندلسية، الإسبانية والفرنسية خاصة، مثلما يتضح من المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون البريطانيون الذين كتبوا في بعض جوانب التراث الأندلسي.

كما أن دراسة العهد الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية تعتمد على مصادر منقوصة أو غير دقيقة، ومنها تلك المصادر التي ألّفها بعض المستشرقين الإنجليز؛ لتسد جزءاً من الثغرة الموجودة في بريطانيا حول تاريخ المسلمين في الأندلس ـ ككتاب مونتغمري واط مثلاً (**في تاريخ إسبانيا الإسلامية**) ـ والانتقاد الذي يوجَّه عادة إلى مثل تلك المؤلفات هو أنها لم تعتمد على المصادر الأولية؛ أي المصادر التي تؤرخ للأندلس، سواء العربية أم اللاتينية أم الرومانثية، وأنها تعتمد عادة على كتاب ليفي بروفنسال (**تاريخ مسلمي إسبانيا**) الذي يحتل منزلة مهمة بين مصادر معرفة البريطانيين حول العهد الإسلامي في إسبانيا(1).

(1) Hitchcock, Richard (1986), Hispano-Arabic Historiography: The Legacy of J.A. Conde. In: Ian Richard Netton (Ed.), ***Arabia and the Gulf: from Traditional Society to Modern State. Essays in the Honour of M.A. Shaban`s 60th Birthday.*** London and Sydney: Crom Helm. P.57.

وهذا ما يجعل قارئ اللغة الإنجليزية يواجَه برؤية معينة مترسخة تجاه الأندلس، وهي وجهة النظر التي تأسست منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وساهم فيها أولاً المستشرق الإسباني كوندي ثم الهولندي دوزي، ثم تبعهما الفرنسي ليفي بروفنسال، وهناك الآن حاجة إلى إعادة تقويم لبعض الأخطاء، وإعطاء أحكامٍ جديدة في ضوء المعلومات الجديدة المكتشفة عن الأندلس [1].

ومن جانب آخر فإن وضع الدراسات المهتمة بالأندلس في بريطانيا وضعٌ يبعث على الأمل كما يرى هارفي[2]؛ ذلك أن المساهمة الإنجليزية في هذا الميدان ليست ضئيلة على الإطلاق، وأنّ كثيراً من المستعربين الشبان يبشرون بالجديد في هذا الميدان منهجاً وطريقة؛ فالإسلام نفسه لم يعد غريباً أو خارجياً بالنسبة إلى بريطانيا، بل هو ديانة مستقرة فيها بوجود جاليات مسلمة تعيش هناك، وسيكون مذهلاً معرفة أنّ المسلمين الأوربيين الجدد مهتمون بالمسلمين الأوربيين القدماء، لذا فإن من المتوقع في غضون القرن الحادي والعشرين أن تكون الدراسات البريطانية المهتمة بالأندلس من إنجاز هؤلاء بتقديم وجهة نظر جديدة في هذا الميدان.

(1) Hitchcock, Richard (1986), Hispano-Arabic Historiography: The Legacy of J.A. Conde , p.69.
(2) Harvey, Leonard Partick (1992), British Arabists and Al Andalus. P.436.

الخاتمة

وقف هذا الكتاب على اهتمام المستشرقين والباحثين في بريطانيا بالأدب الأندلسي، وحاول بيان عوامل ذلك الاهتمام ومظاهره، وتفسيره في ضوء خصائص المدرسة البريطانية نفسها وفي ضوء ميدان الدراسات الأندلسية والعناية بها في أوربا.

إن المدرسة الاستشراقية البريطانية هي جزء من النظرة الغربية العامة تجاه الأندلس، تتفق معها في أشياء، وقد تفترق في أخرى، بيد أن الملاحظة الواضحة التي تميز عمل المستشرقين والباحثين في بريطانيا في مجال الدراسات الأندلسية عامة هي أن عملهم ذاك في جانبٍ منه كان محاولةً لإثبات حضور بريطانيا في هذا المجال من الدراسات، الذي كان حكراً على مدارس أخرى فيما مضى، وبيان أن اهتمامات بريطانيا بمناطق شرقية محددة ـ الهند والمشرق العربي ـ بناءً على متطلبات نفوذها الاستعماري السابق لا يمنع من ارتياد آفاق جديدة من البحوث الشرقية.

وليس خافياً أن الدراسات الأدبية الأندلسية قد بلغت أوجَهَا عند المدرسة الإسبانية والمدرسة الفرنسية في المرحلة الاستعمارية المباشرة(1) ثم تراجعت المدرسةُ الفرنسية بتوجيه الاهتمام منذ ستينيّات القرن العشرين نحو قضايا الإسلام السياسي وما شابهها. أما المدرسة الإسبانية فما زالت تتصدر هذا الميدان من الدراسات حتى اليوم.

بيد أن ذلك لا يمنع من القول: إن المنجزات التي حققها الباحثون الذين ينتمون إلى الهيئات العلمية البريطانية في مجال الدراسات الأندلسية منجزات جيدة، وتلبي حاجات عدة، من أهمها توفير مادة علمية في البحث الأندلسي باللغة الإنجليزية.

(1) المقري، بدر (2004)، **أدب الغرب الإسلامي في دراسات المستعربين الفرنسيين: دراسة توثيقية تحليلية**، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب. ج1: ص106.

ويبدو ذلك مهماً في ضوء المقدمة المكثفة والمفيدة التي مهَّد بها نيكل لكتابه (Hispano-Arabic Poetry and It`s Relations With The Old Provencal Troubadours) الصادر سنة 1946 حين استعرض في تلك المقدمة مساهمات الأوربيين في دراسة الشعر الأندلسي منذ بداية القرن التاسع عشر، فلم يأتِ على ذكر أعمال في هذا المجال من بريطانيا؛ إلا من كتابين من الكتب العامة صدرا في بريطانيا: واحد لمؤلفه توماس بورك سنة 1811 والآخر لـ جورج بور[1] في 1815، وهما على كل حال ليسا بتلك الأهمية في الموضوع، فلم أعثر بهما في المصادر التي تؤرخ لدراسة الأدب الأندلسي لدى الأوربيين.

وكان كلام نيكل ـ في كتابه ـ ذاك تقريباً منتصف القرن العشرين، أما عند النظر في الدراسات الأندلسية مع مطلع القرن الحادي والعشرين؛ فإن الصورة قد أصبحت مختلفة تماماً؛ إذ لا يستطيع دارس الأدب الأندلسي اليوم في أوربا أن يتجاوز أعمالاً مهمة في هذا المجال أنجزها باحثون في بريطانيا، كان من أهمها أعمال صمويل شترن وألن جونز في أكسفورد، التي أغنت موضوع الأدب الشعبي الأندلسي ـ أي الموشحات والأزجال ـ بنصوص جديدة، وأصبحت موضوعاً يستحوذ على النصيب الأكبر من الدراسات والبحوث في الأدب الأندلسي اليوم بين الباحثين الغربيين.

وختاماً؛ لقد استطاعت بريطانيا أن تمدَّ يداً لميدان الدراسات الأندلسية وتضيف فيه إضافات واضحة؛ وإن كان عهدُها به جديداً ؛ لدخولها هذا المجال متأخراً عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأوربية. كما أن من ميزات هذه الإضافات أنها قد اتخذت لها سمتاً مغايراً إلى حدٍ ما عما شاع من قبل من نظرات في دراسة الأدب الأندلسي لدى المدارس الأخرى؛ باتجاهها إلى دراسة النصوص الأدبية الأندلسية نفسها وبناء الاستنتاجات عليها دون الاكتفاء بما تقدمه النظريات والمناهج الأدبية التي تعتني بالبحث في أجواء النصوص.

(1) Nykl, A.R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry and It`s Relations With The Old Provencal Troubadours***. Baltimore: J.H. Furst Company, (Reprint 1970), p. xi, and p.xv, no. 7.

1) المصادر والمراجع باللغة العربية

1. آرنولد، توماس (محرر) **تراث الإسلام**، (1983)، مجلدان، ترجمة: لجنة الجامعيين لنشر العلم، (صورة طبق الأصل من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام 1936)، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها.
2. أبو حيدر، جرير (1993)، الأصول العربية للموشحات الأندلسية، **راية مؤتة**، الأردن، 2 (2): 42–50.
3. أشباخ، يوسف (1996)، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج1، ترجمة محمد عبدالله عنان، (ط2)، القاهرة: مكتبة الخانجي.
4. آل طعمة، عدنان محمد (1987)، **المختار الأنيس من كتاب عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس**، (ط1)، مصراتة، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
5. الأهواني، عبد العزيز (1957)، **الزجل في الأندلس**، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية.
6. بالنثيا، أنخل جنثالث (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، (ترجمة حسين مؤنس)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية (طبعة 2006).
7. بدوي، عبد الرحمن (1984)، **موسوعة المستشرقين**، (ط1)، بيروت: دار العلم للملايين.
8. برجشتراسر (1982)، **أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات ألقاها على طلبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1932/1931**، إعداد: محمد حمدي البكري وتقديمه، الرياض: دار المريخ للنشر.
9. بروكلمان، كارل (1992)، **تاريخ الأدب العربي**، الإشراف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان (1988)، **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)**، ترجمة محمود المقداد (ط1)، بيروت: دار الفكر

المعاصر، دمشق: دار الفكر.
11. بنشريفة، محمد (1992)، العناية بتراث الأندلس في المغرب وإسبانيا، (23–36) **في التراث الحضاري المشترك بين المغرب وإسبانيا**، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. سلسلة الدورات.
12. بواز، روجر (1998)، التأثير العربي في الشعر الغزلي الأوربي، في: الجيوسي، سلمى (محررة)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، (657–696)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
13. بيلا، شارل (1970)، الموشح والزجل همزة وصل بين ثقافات مختلفة، **مجلة كلية الآداب: جامعة الرياض**، 1(1): 38–52.
14. تاتون، رنيه (1988)، **تاريخ العلوم العام**، ترجمة علي مقلد (ط1)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
15. جب، هاملتون (1936)، الأدب، في: آرنولد، توماس (محرر): **تراث الإسلام**، ج1،(149–221)، ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
16. جبريل، محمد (2000)، الترجمة نظرة مستقبلية، في: **ندوة قضايا الترجمة وإشكالياتها**،(273–282)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
17. الجبوري، يحيى (مترجم)، (1974)، فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة جامعة كمبردج، القسم الأول، **المورد**، بغداد، 3 (3)، (249 ـ 264).
18. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ)، **رحلة الكاتب الأديب البارع اللبيب أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير**، (ط2)، (تحقيق: دي خويه)، ليدن: مطبعة بريل، 1907.
19. جحا، ميشال (1982)، **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، (ط1). بيروت: معهد الإنماء العربي.
20. الجزار، المنصف (1989)، الترجمة الأدبية، (ص107–144)، في: **الترجمة**

ونظرياتها، إعداد: كمال عمران وآخرون، تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة).

21. جواد، عبد الستار (1992)، نقد الكتب في الصحافة البريطانية، في: **أوراق للريح: صفحات في النقد والأدب**، 102–106، (ط1)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

22. الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، (1998)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، جزءان، (ط1)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

23. الحاج، ساسي سالم (1993)، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، (ط2)، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي.

24. الحايك، سيمون (1987)، **تعرَّبت وتغرَّبت: نقل الحضارة العربية إلى الغرب**، لبنان، المطبعة البوليسية.

25. حبشي، حسن (مترجم)، (1994)، **المسلمون في الأندلس**، تأليف رنهرت دوزي (1861). الجزء الأول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

26. حسين، محمد توفيق (1979)، الإسلام في الكتابات الغربية، مجلة **عالم الفكر**، الكويت، 10 (2): (225–254).

27. حمادة، محمد ماهر (1981)، **المكتبات في العالم: تاريخها وتطورها حتى مطالع القرن العشرين**، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر.

28. حوراني، ألبرت (1994)، **الإسلام في الفكر الأوربي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

29. خطاب، صدقي (2000)، فن الترجمة وفن قراءتها، في: **قضايا الترجمة وإشكالياتها**،(171–184)، سلسلة أبحاث المؤتمرات (8)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

30. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني (ت 776هـ)، **جيش التوشيح**، تصحيح: ألن جونز، أوكسفورد: مطبعة الحسّابات لجامعة أوكسفورد، 1997.

31. دوزي، رينهرت (1978)، **تكملة المعاجم العربية**، 5 مجلدات، نقله إلى العربية د. محمد سليم النعيمي، الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والفنون، سلسلة المعاجم

والفهارس.
32. ـــــ (1995)، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة حسن حبشي، ج3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
33. دي فوينتس، ألبارو جالميس (1980)، أدب أواخر المسلمين والموريسكيين، **دراسات عربية**، بيروت، 16(7): (144–160).
34. دياب، عبد المجيد (1993)، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، (ط2)، القاهرة: دار المعارف.
35. ديب، عبد العظيم محمود (1411هـ)، **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**، (ط1)، كتاب الأمة، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.
36. رودنسون، مكسيم (1978)، الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية. في: شاخت وبوزوورث، **تراث الإسلام**، (27–100)، (ط1)، ترجمة محمد السمهوري، الكويت: سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
37. زيدان، يوسف (1998)، **حي بن يقظان: النصوص الأربعة ومبدعوها**، مصر: دار الأمين: طباعة – نشر – توزيع.
38. ساعي، أحمد بسام (1993)، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب (عدة الجليس)، (القسم الأول)، **آفاق الثقافة والتراث**، دبي، 1 (3): 17–25.
39. ساعي، أحمد بسام (1994)، الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب (عدة الجليس)، (القسم الثاني)، **آفاق الثقافة والتراث**، دبي، 1(4): 25–37.
40. سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، (ط2)، عبد الحميد شيحة (مترجم)، القاهرة: مكتبة الآداب.
41. سعيد، إدوارد (1995)، **الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء**، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، (ط4)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
42. شاك، فون (1999)، **الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ج1، القاهرة: دار الفكر العربي.

43. ابن شهيد، أبو عامر أحمد عبد الملك (ت426هـ)، **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، (جمعه وحققه: يعقوب زكي)، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969.
44. صالح، مدني (1981)، من ابن طفيل إلى دانيال دوفو، **آفاق عربية**، بغداد، 6 (5–8): 173 - 181.
45. ––– (1973)، ابن طفيل: من اللاهوت إلى الرواية الإنكليزية، **الأقلام**، بغداد، 9 (1): (6 - 12).
46. صالح، هاشم (مترجِم)، (1994). **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، (ط1)، بيروت: دار الساقي.
47. ––––(2007)، مدخل إلى التنوير الأوربي، (ط2)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
48. صليبا، موريس (1983)، **الدراسات العربية الإسلامية في الأطروحات والرسائل الجامعية، الإنكليزية والفرنسية والألمانية**، لبنان.
49. طحّان، ريمون (1983)، **الأدب المقارن والأدب العام**، (ط2)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
50. الطعمة، صالح جواد (2003)، **في العلاقات الأدبية بين العرب والغرب**، جدة: النادي الأدبي الثقافي.
51. الطيباوي، عبد اللطيف (1991)، **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية**، ترجمة: قاسم السامرائي، السعودي: جامعة الإمام محمد بن سعود، إدارة الثقافة والنشر.
52. الطويل، توفيق (1985)، **في تراثنا العربي الإسلامي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
53. عبد الحافظ، حسني (2009)، المكتبة البريطانية تحتفي بكنوز المعرفة العربية، **أحوال المعرفة**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ع 54: 64–67.
54. عبد الرؤوف، محمد عوني (2004)، **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

55. عبدالكريم، إبراهيم (1993)، **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**، (ط1)، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.
56. عزيز، يوئيل يوسف (مترجم)، (1975)، اللغات الشرقية وآدابها في القرن السابع عشر في إنكلترا، مجلة **الجامعة**، الموصل، 6 (1): 36–50.
57. ––––، (1987)، من رواد الدراسات العربية في إنكلترا: إدوارد بوكوك 1604–1691، **الاستشراق**، بغداد (2): 24–31.
58. العقيقي، نجيب (1980)، **المستشرقون**، 3 أجزاء، (ط4). القاهرة: دار المعارف.
59. علي بن بشري الأغرناطي (من أهل القرن الثامن الهجري)، **عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس**، تصحيح: ألن جونز، أوكسفورد: مطبعة مركز الحسّابات في جامعة أوكسفورد، 1992.
60. عنان، محمد عبد الله (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصّرين**، (ط4)، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
61. عناني، محمد زكريا (1995)، **في الأدب الأندلسي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
62. الغديري، مصطفى (1994)، كتاب عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس لعلي بن بشري الأغرناطي الأندلسي، **دراسات أندلسية**، تونس، ع(12): (68–73).
63. –––، (1998)، نظرية المستشرقين في أصول الموشحات الأندلسية: عرض ونقد، في: الغديري، مصطفى (محرر)، **البحث في التراث الغرناطي: حصيلة وآفاق**، (15–37)، مدينة وَجدَة، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول.
64. فتاح، عرفان عبد الحميد (1991)، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، (ط1)، بيروت: دار الجيل.
65. فتح الله المحامي، جرجيس (مترجم)، (1972)، **تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**، لهنري جورج فارمر(1929)، بيروت: دار مكتبة الحياة.
66. فنديك، إدوارد (1409هـ)، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أجل التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية**، (ط2)، صححه السيد محمد الببلاوي، قم المقدسة: منشورات مكتبة

آية الله العظمى المرعشي النجفي، (الطبعة الأولى بمصر سنة 1897م/ 1313هـ).

67. فوك، يوهان (2006)، **الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين**، (ط1)، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، القاهرة: زهراء الشرق.

68. كاكيا، بيير (1998)، الأدب الأندلسي، في: الجيوسي، سلمى (محررة)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1،(461–473). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

69. كاون، داود (1978–1979)، **حركة الاستشراق في المملكة المتحدة قديماً وحديثاً**، (185–198). في: محاضرات الموسم الثقافي: الإمارات العربية المتحدة.

70. كورينتي، فيدريكو (1997)، الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة، **مجلة مجمع اللغة العربية**، القاهرة، (ع81): 18–26.

71. لؤلؤة، عبد الواحد (1981)، ملامح عربية في بواكير الشعر الأوربي، في: **النفخ في الرماد: دراسات نقدية**، (97–168)، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر.

72. لويس، برنارد (دون تاريخ)، **تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية**، (ط2)، لندن: المستمع العربي.

73. ليفي بروفنسال، إيفاريست (2000)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية**(711–1031)، ترجمه عن الإسبانية: علي عبد الرؤوف وعلي إبراهيم المنوفي والسيد عبد الظاهر عبدالله، (ط3)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

74. مؤنس، حسين (1945–1946)، الأشعار الأندلسية وأثرها في الأشعار الأوربية: رأي المدرسة الإسبانية، **مجلة الثقافة**، مصر، الأعداد: 364 ـ 372.

75. مطبقاني، مازن (1995)، **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس**، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.

76. المعتمد، محمد بن عباد (ت 484هـ)، **ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية**، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين، (ط4)، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 2002.

77. المقري، بدر (2004)، **أدب الغرب الإسلامي في دراسات المستعربين الفرنسيين: دراسة**

توثيقية تحليلية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
78. مكي، محمود علي وآخرون (1970)، **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
79. مكي، محمود علي (مترجم)، (1999)، **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي**، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة.
80. الملا، ناصر جاسم (2001)، اتجاهات الاستشراق الإنجليزي حتى قيام الحرب العالمية الثانية. **مجلة البحرين الثقافية**، البحرين، 8–9 (30): 118–125.
81. المنجد، صلاح الدين (1976)، **قواعد فهرسة المخطوطات العربية**، (ط2)، بيروت: دار الكتاب الجديد.
82. نيكلسون، رينولد (1978)، التصوف، في: **تراث الإسلام**، (ص303–335)، (ط3)، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
83. نيو مارك، بيتر (1986)، **اتجاهات في الترجمة (جوانب من نظرية الترجمة)**، ترجمة محمود إسماعيل صيني، الرياض: دار المريخ.
84. الهلالي، محمد تقي الدين (مترجم)، (1985)، **مدنيّة المسلمين في إسبانيا** لجوزيف ماك كيب، (ط2)، الرباط: مكتبة المعارف.
85. هيسيل، ألفرد (1980)، **تاريخ المكتبات**، ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة، (ط2)، الرياض: دار المريخ للنشر.
86. وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا**، (ط1)، ترجمة محمد رضا المصري، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
87. وزان، عدنان محمد (1983)، **مطالعات في الأدب المقارن**، السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع.
88. يونغ، لويس (1979)، **العرب وأوربا**. ترجمة ميشيل أزرق، (ط1)، بيروت: دار الطليعة.

2) المصادر الإلكترونية:

1 ـ Oxford University,(2004), *Oxford Dictionary of National Biography,* Oxford University Press, http://www.oxforddnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo/

2 ـ http://www.studyoverseas.com/universitiesuk.htm

3 ـ http://www.geocities.com/muwashshah/

3) المراجع باللغة الإنجليزية وبغيرها:

Bibliography

1- Abu Haidar, Jareer (2001), The Language and the Function of the Hispano-Arabic Zajal, in: ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** (pp. 31 41 ـ). Originally published in: A. K. Irvine, R. B. Serjeant, and Rex Smith, (Eds.), (1988), ***A Miscellany of Middle Eastern Articles, in Memoriam Thomas Muir Johnstons 1924-1983,*** Harlow: Longman.

2- ----- (2001) ـ The Diminutives in the Diwan of Ibn Quzman: A Product of Their Hispanique Milieu, in: ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** (pp.86-104). Originally published in: **The Bulletin of SOAS,** vol. 52 (2), (1989), pp. 239-254.

3- ----- (2001), The Script and Text of Ibn Quzman`s Diwan, in: ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** (pp. 54-85). Originally published in: **Al-Qantara**, vol. 19 (2), (1998), pp. 273-314.

4- ------ (2001), ***Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics,*** Surrey: Curzon Press.

5- Arberry, A. J. (1943), ***British Orientalists,*** London: William Collins.

6- ------ (1953), ***Moorish Poetry: A Translation of the Pennants: An Anthology Compiled in 1243 by the Andalusian Ibn Sa`id.*** New York: Cambridge University Press.

7- Arberry, A.J. (1960), ***Oriental Essays: Portraits of Seven Scholars.*** London: Goerge Allen and Unwin Ltd.

8- ----- ـ (Tr.), (1994), ***The Ring of the Dove, by Ibn Hazm: A Treatise on The Art and Practice of Arab love,*** London: Luzac Oriental. (First

published 1953).

9- Armistead, G. Samuel (1987), A Brief History of Kharja Studies, **Hispania,** 70 (1). Pp. 8-15.

10- Auchterlonie, Paul (Ed.) (1981), ***Collections in British Libraries on Middle Eastern and Islamic Studies.*** University of Durham, Center for Middle Eastern and Islamic Studies. Occasional Papers Series No.12.

11- ---- (1986), Arabic studies in Britain: The development of Arabic Studies in Britain from the Middle Ages to the Present Day. In: Burnett, David. (Ed.) ***Arabic Resources: Acquisition and Management in British Libraries:*** (pp.1-10), London and New York: Mansell Publishing Limited.

12- Bosworth, C.E. (1977), Orientalism and Orientalists. In Diana Grimwood-Jones, Derek Hopwood and Pearson, J.D (Eds.), ***Arab Islamic Bibliography.*** (pp.148-158), England: Harvester Press and USA, Humanities Press.

13- Broadhurst, R. J. C. (1952), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** London: Jonathan Cape.

14- Broennle, Paul (1907), ***The Awakening of The Soul,*** London: Wisdom of The East. (Third Edition).

15- Buchnan, M.A. (1935), Alhambraism, **Hispanic Review,** 3 (4). Pp. 269-274.

16- Carlyle, J.D. (1796), ***Specimens of Arabian Poetry, from the Earliest Time to the Extinction of the Khaliphat,*** with some account of the authers. Cambridge: John Burgs.

17- Clouston, W. A. (1986), ***Arabian Poetry for English Readers.*** London: DARF Publishers Limited. (First published 1881).

18- Colin Wakefield (1994), Arabic Manuscripts in the Bodleian Library: The Seventeenth-Century Collections. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of The Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.128-145), Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

19- Collins, Roger (Ed.), (2002), ***Medieval Spain: Culture, Conflict and Coexistence.*** USA: Palagrave Macmillan.

20- Conde, J. A. (1854-1855), ***History of the Dominion of the Arabs in Spain,*** Translated from Spanish by Mrs. Jonathan Foster, 3 volumes. London: Henry G. Bohn.

21- Conrad, Lawrence, I. (General Editor), (1998), ***The Formation of al-Andalus,*** Hampshire, U.K.: Ashgate Publishing.

22- ----- ـ (Ed.). (1996), ***The World of Ibn Tufayl on Hayy ibn Yaqzan: Interdisciplinary Perspectives***. Leiden: E. J. Brill.

23- Corriente F. and Angel Saenz-Badillos (1991), ***Poesia Estrófica: Actas del Primer Congreso Internacional sobre Poesia Estrófica Arabe y Hebrea y sus Paralelos Romances (Madrid, 1989),*** Madrid. Instituto de Cooperación con el Mundo Arabe.

24- Craster, Sir Edmund (1981), ***The History of The Bodleian Library.*** Oxford: The Bodleian Library. (The first edition 1952).

25- De Slane, Mag Guckin (1944), ***Ibn Khillikan`s Biographical Dictionary.*** Vol. 1. Beirut: Librairie Du Liban. (First published 1842-1871).

26- Dozy, Reinhart (1972), ***Spanish Islam: A History of The Moslems In Spain.*** Translated by Francis Griffin Stokes. London: Frank Cass. First Edition 1913.

27- Ellis, A. G. and Edwards Edward (1912), ***A Descriptive List of the Arabic Manuscripts Acquired by The Trustees of the British Museum,*** London: Longman & Co.

28- Ellis, A. G. (1967), ***Catalogue of Arabic Books in The British Library,*** London, Published by The Trustees of The British Museum, (First published 1894).

29- Fulton, Alexander Strathern (Ed.) (1929), ***The History of Hayy Ibn Yaqzan by Abu Bakr Ibn Tufail, Translated From Arabic By Simon Ockley,*** New York: Frederick A. Stokes Company Publishers.

30- Guant, Simon and Julian Weiss (2004), Cultural Traffic in the Medieval Studies, **Journal of Romance Studies,** vol. 4 (3), pp.1-11.

31- Gibb, H.A.R. (1926), ***Arabic Literature: An Introduction.*** London: Oxford University Press, Humphrey Milford.

32- Goodcare, H. J and Prichard, A. P, (1977), ***Guide To The Department of Oriental Manuscripts and Printed Books,*** British Library Reference Division, London: British Museum Publications Limited.

33- Hamilton, ALastair (1994), An Egyptian Traveller in The Republic of Letters: Joseph Barbatus or Abudacnus the Copt, **Journal of The Warburg and Courtauld Institute,** Vol. 57, pp. 123-150

34- ------ (1985), ***William Bedwell The Arabist** (1563-1632)*. Leiden: E.J Brill.

35- Harvey, L. P. (1962), A morisco manuscript in the Godolphin collection at Wadham College Oxford, **Al-Andalus,** vol. 27 (2), pp.461-465.

36- ---- - (Ed.), (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry, Studies by Samuel Miklos Stern,*** Oxford: The Clarendon Press.

37- ----- - , British Arabists and Al-Andalus. **Al Qantara,** 13 (2). pp. 423-436.

38- ----- (1992), ALAN JONES, Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwaššah Poetry: a Paleographical Analysis, Ithaca Press, London, for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University, 1988. Pp. x + 306; EMILIO GARCÍA GÓMEZ, El escándalo de las jarchas en Oxford, Madrid, Real Academia de la Historia, 1991 (= Boletin de la Real Academia de la Historia, CLXXXVIII, 1991). Pp. 104, **Journal of Arabic Literature,** Volume 23, (1), pp. 71-74.

39- ----- (2005), ***Muslims in Spain, 1500-1614,*** Chicago and London: University of Chicago Press.

40- Hitchcock, Richard (1980), The Kharjas as Early Romance Lyrics: A Review ***Modern Language Review,*** vol. 75, pp.481-491.

41- ---- (1985), The Fate of the Kharjas: A Survey of Recent Publications, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies,** Vol. 12 (2), pp. 172-190.

42- ---- (1986), Hispano-Arabic Historiography: The Legacy of J.A. Conde. In: Ian Richard Netton (Ed). ***Arabia and the Gulf: from Traditional Society to Modern State. Essays in the Honour of M.A. Shaban`s 60th Birthday.*** (Pp.57-71). London and Sydney: Crom Helm.

43- ---- (1991), Interpreting Romance Kharjas, In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja,*** pp. 49-59.

44- Hitchcock, Richard and Lopez-Morillas Consuelo (1996), ***The Kharjas: A critical Bibliography,*** Supplement No.1. London: Grant & Cutler Ltd.

45- ---- (2002), The Conquest of Granada in Nineteenth-century English and American Historiography. In: Collins, Roger (ed.) ***Medieval Spain: Culture, Conflict, and Coexistence.*** USA: Palagrave Macmillan. Pp. 242-265.

46- ---- (2004), Hispano-Arabic Studies in The new Millennium: The UK. ***Al-Masaq,*** 16 (2). Pp. 197-204.

47- Holt, P.M. (1957), The Study of Arabic Historians in Seventeenth-century England: The Background and The Work of Edward Pococke, ***Bulletin of the School of Oriental and African Studies,*** University of London, Vol.19 (3), pp. 444-455.

48- Holt, P.M. (1962), The Treatment of Arab History by Prideaux, Ockley, and Sale. In: Lewis, Bernard and Holt, P.M (Eds.), ***Historians of The Middle East.*** (pp.290-302). London: Oxford University Press.

49- ---- (1994), Arabic Studies in Seventeenth-century England. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of The Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.20-29). Leiden. New York: Koln: E.J. Brill.

50- Hourani, Albert (1984), Middle Eastern Studies Today, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies).** Vol. 11 (2). pp. 111-120.

51- Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994), ***The Legacy of Muslim Spain,*** 2 vols. Leiden, New York, Koln: E.J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).

52- Jones, Alan, (1975). The Computer and Material in Middle Eastern Languages, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**, Vol. 2 (1), pp. 14-16.

52- ---- (1977), The Oxford Corpus of Andalusian Muwashshahat, **Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)**, Vol. 4 (1) , pp. 42-43.

53- ---- (1980), Romance Scansion and the Muwassahat: An Emperor's New Clothes, **Journal of Arabic Literature**, Vol. 11, pp. 36-55.

54- ---- - (Ed.), (1988), ***Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry: A Palaeographical Analysis***, London: Ithaca Press.

55- -----, (1991), "Omnia Vincit Amor", In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja***, pp. 88-103.

56- Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), (1991). ***Studies on the Muwassah and the Kharja Proceeding of the Exeter International Colloquium***, UK, Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University.

57- Jones, Alan (Ed.), (1992). ***The Uddat al-Jalis of Ali Ibn Bishri: An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat***, Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial.

58- ---- - (Ed.), (1997). ***The Jaysh al-Tawshih of Lisan al-Din Ibn al-Khatib:***

An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat, Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial.

59- Kennedy, Philip F. (1991), Thematic Relationships between the *Kharjas,* the Corpus of *Muwashshahat* and Eastern Lyrical Poetry. In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), (1991), ***Studies on the Muwassah and the Kharja, Proceeding of the Exeter International Colloquium***, (pp. 68-87). UK, Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University.

60- Krenkow. F. (1930), Deux Nouveaux Manuscrits Arabes sur par le Muesee Britannique, **Hesperis**, vol. 10 (1-2). pp. 1-5.

61- Lane-Poole Stanley, (1984), ***The Moors in Spain***, London: DARF Publishers Limited (First Edition 1887).

62- Latham, J. D. (1983), The Prosody of an Andalusian Muwashshah re-examined, In: Bidwell, R. L. and Smith, G. R., ***Arabian and Islamic Studies: Articles Presented to R. B. Serjeant …,*** London and New York: Longman.

63- ---- (1986), ***From Muslim Spain to Barbary, Studies on the History and Culture of the Muslim West,*** London: Variorum Reprints.

64- Levine, Kenneth (1986), ***The Social Context of Literacy.*** London, Boston and Henley: Routledge and Kegan Paul.

65- Lewis, Bernard (2004), ***From Babel to Dragomans: Interpreting The Middle East***. Oxford: Oxford University Press.

66- McLouchlin, Leslie (2002), ***In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century***. London: Ithaca Press.

67- Menocal, Maria Rosa (1987), ***The Arabic Role in Medieval History: A Forgotten Heritage***, Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

68- Menocal, Maria Rosa, Raymond P. Scheindlin, and Michael Sells, (Eds). (2000), ***The Literature of Al-Andalus.*** Cambridge: Cambridge University Press. *The Cambridge History of Arabic Literature*.

69- Michael, Nahas. (1986), (Note) A Translation of Hayy B. Yaqzan By The Elder Edward Pococke (1604-1691). **Journal of Arabic Literature**, vol. 16, pp. 88-90.

70- Monroe, James. T. (1970), ***Islam and the Arabs in Spanish Scholarship (Sixteenth century to the Present)***. Leiden: E. J. Brill.

71- Morray, David (2003), Materials for the Study of Arabic in the Age of the Early Printed Book. In: Richards, D.S. ***Texts, Documents and Artefacts: Islamic Studies in The Honour of D.S Richards***. (pp. 405-414). Leiden: Brill.

72- Murphy, James Cavanah (1813), ***The Arabian Antiquities of Spain***. London: Reprinted in Granada: Turpiana, S.A. 1987 .

73- Nicholson. Reynold A. (Ed.), (1978), ***The Tarjuman Al-Ashwaq: A Collection of Mystical Odes, by Muhyddin Ibn Al-`Arabi***, India: Ayder, Madras, USA: Wheaton, Illinos.

74- ---- (1993), ***Literary History of the Arabs***. Surrey: Curzon Press. (First Published 1907).

75- Nykl, A.R. (1946), ***Hispano-Arabic Poetry and It`s Relations With The Old Provencal Troubadours.*** Baltimore: J.H. Furst Company. (Reprint 1970).

76- Ockley, Simon (Tr.) (1708), ***The Improvement of Human Reason Exhibited in the Life of Hai Ebn Yokdhan***, Translated from the original Arabick. London: Edm. Powell.

77- Pearson, J.D. (1971), ***Oriental Manuscripts in Europe and North America / A Survey.*** Switzerland: Inter Documentation Company AG.

78- Penelas, Mayte (2004), Hispano-Arabic Studies In The New Millennium: Spain, **Al-Masaq**, 16 (2), pp.227-238.

79- Raquejo, Tonia (1986), ***The "Arab Cathedrals": Moorish Architecture as Seen by British Travellers***. The Burlington Magazine, 28 (1001). Pp. 555-563.

80- Robert, Jones (1994), The Medici Oriental Press (Rome 1584-1614) and the Impact of its Arabic Publications on Northern Europe. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of The Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.88-108). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

81- Roper, Geoffrey (1985), ***Arabic Printing and Publishing in England Before 1820***. Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies). Vol. 12, No. 1. Pp. 12-32.

82- Russell, G. A. (1994), Introduction: The Seventeenth Century: The Age of 'Arabick'. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.1-19). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

83- ----- (1994), The Impact of the Philosophus Autodidactus: Pocockes,

John Locke and the Society of Friends. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of The Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp. 224-265). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

84- Saglia, Diego (2000), ***Poetic Castles in Spain: British Romanticism and Figurations of Iberia,*** Amesterdam-Atlanta: Rodopi B.V.

85- Sale, Goerge (1743), ***The Koran Commonly Called The Alcoran of Mohammed.*** London: C. Ackers.

86- Saliba, Maurice (1983), ***Arabic and Islamic Studies Doctoral Dissertations and Graduate Theses in English, French and German 1881-1981,*** Lebanon.

87- Scott, S. P. (1904), ***History of The Moorish Empire in Europe,*** 3 vols., Phildelphia and London: J. B. Lippincott Company.

88- Smart, Jack (1991), The Rhetorical Term Tawsih and it`s Relation to the Art of the Muwassah, In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja Proceeding of the Exeter International Colloquium,*** UK, Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University. (pp. 104-114).

89- Simpson, J. A. and Weiner, E. S. C. (1989), ***The Oxford English Dictionary, Second edition,*** 20 vols., Oxford: Clarendon Press.

90- Smith, Dulcie Lawrence (1915), ***The Poems of Mu`tamid: King of Seville***, London: Wisdom of The East.

91- Stern, S. M. (1951), Studies on ibn Quzman, **Al-Andalus**, xvi, pp. 381-425.

92- Stern, S. M. (1955), Two Anthologies of Muwassah poetry: Ibn al-Hatib`s Gays al-tawsih and al-Safadi`s Tawsi` al-tawsih, **Arabica**, ii: 150-192.

93- Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry,*** Studies selected and edited by: L. P. Harvey, Oxford: Clarendon Press.

94- Stocks, Peter and Baker, Colin (2001), ***Subject-Guide to the Arabic Manuscripts in the British Library,*** London: The British Library.

95- Toomer, G. J. (1996), ***Eastern Wisedome and learning: The Study of Arabic in Seventeenth-century England.*** Oxford, Clarendon Press.

96- Trend, J. B. (1990), ***Spain from the South.*** London: DARF Publisher Ltd.

97- ***The Encyclopaedia of Islam,*** New Edition, (1960-2002). Prepared by A Number Of Leading Orientalists, Under The Patronage Of The

International Union Of Academics, Leiden – New York: E. J. Brill.

98- Vivian Salmon (1994), Arabists and Linguists in Seventeenth-Century England. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.54-69). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

99- Wakefield, Colin (1994), Arabic manuscripts in the Bodleian library: The Seventeenth-century Collections. In: Russell, G. A. (Ed.), ***"Arabick" Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England.*** (pp.128-146). Leiden. New York. Koln: E.J. Brill.

100- Walzer, Richard (1972), Samuel Stern: In Memoriam, **Israel Oriental Studies**, Vol. 2, Pp.1-14.

101- Wansbrough, John (1970), Obituary: Samuel Miklos Stern***,*** **Bulletin of The School of Oriental and African Studies.** Vol. 3 (3). pp. 599 602 ـ.

102- Westseijn, David (2004), Dutch Scholars on Muslim Spain. **Al-Masaq**, 16 (2) pp.205-25.

103- Whishaw, Bernhard and Ellen M. (1986), ***Arabic Spain, Sidelights on her History and Art.*** London: DARF Publishers Ltd. (First Published 1912).

104- Wright, Owen (1998), Music in Islamic Spain, In: Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994). ***The Legacy of Muslim Spain,*** 2 vols. (vol.2, pp. 555-579), Leiden, New York, Koln: E.J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).

105- Wright, William (1907), ***The Travels of Ibn Jubayr,*** (Second Edition Revised by: M. J. De Goeje), Leyden: E. J. Brill, London: Luzac & Co.

106- Wulstan, David (1982), The *Muwassah* and *Zagal* Revisited, **Journal of the American Oriental Society,** Vol. 102)2), pp. 247-64.

الملاحق

الملحق الأول

المستشرقون البريطانيون المهتمون بالتراث الأندلسي

يحاول هذا الملحق أن يعدد أعمال المستشرقين البريطانيين حول الأدب العربي في الأندلس، ما أمكن حصر ذلك. ومن المفيد في مستهلّه بيان الطريقة التي يقوم عليها: ففي سرد الأعمال التي نُشرت خلال القرون من السابع عشر إلى التاسع عشر – قامت الباحثة بترتيب أعمال المستشرقين تاريخياً وفقاً لزمان ظهورها؛ وذلك نظراً لقلّة أعداد الأعمال المنشورة عن التراث الأدبي الأندلسي.

أما الأعمال التي قدّمها المستشرقون البريطانيون في القرن العشرين في القرن العشرين فقد تعددت للمستشرق الواحد (ما بين كتب أو مقالات أو مشاركة في مؤتمرات وكتب جماعية... إلخ) ولهذا كان ترتيب الأعمال المنشورة في القرن العشرين وفقاً لأسماء المستشرقين والباحثين أنفسهم، مرتّبة على حروف الهجاء العربية للاسم الأخير، ثم رُتِّبت أعمالُ كلٍّ منهم وفق ظهورها تباعاً.

ومن الجدير التذكير أن الأعمال عن الأدب الأندلسي التي قدّمها هؤلاء هي من باحثين ومستعربين ومستشرقين ممّن عملوا أو يعملون في الجامعات البريطانية، وإن لم يكونوا دائماً من أبناء بريطانيا– فإنها تضاف إلى رصيد الدراسات الأندلسية ومظاهر العناية بها في بريطانيا[1].

كان المصدر الرئيسي للتعريفات القصيرة بالمستشرقين والباحثين البريطانيين معجم أكسفورد للتراجم الوطنية: *Oxford Dictionary of National Biography*[2] الطبعة الإلكترونية الصادرة عن جامعة أكسفورد سنة 2004، وذلك فيما يتصل بتراجم الأعلام البريطانيين من المستشرقين القدامى ممن كانت وفياتهم قبل سنة 2003.

أما الباحثون من المستعربين الجدد والشباب وغيرهم ممن ما يزالون على قيد الحياة – فقد تنوعت مصادر الترجمة الموجزة المعروضة لهم وأُخِذت من سِيَرهم الذاتية ومن المواقع الإلكترونية لأماكن عملهم في الجامعات ومراكز البحوث مثلاً، أو من الأوراق والبحوث التي قدموها في المؤتمرات والدوريات المختلفة... وكانت تحمل تعريفاً بهم وبالمؤسسات التي ينتمون لها، أو من مقالات التأبين التي قيلت في بعضهم، أو من فواتح كتبهم مما تحمله من إهداء أو شكر، وغيرها من الإشارات التي تُعِين في التعريف بهم من المصادر المتفرقة.

---

[1] ينظر مقدمة هذا الكتاب.

[2] Oxford University Press, (2004), ***Oxford Dictionary of National Biography***, (Electronic Version), Oxford: Oxford University Press. www.oxfordbnb.com.ezlibrary.ju.edu.jo

تاريخ النشر	نوع العمل	العنوان	اسم المؤلف
		القرن الســــابع عــشـــر	
تاريخ النشر	**نوع العمل**	**العنوان**	**اسم المؤلف**
1671	كتاب	**رسالة حي بن يقظان** بالعربية، مع ترجمة لاتينية بعنوان: الفيلسوف المعلم نفسَه بنفسه[1]: *Philosophus Autodidactus sive Epistola Abi Jaafar Ebn Tophail de Hai ebn Yokdhan in qua Ostenditur quomodo ex inferiorum contemplatione ad Superiorum notitiam Ratio humana ascenere possit*	**إدوارد بوكوك الابن** (1726-1648) Edward Pococke (Junior) مستشرق
1674	كتاب	ترجمة **حي بن يقظان** إلى الإنجليزية عن نسخة بوكوك اللاتينية بعنوان طويل ينم على موضوع الرسالة: *An Oriental Account of the Oriental Philosophy shewing the Wisdom of some renauned men of the East, and particularly the profound wisdom of Hai Ebn Yokdhan, both in natural and devine things, which he attained without all converse with men perfection.*	**جورج كيث** **(1716-1638)** George Keith كاهن في كنيسة إنجلترا وواحد من الكويكرز الاسكوتلنديين
1686	كتاب	نشر ترجمة إنجليزية لرسالة **حي بن يقظان** بعنوان تاريخ حي بن يقظان الأمير الهندي: *The History of Hai Eb'n Yokdhan an Indian Prince or The Self Taught Philosopher.*	**جورج آشويل** **(1694-1612)** George Ashwell راهب كاثوليكي أنجليكاني
		القــرن الثامــن عشــر	
تاريخ النشر	**نوع العمل**	**العنوان**	**اسم المؤلف**
1708	كتاب	ترجمـة إنجليزيـة لحـي بـن يقظـان بعنـوان: **ارتقــاء العقــل البشري:** *The Improvement of Human Reason*	**سايمون أوكلي** (1720-1678) Simon Ockley تخصص أولاً بالعبرية ثم أصبح أستاذ اللغة العربية في كمبردج.
1787	كتاب	**رحلات في إسبانيا:** *Travels through Spain*	**هنري سوينْبِرْن** (1803-1743) Henry Swinburne رحالة
1796	قصائد أندلسية في كتاب	نشَر ثلاث قصائد أندلسية بالعربية (لولادة بنت المستكفي والمعتمد بن عباد وعبد الغني القرطبي) ، مع ترجمة إنجليزية شعرية لها في كتابه: **لُمَع من الشعر العربي:** *Specimens of Arabian Poetry, from the Earliest Time to the Extinction of the Khaliphat.*	**جوزيف كارلايل** (1804 -1758) Joseph Dacre Carlyle أستاذ اللغة العربية في كمبردج

[1] ترجمته بالعربية: " الفيلسوف المعلم نفسَه بنفسه، أو رسالة أبي جعفر ابن طفيل عن حي بن يقظان، وفيها يبين كيف يمكن للعقل الإنساني أن يصعد من تأمل الأمور الدنيا إلى معرفة الأمور العليا". ينظر:

بدوي، عبد الرحمن (1984)، **موسوعة المستشرقين**، (ط1)، بيروت: دار العلم للملايين. ص92.

القــرن التاســـع عشــر			
اسم المؤلف	العنوان	نوع العمل	تاريخ النشر
جيمس كافانا ميرفي **(1814–1760)** James Cavanah Murphy معماري وجامع للآثار القديمة	**العصـور العربيــة القديمــة فــي إسـبانيا** (مـع مقدمـة ورسـومات تفصيلية للآثار الإسلامية في الأندلس): *The Arabian Antiquities of Spain*	كتاب	1813
وليم رايْت (1889–1830) William Wright أستاذ العربية والسريانية في جامعة كمبردج	نشَرَ النص العربي لرحلة ابن جبير وكانت بعنوان (في صفحة العنوان بالعربية): **رحلة الكاتب الأديب البارع اللبيب أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي تغمده الله برحمته آمين.** *The Travels of Ibn Jubayr , edited from a ms. In the University Library of Leyden.*	كتاب	1852
وليم رايْت (1889–1830) William Wright أستاذ العربية والسريانية في جامعة كمبردج	تحقيـق القسـم الأول مـن **نفــح الطيــب** مـع مجموعـة مستشـرقين (بإشـراف دوزي) ونُشـر فـي لَيْدَن مـع مقدمـة بالفرنسـية بعنـوان: **منتخبات أدبية من تاريخ العرب في إسبانيا وآدابهم** *Analectes sur l`Histoire et la litterature des Arabes d` Espagne.*	كتاب	1856– 1860
هنري إدوارد ستانلي (1903–1827) (Lord Stanley of Alderley) Stanley Henry Edward دبلوماسي ومستشرق من كمبردج، عمل في مكتب الخارجية سنة 1847، وخلال عمله الدبلوماسي تعلّم لغات شرقية وأوروبية ومنها العربية والإسبانية	" شعر محمد ربضان" وهو أحد الشعراء الموريسكيين، بعنوان: The Poetry of Mohamed Rabadan of Aragon, **Journal of Royal Asiatic Society**, vols. 3- 6, 1868-1872.	مقال	1872
ستانلي لين– بول (1931–1845) Stanley Lane-Poole مستشرق ومؤرخ	**العرب في إسبانيا:** *The Moors in Spain*	كتاب	1887

المستشرقون البريطانيون المهتمون بالتراث الأندلسي

في القرن العشرين

أبو حيدر

جرير أبو حيدر

Jareer Abu Haidar

أستاذ العربية في جامعة لندنSOAS

الاهتمامات العلمية: الأدب العربي والموشحات والأزجال الأندلسية

- 1976 (رسالة الدكتوراه) من جامعة لندن SOAS: **دراسة المظاهر اللغوية والأدبية في ديوان ابن قزمان (ت 1160م):** *A Study of Certain Linguistic, Metrical and Literary Aspects of the Diwan of Ibn Quzman* (d. 1160 A.D.), Unpublished PhD thesis, university of London.
- 1993 **(مقال):** "الأصول العربية للموشحات الأندلسية": مجلة **راية مؤتة،** 2 (2): 42–50.
- 2001 (كتاب): **الأدب (العربي– الإسباني) والشعر الغنائي البروفنسي المبكر:** الذي ضمّ فيه مجموعة من مقالاته التي كان نشرها في الدوريات المختلفة. *Hispano-Arabic Literature and Early Provencal Lyrics.*
- 2005 **(مقال):** "الموشحات والخرجات تقول قصتها": The Muwashshahat and the Kharjas Tell Their Own Story, **Al-Qantara**, vol. 26 (1), pp.43-98.

آربري

آرثر جون آربري (1905–1969)

Arthur John Arberry

متخصص في الصوفية كان رئيساً لقسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة القاهرة، وأستاذاً للعربية والفارسية والدراسات الإسلامية في SOAS وكمبردج

- 1953 (كتاب) الترجمة الإنجليزية لـ **طوق الحمامة** لابن حزم:*The Ring of the Dove*
- 1953 (كتاب) الترجمة الإنجليزية لـ **رايات المبرزين وغايات المميزين** لابن سعيد، تحت عنوان: **الشعر الإسلامي: ترجمة الرايات : مختارات مؤلفة سنة 1243 لابن سعيد:** *Moorish poetry: A Translation of the Pennants An Anthology compiled in 1243 by Ibn Sa`id*
- 1965 (ترجمة قصائد أندلسية): نشر مختارات من النص العربي مع ترجمات شعرية إنجليزية لقصيدة لابن زيدون وأخرى لابن خفاجة، ولموشح لابن زهر في كتابه: **الشعر العربي: الكتاب التمهيدي للطلاب[1]:** *Arabic Poetry: A Primer for Students, Cambridge University Press.*

[1] القصائد وترجماتها في الكتاب في الصفحات التالية: قصيدة ابن زيدون: ص114–117، قصيدة ابن خفاجة: ص118–119، موشح ابن زهر : ص 120–121.

برود هيرست

ر.ج برودهيرست

R.G Broadhurst

كان تلميذاً لآربري في قسم الدراسات العربية في كمبردج

- 1952 (كتاب): ترجَمَ **رحلات ابن جبير** إلى الإنجليزية، نقلاً عن النسخة التي حققها ونشرها وليم رايت، مع مقدمة وتعليقات: *The Travels of Ibn Jubayr*

برونله (ألماني)

بول برونله (1867–؟)

Paul Broennle

متخصص بالإنسانيات، عضو الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا[1]

- 1905 (كتاب): ترجم مقاطع مختارة من **رسالة حي بن يقظان** مع مقدمة تتضمن تلخيصاً للقصة في كتاب بعنوان: **يقظة الروح**: *The Awakening of the Soul*

بواز

روجر عبد الوهاب بواز[2]

Roger Boase

أستاذ فخري في الدراسات الإسبانية في جامعة لندن، كلية Queen Mary

- 1977 (كتاب): **أصول شعر الحب النبيل ومعانيه: دراسة نقدية في البحوث الأوروبية**: وهو بالأصل رسالته الجامعية كما يظهر في صفحة " تصدير" الكتاب Preface: *The origin and meaning of courtly love: A critical study of European Scholarship,* Manchester: Manchester University Press. 1977.

---

[1] التعريف مأخوذ من صفحة الغلاف الداخلي لكتاب **المقصور والممدود** الذي حققه برونله ونشره في لَيْدَنْ، طبعة 1900.

[2] ورد اسم بواز على هذا النحو في المعلومات الوراقية (البيليوغرافية) لورقة عمل قدمها في ورشة " للحوار الإسلامي– اليهودي في عالم القرن الحادي والعشرين " المنعقد سنة 2006 في جامعة لندن: يبدو أنه اعتنق الإسلام فأدخل هذا التغيير على اسمه، ينظر: Boase, Roger Abdul Wahhab (2007) *The Qur'anic model of religious pluralism: its relevance for Muslim-Jewish relations today.* In: Muslim-Jewish dialogue in a 21st Century world. Centre for Minority Studies, History Department, Royal Holloway University of London, Egham, pp. 17-37.

- 1978 (كتاب) : **انبعاث التروبادور** : *The Troubadour Revival*, (Routledge & K. Paul, 1978)
- 1990 (فصل في كتاب): طرد الموريسكيين ومنفاهم مثال من عدم التسامح العرقي والديني: The Morisco Expulsion and Diaspora: An example of racial and religious intolerance. (In: Hook, David, and Taylor, Barry, (Eds.), *Cultures in Contact in medieval Spain: A Historical and Literary Essays Presented to L. P. Harvey.* London: King`s College Medieval Studies, III.) xvi, University of London.
- 1998(فصل في كتاب): التأثير العربي في الشعر الأوروبي، في:**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، (ج1، 657–696). Arab Influence on European Love Poetry, In: Jayyusi, Salma Khadra (ed.) (1994). *The Legacy of Muslim Spain*,(vol. 1, pp.457-482).
- 2002 (مقال): طرد المسلمين من إسبانيا: نظرة على مثال إسباني من التطهير العرقي والديني: Muslim Expulsion From Spain: Looks at Spanish Example of Religious and Ethnic Cleansing, **History Today**, Apr. 2002, 52 (4), pp.21-27.

ترند

جون براند ترِنْد (1887–1958)

John Brande Trend

أستاذ الإسبانية في أكسفورد وكمبردج

- 1926 (كتاب): **التاريخ الإسباني حتى 1600**
- 1928 (كتاب): **إسبانيا من الجنوب**: *Spain from the South*
- 1935 (كتاب): **لغة إسبانيا وتاريخها**. *The Language and History of Spain*
- 1944 (كتاب): **حضارة إسبانيا**: *The Civilization of Spain*
- 1931 (فصل في كتاب): " إسبانيا والبرتغال " في: **تراث الإسلام**: *The Legacy of Islam.*

جونز

أَلَنْ جونز (1933–)

Alan Jones

أستاذ العربية في أكسفورد. الاهتمامات العلمية: الموشحات الأندلسية، حوسبة التراث العربي

- 1977 (مقال): "ديوان أكسفورد للموشحات الأندلسية": The Oxford Corpus of Andalusian *Muwashshahdt.* **Bulletin of the British Society for Middle Eastern Studies**, 4 (1), (1977): 42-43.

- 1980 (مقال): "الموشحات والتقطيع العروضي الرومانثي: (ملابس الإمبراطور الجديدة) Romance Scansion and the Muwassahat: An Emperor's New Clothes, **Journal of Arabic Literature**, 11, 1980, (pp.36-55).
- 1981 (مقال): " تقييمُ مستعربٍ لوضع دراسات الخرجة ": "Sunbeams from Cucumbers?" An Arabist's Assessment of the State of *Kharja* Studies, **La Corónica**, 10:1(1981): 38-53.
- 1983 (مقال): 'Eppur si muove', **La Corónica**, 12, (1983), pp. 45-70
- 1988 (كتاب: تحقيق): **الخرجات الرومانسية في الموشحات الأندلسية العربية: دراسة بليوغرافية:** *Romance Kharjas in Andalusian Arabic Muwassah Poetry: A Palaeographical Analysis.*
- 1991 (بحث في مؤتمر): "Omnia Vincit Amor", in: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.), ***Studies on the Muwassah and the Kharja***, pp.(88-103).
- 1992 (تحقيق ديوان): **عُدَّة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس** لابن بشري الأغرناطي، باللغة العربية مع مقدمة بالإنجليزية: *The Uddat Al-Jalis of Ali Ibn Bishri : An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat*
- 1997 (تحقيق ديوان): **جيش التوشيح،** للسان الدين بن الخطيب، باللغة العربية مع مقدمة بالإنجليزية: *The Jaysh Al-Tawshih of Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib : An Anthology of Andalusian Arabic Muwashshahat*

دكي

جيمس دِكي؟

James Dickie

(يسمى بعد اعتناقه الإسلام : يعقوب زكي) درَس في جامعات مصر وإسبانيا، ثم شغل وظائف أكاديمية في جامعات مانشستر ولانكستر وهارفارد مهتم بالعمارة الإسلامية في الأندلس

- 1964 (مقال) ابن شهيد: سيرته ودراسة نقدية: *Ibn Shuhayd: A Biographical and Critical Study,* **Al-Qantara**, 29(2), 1964, pp.234-310.
- 1969 (تحقيق ديوان): **ديوان ابن شُهَيْد،** مع مقدمة وافية في حياة ابن شُهَيْد وآرائه. ثم نشر الديوان سنة 1975 مترجماً إلى الإنجليزية.
- 1998 (فصول في كتاب):

1- غرناطة: مثال من المدينة العربية، (ج1، 151 -182).

Granada: A Case study of Arab Urbanism in Muslim Spain (vol.1, pp.88-111).

2- الحجم والمساحة في العمارة النصرية، (ج2 ، 885-890)

Space and Volume in Nasrid Architecture, (vol. 2, pp. 621-625).

3- الحديقة الأندلسية: دراسة أولية في مدلولاتها الرمزية،(ج2، 1411-1438).

Hispano-Arab Garden: Notes towards Typology, (vol. 2, pp. 1016-1035).

الفصول الثلاثة في:

(بالعربية): الجيوسي، سلمى الخضراء (محررة)، (1998)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.**

(بالإنجليزية): Jayyusi, Salma Khadra (Ed.) (1994), *The Legacy of Muslim Spain*

رايت

أوين رايت

Owen Wrigh

معيد Reader في اللغة العربية ويدرّس مادة الموسيقا في الشرق الأوسط الإسلامي وشمال أفريقية في SOAS

- 1998 (فصل في كتاب): الموسيقى في الأندلس في: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،** (ج1: 803–835). Music in Islamic Spain, (vol.2, pp. 555-579) In: Jayyusi, Salma Khadra (ed.) (1994). ***The Legacy of Muslim Spain***, 2 vols. Leiden, New York, Koln: E.J. Brill. (First Hardcover Edition: 1992).
- 2001 (مواد في موسوعة): **البستان الجديد، موسوعة الموسيقا والموسيقيين:** 'Ab? l-Salt In: Sadie, S and Tyrrell, Umayya [and] Ibn 'Abd Rabbih [and] Ikhwan al-Saf?' J, (eds.), *The new Grove dictionary of music and musicians Second Edition.* MacMillam (London), 797a-812a,817a-819a,819b-824a
- 2004 (بحث في مؤتمر) بعنوان: ملحوظات تمهيدية حول القضايا الموسيقية المتصلسة بالموشحات، مؤتمر لندن 2004: Preliminary comments on Musicological issues in relation to Muwashshahaat. In: Emery, Ed (2006), *Muwashshah: proceedings of the Conference on Arabic and Hebrew Strophic Poetry and its Romance Parallels*, School of Oriental and African Studies (SOAS), London, 8-10 October 2004. London: RN Books.

سمارت

جاك سمارت

Jack R. Smart

عمل في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة إكستر

- 1991 (بحث في مؤتمر): " المصطلح البلاغي: التوشيح، وعلاقته بفن الموشح ": The Rhetorical Term Tawsih and It`s Relation to the Art of the Muwassah, In: *Studies on the Muwassah and the Kharja: Proceedings of the Exeter International Colloquium*

سميث

دولسي لورنس سميث

مترجِمة Dulcie Lawrence Smith

- 1915 (كتاب) نشرت ترجمةً شعرية إنجليزية لأشعار المعتمد بن عباد عن العربية وعن ترجمة ألمانية، مع مقدمة عن حياته: *The Poems of Mu'tamid, King of Seville*

شترن

صمويل شترن (1920– 1969)

Samuel Stern

متخصص بالعبرية والعربية والرومانثية، السكرتير العام لتحرير الموسوعة الإسلامية حتى 1956 وأستاذ التاريخ والحضارة العربية الإسلامية في أكسفورد

- 1948 (مقال بالفرنسية): "الأسطر الأخيرة في موشح عبري من إسبانيا"[1] "Les Vers finaux en espagnol dans les ***muwassahs*** hispano-hebra'iques: Une contribution a l'histoire du ***muwssah*** et a l'etudedu vieux dialecte espagnol 'mozarabe.", **Al-Andalus** 13 (1948): 299-348
- 1949 (مقال) : "موشح عربي بقوافٍ إسبانية [2]: Un Muwassah Arabe avec Terminaison Espagnole, **Al-Andalus**. xiv, 1949, 214-218.
- 1950 (مقال) : " محمد بن عبادة القزاز صاحب الموشحات": Muhammad ibn Ubada al-Qazzaz, un Andaluz Autor muwassah, **Al-Andalus**, xv, 1950, 79-109.
- 1951 (مقال): "دراسات عن ابن قزمان": Studies on ibn Quzman, **Al-Andalus**, xvi, 1951, 381-425.
- 1951 (رسالة الدكتوراه): جامعة أكسفورد: **الموشح الأندلسي القديم:** *The Old Andalusian Muwashshah* ، وهي مترجمة في معظمها إلى اللغة العربية[3] عن الكتاب الذي جمع فيه ليونارد باتريك هارفي معظم أبواب الرسالة ومجموعة مقالات لشترن، وهو كتاب: *Hispano-Arabic Strophic Poetry*, (1974). Oxford: Clarendon, 1974. xv + 252 pp.
- 1953 (مقال): "بعض الملحوظات النصية حول الخرجات الرومانثية" Some Textual Notes on the Romance Jarjas. ***Al-Andalus***, 18 (1953): 133-40.
- 1953 (مواد في موسوعة): ابن عبدون، ابن حزم، ابن قزمان، ابن زيدون، ابن الخطيب، المعتمد، أمية بن أبي الصلت. في:.***Cassell's Encyclopaedia of Literature***

---

(1) وهو مترجَم إلى الإنجليزية في: Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry***, Pp. 123-160.

(2) وهو مترجَم إلى الإنجليزية في: Stern, S. M. (1974), ***Hispano-Arabic Strophic Poetry***, Pp. 161-165.

(3) سترن، صمويل (1996)، **الموشح الأندلسي**، عبد الحميد شيحة (مترجم)، (ط2)، القاهرة: مكتبة الآداب.

- 1955 (مقال): "مختارات من شعر الموشحات الأندلسية: جيش التوشيح وتوشيع التوشيح": Two Anthologies of Muwassah poetry: Ibn al-Hatib`s Gays al-tawsih and al-Safadi`s Tawsi` al-tawsih, **Arabica**, ii: 150-192.
- 1958 (مقال): " أربع موشحات مشهورة من مختارات ابن بشرى": Four Famous Muwassahs from Ibn Bushra`s Anthology, **Al-Andalus**, xxiii: 339-369.
- 1960 (مقال): موشحة للشاعرة الأندلسية نزهون :-*"Muwashshaha li-sh-sha'ira l-Andalusiyya Nazhun "* [A *muwashshah* by the Andalusian poetess Nazhun], **Majalle-ye 'Ulum-i Islamiyya** [Aligarh], (June 1960), pp. 1-8.
- 1964 (ورقة في مؤتمر): الموشحات الأندلسية في المخزون الموسيقي الشمال-أفريقي: "Andalusian muwashshahs in the musical repertoire of North Africa", *Actas del Primer Congreso de Estudios Arabes e Isldmicos,* [Cordoba, 1962], pp. 319-27.

الطيبي

أمين الطيبي

Tibi, Amin

باحث فلسطيني مقيم في ليبيا درَس وعَمِل في أكسفورد1[1]

- 1972 (رسالة الدكتوراه): من جامعة أكسفورد:*The "Tybian" of Abdullah b. Buluggin, Last Zirid Amir of Granada.*
- 1995 (كتاب بالعربية) : **كتاب التبيان للأمير عبدالله بن بلقّين آخر أمراء بني زيري بغرناطة**[2].
- 1999 (مقال): ابن بسام الشنتريني وكتابه الذخيرة: Ibn Bassam Al- Shantarini and his Anthology Al-Dhakhira, **Journal of Islamic Studies**, vol. 10, 1999, pp. 313-316.

فلتشر

ريتشارد ألكسندر فليتشر(1944-2005)

Richard A. Fletcher

مؤرخ القرون الوسطى في أكسفورد

- 1989 (كتاب) **البحث عن السيد** : *The Quest for El Cid* ، وهو الكتاب الذي حقق له شهرة واسعة بين القراء وفاز بجوائز عدة.
- 1993 (كتاب) **إسبانيا الإسلامية** *Moorish Spain*

---

[1] ترجم الطيبي بعض مقالات جون ديريك ليثم عن مدينة سبتة ونشرها في كتاب: الطيبي، أمين (1989)، **دراسات في تاريخ سبتة الإسلامية**، طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

[2] هناك طبعة سابقة للكتاب عن دار المعارف في القاهرة سنة 1955، بعنوان: **مذكرات الأمير عبدالله بن بلقّين**.

فولتون

الكسندر.س فولتون (1888-؟)

A. S. Fulton

عمل أميناً للمخطوطات العربية في المتحف البريطاني وأستاذاً للغات السامية في جامعة إدنبرة

- 1929: **(كتاب)** أعاد تحقيق الترجمة الإنجليزية لحي بن يقظان – التي ترجمها سايمون أوكلي– تحت عنوان: **تاريخ حي بن يقظان** مع مقدمة: *The History of Hayy ibn Yaqzan.*
- 1933: كتاب **البارع في اللغة** لأبي علي القالي.

كاكيا

بيير كاكيا (1921-)

Pierre. J. E. Cachia

درّس في الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي جامعة إدنبرة، وهو منذ 1975 يعمل أستاذ اللغة والأدب العربي في جامعة كولومبيا

- 1965 (كتاب مع مونتغمري واط): **في تاريخ إسبانيا الإسلامية،** *A History of Islamic Spain*
وقد كتب فيه المادة التي تتحدث عن الأدب في الأندلس وتوزعت على عدة فصول هي [3]:

1- الفصل الخامس: الإنجازات الحضارية في ظل الأمويين (ص79-87)
2- الفصل التاسع: العظمة الحضارية في ظل الانحطاط السياسي (ص 123-133)
3- الفصل العاشر: نهاية إسبانيا الإسلامية الأدب في عهد الانحطاط (ص164-171)

- 1978 **(مقال):** " الزجل والموشح من منظور الأدب الشعبي": Zagal and Muwassah in the perspective of popular literature, in *Proceedings of the 2nd International Congress of Studies on Cultures of the West Mediterranean*, ed. Michenline Galley, II, Aligers: Societe Nationale d`Edition et de Diffusion , 1978, pp. 326-328.
- 1998 **(فصل في كتاب):** " الأدب الأندلسي" في كتاب: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،** (ج1 : 461-473): Andalusi Belles Letters, (vol.1, pp.307-316). In: Jayyusi, Salma Khadra (ed.) (1994). *The Legacy of Muslim Spain.*

كولينز

روجر كولينز

Roger Collins

[3] ينظر الترجمة العربية للكتاب: وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية،** (ط1)، ترجمة محمد رضا المصري، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

درَس في أكسفورد، وعمِل في جامعة ليفربول وبريستول. وهو أستاذ شرف في قسم التاريخ في جامعة إدنبرة في 1998، اهتماماته العلمية تشمل تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى المبكرة

- 1983 (كتاب): **إسبانيا في العصور الوسطى المبكرة:** *Early Medieval Spain*. London, 1983.
- 1989 (كتاب): **الفتح العربي لإسبانيا:** *The Arab Conquest of Spain 710-797.* Oxford: Basil Blackwell, 1989.
- 2002 (تحرير كتاب): *Medieval Spain: Culture, Conflict and Coexistence* (Studies in Honour of Angus Mackay), edited with Anthony Goodman (Basingstoke and New York: Palgrave-Macmillan, 2002)

كينيدي، فيليب

فيليب كينيدي

Philip F. Kennedy

تخرج في جامعة أكسفورد سنة 1991

وهو أستاذ مشارك في الدراسات الشرق أوسطية والآداب المقارنة في قسم الدراسات العربية والإسلامية جامعة نيويورك فرع أبو ظبي، كان تلميذا لألن جونز في الدراسات العليا

- 1991 (بحث في مؤتمر): " نماذج من أغراض الموشحات، الغزال أنموذجاً ": *Thematic Patterning in the Muwassahat: The case of the Gazelle Motif.* In: Corriente, F. and Saenz-Badillos, Angel, (eds.), (1991). *Poesia Estrofica : Actas Del Primer Congreso Internacional Sobre Poesia Estrofica Arabe Y Hebrea Y Sus Paralelos Romances*, Madrid. pp. 201-216.
- 1991 (بحث في مؤتمر): "العلاقات الموضوعية بين الخرجات وديوان الموشحات والشعر المشرقي": Thematic Relationships between the *Kharjas*, the Corpus of *Muwashshahat* and Eastern Lyrical Poetry. In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (eds.), (1991). *Studies on the Muwassah and the Kharja, Proceeding of the Exeter International Colloquium,* UK, Ithaca Press Reading for the Board of the Faculty of Oriental Studies, Oxford University. pp. 68-87.

كينيدي، هوج

هـ. كينيدي

Hugh N. Kennedy

أستاذ العربية في SOAS ، وأستاذ تاريخ القرون الوسطى في جامعة سانت أندروز، انتُخب زميلاً للجمعية الملكية في إدنبرة سنة 2000

- 1996 (كتاب): **إسبانيا والبرتغال الإسلامية: التاريخ السياسي للأندلس.** *Muslim Spain and Portugal: A Political History of Al-Andalus*

له مؤلفات كثيرة، وكتَبَ في دائرة المعارف الإسلامية *The Encyclopedia of Islam* ولكن ليس من بينها مواد عن الأندلس.

ليثم

جون ديريك ليثَمْ (ت2005)

John Derek Latham

درّس في جامعة مانشستر، ثم عمل أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إدنبرة حتى تقاعده في 1988 ، ثم أصبح أستاذاً فخرياً في الجامعة منذ (1990)

- 1986 (كتاب): **من الأندلس إلى المغرب** [1]: *From Muslim Spain To Barbary, Studies on the History and Culture of the Muslim West* ، وقد ضم الكتاب مجموعة من الفصول المتنوعة المواضيع عن الأندلس والمغرب (19 فصلاً) ومنها الفصول الثلاثة الأخيرة عن عَروض الموشحات الأندلسية:

1- 'The Prosody of an Andalusian Muwashshah re-examined.

إعادة فحص عروض الموشحات الأندلسية.

2- New Light on the Scansion of an Old Andalusian Muwassah.

إضاءة جديدة على عروض موشح أندلسي قديم.

3- The Origins of the Andalusian Muwashshah: A Theory Examined.

أصول الموشحات الأندلسية: بحث نظرية

- 1991 (بحث في مؤتمر): " تعليق على وزن أحد الموشحات الأندلسية " : Man Li Bi-Ras-An: Comments on the Metre of an Andalusian Muwassah. In: Angel, Seanz-Badillos and F. Corriente, (1991). ***P**oesia Estrófica: Actas del Primer Congreso Internacional sobre Poesia Estrófica Arabe y Hebrea y sus Paralelos Romances*

ماك كيب

جوزيف ماك كيب (1867–1955)

Joseph McCabe

فيلسوف لاهوتي

- 1935 (كتاب): **مدنيّة المسلمين في إسبانيا**: *The Splendour of Moorish Spain.*

----

[1] ترجم د. أمين الطيبي عنوان كتاب ليثم على هذه الصورة، في : الطيبي، أمين (1989). **دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية**، طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ص14 ، الذي يضم ترجمة دراستين لليثم عن سبتة وهما ضمن هذا الكتاب.

نيكلسون

رينولد نيكلسون (1868–1945)

Rynold Alleyne Nicholson

مستشرق متخصص في التصوف الإسلامي

- 1913 (تحقيق وترجمة ديوان): نشر النصّ العربي والترجمة الإنجليزية لـ **ترجمان الأشواق** لابن عربي: *The Tarjuman Al-Ashwaq: A Collection of Mystical Odes.*
- 1922 (قصيدة مترجمة): ترجم بعض نونية أبي البقاء الرُّندي "لكل شيء إذا ما تم نقصان..." (28 بيتاً منها) في كتابه: **ترجمات من الشعر والنثر الشرقي**، (الصفحات 168–169): *Translations of Eastern Poetry and Prose*

هارفي[1]

ليونارد باتريك هارفي

Leonard Patrick Harvey

أستاذ اللغة الإسبانية في أكسفورد منذ 1956 ، متخصص بالموريسكيين والأدب الخميادي، أستاذ فخري للغة الإسبانية جامعة لندن منذ 1983

- 1959 (رسالة دكتوراه): في جامعة أكسفورد: **التاريخ الأدبي للموريسكيين**: *The Literary Culture of the Moriscos (1492-1607), A study based on the extant manuscripts in Arabic*
- 1959 (بحث في مؤتمر): الموريسكي المترجم الإسباني لمولاي زيدان: أحمد بن قاسم ابن الفقيه قاسم الشيخ الحجري الأندلسي: The Morisco who was Muley Zaidan`s Spanish Interpreter: Ahmad Ben Qasim Ibn al-Faqih Qasim "al-Sahikh Al HagaryAl Andalusi", In: *Miscelnea de Estudios Arabes y Hebrariacas*, Granada, t. viii, 1959, pp. 67-97.
- 1962 (مقال): مخطوط موريسكي في مجموعة جودولفين في كلية وادام في أكسفورد: A morisco manuscript in the Godolphin collection at Wadham College Oxford, **Al-Andalus**, vol. 27 (2) , pp.461-465.
- 1964 (ورقة مؤتمر): الإسلام السري في إسبانيا في القرن السادس عشر: Crypto-Islam in sixteenth-century Spain, In: *Actas primer congreso de estudios Arabes e Islamicos,* Madrid, 1964, pp. 163-178.
- 1964 (مقال): كتاب موريسكي لتعليم الصلاة في متحف المكتبة البريطانية: A Morisco Prayer-book in The British Library Museum: **Al-Andalus**, (29), pp.373-376.
- 1971 (مقال): " اللهجة العربية لمدينة بلنسية في سنة 1595م ": The Arabic Dialect of Valancia in 1595, **Al-Andalus**, vol. 36, pp.81-115.

[1] عن سيرة حياة ليونارد هارفي ينظر مقال (بالإسبانية):
Luis Fernando Bernabe Pons (1999-2002), Bibliografia de L. P. Harvey, Sharq al-Andalus, 16-17,
وقائمة بؤلفاته في المقال نفسه الصفحات 17– 20.

- 1976 (مقالان): حول الأندلس: وفيهما دفاع عن شترن ضد اتهامات Ramirez Calvnte وهو الاسم المستعار الذي كتب تحته غرسية غومس مقالات عن الخرجات الرومانثية. "Sobre Al Andalus", **Al-Andalus**, vol. 39, pp. 273-281, replica, **Al-Andalus**, vol. 41, pp. 235-237.
- 1987 (مقال): الموريسكيون والحج : The Moriscos and the Hajj, **Bulletin of British Society for Middle Eastern Studies**, vol. 14 (1), pp.11-24.
- 1989 (مقال): "مجموعة موريسكية من الأحاديث "الضعيفة" حول فضائل الأندلس: A Morisco Collection of Apocryphal Hadiths on the Virtues of Al-Andalus, **Al-Masaq**, vol. 1, pp.25-39.
- 1989 (مقال): "مخطوطة موريسكية ثانية في كلية وادام في أكسفورد": A second morisco manuscript at Wadham College, Oxford, A 18.15,**Al Qantara**, 10 (1) 1989. pp. 257-272.
- 1990 (كتاب): **إسبانيا الإسلامية: 1250 إلى1500**: *Islamic Spain, 1250 to 1500*
- 1992 (فصلان في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس): The Mudejars (vol.1, pp.176-187)، المدجَّنون (ج1، ص285–300)، وتاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي (ج1، ص317–357) The political, Sociological and cultural history of the Moriscos. (vol.1, pp.201-234). In: Jayyusi, Salma Khadra (ed.) (1994). *The Legacy of Muslim Spain*,
- 2005 (كتاب): **المسلمون في إسبانيا 1500–1614** : *Muslims in Spain, 1500 to 1614*

هاموند

ميرل هاموند

Marle Hammond,

Oxford

- 2004 (ورقة في مؤتمر): مؤتمر الموشحات المنعقد في لندن، بعنوان: *"He desires her? Situating Nazhun`s muwashshaha in an androgynous aesthetic of courtly love"*..

هانلون

ديفيد هانلون

David Hanlon

خبير تقني في مركز اللغات في SOAS، Birckbeck College, London

- 1992 (رسالة الدكتوراه): في جامعة إكستر: المظاهر اللغوية والأدبية في الخرجات الرومانثية : *Linguistic and Literary Aspects of Romance Kharjas in Arabic Script: Towards a Critical Edition*

- 1997 (مقـال): "رؤيـة (اجتماعـية–لغويـة) للهـزل فـي الموشـحات الأندلسـية العربيـة": A Sociolinguistic view of *hazl* in the Andalusian Arabic Muwashshah , **Bulletin of SOAS**, Vol.60 (1) 1997, pp.35-46.
- 1997 (مقال): "اللاتينية في لهجات المستعربين: إعادة تقييم": Lenition in the Mozarabic Dialects: A Reappraisal,
Al-Qantara, 18 (1), (1997), pp. 121-136.

____

هوبكنز

J. F. P Hopkins

- 1961 (مقال) : ابن الحاج: شاعر أندلسي من القرن الرابع عشر : J. F. P. Hopkins, (1961), An Andalusian Poet of the Fourteenth Century: Ibn Al-Hajj, **The Bulletin of SOAS**, Vol. 24, pp. 57-64.
- وكتب بعض المواد عن الأندلس في دائرة المعارف الإسلامية *The Encyclopedia of Islam*

____

هيتشكوك

ريتشارد هيتشكوك

Richard Hitchcock

أستاذ فخري للدراسات الإسبانية–العربية في جامعة إكستر من سنة 1966، درَس العربية والإسبانية في سانت أندروز وفي بغداد (1962) وإسبانيا (1964)

- 1973 (مقـال): بعـض الشـكوك حـول بنـاء الخرجـات: Some Doubts About the Reconstruction of the Kharjas, **Bulletin of Hispanic Studies**, 50 (2), Apr. 1973, pp. 109-119.
- 1977(كتاب مع ألن جونز): **الخرجات: مسرد نقدي**: *The Kharjas: A Critical Bibliography*
- 1977(مقال): حول لفظ " أمي" في الخرجات: Sobre La `mama` in Las Kharjas, **Journal of Hispanic Philology**, vol. 2, 1977-1978, pp. 1-9.
- 1980 (مقال): " الخرجات بصفتها الشعر الرومانثي المبكر: مراجعة": The Kharjas as Early Romance Lyrics: A Review, **Modern Language Review**, vol. 75, pp.481-491.
- 1980 (مقال): الخرجات منذ ثلاثين سنة: Las jarchas- treinta anos despues, **Awarq**, vol. 3, 1980, pp. 19-25.

- 1985 **(مقال): مصير الخرجات: دراسة عن المنشورات الحديثة:** The Fate of the Kharjas: A Survey of Recent Publications." **Bulletin of British Society for Middle Eastern Studies**, 12:2 (1985): 172-90
- 1985 **(مقـال):** تفسـير الكلمـات الرومانثيـة فـي النصـوص العربيـة: النظريـة والتطبيـق: 'The Interpretation of Romance Words in Arabic Texts: Theory and Practice' , **La Coronica**, 13 (1), 1985, 243-254
- 1989 **(مقال):** "الخرجات الرومانثية: فجرٌ زائف": The Romance Kharjas: A False Dawn,: **Journal of Hispanic Philology**, 14 (1), 1989, pp.5-22.
- 1991 (تحرير كتاب مع ألن جونز): **دراسات في الموشح والخرجة**، أوراق مؤتمر إكستر الدولي الذي كان من إعداده عندما كان يعمل في إكستر : *Studies on the Muwaššaḥ and the Kharja: proceedings of the Exeter International Colloquium*
- 1991 **(مقال):** "فتيات قادش والخرجات": The Girls from Cadiz and the Kharjas, **Journal of Hispanic Philology**, vol. 15 (2), 1991, pp. 103-116.
- 1996 (كتاب) : **الخرجات: دراسة ببليوغرافية: الملحق الأول:** مع كونسويلو لوبيث- موريّاس C. Lopez- Morillas: *The Kharjas: A Critical Bibliography*, Supplement no.1 , 1996
- 1997 (تحرير كتاب مع ديونيسيوس إغيوس) تأثير العرب في أوروبا في القرون الوسطى (مترجم للعربية): *The Arab Influence in Medical Europe*
- 2002 (فصل في كتاب): سقوط غرناطة في كتابات المؤرخين الإنجليز والأمريكان في القرن التاسع عشر: The Conquest of Granada in Nineteenth-century English and American Historiography. In: Collins, Roger (ed.) *Medieval Spain: Culture, Conflict, and Coexistence*. Pp. 242-265.
- 2008 (كتاب) **المستعربون في إسبانيا القروسطية:** *Mozarabs in Medieval and Early Modern Spain: Identities and Influences*

واط

مونتغمري واط (1909–2006)

Montgomery Watt

أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة إدنبرة

- 1965 (كتاب): **في تاريخ إسبانيا الإسلامية** [1]: *A History of Islamic Spain*

[1] الكتاب مترجم إلى العربية : وات، مونتغمري (1994)، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ط1، ترجمة محمد رضا المصري، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

- 1972 (كتاب): **فضل الإسلام الحضارة الغربية:** *The Influence of Islam on Medieval Europe*[1]
- 1964 (مقال): " أفول الموحدين: ملحوظات حول الحركات الدينية وقابليتها للاستمرار": The Decline of the Almohads: Reflections on the Viability of Religious Movements, **History of Religions**, vol. 4 (1), 1964, pp.23-29

ويسرستين

ديفيد وِيسِّرْسِتين

David Wasserstein

تخرج في جامعة أكسفورد 1982 متخصص في التاريخ الإسلامي والدراسات العبرية.

كان أستاذ التاريخ الإسلامي في University College في دبلن، إيرلندا

حالياً أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة Vaderbilt في ناشفيل في الولايات المتحدة، كان أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة تل أبيب من 1990–2004

- 1985 (كتاب): **صعود ملوك الطوائف وسقوطهم.** *The Rise and Fall of the Party Kings Politics and society in Islamic Spain 1002-1085,* Princton-New Jersey: Princton University Press.
- 1993 (كتاب): **الخلافة في الغرب: المؤسسة السياسية الإسلامية في الغرب:** *The Caliphate in the West: An Islamic Political Institution in the Iberian Peninsula*. Oxford: Clarendon Press.
- 1988 (ورقة مؤتمر): "الوضع اللغوي في الأندلس" منشورة في كتاب المؤتمر الصادر سنة 1991: The Language Situation in al-Andalus, In: Jones, Alan and Hitchcock, Richard (Eds.) (1991), *Studies on the Muwassah and the Kharja: Proceedings of the Exeter International Colloquium* ، والورقة منشورة ثانية في كتاب " **تكوين الأندلس** " الصادر سنة 1998: Conrad, Lawrence I. (General Editor), (1998). ***The Formation of al-Andalus***
- 2000 (مقال) "انبثاق مملكة طليطلة": The Emergence of the Taifa Kingdom of Toledo, **Arabic Quarterly**, xxi, pp.21-50.
- 2004 (فصل في كتاب): غريب بن عبدالله الثقفي وبداية الاستقرار اللغوي والعرقي للإسلام في الأندلس: "Ghirbib ibn 'Abd Allah al-Thaqafi and the beginnings of linguistic and ethnic accommodation to Arab Islam, in al-Andalus". In: Dr Philip F. Kennedy and Dr Robert G. Hoyland, (2004), *ISLAMIC REFLECTIONS, ARABIC MUSINGS Studies in Honour of Professor Alan Jones*, Cambridge: E. J. W. Gibb Memorial Trust.

ولستان

ديفيد ولستان

David Wulstan

كان أستاذ الموسيقا في جامعة ويلز حتى تقاعده، ثم زميلاً محاضِراً في أكسفورد وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات

- 1982 (مقال): " الموشح والزجل ثانيةً ": The *Muwassah* and *Zagal* Revisited, ***Journal of the American Oriental Society,*** Vol. 102(2), (1982), pp. 247-64.
- 1997 (فصل في كتاب). الغلمان والنساء والسكارى: هل هنالك تأثير إسباني- موريسكي على الأغنية الأوروبية؟" في كتاب: **التأثير العربي في أوروبا في العصور الوسطى:** 'Boys, Women and Drunkards: Hispano-Mauresque Influences on European Song?" (pp. 136—67). In: *The Arab Influence on Medieval Europe,* Dionisius A. Agius and Richard Hitchcock, (ed.), (Reading: Ithaca Press, 1994), pp. 136–167.
- 2005 (مقال): Bring on the Dancing-Girls!(a Gadibus usque auroram), **Al-Masaq**, Vol. 17, No. 2, September 2005

الملحق الثاني

المقابل اللاتيني لأعلام المستشرقين الواردة أسماؤهم في الكتاب

مرتبة حسب ورودها في متن الكتاب

ليونارد باتريك هارفي	L. P. Harvey
ريتشارد هيتشكوك	R. Hitchcock
جيمس مونرو	James Monroe
باسكال دي جايَنْجوس	Pascual de Gayangos
صمويل شترن	Samuel Stern
جرير أبو حيدر	J. Abu Haidar
روبرت أوف كيتون	Robert of Ketton
بطرس المبجَّل	Peter the Venerable
أديلارد أوف باث	Adelard of Bath
دانيال أوف مورلي	Daniel of Morley
مايكل سكوت	Michael Scot
ويليام لود	.W Laud
يوسف أبو ذقن	J. Abudacnus

William Bedwell	ويليام بدويل
Matthias Pasor	ماتياس باسور
Pococke Edward	إدوارد بوكوك (الأب)
Ockley Simon	سايمْون أوكلي
Sir William Jones	وليم جونز
S. De Sacy	سلفستر دي ساسي
T. Erpenius	توماس إربينوس
The Levant Company	شركة الشرق اللندنية
Thomas Bodley	توماس بودلي
The Bodleian Library	مكتبة بودليانا (المكتبة البودلية)
Joanne Uri	جون أوري
Abraham Wheelocke	أبراهام ويلوك
E. Browne	إدوارد براون
T. Adams	توماس آدامز
E. Pococke (Junior)	بوكوك الابن
J. Golius	ياكوب غُلْيوس
R. Dozy	رينهارت دوزي

R. A. Nicholson	رينولد نيكلسون
De Goje	دي خويه
Th. Noldeke	ثيودور نولدكه
H. Gibb	هاملتون جب
A. J. Arberry	آرثر جون آربري
A. Jones	ألن جونز
M. Casiri	ميخائيل الغزيري
G. Keith	جورج كيث
G. Ashwell	جورج أشويل
Quakers	الكويكرز
Joseph Carlyle	جوزيف كارلايل
J. Andres	خوان أندريس
J. Conde	خوسيه كوندي
A. F. Von Schack	أدولف فريد ريتش فون شاك
W. Irving	واشنطن إيرفنج
S. Lane-Poole	ستانلي لين- بول
H. Swinburne	هنري سوينْبرْنْ

F. Codera	فرانشيسكو كوديرا زيدان
M. Hartmann	مارتن هارتمان
Pons Boigues	بونز بويجوس
Dugat	دوجا
Krehl	كريل
R. Ford	ريتشارد فورد
W.A.Clouston	كلوستون
Levi-Prvencal	ليفي بروفنسال
S. P. Scott	صمويل سكوت
H. G. Farmer	هنري جورج فارمر
M. Pelayo	مينينديث بيلايو
G. Gomez	غرسية غومس
R. G. Broadhurst	برودهيرست
A. J. Arberry	آرثر جون آربري
J. Dickie	يعقوب زكي(جيمس دِكي)
M. Watt	مونتغمري واط
J. D. Latham	جون ديريك ليثم

F. Krenkow	كرينكوف
J. F. P. Hopkins	هوبكنز
H. A. R. Gibb	هاملتون جِبْ
J. B Trend	جون براند ترِنْد
N. Daniel	نورمان دانيال
D. Wulstan	ديفيد ولستان
Leslie McLouchlin	ليزلي مكلوخلن
Baron M. G. De Slane	دي سلان
Pierre. Cachia	بيير كاكيا
H. Peres	هنري بيريس
L. Massignon	لويس ماسينيون
G. Colin	جورج كولان
Gian Maria Barbieri	جان ماريا باربياري
Roger Boase	روجر عبد الوهاب بواز
J. Ribera	خولْيان ريبيرا
R. M. Pidal	رامون ميننديث بيدال
Heger, Klaus	كلاوس هيكير

Sola-Sole, Joseph	جوزيف سولا سوليه
J. Monroe	جيمس مونرو
Samuel G. Armistead	صمويل آرمستيد
Richard Walzer	ريتشارد والزر
Jack R. Smart	جاك سمارت
Philip F. Kennedy	فيليب كينيدي
V. Rosen	فيكتور روزن
D. Gunsburg	ديفيد غونزبرغ
M. Amari	ميخائيل أماري
G. W. Freytag	جورج فريتاج
Charles Pellat	شارل بيلا
John Locke	جون لوك
P. Broennle	بول برونله
L. Gauthier	ليون جوتييه
J. Hammer-Purgustall	جوزيف فون هامر- برجشتال
R. Blachere	ريجيس بلاشير
D. S. Margoliouth	صمويل مرجليوث

M. A. Palacios	آسين بلاثيوس
A. G. Palencia	أنخل بالنثيا
Thomas Bourke	توماس بورك
George Power	جورج باور

المحتويات

المصادر والمراجع: